

سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية



عزمي بشارة

من لا أخلاقية السياسة إلى السياسة غير الأخلاقية في ظل إدارة ترمب وأثرها

عدد خاص: قضايا الانتقال والهوية وبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد

إبراهيم دراجي

الإرث الدستوري في سورية (1973-2024): فرص ضائعة على الطريق نحو انهيار نظام الأسد

حيان دخان ورهف الدغلي

سوسيولوجيا انهيار نظام الأسد: الطائفة العلوية وتفكك العقد الاجتماعي (2011-2024)

Academic Advisory Committee الهيئة الاستشارية

Ibrahim Fraihat	إبراهيم فريحات
Burhan Ghalioun	برهان غليون
Than'a Fouad Abdulla	ثناء فؤاد عبد الله
Hamadi Redissi	حمادي الرديسي
Hayder Ibrahim Ali	حيدر إبراهيم علي
Seif Al-Din Abdul Fattah	سيف الدين عبد الفتاح
Tarek Mitri	طارق متري
Abdullah Baabood	عبد الله باعبود
Abdelwahab El-Affendi	عبد الوهاب الأفندي
Larbi Sidiki	العربي صديقي
Ghanim Al-Najjar	غانم النجار
Ghassan Elezzi	غسان العزي
Kadhim Hashim Niama	كاظم هاشم نعمة
Mohamed Olwan	محمد علوان
Mohammed Madani	محمد مدني
Mahmoud Muhareb	محمود محارب
Mustafa Hamarneh	مصطفى الحمارنة
Mustafa Kamel Al Sayyed	مصطفى كامل السيد
Nizam Assaf	نظام عساف

Copy-Editing التدقيق

Amel Fayech	آمال فياش
Abdelwaheb Souissi	عبد الوهاب سويسسي
Mouldi Abbassi	المولدي العباسي

Editor-in-Chief رئيس التحرير

Mohammed Hemchi محمد حمشي

Managing Editor مدير التحرير

Ahmed Qasem Hussein أحمد قاسم حسين

Editorial Secretary سكرتير التحرير

Saja Torman سجي طرمان

Editorial Board هيئة التحرير

Adham Saouli	أدهم صولي
Harith Hasan	حارث حسن
Hassan El Haj Ali	حسن الحاج علي
Suhaim Al Thani	سحيم آل ثاني
Abderrahim Elaallam	عبد الرحيم العلام
Omar Ashour	عمر عاشور
Faisal Abu Salib	فيصل أبو صليب
Lolwah Rashid Al-Khater	لولوة راشد الخاطر
Mohammed Al-Misfer	محمد المسفر
Marwan Kabalan	مروان قبلان
Marwa Fekry	مروة فكري
Nadia Naser-Najjab	نادية نصر- نجاب

Design and Layout تصميم وإخراج

Ahmad Helmy	أحمد حلمي
Souhail Jellaoui	سهيل جلاوي

The Designated Licensee

The General Director of the Arab Center for
Research and Policy Studies

صاحب الامتياز

المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

صورة الغلاف

علي حاج سليمان (سورية)

تظهر الصورة الملتقطة مشهد غروب الشمس
من خلف سياج أحد مخيمات النازحين في إدلب
شمال غرب سورية.

جميع المراسلات باسم

رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

صندوق بريد: 10277

منطقة 70 شارع الطرفة، الدوحة، قطر

هاتف 00974 4035 6888

Arab Center For Research & Policy Studies

PO Box: 10277

Al Tarfa Street, Doha, Qatar

Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

العدد 82 - المجلد 14 - أيلول/ سبتمبر 2026
Issue 82 - Volume 14 - September 2026

سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

لا تعبر آراء الكُتّاب بالضرورة عن اتجاهات يتبنّاها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" أو "معهد الدوحة للدراسات العليا" أو دورية "سياسات عربية"

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

Articles	7	دراسات
Azmi Bishara		عزمي بشارة
From Amoral Politics to Immoral Politics: The Influence of the Trump Administration	9	من لا-أخلاقية السياسة إلى السياسة غير الأخلاقية في ظل إدارة ترمب وأثرها
Special Issue Transition, Identity, and State-Building in Post-Assad Syria Editor: Ahmed Qasem Hussein	25	عدد خاص قضايا الانتقال والهوية وبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد المحرر: أحمد قاسم حسين
Ahmed Qasem Hussein		أحمد قاسم حسين
Introduction: Transition, Identity, and State-Building in Post-Assad Syria	27	مقدمة: قضايا الانتقال والهوية وبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد
Ibrahim Draji		إبراهيم دراجي
The Constitutional Legacy in Syria (1973–2024): Missed Opportunities all along the way to the Assad Regime's Collapse	34	الإرث الدستوري في سورية (1973–2024): فرص ضائعة على الطريق نحو انهيار نظام الأسد
Emad Alali		عماد العلي
State-building and Social Contract in Post-Assad Syria: A Constitutive Approach	55	بناء الدولة والعقد الاجتماعي في سورية ما بعد الأسد: مقاربة تأسيسية
Ahmed Qasem Hussein		أحمد قاسم حسين
Nabil Hussein		نبيل حسين
"Fragmented Identities": An Analysis of Transformations in Syrian National Identity Based on the Findings of the 2025 Arab Opinion Index in Syria	74	"هويات متصدعة": قراءة في تحولات الهوية الوطنية السورية اعتمادًا على نتائج المؤشر العربي في سورية 2025
Haian Dukhan		حيان دحان
Rahaf Aldoughli		رهف الدغلي
The Sociology of the Assad Regime's Collapse: The Alawite Community and the Erosion of the Social Contract (2011-2024)	99	سوسيولوجيا انهيار نظام الأسد: الطائفة العلوية وتفكك العقد الاجتماعي (2011–2024)

عزام القصير		
Azzam Al Kassir		
Reshaping Power in Post-Assad Syria: A Neopatrimonial Approach	114	إعادة تشكيل السلطة في سورية ما بعد الأسد: مقاربة نيوباتريمونية
مراجعات الكتب		131
سمير العبد الله		
Samir Alabdullah		
Book Review <i>The Last Ten Years in Syria: The Dialectic of Stagnation and Reform</i>	133	مراجعة كتاب "العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح"
دراسة مترجمة		143
جوان شارب		
Joanne P. Sharp		
Translated by Saja Torman		
Geopolitics at the Margins? Reconsidering Genealogies of Critical Geopolitics	145	ترجمة سجي طرمان الجيوبوليتيكا في الهوامش؟ إعادة النظر في جينياالوجيات الجيوبوليتيكا النقدية
التوثيق		165
الوقائع الفلسطينية في المدة 7/1 - 2026/8/31		
Palestine Over Two Months 1/7-31/8/2026	167	
عروض الكتب		175
القرن الأوراسي: الحروب الساخنة، والحروب الباردة، ومصناعة العالم الحديث		
<i>The Eurasian Century: Hot Wars, Cold Wars, and the Making of the Modern World</i>	177	
ما الذي أخفق حقًا؟ الغرب وإخفاق الديمقراطية في الشرق الأوسط		
<i>What Really Went Wrong? The West and the Failure of Democracy in the Middle East</i>	178	
ممحوات: تاريخ الفكر الدولي من دون رجال		
<i>Erased: A History of International Thought Without Men</i>	179	
حقوق الإنسان وأخطاء الروبوت: أن تكون إنسانًا في عصر الذكاء الاصطناعي		
<i>Human Rights, Robot Wrongs: Being Human in the Age of AI</i>	180	

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطورها، انطلاقاً من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثاً ودراسات وتقارير، ويصدر كتباً محكمة ودوريات علمية، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضاً، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسة التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسس.

أسّس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسّس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرغ العلمي، ويكلف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.

The Doha Institute for Graduate Studies (DI) is an independent institute for learning and research in the fields of Social Sciences, Humanities, Public Administration and Development Economics in Doha.

Through its academic programs and the research activities of its professors, the DI aims to achieve its mission of contributing to the formation of a new generation of academics and intellectually independent researchers who are proficient in international scholarship standards and modern interdisciplinary research methodologies and tools, and leading professionals who can advance human knowledge and respond to the needs of the Arab region, resulting in social, cultural and intellectual development.

The institute seeks to establish an intellectual hub that will benefit the Arab region in particular. The Institute supports academic research that deals with Arab issues, in an atmosphere of institutional and intellectual freedom.

The Institute works in cooperation with the Arab Center for Research and Policy Studies and the Doha Historical Dictionary of Arabic Language to facilitate its students and faculty members in their research of the most important current issues related to the Arab world and the wider international community. The involvement of students in the most important research projects is at the heart of the Institute's interests.

The Institute adopts Arabic as its official and primary language for education and research. English serves as an accompaniment to Arabic, with both languages used in presenting and research.

معهد الدوحة للدراسات العليا مؤسسة أكاديمية مستقلة للتعليم العالي والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية والإدارة العامة واقتصاديات التنمية.

يهدف المعهد من خلال برامجه الأكاديمية ونشاطات أساتذته البحثية إلى تحقيق رسالته المتمثلة في المساهمة في تكوين جيل جديد من الأكاديميين والباحثين المستقلين فكرياً والمتمكنين من المعايير العلمية العالمية والأدوات البحثية المنهجية الحديثة القائمة على مبدأ تداخل التخصصات، ومن القادة المهنيين القادرين على الدفع قُدماً بالمعرفة الإنسانية والاستجابة إلى حاجات المنطقة العربية في سبيل التطور الفكري والاجتماعي والمهني.

ويسعى المعهد لتأسيس نواة لصرح فكري يفيد العالم العربي على نحو خاص. ويدعم المعهد البحوث العلمية التي تهتم بالقضايا العربية، في جو من الحرية المؤسسية والفكرية.

يعمل المعهد بالتعاون مع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية على فتح المجال لطلبته وأعضاء هيئته التدريسية للبحث في أهم القضايا الراهنة التي تتعلق بالعالم العربي والمجتمع الدولي. ويعتبر إشراك الطلبة في أهم المشاريع البحثية في صلب اهتمامات المعهد.

يعتمد المعهد اللغة العربية أداة للبحث العلمي، ولغة رسمية في الخطاب العام، ولغة أساسية للتعليم والبحث. وتُعد اللغة الإنكليزية لغة مرافقة في التعلم والبحث العلمي. وتستعمل اللغتان في طرح المواضيع المختلفة ودراستها.



دراسات Articles

عزمي بشارة | Azmi Bishara*

من لا أخلاقية السياسة إلى السياسة غير الأخلاقية في ظل إدارة ترمب وأثرها

From Amoral Politics to Immoral Politics: The Influence of the Trump Administration

يبثّ هذا المقال في أثر التعرّض المتواصل لخطاب إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترمب وممارساته في القيم والأعراف الأخلاقية السائدة في المجال العمومي في الولايات المتحدة الأميركية وخارجها، انطلاقاً من التمييز بين الاعتبارات اللا-أخلاقية الخاصة بالسياسة وتبرير الخطاب والممارسة السياسية غير الأخلاقيين. ويتناول من منظور تحليلي نقدي، كيف يمكن لتكرار ممارسات الاستخفاف بالحقيقة، وتسخير السلطة والمال العام للمصالح الشخصية والحزبية، والاستخفاف بالقانون، والعنصرية، أن يحوّل ما كان يُعد تجاوزاً يستدعي المساءلة إلى سلوك مألوف في الحياة السياسية. ويناقش المقال حدود الاكتفاء بالسخرية من هذه الممارسات أو تقييدها وفق حسابات المنفعة والنجاح، من دون إخضاعها لنقد أخلاقي مستقل. ويخلص إلى أن الضرر لا يقتصر على السياسات ذاتها، بل يمتد إلى احتمال تبدل الحس الأخلاقي لدى الجمهور بفعل الاعتياد عليها، وتآكل المعايير التي تضبط ممارسة السلطة والمساءلة عنها، وهو ما يتطلب استعادة النقد الأخلاقي للسياسة، وعدم اختزال الحكم على الأفعال السياسية في نتائجها أو موازين القوة والمصلحة.

كلمات مفتاحية: الأخلاق والسياسة، الديمقراطية، الليبرالية، سياسات القوة، تطبيع اللا-أخلاقية، إدارة ترمب.

This article examines the impact of sustained exposure to the rhetoric and practices of US President Donald Trump's administration on public moral values and ethical norms, in the United States and elsewhere, distinguishing between amoral politics and the justification of immoral political discourse and conduct. Adopting a critical analytical approach, it explores how the relentless disregard for the truth, power politics (might is right), exploitation of power for personal and partisan gain, contempt for the law, and embrace of racism can normalize political behaviour that once warranted accountability. It discusses the limits of political satire as a response or a purely utilitarian critique of such practices absent an independent moral critique. The study concludes that over time the discourse and practices of the current administration may dull the public's moral sensibility and erode the standards that govern the exercise of power and accountability.

Keywords: Morals and Politics, Democracy, Liberalism, Power Politics, Normalization of Amorality, Trump Administration.

* مفكر عربي، المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

مقدمة

ملاحظة شبه فلسفية تطبيقية

يعالج هذا المقال حالةً عينيةً من حالات العلاقة المعقدة بين الأخلاق والسياسة، من دون تعريفات نظرية لمفاهيم فلسفة الأخلاق، أو ما يسمى أحياناً "علم الأخلاق"، الذي يتضمن نظريات مختلفة في تفسير مصادر القيم الأخلاقية وقواعد السلوك الأخلاقي وما يميزه من غيره. ولا شك في أن هذا العلم يتضمن بعداً إرشادياً توجيهياً؛ فهو ليس علماً بالمعنى الصارم للمصطلح. ومن مشكلات بعده التوجيهي أن الناس عموماً لا يتصرفون بموجب مذهب أخلاقي فلسفي بعينه؛ فسلوكهم مُركَّب وسابق على صياغة المذاهب الأخلاقية وفقاً لتصنيفات الفلسفة الأخلاقية. وحتى في حالة الخيارات الأخلاقية الواعية؛ أي المدركة للخيارات الأخلاقية الممكنة عند الفعل، فإن الدوافع تختلف من إنسان إلى آخر، وبين أفعال الفرد نفسه، كما تتباين المبررات الأخلاقية التي تُستخدم لتبرير فعلٍ باثر تراجمي. وثمة علاقة وطيدة بين سلوك الإنسان العادي اليومي وأحكامه العفوية، ومنها تلك المنطلقة من آراء مسبقة، أو عادات، أو خوف، أو عصبية هوياتية، أو إغراء بعائد مادي أو معنوي، أو قيم، أو من اجتماع بعض هذه الحوافز، المتأثرة باستعداداته الطبيعية والعرف والقيم السائدة اجتماعياً، وما تشربه الإنسان واعتاده مما يعده حسناً أو قبيحاً؛ جيداً أو سيئاً. فالإنسان لا يواجه كل يوم معضلة أخلاقية يُفكر في حلها بأدوات فلسفية في تعريفه للخير والشر أو عبر مذهب فلسفي أخلاقي.

إن السلوك السياسي غير الأخلاقي - الذي نخصص هذه الدراسة لأحد أشكاله، وهو الناجم عن القناعة بأن السياسة لأخلاقية بطبيعتها من أجل تبرير سياسات غير أخلاقية - لا فائدة ترجى في محاكمته وفقاً لمذهب أخلاقي بعينه. فغالباً ما يخرق هذا السلوك قواعد الأخلاق المتضمنة في جميع المذاهب الأخلاقية؛ لأنه يسعى لتحقيق الغايات بموجب قواعد لا علاقة لها بالأخلاق، حتى لو التفت لحظياً، ومن دون قصد، مع ما يعده بعض الناس أخلاقياً. وثمة غايات وممارسات تخرق جميع المذاهب الأخلاقية؛ سواء أكانت أخلاقيات الواجب (الديونطولوجية) ذات القواعد النهائية، أم أخلاقيات المناقبة، أم أخلاقيات العواقب (العواقبية Consequentialism). وإذا مورست هذه السياسات في الحكم مدة طويلة مع تسويغات وتبريرات غير أخلاقية، فقد تؤثر في القيم في المجال العمومي وفي حسّ الناس الأخلاقي.

السياسة غير الأخلاق، ولا تعدّ اعتباراتها، مثل السلطة والمصلحة والأمن والنظام وغيرها بذاتها، قيماً أخلاقية. ومع ذلك، يمكن ربطها بالأخلاق، أو على الأقل ادعاء أنها تخدم قيماً معينة، مثل أمن الناس

(حقهم في الحياة)، والمساواة والحرية وغيرها. ويصخّ التمييز بين سياسة تحرص على التزود بمثل هذه الادعاءات؛ ما يفتح المجال لمناقشة عقلانية للهوة بين القول الأخلاقي والفعل غير الأخلاقي، بما فيه الغايات والوسائل، ومحاسبة فعل السياسيين وفقاً لأقوالهم من جهة، وبين سياسة تعتد بـ"أخلاقية" السياسة واتباع قواعد مثل "الغاية تبرر الوسيلة"، و"القوة تصنع الحق"، والسلطة عبارة عن امتيازات للحكام والمحاسبين، والقوة نجاح والضعف فشل، من جهة أخرى.

من منظور أخلاق الواجب، يُنهى عن الكذب، ويُعدّ قول الحقيقة واجباً أخلاقياً. وحين يُتسامح مع عدم قول السياسي الحقيقة كاملة في ظروف معينة، فهذا لا يتيح التسامح مع الكذب. وإذا جرى التسامح مع الكذب، في حالة كذب الحكومات، فيفترض أن يكون ذلك احتراماً لنواهي وواجبات أخرى تقدّم سياقياً على قول الحقيقة؛ مثل إنقاذ الحياة، أو أمن البلاد، أو "الصالح العام". أما الاستخفاف الممنهج والمقصود بقول الحقيقة بوصفه معياراً عاماً، وتسخير الكذب استراتيجياً سياسياً، أو وسيلة في بناء مجد شخصي مزعوم، فلا يخرق النواهي الأخلاقية الأساسية فحسب، وإنما أيضاً قواعد المذاهب الأكثر تساهلاً في المجال السياسي، والتي يُفضّل الساسة اللجوء إليها لتبرير أفعالهم بتفسيرات وتأويلات مشوهة لها؛ مثل العواقبية، والمنفعية. فعواقب تأكل معيار الحقيقة على الحياة الاجتماعية والتواصل عموماً بين البشر وخيمة، ولا سيما عند التقاء تكرار الكذب في تصريحات صاحب أرفع منصب سياسي في العالم مع ازدهار الاستخفاف بالحقيقة على وسائل التواصل الاجتماعي. أما عواقبه على النسيج الأخلاقي فحدث ولا حرج! والمنفعية تفسّر بالفوائد الناجمة عن السياسات بمعايير الحكام لا المحكومين.

ملاحظة غير اعترافية: ثمة كذب عبثي لا سبب له سوى طبع الكاذب، ولا غاية واضحة له، وقد لا يكون مؤدياً. ومنه كذب شخص عليك بشأن عمله ومنشئه وشهاداته الجامعية مع أنك التقيته للتو، وقد لا تلتقيه في المستقبل؛ أي في غياب أسباب للكذب. وقد يكون الكذب في هذه الحالات ممارسة صوتيه لخيالات الكاذب بشأن ما يتمنى أن يكون، أو لكي يخلف انطباعاً معيناً لديك لا فائدة له منه، أو بلا سبب على الإطلاق. ماذا يمكن أن يكون السبب في كذب الرئيس الأميركي دونالد ترمب بشأن انتشاره من بين الأنقاض وإنقاذ حياته بعد هجمات 11 سبتمبر الإرهابية؟ لا سبب ولا فائدة ترتجى منه حتى بمعاييره. ربما هو مجرد تعبير علني عن رغبته الدفينة في أن يكون في صورة سينمائية خارجاً من تحت الأنقاض أو قائداً بطلاً لفرق الإنقاذ، من دون أن يصاب بألم أو تتسخ ملابسه بالغبار. الصورة قائمة في مخيلته وحدها. ولكنه لا يضبط لسانه عن التعبير عما يدور في مخيلته. حتى هذا النوع من الكذب غير المضّر سياسياً يلحق ضرراً

يشير إلى تعود أوساط واسعة من الجمهور على هذه الممارسات إلى درجة تبلد الحس الأخلاقي. ووصل هذا الأثر بالتأكيد إلى أوساط واسعة خارج الولايات المتحدة الأمريكية بسبب الاهتمام العالمي الفائض بأخبار السياسة الأمريكية، والتي تضاعفت متابعتها مع هذا الرئيس المهووس بحضوره في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.

أولاً: تطبيع السياسة غير الأخلاقية والحاجة إلى نقد أخلاقي

أعلن الرئيس ترمب في مؤتمر الحزب الجمهوري الاستثنائي في 9-10 أيلول/ سبتمبر 2026⁽³⁾، الذي عُقد بدعم من اللجنة الوطنية للحزب قبل انتخابات التجديد النصفي لمجلسي لكونغرس، أنه سوف يمنح 5 آلاف دولار لكل أميركي بالغ إذا فاز الحزب بأغلبية المجلسين في الانتخابات. وقال حرفياً: "هذا وعدي: إذا فاز الجمهوريون بمجلس النواب ومجلس الشيوخ الأميركي، كليهما، فسأصرف 'عائد أرباح' Dividend لكل مواطن بالغ في الولايات المتحدة الأمريكية بقيمة 5 آلاف دولار"⁽⁴⁾. ولم يوضح مصدر تمويل هذه "المكرمة"، التي تُذكر بـ "المكرمات الملكية"، ولا سندها القانوني. إن مصطلح "عائد الأرباح" مقترض من لغة الاستثمار والمستثمرين، ولعل ترمب أراد أن يستدعي لدى مواطنيه شعوراً، حتى إن كان مؤقتاً وزائفاً، بأنهم مالكو أسهم. وقد أطلق على هذه "الدفعة" اسم "عائد ترمب" the Trump Dividend؛ ما يعزز هوسه، الذي أصبح مشهوراً، بإطلاق اسمه على الأشياء والمباني والمناسبات والسياسات؛ إذ أعلن في خطاب سابق من البيت الأبيض في 17 كانون الأول/ ديسمبر 2025، صرف "عائد المحارب" Warrior Dividend بقيمة 1776 دولاراً لنحو 1.45 مليون جندي قبل عيد الميلاد، ناسباً الفضل إلى عائدات الرسوم الجمركية التي أخذ يفرضها على الدول، بينما تبين، بحسب مسؤولين في الإدارة الأمريكية، أن المبلغ اقتطع من 2.9 مليار دولار كان الكونغرس قد خصصه لخزينة البنتاغون لبدلات السكن العسكري⁽⁵⁾.

بالمعايير العمومية بشأن قول الحقيقة. وثمة مثال آخر يوضح القول، وهو ادعاء ترمب في بداية ولايته الثانية بأنه توصل إلى حل سبعة صراعات مسلحة مزمنة بين دول مختلفة. لقد كانت أقواله التي كررها في هذا الشأن كذباً يستحيل إخفاؤه، لأنه كذب بشأن وقائع واضحة⁽¹⁾. ومن ثم، فمن الناحية السياسية لم يحصل ضرر مباشر من تبجح غرضه جائزة نوبل، والقيمون عليها يمكنهم بسهولة اكتشاف هذه الكذبة. ولكن الضرر الأخلاقي الناجم عن سهولة الكذب يفوق الضرر السياسي في هذه الحالة.

وإذا ميّزنا المناقبة الفردية، التي تضيف إلى النواهي الديونطولوجية فضائل فعل الخير والإحسان والشهامة، من المناقبة في حالة المناصب الرسمية، فلأن الأخيرة تقتصر على الفضيلة المدنية التي تعدّ السلطة أمانة عامة بغض النظر عن وجود مناقب فردية لدى صاحب منصب أو غيابها. إن السلطة السياسية من منظور الفضيلة المدنية هي أمانة مؤقتة مستمدة من الشعب، لا ملكية شخصية. وعندما تُخضع السياسات المصلحة الوطنية لمصالح مالية شخصية وعائلية، أو للمحسوبيات على أنواعها؛ للتعويض عما يعده الحاكم مظالم شخصية ألحقها به النخب السياسية والثقافية، فإنها تنتهك الالتزام الأخلاقي الجوهرى المتمثل في الأمانة في إدارة شؤون الدولة، وتهدم الحواجز بين المال الخاص والمال العمومي بممارسة الفساد.

وفي سياق العداء لما يسمى النخب والمؤسسة والتحريض عليها، أجد من الضروري تسجيل الملاحظة التالية⁽²⁾: صعد رجال الأعمال والسياسيون الشعبويون سدة الحكم في بعض الدول الديمقراطية مستخدمين "رصيداً" شعبياً بوصفهم من خارج "المؤسسة" وغير مشاركين في "فساد النخب" الحاكمة. وتبين عند وصولهم إلى الحكم أنهم يمارسون الفساد وغيره من الفواحش التي اتهموا غيرهم بها، مع فرق واضح في أنهم لا يمارسونها في الخفاء، بل علناً على رؤوس الأشهاد؛ فالسوقية الشعبوية تنفر من النفاق.

تعرّض الجمهور لهذا النوع من الخطاب السياسي والسلوكيات والممارسات التي غزت الفضاء العمومي أثناء حملة ترمب الانتخابية منذ حزيران/ يونيو 2015 وفي فترة رئاسته الأولى (2017-2021). وعلى الرغم من ذلك، أعيد انتخابه في تشرين الثاني/ نوفمبر 2024. وبغض النظر عن تحليل أسباب سلوك الناس الانتخابي (الاقتصادية والاجتماعية وفشل الحزب الديمقراطي في التحدي، وغيرها)، فهذا

3 أطلق رئيس اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، جو غروتز Joe Gruters، على المؤتمر اسم "ترمبالوزا" Trumpapalooza، في محاكاة لمهرجان الموسيقى الشهير "لابلالوزا" Lollapalooza، مؤكداً أن الحدث يدور حول شخص دونالد ترمب نجمة الأوجد.

4 Eric Bradner, "Trump Makes an Extraordinary Offer of \$5,000 Payments, and Other Takeaways from RNC Convention's First Night," CNN, 10/9/2026, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGQS>

5 John Ismay & Ali Watkins, "Trump's 'Warrior Dividend' for Troops Will Be Paid for by Pentagon Housing Funds," *The New York Times*, 18/12/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHhB>; Haley Fuller, "Pentagon Uses Military Housing Funds for \$1,776 'Warrior Dividend,'" *Military.com*, 23/12/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGEG>

1 Vana Kottasová, "Checking in on the 'Seven Un-endable Wars' Trump did (not) End," CNN, 24/9/2025, accessed on 21/9/2026, at: <https://acr.ps/hBy7Vhn>

2 سبق أن تطرقت إلى هذا الموضوع في: عزمي بشارة، في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟ (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 39.

موقفها هذا لا يتضمن نقدًا أخلاقيًا للرشوة، ولا لتسخير المال العام في خدمة حزب محدد بمبادرة معلنة من الرئيس.

يتكرر هذا النمط من الخطاب غير الآبه بالأخلاق والقانون، مثلما يتكرر الرد على نقاد الرئيس، لا بالدفاع عن الخطاب وتبريره، بل بالهجوم المضاد الحادّ النبوة والتشهير؛ وذلك بهدف إرهاب المعترضين، وردع غيرهم عن "التورط" في نقد الرئيس. ويصحّ أن يُقارَب هذا الخطاب بوصفه مكونًا من مكونات الثقافة السائدة في البيت الأبيض والذهنية السياسية لترمب وحاشيته، التي أحاطت بنفسه بها في ولايته الثانية، والمهتمة بإرضائه ومسايرة مزاجه.

تترأى ملامح الخطر المُحدق بالحياة السياسية بالتدريج. ويتمثل في احتمال تعوّد الجمهور المستهلك للأخبار والتعليقات في أميركا والعالم مثل هذه الممارسات والتعبيرات باعتبارها ظاهرةً طبيعيةً في السياسة. فخلال فترة حكم ترمب، وبخاصة في ولايته الثانية (منذ 20 كانون الثاني / يناير 2025)، تركزت على نحوٍ شبه يومي تعبيرات وتصريحات، وسياسات وممارسات، تقلب كل ما اعتاده الناس رأسًا على عقب، وتتحدى حسهم المشترك بشأن ما يصحّ وما لا يصحّ، وما يجوز وما لا يجوز، وما يليق وما لا يليق⁽⁸⁾. وأقول في ولايته الثانية تحديدًا لأن حكمه لم يستقر خلال المرحلة الأولى (2017-2021)، فقد واجه معارضة من كفاءات سياسية وتكنوقراطية داخل إدارته، وتعامل الناس مع وجوده في البيت الأبيض باستخفاف بوصفها مرحلة عابرة. أما في الولاية الثانية، فإن إعادة انتخابه بدت كافيةً لأن يؤخذ الأمر على نحو جادّ بعد أن خابت حملات تسخيفه والسخرية منه وفشلت في منع إعادة انتخابه، فضلًا عن أنه لم يكن في ولايته الأولى واثقًا بنفسه إلى هذه الدرجة. فقد حل القلق في ولايته الثانية محل السخرية على المستوى الدولي، وبات انقاء شرّه من أهم مكونات السياسة الخارجية لقادة الدول وحكوماتها؛ إذ يصعب تفسير سياسات بعض الدول من دون أخذ مسألة تجنبه والوقاية منه في الاعتبار.

لقد أصبح ترمب في ولايته الثانية واثقًا من قدرته على فعل ما يريد، وبأنه لا توجد ضوابط أو قيود تكبح رئيس الولايات المتحدة؛ لا يقتصر ذلك على أن ثمة غالبية جمهورية في مجلسي الكونغرس تكاد تكون تحت إمرته، وغالبية يمينية في المحكمة العليا أسهم شخصيًا في

بمعنى أنه أخذ مما هو مخصص للجنود في الأصل وحوّله إلى منحة تُظهر فضله. وقبل ذلك، وعد بصرف 2000 دولار لكل أميركي بوصفها "عائدًا من الرسوم الجمركية"، ما اضطر وزير الخزانة سكوت بيسنت Scott Bessent إلى القول: "نحتاج إلى تشريع لذلك"⁽⁶⁾. لكن الوعد الأخير بـ "عائد ترمب" من أموال الدولة كان "برطيلًا" انتخابيًا جليًا.

كان من شأن هذا الإعلان، في ظروفٍ أخرى ومراحل تاريخية أخرى، أن يثير عاصفةً لا تهدأ، ومطالبات بإقالة الرئيس، وإجراءات قضائية، لسببين: الأول، أن ما حصل لا يقلّ عن رشوة انتخابية معلنة من أموال الدولة. والثاني، أن هذا يعد تسخيرًا لمنصب الرئيس، الذي يُفترض أنه يُمثّل جميع المواطنين، لصالح حزب بعينه. لقد دأب رؤساء الولايات المتحدة، والرؤساء في الدول الديمقراطية عمومًا، ما إن يتسّموا المنصب في أنهم أصبحوا قادةً لدولة وشعب، لا قادة جمهور حزب بعينه. أما هذا الإعلان فقد مرّ مع ردود أفعال من تلك التي أصبحت تُميّز مرحلة حكمه؛ وهي تلخص في السخرية السياسية الحادة، والمستحقة بالتأكيد، من جهة، والنقد من منطلق الواقعية السياسية من جهة أخرى، والتي تقيّم السياسات بمعايير الظروف والإمكانات والنتائج، ولا تتيح من المعايير الأخلاقية إلا معايير المذهبين العواقبي والمنفعي (في أفضل الحالات) حاسبة تكاليف مثل هذه الخطوات وفائدها ونتائجها، أو كما عبر أحد آباء الواقعية السياسية جان بودان Jean Bodin (1530-1596): قد تكون السياسة "مخزية، لكن مفيدة" Consilium Turpe Sed Utile. وقد حُسبت تكلفة "عائد ترمب"، إذا تحقق، بنحو 1.2 تريليون دولار من الخزانة الأمريكية، وفقًا لتقديرات لجنة الميزانية الفدرالية CRFB، التي قدّرت أن تكلفته سترفع العجز الفدرالي من 5.8 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي عام 2026 إلى 9.4 في المئة في عام 2027. ووصفت رئيسة اللجنة مايا ماكغينيس Maya MacGuineas الاقتراح بأنه "خطر ماليًا، ومعاكس للمنطق الاقتصادي، وغير جاد"، وأضافت: "مع أن استرضاء الناخبين يغري السياسيين، فإن الواقع هو أن السياسيين كلّمًا أغدقوا الوعود، ازداد الثمن الذي يدفعه الأميركيون العاديون، سواء عند شراء المواد الغذائية، أو في أقساط قروضهم العقارية، أو في الأعباء التي يورثونها لأبنائهم"⁽⁷⁾. عملت ماكغينيس بواجبها التكنوقراطي في تقييم تكلفة الإجراء وفقًا لما يتطلبه المنصب، لكن

6 Ben Berkowitz, "Trump's \$2,000 tariff check requires new law, Bessent says," *Axios*, 16/11/2025, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybH4Z>

7 "\$5,000 Dividends Would Cost \$1.2 Trillion," Committee for a Responsible Federal Budget, 10/9/2026, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHvI>; "Election Dividends' Would Explode Deficit and Worsen Inflation," Committee for a Responsible Federal Budget, 10/9/2026, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGSn>

8 المقصود بالطبع ليس التحدي للأعراف السائدة، الذي يحصل من خلال تثير العلاقات الاجتماعية والثقافة السائدة في مراحل تاريخية معينة، بل المقصود هو خرق الأعراف والقيم باتباع سياسات غير أخلاقية.

هابرمان من صحيفة نيويورك تايمز⁽¹¹⁾، لا يجد المرء إلا المزيد من "الخبايا" و"الطرائف" (لا يصح استخدام لفظ "النوادر" هنا لأنها ليست نادرة) من النوع الذي سبق أن سمعنا وشاهدنا وقرأنا الكثير مثله، والمزيد من تحقق أسوأ توقعاتنا الناجمة عما نعرف. فصراحة الرئيس تفوق الصراحة المعتادة لدى الإنسان المعاصر؛ أي تفوق عدم التردد في إبداء الرأي. فهو لا يقول رأيه فحسب، وإنما أيضاً كل ما يخطر في باله في أي لحظة، غير آبه بالأذى الذي يلحقه بالأفراد والجماعات، ولا بالتعبير عن طاووسية ذكورية، ولا بالتناقض بين كلام الليل وكلام النهار. فالمهم أن يبقى حاضراً ويشغل الناس. ويبدو كأنه يأبى أن يجذب شخص غيره اهتمام البشر وحديثهم. لذلك يصعب أن يحيط أي كتاب بما ينضج. ولأن توقعاتنا لما يمكن أن يقول ويفعل لم تعد تعرف حدوداً، فلسوء حظ الصحافة الجادة لم يعد أي تحقيق يُجدد لنا شيئاً بهذا الخصوص. وليس صحيحاً أنه يصعب التنبؤ بما يمكن أن يقول ويفعل، فالأمر معكوس تماماً، فلا أحد يفاجأ من أي شيء يبدر منه، لأن كل شيء متوقع منه.

ما مغزى الخوض في هذا الموضوع إذًا؟ إن ما يحتاج إلى تفكير قبل التدوين هو الأثر الذي تُخلقه هذه المرحلة في الثقافة السياسية بما فيها الأخلاق في الفضاء العمومي، وربما الأخلاق عمومًا. والمهم في هذا السياق هو المنصب؛ فترمب كان سيبقى غير ذي بال لو ظل خارج المنصب؛ أي رجل أعمال استعراضي مُحِبٌّ للظهور والشهرة في حالة إدارة أزمات من إعلان إفلاس إلى إشهار آخر، ومن تهرب ضريبي إلى آخر. لكن أزمة الديمقراطية الليبرالية الأميركية أوصلته إلى الحكم بـ 312 صوتاً في المجمع الانتخابي، ونحو 77.3 مليون صوت (49.8%) في التصويت الشعبي في الانتخابات الرئاسية الأخيرة⁽¹²⁾ (ما يثير من جديد السؤال حول هشاشة الديمقراطية أمام تحدي الجهل والشعبوية). وأصبح في إمكانه التحكّم بمنصب هو من دون شك أهم منصب سياسي في عالمنا؛ فأَي شخص يشغله يصبح مهمًّا جدًّا بغض النظر عن كفاءته ومعدنه الأخلاقي.

أعود إلى احتلال تعبيرات الرئيس وسلوكياته الفضاء العمومي، بسبب الهوس الإعلامي بتغطيتها، والتعامل معها أساساً من منظورين:

ولايته الأولى في تشكيلها⁽⁹⁾؛ أي إن ذلك لا يقتصر على تحييد الضوابط الرقابية الدستورية مؤقتاً بسيطرة تيار واحد على المؤسسات التي يفترض أن تؤدي هذا الدور، وإنما أيضاً لأنه شخصياً مقتنع بقدرته على (ومن ثم حقه في) فعل أي شيء من دون أن يتصدى له أحد. ولم يكن هذا في حسابان من صاغوا الدستور الأمريكي، الذين يُسمون "الآباء المؤسسين". لقد فاق خيالهم احتمال أن يعتلي سدة الحكم رئيس يمثل هذه "القدرات" و"الكفاءات"، وانعدام الروادع المجتمعة إلى هذه الدرجة من النرجسية الاستعراضية، وأن يكون ذلك في مرحلة يسيطر فيها التيار نفسه على السلطات الثلاث، مع اضمحلال الاستقلالية والنزاهة الشخصية لدى البرلماني الفرد، والتي كانت تتحدى الامتثالية للحزب أو التيار الفكري. هذه تركيبة يصعب أن يتوقعها أي دستور. ومع ذلك، لا يعوّض أي دستور بالضوابط المؤسسية عن الغياب الكامل للروادع الأخلاقية. ولولا وجود بعض القضاة المصيّرين على التمسك بروح القانون، لأصبح من المفترض إعلان وفاة الضوابط المؤسسية على السياسيين المنتخبين؛ أي وفاة الليبرالية الأميركية.

ومن أبرز الأمثلة على وثوق ترمب بقدرته على فعل ما يشاء، مطالبتها علناً لوزيرة العدل بام بوندي Pam Bondi، في أيلول/سبتمبر 2025، بملاحقة خصومه قائلاً: "لا يمكننا التأخير أكثر"، فوجّهت خلال أسابيع لوائح اتهام إلى مدير مكتب التحقيقات الفدرالي السابق جيمس كومي والمدعية العامة لولاية نيويورك ليتيسيا جيمس على يد مدعية عامة مؤقتة عينها ترمب بلا خبرة سابقة في الادعاء، قبل أن تُسقطها قاضية فدرالية في 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2025 لأن تعيينها كان مخالفاً للدستور⁽¹⁰⁾.

أصبحت تصريحات ترمب تصل الليل بالنهار، وتشغل وسائل الإعلام، بما يغني عن الحاجة إلى التحليل. وقد صدر ما لا يحصى من المقالات حول إجراءاته وسياساته وحروبه التي خاضها، ومواقفه من الديمقراطيات الليبرالية في الغرب. وفي آخر المؤلفات التي تعالج مرحلته، مثل الكتاب الصادر مؤخراً بعنوان **تغيير النظام: داخل رئاسة دونالد ترمب الإمبريالية**، للصحافيين جوناثان سوان وماغي

11 Maggie Haberman & Jonathan Swan, *Regime Change: Inside the Imperial Presidency of Donald Trump* (New York: Simon & Schuster, 2026).

12 Federal Election Commission, *Official 2024 Presidential General Election Results* (Washington, DC: 2025), accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHxd>

وفقاً للنتائج الرسمية التي جمعتها لجنة الانتخابات الفدرالية من مكاتب الانتخابات في الولايات، حصل ترمب على 77302580 صوتاً (49.80 في المئة) مقابل 75017613 صوتاً (48.32 في المئة) لكامل هاريس؛ أي بفارق نحو نقطة ونصف نقطة مئوية فقط في التصويت الشعبي.

9 عيّن ترمب في ولايته الأولى ثلاثة من قضاة المحكمة التسعة، هم نيل غورساتش Neil Gorsuch (2017)، وبريت كافانو Brett Kavanaugh 2018، وإيمي كوني باريت Amy Coney Barrett (2020)؛ فرسخ أغلبية محافظة من ستة قضاة مقابل ثلاثة؛ وهذه المحكمة نفسها هي التي قضت، في 1 تموز/يوليو 2024، في قضية "ترمب ضد الولايات المتحدة"، بأن الرئيس يتمتع بحصانة واسعة من الملاحقة الجنائية عن أفعاله الرسمية. Supreme Court of the United States, *Trump v. United States*, No. 23-939, 1/7/2024, p. 6, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGFL>

10 Ella Lee, "Judge Dismisses DOJ Criminal Cases against Comey, James", *The Hill*, 24/11/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBy1CIa>

وأنا أقدر ذلك كثيرًا"¹³. ويشير إلى أن الكتاب المقدس (يقصد العهد القديم) يزخر بشخصيات ذات عيوب كثيرة، ومع ذلك استخدمها الله لتحقيق مقاصده. وليس مصادفة أن يستشهد هذا الداعية الإنجيلي بالعهد القديم، لأنه لن يجد تبريرات من هذا النوع في العهد الجديد. وقد استشهد تحديدًا بالملك داود (الذي ارتكب الزنا والقتل بحسب العهد القديم) وموسى، مجادلًا بأن لا أحد من القادة السياسيين كامل، وأن الناصحين يختارون رئيسًا لا راعيًا كنسيًا¹⁴. وأشار إلى أن ترمب اعتذر سرًا لعائلته عن سلوكه في الماضي. ورأى، مؤكدًا المصالح المتبادلة مع ترمب، أن البديل، أي "الأجندة التقدمية الخالية من الإيمان"، يشكل تهديدًا للأمة يفوق كثيرًا عيوب ترمب الشخصية. فبالنسبة إلى غراهام، تفوق النتائج الملموسة - مثل تعيين قضاة محافظين، وحماية الحرية الدينية، وتطبيق سياسات مناهضة للإجهاض - أهمية التاريخ الشخصي للمرشح وأخلاقه¹⁵. ومثلما قطع ترمب تعهدات مثل هذه للإنجيليين وشرع في تنفيذها، فقد قطع تعهدات لبقية أطراف التحالف الرباعي (رجال الأعمال، والصهيونيون المتطرفون، والمحافظون)؛ فهو لا يتصرف بناء على نزوات كما يعتقد البعض.

أما النقد القائم على حسابات الربح والخسارة التي تُقيّم بها سياسات الرئيس تجاه كندا أو فنزويلا أو تجاه المهاجرين، أو في حربه على إيران، فهو نقد ضروري ومؤثر ووازن؛ إذ قد تُبجّد تكاليف سياساته الباهظة التي يدفع ثمنها الناس بعضًا من مؤيديه عنه.

إن محوري التصدي هذين لسياسات الإدارة الأمريكية لا يستنفدان المسألة التي تهم هذه الدراسة، وهي المسألة الأخلاقية. فتقييمات درجة جهل الرئيس واعتداده بنفسه ونرجسيته، وحبّه للظهور والغزارة غير المألوفة في التصريحات للصحافة، وانتشار المواقع الصحفية والأكاديمية المخصصة لفحص الكذب (تسمى فحص الحقيقة)، وتقييمات تكلفة سياساته وفشلها، لا تنطرق إلى الغايات السيئة، ولا إلى الجانب غير الأخلاقي في سياساته، وأثرها في القيم والمعايير الأخلاقية. وأقصد بذلك العناصر الرئيسة التالية في سياسات إدارة ترمب الحالية التي سوف نناقشها في بقية هذا المقال: الإيمان المعلن بمبدأ حق القوة، والمجاهرة بالعنصرية، وعدم احترام القانون، وتأثير المال السياسي في السياسات، وعدم الانحياز للديمقراطية في مقابل السلطوية.

السخرية السياسية الحادة من جهة، والحسابات البراغماتية حول درجة نجاحها ونجاحاتها من جهة أخرى. وكلتاها تقصر عن التصدي لأثرها الأخلاقي. إن الحضور الطاعني والمتواصل لهذه الرزمة من الأفعال وردود الأفعال في الإعلام ووسائل التواصل، وفي حديث المجالس والمقاهي وأماكن العمل، يتغلغل في النفوس، وقد يُحمد حسنها الأخلاقي تدريجيًا؛ إذ يستنزفها الانفعال والاندهاش، فلا تلبث أن تستسلم وتعتاد وجودها في الهواء الذي تتنفسه. أستثني من ذلك المعارضة الراديكالية الفردية والجماعية التي لا تتوقف عن الاحتجاج مركزةً على الإثم الأخلاقي في السياسات من ظلم وفساد وعنصرية، والتي تأتي الاستسلام له أو تعوّده.

لا شك في أن السخرية في حالة نرجسية الحاكم وجهله السياسي مُبررة، وقد تكون مؤثرة في بعض الأوساط، مع أنها غالبًا ما تُخاطب الأوساط المعارضة له أصلًا. لكن أهميتها تكمن في تخفيف ذلك الشعور بالضيق من تصرفات الحكام وأقوالهم، والذي يرافق الفرد المنزعج منها، الحائر فيما يمكن أن يفعله ويقول به إزاء ما يجري، ولا يسعفه تحليل المحللين. باختصار، تنفّس السخرية عن غضبه، أو "تفش خلقه" بالدرجة. والإنسان يحتاج إلى الفكاهة من عزلته وتنفيس الاحتقان قبل أن يصيبه اكتئاب مزمن. ولكنه يدرك، حتى وهو يضحك، أن الأمر ليس مضحكًا، ولا شخصيًا. فالنزوات والأضاحيك تتطاير في كل الاتجاهات، أما على الأرض فتنفذ الأجندات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسات الخارجية بمثابة محدثة تغييرات فعلية. لاحظ أن كل ما بدأ به الرئيس الأمريكي في ولايته الأولى، ولم يسعفه الوقت لاستكمالها، أو حال الكونغرس دون تنفيذه، ينفذه في ولايته الثانية. ليس هذا حكم فرد، بل حكم تحالف رباعي مؤلف من قوى عاتية من المحافظين الأيديولوجيين المعادين لليبرالية والتنوع وحقوق المرأة، والصهيونيين المتطرفين، ورجال الأعمال المعوليين على سياسات نيو-ليبرالية، والإنجيليين المتطرفين.

من الضروري الانتباه إلى استعداد الإنجيليين المتطرفين للتخلي عن الاعتبارات الأخلاقية في الأحكام لاعتبارات سياسية، كما هو مُط التدين السياسي المتطرف، والتفكير في أثر ذلك في الأخلاق في الأوساط المتدينة. وقد صاغ الواعظ فرانكلين غراهام (ابن الواعظ الشهير بيلي غراهام) هذا التخلي عن الحكم الأخلاقي على سلوكيات ترمب في حياته الشخصية وإخضاعه لاعتبارات دينية - سياسية في تبريره لدعمه، وذلك في فصلٍ علنيٍّ بين اعتبارات التدين السياسي الإنجيلي المتطرف والأخلاق. فقد قال غراهام في مقابلة أجراها عام 2018: "قد يقول الناس: 'حسناً يا فرانك، ولكن كيف يمكنك الدفاع عنه وقد عاش حياةً مشينة كهذه؟' [وهو لا يعترض على وصف الحياة المشينة] أنا لم أقل إنه يمثل النموذج الأمثل للإيمان المسيحي، لكنه يدافع عن الإيمان،

13 "Franklin Graham: Trump 'Defends the Faith,'" *Axios*, 25/11/2018, accessed on 18/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGTS>

14 "Reverend Franklin Graham Assails U.S. Moral Character, Praises President Donald Trump | MSNBC," YouTube, 22/1/2018, accessed on 18/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHkK>

15 Sarah Pulliam Bailey, "'Still the Best Candidate': Some Evangelicals Still Back Trump Despite Lewd Video," *The Washington Post*, 8/10/2016, accessed on 26/9/2026, at: <https://acr.ps/hBy1D4k>

إذلال الآخرين، من النوع الذي ينهى عنه الأهل والمعلمون في المدارس. هذه صفة واضحة فيه، وهي لا تدل على شجاعة أو ثقة بالنفس.

لكن ليس هذا هو المهم، بل إن سياسة القوة تتخذ طابعاً إمبريالياً صريحاً. فبعد فرض رسوم جمركية على الواردات الكندية، دعا الرئيس الأمريكي إلى ضمّ كندا باعتبارها "الولاية الحادية والخمسين"، وهو ما ردّ عليه رئيس الوزراء الكندي مارك كارني في المكتب البيضاوي في 6 أيار/ مايو 2025 بأن كندا "ليست للبيع"⁽¹⁸⁾. وخلال الضربات الجوية على فنزويلا التي انتهت باعتقال الرئيس نيكولاس مادورو ونقله إلى نيويورك لمحاكمته في 3 كانون الثاني/ يناير 2026 تباهى ترمب بالاستيلاء على نفط فنزويلا ودعا الشركات الأميركية إلى المشاركة في استغلاله⁽¹⁹⁾. وخلال الحرب التي شنتها الولايات المتحدة وإسرائيل على إيران في 28 شباط/ فبراير 2026 وقُتل في ضرباتها الأولى المرشد الأعلى علي خامنئي وجزء كبير من القيادة الإيرانية، لم يتوقف عن التباهي بالقوة الأميركية وبأنواع الأسلحة وضرورة استسلام إيران لها، كما تباهى بتمكين إسرائيل من قتل معظم القيادة الإيرانية⁽²⁰⁾. وقد انشغلت وسائل الإعلام ببحث أثر قتل القيادة في السياسة الإيرانية، ومدى قدرة إيران على إبراز قيادة جديدة. ولكن قلما انتقد الإعلام مجرد الإقدام على قتل قيادة دولة أخرى، في وقت يثار فيه بنفور بالغ، يصل حد عدم التصديق، أن إيران قد تخطط لقتل الرئيس الأميركي.

يتفق غالبية الباحثين في العلاقات الدولية على أن السياسة الدولية لا تقوم على الأخلاق، بل على المصالح، وعلى أن "الجماعة الدولية" International Community استعارة فارغة من المعنى، فلا توجد جماعة دولية فعلاً بحيث تسود فيها قيمٌ بحكم العرف المسلم به⁽²¹⁾. أما القانون الدولي فليس قانوناً ملزماً فعلاً في غياب سلطة

ثانياً: الإيمان المعلن بمبدأ حق القوة وامتيازات الأقوياء وتطبيقه

يبلغ إيمان الرئيس الأميركي الحالي وحاشيته بسياسة القوة درجة المجاهرة بها، في صياغة برنامجية، وربما عقائدية، لما يهمسه رجال الأعمال في جلساتهم الذكورية الخاصة في ملاعب الغولف أو في فترة ما يسمى الساعة السعيدة Happy Hour في الحانات. وهذه هي بيئة الرئيس الثقافية، حيث يقسم الناس إلى ناجحين وفاشلين، ويُعد الأغنياء ناجحين والفقراء فاشلين، ومن حق الناجحين أن يرثوا الأرض وما عليها، مع فقدان أي حس بالتضامن مع المظلومين المستغلين والضعفاء. فالمظلومون من منظورهم ليسوا ضحايا الظلم، بل ضحايا ضعفهم وفشلهم وكسلهم في مجتمع تنافسي. وتنتقل هذه العقلية إلى السياسة الدولية بتقسيم الدول إلى دول قوية وضعيفة، والزعماء أيضاً إلى فاشلين وأقوياء، ومن ثم الانحياز إلى الأقوياء بغض النظر عن مواقفهم إلى درجة اعتبار الدكتاتورية الناجحة نوعاً من القوة، وهي على حق ما دامت قوية. فقد قال ترمب في تجمع انتخابي في ولاية جورجيا في 26 آذار/ مارس 2022 إن فلاديمير بوتين وشي جين بينغ وكيم جونج أون "أذكاء"، وإن "الأذكي هو من يصل إلى القمة"، وإن شي "يحكم 1.5 مليار إنسان بقبضة حديدية". ووصف بوتين بأنه "داهية" وأن خطة غزو أوكرانيا "عبرية"، بينما وصف الرئيس الأميركي السابق جو بايدن بأنه ضعيف وغير قادر على مواجهة القادة السلطويين الأقوياء. وكرّر في تجمع في بنسلفانيا في أيلول/ سبتمبر 2022 أن الصحافة تنتقده حين يصف شي بالذكاء "لكنه يحكم 1.5 مليار إنسان بقبضة حديدية، نعم أقول إنه ذكي"⁽¹⁶⁾. ربما صحيح أنه ذكي، لكن هذه ليست صفة النظام السلطوي المهمة، وكل ما في الأمر أنه عبر عن إعجابه بالحكام الأقوياء. وفي عشاء للجنة الجمهورية لانتخابات الكونغرس في 8 نيسان/ أبريل 2025، وقبل ساعات من دخول الرسوم الجمركية حيّز التنفيذ، تباهى ترمب بأن الدول "تتصل بنا وتقبل مؤخرتي [...] إنهم يتوسلون لعقد صفقة: أرجوك، أرجوك يا سيدي، سأفعل أي شيء"، وسط ضحك الحضور⁽¹⁷⁾.

وقد تسنى لشعوب بأكملها مشاهدة قادتهم الرسميين يتلقون إهانات الرئيس الأميركي بصمت تجنباً لاستعدائه. يصعب تجاهل التنمر الصباني الواضح في هذا السلوك؛ أي الولع بإظهار القوة من خلال

18 Rob Gillies & Josh Boak, "Canadian PM Mark Carney and President Donald Trump Agree to Disagree about Canada Becoming the 51st state: 'It won't be for Sale. Ever,'" *Fortune via The Associated Press*, 7/5/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHm6>

19 Rebecca F. Elliot et al., "Trump Urges Oil Companies to Speed Work in Venezuela," *The New York Times*, 9/1/2026, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGIL>

20 Daniel Estrin et al., "Trump Warns Iran not to Retaliate after Ayatollah Ali Khamenei is killed," *NPR*, 1/3/2026, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybH9u>; "Transcript: Trump's Speech on Iran War," *The New York Times*, 1/4/2026, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGw9>
عن إعلان العملية، في 28 شباط/ فبراير 2026، ومقتل خامنئي وتراجع أهدافها بين نزع القدرات النووية وتغيير النظام، ينظر: "الغضب الملحمي: تناقض أهداف واشنطن في الحرب العدوانية على إيران"، *تقدير موقف*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2026/3/4، شوهده في 2026/9/16، في: <https://acr.ps/hBybGWS>

Daniel Brumberg, "Will Trump 'Finish the Job' in Iran?" *Arab Center Washington DC*, 12/6/2026, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHnB>

21 ينظر أيضاً: محمد حمشي، "عن مفهوم المجتمع الدولي وخيبته المريرة في غزة"، *مقالات*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/11/26، شوهده في 2026/9/21، في: <https://acr.ps/hBy7UX1>

16 Brad Dress, "Trump Says Putin 'Smart,' but made a 'Big Mistake' Invading Ukraine," *The Hill*, 26/3/2022, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybH7Z>; Xander Landen, "Trump Repeats Praise of 'Smart' Putin, Touts Xi's 'Iron Fist' Rule of China," *Newsweek*, 4/9/2022, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGuE>

17 "Trump Brags other Countries Are 'Kissing My A**' to Negotiate Tariffs," *CNN*, 9/4/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGVn>

بسلطة المعيار الأخلاقي حتى وهو يخرقه، أما المجاهر فيلغي المعيار نفسه. ثانياً، لأن المقصود بالمجاهرة التمرد على ثقافة الصواب السياسي، ومكايدها والانتقام من مرحلة هيمنتها. ويمكن عد الموقف الحائق على نهج "الصواب السياسي" (الذي لم يخل هو ذاته من نزعة الهيمنة) من أهم القواسم المشتركة بين أطراف التحالف الرباعي الذي تستند الإدارة الأميركية إليه. والمقصود هنا على نحو خاص العنصرية ضد المهاجرين، ولا سيما المسلمون، ونشر التحيزات والتنميط التبخيبي للثقافات الأخرى عموماً⁽²³⁾، ما عدا الأغنياء من المنتمين إلى هذه الثقافات؛ أي إنها عنصرية ذات طابع طبقي، فلا مشكلة لبيئة الرئيس الحالي الثقافية مع الأغنياء من الشعوب المحترقة، ولا سيما أولئك الذين يشاركونهم أعمالهم⁽²⁴⁾.

دعا ترمب، في بيان رسمي لحملته الانتخابية، في 7 كانون الأول/ ديسمبر 2015، إلى "إغلاق كامل وتام" لمنع دخول المسلمين إلى الولايات المتحدة. وفي مقابلة تلفزيونية في 9 آذار/ مارس 2016، ردّاً على سؤال عما إذا كان الإسلام في حالة حرب مع الغرب، أجاب في جمع نموذجي بين الجهل والعنصرية والتعميمات الفظة: "أعتقد أن الإسلام يكرهنا [...] ثمة كراهية هائلة هناك". وبعد أسبوع من تنصيبه في ولايته الأولى عام 2017، أصدر الأمر التنفيذي 13769 الذي منع دخول مواطني سبع دول ذات غالبية مسلمة إلى الولايات المتحدة⁽²⁵⁾. وفي المقابل، أشاد في خطابه أمام منتدى الاستثمار السعودي - الأمريكي في الرياض في 13 أيار/ مايو 2025 بقيادة الخليج و"روائع الرياض وأبوظبي اللامعة"، وقال إن هذا التحول لم يأت من "أشخاص يُنقلون

تنفذه. وكل دولة تدافع عن وجودها ومصالحها بالوسائل المتاحة لها. ولكن هذا لا يعني أن الناس في عالمنا يسلمون بمبدأ القوة هي الحق Might is Right، أو أن القوة تصنع الحق. وقد توصلت الدول بعد الحروب إلى معاهدات تنظم حتى السلوك في زمن الحرب، وثمة موثيق ومعاهدات (قوانين دولية) تنطلق من احترام سيادة الدول، ووصلت إلى حد الاعتراف بحقوق الإنسان العابرة لحدود الدول. وعلى الرغم من النفاق القائم، ووجود دول فوق القانون والأعراف الدولية، فإن الدول القادرة على استخدام القوة نفسها يُتوقع منها أن تلجأ إليها بعد استنفاد الوسائل الأخرى، وأن تبرر ذلك بالحفاظ على أمنها وأمن مواطنيها. فلا يفترض أن يكون هدف استخدام القوة هو التوسع والسيطرة على ثروات الآخرين، أو التدخل في شؤون الدول الأخرى لغير منع جريمة إبادة شعب أو للتصدي لتدخل عسكري لدولة أخرى. إن العودة إلى تبرير استخدام القوة لغايات مثل التوسع والسيطرة على ثروات الآخرين أو لتنفيذ أجندات سياسة هو قلب للمعايير السائدة منذ الحرب العالمية الثانية.

تستخدم السياسة الأميركية الحالية القوة لأهداف إمبريالية مثل استعادة الهيمنة على أميركا الجنوبية أو لتوسيع النفوذ، أو لاستعراض القوة وإثبات من هو السيد في منطقة ما. كما أن الرئيس الأمريكي مستعد للاعتراف بامتيازات للأقوياء بحيث يفرضون "النظام" في مناطق نفوذهم بشرط الاعتراف بتفوق أميركا ونفوذها العالمي. وحتى إسرائيل، التي تعد نفسها فوق القانون بدعم أميركي وغربي، كانت تبرر عدوانيتها العسكرية واحتلالاتها بحجة حماية أمنها ومواطنيها. لكنها، في ظل حكم إدارة ترمب، لم تعد تجتهد في إخفاء نزعاتها للهيمنة الإقليمية والتوسع.

ثالثاً: العنصرية المجاهر بها

ليست العنصرية جديدة، ولكن المجاهرة بها باللغة الأهمية لسببين: أولاً، لأن المجاهرة تعني أن العنصرية ليست عيباً. ومن هذه الناحية، فهي أسوأ من النفاق؛ لأن إخفاء المنافع عنصريته تعني مسaire معايير اجتماعية تعدها عيباً. وهذا هو المعنى الذي تختزله مقولة

فرانسوا دو لاروشفوكو François de La Rochefoucauld: "النفاق هو الجزية التي تؤديها الرذيلة للفضيلة"⁽²²⁾؛ فالمنافق يعترف ضمناً

23 Justine McDaniel et al., "Trump's False Claim about Haitian Immigrants Eating Pets Invokes Racist Trope," *The Washington Post*, 14/9/2024, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGKg>; Josh Dawsey, "Trump Derides Protections for Immigrants from 'Shithole' Countries," *The Washington Post*, 12/1/2018, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHaZ>

24 Krishnadev Calamur, "Nine Notorious Dictators, Nine Shout-Outs From Donald Trump," *The Atlantic*, 4/3/2018, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGxE>

25 Jenna Johnson, "Trump Calls for 'Total and Complete Shutdown of Muslims Entering the United States,'" 7/12/2015, *The Washington Post*, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGYn>; John Santucci & Candace Smith, "Trump Says 'I Think Islam Hates Us,'" *ABC News*, 10/3/2016, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHp6>; "Executive Order 13769—Protecting the Nation From Foreign Terrorist Entry Into the United States," *The American Presidency Project*, 27/1/2017, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGLL>

22 François de La Rochefoucauld, *Collected Maxims and Other Reflections*, E. H. Blackmore, A. M. Blackmore & Francine Giguère (trans.) (Oxford: Oxford University Press, 2007), V: 218, p. 63.

هو "مطاردة السفن". وحين سألته صحيفة نيويورك تايمز عما إذا كان يقلقه تعميم الصورة على الجالية الصومالية كلها، أجاب: "لا أبالي"⁽²⁷⁾.

لا حاجة إلى الإطالة في شرح فداحة استخدام رئيس الولايات المتحدة مثل هذه اللغة التي تجمع الجهل والعنصرية بوصفه سلوكًا عاديًا وطبيعيًا، وباعتبار أن اتصاف الشعوب المحتقرة عنده بهذه النعوت عبارة عن مسلمات، وأثر ذلك في الأخلاق العمومية.

لا يفترض أن تُعد الأفكار المعبر عنها بهذه الألفاظ رأيًا شرعيًا ضمن تعددية فكرية وسياسية حتى إذا أدلى بها مواطن عادي، فضلًا عن أن تكون أفكار الرئيس الأميركي المعلنة.

رابعًا: عدم احترام القانون وسيادته

يبدأ الاستخفاف بسيادة القانون داخل الولايات المتحدة نفسها، ومن ضمن ذلك المساس بهيبة القضاء المسلم بها في الديمقراطيات وغير الديمقراطيات من خلال الكلام الحادّ عن القضاة الذين لا يعجبون ترम्ب بوصفهم جزءًا من المؤسسات الفاسدة والنخب المتعجرفة التي يعد الشعبويون أنفسهم ضحاياها.

في 18 آذار/ مارس 2025 وصف ترम्ب القاضي الفدرالي جيمس بواسبرغ James Boasberg، الذي أوقف رحلات ترحيل مهاجرين فنزويليين بموجب "قانون الأعداء الأجانب" لعام 1798، بأنه "قاضٍ مجنون من اليسار الراديكالي" و"مثير للشغب"، ودعا إلى عزله؛ ما دفع رئيس المحكمة العليا جون روبرتس John Roberts إلى إصدار بيان نادر يذكر بأن العزل "ليس ردًا مناسبًا على الخلاف بشأن قرار قضائي". ومضت الإدارة في الترحيل رغم أمر القاضي⁽²⁸⁾. وفي اليوم الأول من ولايته الثانية، 20 كانون الثاني/ يناير 2025، أصدر ترम्ب عفوًا شاملًا عن نحو 1500 مدان في اقتحام الكابيتول، بمن فيهم مدانون بالاعتداء على الشرطة، وخفّف أحكام قادة ميليشيات "أوث كيرز" Oath Keepers و"براود بويز" Proud Boys المدانين بالتآمر

في طائرات جميلة ليلقوا عليكم محاضرات في كيفية عيشكم وفي كيفية حكمكم شؤونكم"⁽²⁶⁾. بدا ترम्ب مريحًا لقادة الدول غير الديمقراطية؛ لأنه غير مهتم بحقوق الإنسان، أو بمصائر الشعوب التي لا تناسبها الديمقراطية. ولكن ما لبث أن تبين أن الزعماء أنفسهم لا يسلمون منه إلا إذا دفعوا ثمن صداقته بلغة مفهومة له.

يسمح الرئيس الأميركي لنفسه بإطلاق تصريحات بذينة ضد الشعوب الأفريقية، أو ضد المسلمين، أو الصوماليين وثقافتهم، أو غيرهم. وهي عبارة عن تعميمات من النوع السوقي الذي يتلاءم مع الألفاظ والأفكار المسبقة المنتشرة لدى أوساط من ناخبه. فالعنصرية في هذه الحالة ليست مركبة ولا مموهة ثقافيًا، بل هي مباشرة وتراهن على الجهل والتجهيل والنفور من المختلف والغريب. فقد وصف المهاجرين الصوماليين بأنهم "قمامة" ولا "يسهمون في شيء"، وأنهم "ليسوا أذكياء، ولا كفاءة لديهم"، وقال عن النائبة إلهان عمر: "إلهان عمر قمامة، وأصدقائها قمامة"، مدعيًا أنها تزوجت من شقيقها بهدف الحصول على الجنسية الأميركية، وإن على هؤلاء أن "يعودوا من حيث أتوا"، وذلك بعد أيام من إلغاء إدارته "وضع الحماية المؤقتة" الممنوح للصوماليين منذ عام 1991. وكان قد تساءل في اجتماع في المكتب البيضاوي في 11 كانون الثاني/ يناير 2018: "لماذا نسمح لهؤلاء القادمين من بلدان قذرة Shithole Countries بالمجيء إلى هنا؟"، في إشارة إلى هايتي والدول الأفريقية، مقترحًا استقدام مهاجرين من "بلدان مثل النرويج". وتباهى علنًا باستخدامه هذا اللفظ المشين للحط من قدر هايتي ودول أفريقية خلال تجمّع انتخابي في ولاية بنسلفانيا في نهاية عام 2025، رغم نفيه السابق لاستخدامه؛ إذ كتب على وسائل التواصل الاجتماعي أن "هذه لم تكن اللغة المستخدمة". وتباهى، أيضًا، بأنه أعلن "وقفًا دائمًا لهجرة العالم الثالث، بما فيها من جحور كأفغانستان وهايتي والصومال"، ووصف الصومال بأنه بلد "قذر، وسخ، مقرف، يعجّ بالجرمة"، والشيء الوحيد الذي يجيده أهله

27 Zolan Kanno-Youngs, "Trump Stokes Islamophobia by Calling Democratic Candidates 'Jihadists,'" *The New York Times*, 10/8/2026, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHqB>; David Smith, "Trump Rails on Affordability 'Hoax' and Flings Racist Attacks in Rally-style Speech," *The Guardian*, 10/12/2025, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGNg>; Amy B. Wang, "Trump Finally Confirms Using Vulgar Slur about Several Countries in 2018," *The Washington Post*, 10/12/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHdZ>; McDaniel et. al.; Dawsey.

28 Chris Megerian, Lindsay Whitehurst & Mark Sherman, "Roberts Rejects Trump's Call for Impeaching Judge who Ruled against his Deportation Plans," *Associated Press*, 19/3/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGAE>

26 Charles W. Dunne et al., "President Trump's Gulf Trip: Post-Visit Observations," Arab Center Washington DC, 20/5/2025, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHcu>; Rami G. Khouri, "Will Trump's Gulf Trip Exacerbate or Mitigate the Arab World's Three Plagues?" Arab Center Washington DC, 22/5/2025, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGz9>; Donald J. Trump, "Remarks at the Saudi-United States Investment Forum in Riyadh, Saudi Arabia," 13/5/2025, *The American Presidency Project*, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGZS>; Dress; Landen.

وخرجت من مفاوضات ناجحة مع إيران في عُمان لشنّ الحرب
بالتحالف مع إسرائيل في 28 شباط/ فبراير 2026⁽³²⁾.

ومنذ 2 أيلول/ سبتمبر 2025 بدأت القوات الأمريكية، بأمر من ترمب
ومن دون تفويض من الكونغرس، بقصف قوارب في البحر الكاريبي
بدعوى نقلها المخدرات، وقتلت في الضربة الأولى وحدها 11 شخصاً
وصفهم ترمب بـ "الإرهابيين". وكشفت صحيفة **واشنطن بوست**
لاحقاً أن ضربة ثانية استهدفت ناحيتين متشبّتين بحطام القارب
تنفيذاً لتوجيه من وزير الدفاع (أو كما أصبح يُسمّى وزير الحرب)
بيت هيغسيث "بقتل الجميع"⁽³³⁾، فيما اكتفى ترمب بالقول إنه
"سينظر في الأمر"⁽³⁴⁾. ومن الواضح أن عدداً من القوارب التي تعرضت
للقصف في الكاريبي كانت قوارب صيادين، فضلاً عن التقارير التي
تُبيّن أثر الحملة في مجتمعات الصيد في منطقة الكاريبي⁽³⁵⁾.

وفي انحياز كامل للمجرمين ضد القضاة، ناصبت إدارة ترمب المحكمة
الجنائية الدولية العداء على نحو غير مسبوق؛ لأنها أدت عملها
القانوني المهني للغاية في ملاحقة الجناة. وفرضت عليها وعلى قضاتها
العقوبات من خلال أمر تنفيذي رئاسي؛ لأنها تجرّأت على محاكمة
مجرمي حرب حلفاء له. أعلن الأمر التنفيذي 14203 الصادر في
6 شباط/ فبراير 2025 "حالة طوارئ وطنية"، واعتبر أي محاولة من
المحكمة للتحقيق مع "أشخاص محميين" من الأميركيين أو من حلفاء
الولايات المتحدة "تهديداً غير عادي واستثنائياً" للأمن القومي، وأجاز

32 للمقارنة بين ضربتي حزيران/ يونيو 2025 وشباط/ فبراير 2026 اللتين جاءتا كلتاهما
في أثناء التفاوض، ينظر: "ترمب والمفاوضات مع إيران: بحث عن مخرج من الحرب أم خداع
جديد؟"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 26 آذار/ مارس 2026،
شوهده في 2026/9/16، في: <https://acr.ps/hBybHfu>

33 Alex Horton and Ellen Nakashima, "Hegseth Order on First Caribbean Boat Strike, Officials Say: Kill them all", *The Washington Post*, 28/11/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBy1D81>

34 Mariana Alfaro, Alex Horton and Noah Robertson, "Trump Says Hegseth Denied Issuing Order to Kill Boat Crew", *The Washington Post*, 30/11/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBy1C7E>

35 Dánica Coto, "Fishermen in the Eastern Caribbean Fear for their Lives Following a Deadly US Strike", *Associated Press*, 18/2/2026, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybH2S>

ما تزال الحملة مستمرة، وأسفرت آخر ضربة معلنة، في 9 أيلول/ سبتمبر 2026، عن مقتل
3 أشخاص. وبحسب إحصاء نشرته دورية *Just Security* المتخصصة في القانون والسياسات،
التابعة لمركز Reiss للقانون والأمن في كلية الحقوق بجامعة نيويورك، بلغ عدد الضربات
منذ بدء الحملة 69 ضربة، أسفرت عن مقتل 230 شخصاً، من بينهم 23 مفقوداً أو يُفترض
أنهم لقوا حتفهم. ينظر:

Jeremy Chin et al., "Timeline of Boat Strikes and Related Actions", *Just Security*, 9/9/2026, accessed on 18/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHtB>

التحريضي، ووصفهم جميعاً بـ "الرهائن"، وأمر بإسقاط كل القضايا
العالقة، منهياً أكبر تحقيق جنائي فدرالي في تاريخ البلاد⁽²⁹⁾.

يمكن إعادة هذا الاستخفاف بالقانون عند ترمب إلى تجذر عادات
سابقة لرجل أعمال يتهرب من الضريبة ويستخدم الرشى في شق
طريقه نحو الفوز بالمناقصات، أو لذلك التحالف القديم بين رجل
الأعمال في مجال تطوير العقارات والمحامي روي كون⁽³⁰⁾ الذي علمه
التعامل مع القانون من منطلق الثغرات القانونية، والإيمان بتحقيق
النجاح من خلال التحايل على القانون، وأتباع مقاربات عدوانية تجاه
الخصم تعتمد الهجوم لتشويه شخصيته أو لاستنزافه، وعدم الاعتذار
أبداً، وإعلان النصر مهما كانت النتيجة. وقد انتقل استخفافه بسيادة
القانون إلى مجال العلاقات الدولية.

عموماً، يمكن القول بحق إن القانون الدولي يفتقر إلى سلطة تنفيذية
تُنفّذه، ولذلك لا تحترمه الدول إذا لم يتوافق مع مصالحها. ولكنها
تختلف عادة على تأويله، ولا تجاهر بالاستخفاف به كما يفعل
الرئيس الأمريكي الحالي. ولم ينح هذا المنحى سوى قادة الأنظمة
الشمولية الخارجة تماماً عن القانون مثل النظامين النازي والفاشي.
وحتى الأنظمة الشمولية الشيوعية غالباً ما واجهت الإمبريالية
الأمريكية، وفقاً لتعبيراتها هي، من خلال التأكيد على القانون الدولي
والشرعية وسيادة الدول.

تنصّلت إدارة ترمب، من دون سبب قانوني، من اتفاقيات وقعتها
إدارة أميركية سابقة. فقد انسحبت إدارته الأولى من الاتفاق النووي
مع إيران (خطة العمل الشاملة المشتركة) في 8 أيار/ مايو 2018،
وانسحبت من اتفاق باريس للمناخ، في عام 2017، ثمّ بأمر تنفيذي
في يوم التنصيب للولاية الثانية، 20 كانون الثاني/ يناير 2025⁽³¹⁾،

29 Ella Lee, "Trump Pardons Nearly all Jan. 6 Rioters on first Day of Presidency", *The Hill*, 20/1/2025, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybH1n>

30 Marie Brenner, "How Donald Trump and Roy Cohn's Ruthless Symbiosis Changed America", *Vanity Fair*, 28/6/2017, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHs6>

روي كون (1927-1986)، المستشار السابق للسيناتور جوزيف مكارثي، Joseph McCarthy، الذي أصبح منذ عام 1973 محامي ترمب ومرشده في نيويورك. وكان ترمب، وفق ما ذكر كون نفسه، يتصل به "من 15 إلى 20 مرة في اليوم".

31 Donald J. Trump, "National Security Presidential Memorandum on Ceasing United States Participation in the Joint Comprehensive Plan of Action and Taking Additional Action To Counter Iran's Malign Influence and Deny Iran All Paths to a Nuclear Weapon", NSPM-11, 8/5/2018, *The American Presidency Project*, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGOL>; United States, The White House, Putting America First in International Environmental Agreements, Executive Order 14162, 20/1/2025.

في الشرق الأدنى "الأونروا" بذريعة "اختراقها" من منظمات إرهابية، وسحب منها الاعتراف في تواطؤ مع محاربة إسرائيل لها. وكانت هذه خطوة سياسية مغزاها شطب قضية اللاجئين الفلسطينيين وإخفاؤها كلياً من جدول الأعمال والعلاقات الدولية من دون حلها في إطار حل قضية فلسطين. وجرى إبلاغ اليونسكو رسمياً في 22 تموز/ يوليو 2025 قرار الانسحاب منها بسبب قبولها "دولة فلسطين" عضواً فيها. وفي 7 كانون الثاني/ يناير 2026 أصدر الرئيس مذكرة بالانسحاب من عشرات المنظمات والاتفاقيات الدولية دفعة واحدة⁽³⁸⁾.

ليس سلوك ترمب في دعم إسرائيل في مناهضة القانون الدولي ومنظمات الأمم المتحدة ومجرد وجود نظام دولي مزاجياً أو غير متوقع، بل هو سلوك مثير منذ ولايته الأولى، حتى أصبحت الولايات المتحدة تعاقب موظفين أمميين ممن يتجرؤون على نقد إسرائيل. واعتُرف بضم القدس وضم الجولان محوّلًا الولايات المتحدة الدولة الوحيدة التي تعترف بضمّ الجولان خرقاً لمبدأ ضمّ أراضٍ بالقوة؛ فقد أعلن في 6 كانون الأول/ ديسمبر 2017 الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأميركية إليها، ثم وقع في 25 آذار/ مارس 2019، بحضور نتنياهو، إعلاناً رئاسياً ينصّ على أن "الولايات المتحدة تعترف بأن مرتفعات الجولان جزء من دولة إسرائيل"، في مخالفة لقرار مجلس الأمن 497 (1981) الذي عدّ قرار إسرائيل فرض قوانينها وإدارتها على الجولان "لاغياً وباطلاً"⁽³⁹⁾. وفي الورقة التي طرحت بوصفها "صفقة القرن" لحل القضية الفلسطينية تبني ترمب مصطلحات اليمين الإسرائيلي الديني ومواقفه تجاه القدس والاستيطان وغيرها⁽⁴⁰⁾.

خامساً: تأثير المال السياسي في السياسات

ثابر ترمب على دعم السياسات الإسرائيلية الأشد تطرفاً منذ ولايته الأولى، وبرّر سياساتها في الضفة الغربية وغزة وجنوب لبنان، وتجاهل عدوانها

تجميد الأصول ومنع الدخول إلى الولايات المتحدة⁽³⁶⁾. جاء هذا بعد أشهر من إصدار المحكمة مذكرتي توقيف بحق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، ويوآف غالانت وزير الأمن، في مرحلة حرب الإبادة على غزة. وشملت العقوبات لاحقاً المدعي العام كريم خان وعدداً من قضاة المحكمة.

وفي 9 تموز/ يوليو 2025 فرض وزير الخارجية ماركو روبيو، اليميني المتطرف الذي يتبنى الصهيونية أيديولوجياً، بموجب الأمر التنفيذي نفسه، عقوبات على مقررة الأمم المتحدة الخاصة المعنية بالأراضي الفلسطينية المحتلة فرانكيسكا ألبانيزي بسبب "انخراطها مباشرة مع المحكمة الجنائية الدولية في جهود للتحقيق مع مواطنين من الولايات المتحدة أو إسرائيل أو توقيفهم أو احتجازهم أو ملاحقتهم قضائياً، من دون موافقة هاتين الدولتين"، وهو ما وصفه بأنه "انتهاك فاضح" للسيادة الوطنية، وهي المرة الأولى التي تُعاقب فيها مقررة أممية. وقد وصف المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة، ستيفان دوجاريك Stéphane Dujarric، الخطوة بأنها "سابقة خطيرة" وطالب مفوض حقوق الإنسان بإلغائها فوراً⁽³⁷⁾.

لم يعرف العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية قلباً للمعايير مثل هذا، ولم يعرف الدعم الأميركي الثابت لإسرائيل تقديم خدمات على هذه الشاكلة. فلم يخطر ببال إسرائيل نفسها أن تفرض الولايات المتحدة عقوبات على قضاة محكمة الجنايات الدولية، أو أن تعاقب على نقد إسرائيل بتقييد غير مسبوق لحرية التعبير (منذ المكارثية) ومنع دخول من ينتقدونها إلى الولايات المتحدة. ولم يسبق أن مورس مثل هذا السلوك المعادي مباشرة للقانون الدولي والقائمين عليه، فضلاً عن التعامل العدائي مع منظمات دولية، بالانسحاب منها أو قطع تمويلها؛ لأن سياساتها لا تروق الإدارة الأميركية، أو لأن الأخيرة لا تؤمن بواجبات الدولة العظمى في دعم الثقافة أو البيئة أو الصحة العمومية من دون مردود واضح، ومنها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" ومنظمة الصحة العالمية. فقد صدر أمر الانسحاب من منظمة الصحة العالمية في يوم التنصيب 20 كانون الثاني/ يناير 2025 (الأمر التنفيذي 14155)، وتلاه في 4 شباط/ فبراير 2025 الأمر التنفيذي 14199 القاضي بالانسحاب من مجلس حقوق الإنسان ووقف أي تمويل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين

38 The Associated Press, "U.S. to Exit 66 International Organizations in Further Retreat from Global Cooperation," *NPR*, 7/1/2026, accessed on 16/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGDE>

39 ينظر: "قرار ترمب إعلان القدس عاصمة لإسرائيل: الدوافع والمعاني والآفاق"، تقدير موقوف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017/12/11، شوهد في 2026/9/16، في: <https://acr.ps/hBybH4n>؛ "قرار ترمب الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على الجولان: خلفياته ودوافعه"، تقدير موقوف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019/3/27، شوهد في 2026/9/16، في: <https://acr.ps/hBybHv6>

40 Azmi Bishara, *Palestine: Matters of Truth and Justice* (London: Hurst & Company, 2022), esp. chap. 7, "Zionist Religious-Nationalist Discourse in an Official American Text," pp. 167-205.

36 "Imposing Sanctions on the International Criminal Court, Executive Order 14203, 6/2/2025," *Federal Register*, 12/2/2025, pp. 9369-9373, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGQg>

37 "UN Calls for Reversal of US Sanctions on Special Rapporteur Francesca Albanese," *UN News*, 10/7/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHgZ>

الأميركيين، ولكن ثقافته عنصرية عامية، كما أنه متأثر بيئة رجال أعمال صهيونيين. وإضافة إلى ذلك، يؤدي المال السياسي دوراً رئيساً في حالته. وقد جاهر بأن مريام أديلسون أرملة رجل الأعمال شيلدون أديلسون ووارثته، اليمينية المتطرفة، دعمته بأكثر من 200 مليون دولار في حملته الانتخابية. وصرّح بأنها وعدت بمنحه 250 مليون دولار إذا ترشح لولاية ثالثة خلافاً للدستور⁽⁴⁴⁾، وأنها أقرت بالاعتراف بضم إسرائيل الجولان⁽⁴⁵⁾. لم يسبق أن جاهر رئيس أو حتى سياسي في الولايات المتحدة بهذه العلاقة بين خطواته السياسية والمال السياسي.

أنفق إيلون ماسك، رجل الأعمال الغريب الأطوار والمُعادي لتصفية الأبارتهايد في جنوب أفريقيا، أكثر من 290 مليون دولار على انتخابات 2024 وفق ملفات لجنة الانتخابات الفدرالية، ذهب ربع مليار منها إلى لجنة "أميركا باك" الداعمة لترمب، ثم عُهد إليه بقيادة "إدارة الكفاءة الحكومية" DOGE وبصلاحيات واسعة على أجهزة الدولة⁽⁴⁶⁾. وأقام عشاءً في 22 أيار / مايو 2025 مع أكبر حاملي عملة عائلة الرئيس الرقمية. وتحوّل الاستثمار في شركة العائلة للعملة الرقمية أو منحها الأذون القانونية للعمل في الدول المختلفة من أهم وسائل التقرب من الرئيس. وقد طالب السيناتور إليزابيث وارن والسيناتور آدم شيف بفتح تحقيق في كونه دفع المال مقابل الوصول إلى صناع القرار Cash for Access، فساداً وممارسةً للنفوذ الأجنبي⁽⁴⁷⁾.

إن تحويل السلوك الشائن إلى أمر عادي، وسبب للتباهي، واتباع تكتيك الهجوم على من ينتقده بحيث يتحول الناقد إلى الدفاع عن نفسه، أي إرهابه، هو العامل المؤثر في القيم والأخلاق والأعراف،

44 Toby Meyjes, "Donald Trump Offered \$250M to Run for a Third Term," *Newsweek*, 17/12/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybH5S>

في حفل عيد الحانوكا في البيت الأبيض، في 16 كانون الأول / ديسمبر 2025، قال ترمب: "أعطت مريام حملتي، بصفة مباشرة وغير مباشرة، 250 مليون دولار؛ كانت الأولى رتبة"، ثم دعاها إلى المنصة، حيث قالت إنها ناقشت مع المحامي آلان ديرشوفيتز "المسألة القانونية" لأربع سنوات أخرى، وفي الوقت نفسه هتف الحضور: "أربع سنوات أخرى"، وأضاف ترمب أنها همست له: "فكر في الأمر، سأعطيك 250 مليوناً أخرى"، فأكدت ذلك بقولها أمام الميكروفون: "سأعطي".

45 افتخر ترمب أمام الكنيست، في 13 تشرين الأول / أكتوبر 2025، بأنه اعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل وينقل السفارة الأمريكية إليها، وذكر أن مريام أديلسون وزوجها الراحل شيلدون "كانا مسؤولين عن أشياء كثيرة جداً، بما فيها جعلني أفكر في مرتفعات الجولان"، مضيفاً أنهما زارا البيت الأبيض "أكثر من أي شخص آخر يمكنني أن أفكر فيه". ينظر: محمد البديوي، "ترامب يقر مساهمة مريام أديلسون في قراراته بشأن المنطقة.. تعرف إليها"، *العربي الجديد*، 2025/10/13، شوهدي في 2026/9/14، في: <https://acr.ps/hBybHan>

46 David Wright & Alex Leeds-Matthews, "Elon Musk Spent more than \$290 Million on the 2024 Election, Year-End FEC Filings Show," *CNN*, 1/2/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGTg>

47 Olga Kharif, "Trump Memecoin Speculator Says Presidential Dinner Is Costing Him Just \$1,200," *Bloomberg*, 14/5/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHjZ>

في جنوب سورية. وتباهى في خطابه أمام الكنيست في 13 تشرين الأول / أكتوبر 2025 بأنه زوّد إسرائيل بكل ما طلبته من سلاح، بقوله:

"كان يبني يتصل بي مرات كثيرة: هل يمكنك أن تعطيني هذا السلاح؟ ذاك السلاح؟ ... بعضها لم أسمع به من قبل"⁽⁴¹⁾.

وفي مؤتمر صحافي مشترك مع نتنياهو في البيت الأبيض في 4 شباط / فبراير 2025 أعلن ترمب أن الولايات المتحدة ستستولي على قطاع غزة وستمتلكه، وأن سكانه البالغ عددهم نحو مليوني فلسطيني سيُنقلون إلى دول أخرى، وأن غزة ستصبح "ريفيرا الشرق الأوسط"، متحدّثاً عن "ملكية طويلة الأمد" من دون أن يستبعد إرسال قوات أميركية⁽⁴²⁾، وهو تصوّر يقوم على الترحيل القسري للسكان. وقد ظهر هنا أثر بيئته الاجتماعية - الثقافية المؤلفة من حلقات رجال أعمال في مجالي تطوير العقارات والتكنولوجيا High-tech غالبيتهم الساحقة مؤيدون متطرفون للصهيونية. قد لا تكون أفكاره بشأن فلسطين وإسرائيل أيديولوجية، ولكن تريض في أساسها قناعاته نفسها حول جنوب أفريقيا ودول العالم الثالث عموماً، وهي التضامن مع الأقوياء وازدراء العرب والمسلمين والأفارقة، أي التضامن مع المستعمرين البيض ضد الشعوب المحلية المتخلقة أو المتسخة في نظره⁽⁴³⁾.

لا يختلف ترمب في ذلك عن تحملهم محدوديتهم الثقافية والفكرية على التعالي على من هم أكثر منهم ثقافة بحجة لون البشرة، أو الديانة المختلفة، أو حتى اللغة المختلفة. الحديث هنا عن عنصرية سوقية غير مركبة. قد لا يكون صهيونياً أيديولوجياً، خلافاً للرئيس السابق بايدن مثلاً أو وزير الخارجية ماركو روبيو، أو غيرهما من السياسيين

41 Donald J. Trump, "Remarks to the Knesset in Jerusalem, Israel," 13/10/2025, *The American Presidency Project*, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGRL>

42 "خطة ترمب لتجوير سكان قطاع غزة: أصل الفكرة، آفاقها، وتداعياتها"، *تقدير موقوف*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025/2/10، شوهدي في 2026/9/16، في: <https://acr.ps/hBybHiu>

43 في 7 شباط / فبراير 2025، أصدر ترمب أمراً تنفيذياً بقطع المساعدات عن جنوب أفريقيا وإعادة توطين "الأفريكانيين" البيض لاجئين في الولايات المتحدة بدعوى تعرّضهم لـ "تمييز عنصري". وفي 21 أيار / مايو 2025، فاجأ الرئيس سيريل رامافوزا في المكتب البيضاوي بإطفاء الأضواء، كأنه يريد الإيقاع به، وعرض شريط فيديو يزعم وجود "إبادة" للمزارعين البيض. وكانت الولايات المتحدة، في بداية أيار / مايو 2025، استقبلت 59 من الأفريكانيين البيض بصفة لاجئين، في وقت كان فيه برنامج اللجوء مغلقاً أمام اللاجئين من سائر بلدان العالم؛ علماً أن جرائم قتل المزارعين، بيضاً وسوداً، تشكل أقل من 1 في المئة من أكثر من 27 ألف جريمة قتل تُسجل سنوياً في جنوب أفريقيا وفق الإحصاءات الرسمية، وأن الصور التي عرضها ترمب على رامافوزا تضمنت صليلاً تذكارية لا "قبوراً" ومشهداً صور في الكونغو لا في جنوب أفريقيا.

Amy Sherman & Louis Jacobson, "Fact-Checking Trump's Video, Images about South Africa during Oval Office Meeting with Ramaphosa," *PolitiFact*, 22/5/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGF9>

لم تكن دول الخليج تحديداً على قائمة الغرب لتصدير الديمقراطية، حتى حين ازدهرت هذه العقيدة الإمبريالية.

وأعلن ترمب دعمه للحكام ذوي التوجهات اليمينية المتطرفة؛ إذ فرض في 9 تموز/ يوليو 2025 رسوماً جمركية بنسبة 50 في المئة على البرازيل، معللاً ذلك صراحةً بمحاكمة حليفه الرئيس السابق جاير بولسونارو بتهمة التخطيط لانقلاب، ووصفها بأنها "صيد ساحرات يجب أن تنتهي فوراً". وفرضت وزارة الخزانة في 30 تموز/ يوليو عقوبات "ماغنيتسكي" على قاضي المحكمة العليا البرازيلية المشرف على المحاكمة⁽⁴⁹⁾؛ أي إن ديمقراطية البرازيل التي تُحاكم مُدبري انقلاب عوقبت لأنها فعلت ذلك. وفي المقابل، استقبل ترمب رئيس الوزراء المجري السابق فكتور أوربان في البيت الأبيض في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر 2025 ومنح المجر إعفاءً لمدة عام من العقوبات المفروضة على النفط والغاز الروسيين⁽⁵⁰⁾.

لا شك في أن قادة الولايات المتحدة وغيرها قد ميزوا في الماضي بين دول ديمقراطية وغير ديمقراطية بقدر كبير من النفاق، فلم يتورعوا عن التحالف مع دكتاتوريات إذا كانت تخدم مصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية أو نفوذها، أو في محاربة الشيوعية في مرحلة ما، أو محاربة "التطرف الإسلامي" في مرحلة أخرى، وغير ذلك. لكن الدول الديمقراطية تمتعت بمكانة مختلفة على كل حال. لقد كانت فكرة تصدير الديمقراطية وممارستها في الأصل فكرة إمبريالية، من ناحية النوايا والنتائج، وأحياناً من ناحية النتائج وحدها. لكن ترمب انتقد تصدير الديمقراطية مُبقياً على النزعة الإمبريالية حتى في التعامل مع دول ديمقراطية مثل كندا والمكسيك والدنمارك. وقصده من إهمال التمييز بين الديمقراطية الليبرالية والسلطوية على المستوى العالمي ليس تبرير إعجابه بالحكام السلطويين فحسب، وإنما أيضاً تسريب عناصر من السلطوية إلى داخل الدول الديمقراطية نفسها بالتحالف مع قوى يمينية محافظة وباستغلال النفور الشعبي من "المؤسسة" و"النخب" والاستخفاف بحكم القانون، ودعم قوى اليمين المتطرف في الدول الأوروبية.

في خطابه أمام مؤتمر ميونخ للأمن في 14 شباط/ فبراير 2025، قال نائب الرئيس الأميركي جي دي فانس إن التهديد الذي يقلقه في أوروبا "ليس روسيا ولا الصين" بل "التهديد من الداخل"، وهاجم "الجدار الناري" الذي تقيمه الأحزاب الألمانية في وجه حزب "البديل من أجل ألمانيا" اليميني المتطرف قائلاً إنه "لا مكان للجدران النارية"، والتقى في

ولا سيما تلك التي تستند إليها الديمقراطيات الليبرالية وتعتبر أن وجودها في الفضاء العمومي مفروغٌ منه على الرغم من انتشار النفاق وآليات الالتفاف عليها في هذه الديمقراطيات.

إن فئات واسعة من الناس ولا سيما من جيل الشباب تتعرض يومياً للمجاهرة بممارسات وتعبيرات وإجراءات وسياسات مخالفة للقيم التي تربت عليها، كأن هذه المجاهرة أمر طبيعي، بل كأنها سبب للتباهي. ويرى في الوقت ذاته كيف يضطر بعض من يعارض هذه السياسات إلى الدفاع عن نفسه في وجه الهجمات المضادة التي تشن عليه، وكيف تستنزف قضايا التشهير والتحريض والعداء للسامية التي ترفع ضد المعارضين طاقتهم المادية وقدرتهم على توكيل المحامين.

سادساً: عدم التمييز بين الديمقراطية والسلطوية

لم يصدر عن إدارة ترمب، وتحديداً عن رئيسها، أي تصريح أو ممارسة توحى بتمييز بين الدول الديمقراطية والسلطوية. التمييز المهم هو بين زعماء هذه الدول وفقاً لمعيار "معي أو ضدي"، والمقصود هو معي أو ضدي شخصياً. و"معي" قد تعني أيضاً التملُّق والمراءاة وليس بالضرورة التحالف السياسي، وقد تعني الاعتراف بزعامته، حتى لو كان ذلك بإظهار المحاباة. ووفقاً للمنطق المكيفي، يُفترض أن يُفضَّل الحاكم الخوف على المحبة إذا خيَّر بينهما، ونضيف هنا أنه بالمنطق نفسه يُفترض أن يُفضَّل الحاكم إظهار الحب له من دون أن يكون حقيقياً (المحاباة)، على الشعور بالحب من دون إظهاره.

وفي قوله حق يُراد بها باطل، أعلن ترمب القطيعة مع فكرة ربط العلاقات الخارجية مع البلدان المختلفة بطبيعة أنظمتها، وذلك في خطاب الرياض في 13 أيار/ مايو 2025 مهاجماً "بناة الأمم المزعومين" و"المحافظين الجدد" و"المنظمات الليبرالية غير الربحية" الذين "أنفقوا تريليونات وتريليونات الدولارات وفشلوا في تطوير كابول وبغداد"، ومشيداً بالحكام الذين يطوِّرون "بلدانهم ذات السيادة" ويرسمون "مناظرها بطريقتهم الخاصة"⁽⁴⁸⁾. لم تكن هذه معارضة مبدئية للتدخل العسكري في الدول المعترية معادية بحجة تصدير الديمقراطية، فقد جاهر بنفسه بخطة تغيير أنظمة الحكم في فنزويلا وإيران بالقوة، بل أراد في الحقيقة تبرير ميله إلى الأنظمة السلطوية وعلاقاته الشخصية الودية مع حكامها من خلال مهاجمة التدخلات الخارجية لفرض الديمقراطية على الدول الأخرى. في هذا السياق،

49 Mauricio Savarese, "Trump Accuses Brazilian Authorities of 'Witch Hunt' against ex-President Jair Bolsonaro", Associated Press, 7/7/2025, accessed on 24/9/2026, at: <https://acr.ps/hByICLR>

50 James Politi & Marton Dunai, "Donald Trump Exempts Hungary from Russia Oil Sanctions after Meeting Viktor Orbán," Financial Times, 8/11/2025, accessed on 17/9/2026, at: <https://acr.ps/hByBH7n>

48 Trump, "Remarks at the Saudi-United States Investment Forum in Riyadh, Saudi Arabia."

لإرضاء بوتين. فقد قال في 18 شباط / فبراير 2025، غداة محادثات أميركية - روسية في الرياض استُبعدت منها كييف، إن أوكرانيا ما كان ينبغي لها أن تبدأ الحرب أصلاً، وإنه كان في إمكانها عقد صفقة. ثم وصف الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلنسكي في اليوم التالي بأنه "دكتاتور من دون انتخابات"⁽⁵⁵⁾. وفي 15 آب / أغسطس 2025 استقبل ترمب بوتين في قاعدة عسكرية في الأسكا بسجادة حمراء وتصفيق وتحليق لقاذفة بي-2 ومقاتلات إف-35، في أول زيارة للرئيس الروسي إلى أرض دولة غربية منذ غزو أوكرانيا، وركب معه سيارته من دون مساعدين. وانتهت القمة من دون وقف لإطلاق النار، كان ترمب قد اشترطه، ومن دون أي انتقاد لقتل المدنيين الأوكرانيين، ليقول بعدها إن الأمر "متروك الآن للرئيس زيلنسكي لإنجازه"⁽⁵⁶⁾. وما زال "المحللون" يجهدون أنفسهم لفهم ضعف ترمب أمام بوتين، والذي قد تكون له أسباب شخصية. ولا يجوز تجاهل ذلك، فكون الإدارة الأميركية الحالية تقوم على تحالف رباعي لا يقلل من أهمية العنصر الشخصي فيها.

لم تفعل الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ما يكفي لتجنّب الحرب في أوكرانيا؛ بمعنى إقناع روسيا بعدم شن الحرب وفعل ما يلزم لعدم استفزازها بتمدد حلف الناتو شرقاً، وما يلزم لضمان حقوق الأقلية الروسية في أوكرانيا، وغير ذلك. ولكن الحرب شُنت معللة بخطاب قومي روسي بمبادرة بوتين. ولا بد من القول إن بايدن استغلها لتمتين تحالف الناتو بعد أن أضعفه ترمب. ولكن إدارة ترمب الحالية لا تمارس نقدًا من هذا المنطلق، إنما تنطلق من الانحياز إلى القوي والاعتراف بامتيازاته ومناطق نفوذه. وتطالب أوكرانيا بالانصياع لمتطلبات العلاقات الشخصية بين الرئيس الأميركي والرئيس الروسي. هذا ما يبيته السلوك الرسمي الأميركي، وما برز خلال تلك الجلسة العجبية مع الرئيس الأوكراني في البيت الأبيض (في 28 شباط / فبراير 2025) حيث تبارى ترمب وحاشيته في توجيه الإهانات إليه في مشهد غير مسبوق لتعامل مهين ومصور مع ضيف رسمي⁽⁵⁷⁾.

55 Doina Chiacu & Olena Harmash, "Trump Tells 'Dictator' Zelenskiy to Move Fast or Lose Ukraine," *Reuters*, 20/2/2025, accessed on 17/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGWg>

56 Dave Lawler, "Trump-Putin Summit Starts on Red Carpet, Ends in Confusion," *Axios*, 16/8/2025, accessed on 17/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHmZ>

57 Rhianna Schmunk, "Trump, Vance Shout at Zelenskyy in Heated Oval Office Meeting," *CBC News*, 28/2/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGJE>

قال ترمب لزيلنسكي أمام مصوري الصحافة: "أنت لست في وضع جيد. أنت لا تملك الأوراق الآن. أنت تقامر بحياة ملايين الناس، تقامر بحرب عالمية ثالثة"، وطالبه بأن يكون "أكثر امتناناً"، وسأله فانس: "هل قلت 'شكراً' ولو مرة واحدة؟"، وحينما ذكر زيلنسكي أن فلاديمير بوتين لم يحترم اتفاقاته السابقة، ردّ ترمب بأن بوتين "لم يخرق أي اتفاق معي"، وانتهى اللقاء بإلغاء توقيع اتفاقية المعادن والمؤتمر الصحفي المشترك ومغادرة زيلنسكي البيت الأبيض خائباً مهتماً.

اليوم نفسه زعيمة الحزب أليس فايدل قبل أيام من الانتخابات الألمانية. وندد بإلغاء رومانيا نتائج انتخاباتها الرئاسية بحجة تدخل روسي⁽⁵¹⁾. وكتب إيلون ماسك، الشريك السابق في إدارة ترمب، في 20 كانون الأول / ديسمبر 2024، أن "حزب البديل وحده يستطيع إنقاذ ألمانيا"، ثم دافع عنه في مقال رأي في صحيفة فيلت أم زونتاغ *Welt am Sonntag* في 28 كانون الأول / ديسمبر، ما أدى إلى استقالة رئيسة قسم الرأي فيها. وخاطب من خلال الفيديو مهرجان الحزب الانتخابي في مدينة هالي في 25 كانون الثاني / يناير 2025 قائلاً إن الحزب "أفضل أمل لمستقبل ألمانيا"، وإن على الألمان تجاوز "التركيز المفرط على ذنب الماضي"⁽⁵²⁾، وهو بالضبط ما يثابر على فعله حزب البديل.

تعاملت إدارة ترمب مع الديمقراطيات الليبرالية بوصفها عبئاً على الولايات المتحدة. وبدأ ذلك من خلال مطالبات متواصلة في ولاية ترمب الأولى بزيادة إنفاق الدول الغربية على التسلح أو ميزانيات الأمن عمومًا ضمن منظمة حلف شمال الأطلسي "الناتو"⁽⁵³⁾. وتكرر الادعاء بأن الولايات المتحدة خاسرة في ميزان التعامل التجاري مع هذه الدول لتبرير فرض تعرفه جمركية مرتفعة. فقد قال ترمب في اجتماع للحكومة في 26 شباط / فبراير 2025 بأسلوبه السطحي المعروف: "لنكن صادقين، الاتحاد الأوروبي أنشئ من أجل النصب على الولايات المتحدة، فهذا هو الغرض منه، وقد أجادوا فعل ذلك، لكنني الآن الرئيس". وأعلن عزمه على فرض رسوم بنسبة 25 في المئة على الاتحاد الأوروبي⁽⁵⁴⁾. واجتهد، في المقابل، في محاباة القيادات في روسيا والصين متباهياً بصداقة شخصية مزعومة معها، متفهماً المبررات الروسية لشنّ الحرب على أوكرانيا، ومحملاً إدارة بايدن المسؤولية عن الحرب، وأحياناً لوم أوكرانيا على عدم تقديم تنازلات كافية

51 J. D. Vance Meets Leader of Far-right German Party after Claiming Free Speech in Europe 'in Retreat,' *CBC News*, 14/2/2025, accessed on 17/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGu2>

52 Emma De Ruiter, "Elon Musk Backs Far-Right AfD Party in an Op-Ed for German Newspaper 'Die Welt,'" *Euronews*, 28/12/2024, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGUL>; Rachel Treisman, "Elon Musk Faces Criticism for Encouraging Germans to Move beyond 'Past Guilt,'" *NPR*, 27/1/2025, accessed on 17/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybHlu>

53 في قمة حلف شمال الأطلسي "ناتو" في بروكسل، في 11 تموز / يوليو 2018، طالب ترمب الحلفاء برفع إنفاقهم الدفاعي إلى 4 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي؛ أي ضعف الهدف المتفق عليه، وهدد بأن "يفعل ما يراه" إن لم يبلغوا نسبة 2 في المئة فوراً. وفي ولايته الثانية أذعن الحلفاء في قمة لاهاي، في 25 حزيران / يونيو 2025، لهدف 5 في المئة بحلول عام 2035. Michael Birnbaum & Philip Rucker, "At NATO, Trump Claims Allies make new Defense Spending Commitments after he Upends Summit," *The Washington Post*, 12/7/2018, accessed on 17/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGL9>; NATO, "The Hague Summit Declaration," 25/6/2025, accessed on 17/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybH8S>

54 Raf Casert, "EU Pushes back Hard against Trump Tariff Threats and his Caustic Comments that Bloc is out to Get US," *Associated Press*, 27/2/2025, accessed on 14/9/2026, at: <https://acr.ps/hBybGvx>

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟ الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

"ترمب والمفاوضات مع إيران: بحث عن مخرج من الحرب أم خداع جديد؟". تقدير موقف. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2026/3/26. في: <https://acr.ps/hBybHfu>

حمشي، محمد. "عن مفهوم المجتمع الدولي وخيبته المبريرة في غزة". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2023/11/26. في: <https://acr.ps/hBy7UXI>

"خطة ترمب لتهجير سكان قطاع غزة: أصل الفكرة، آفاقها، وتداعياتها". تقدير موقف. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2025/2/10. في: <https://acr.ps/hBybHiu>

"الغضب الملحمي: تناقض أهداف واشنطن في الحرب العدوانية على إيران". تقدير موقف. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2026/3/4. في: <https://acr.ps/hBybGWS>

"قرار ترمب إعلان القدس عاصمة لإسرائيل: الدوافع والمخاطر والآفاق". تقدير موقف. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2017/12/11. في: <https://acr.ps/hBybH4n>

"قرار ترمب الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على الجولان: خلفياته ودوافعه". تقدير موقف. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2019/3/27. في: <https://acr.ps/hBybHv6>

الأجنبية

Bishara, Azmi. *Palestine: Matters of Truth and Justice*. London: Hurst & Company, 2022.

Brumberg, Daniel. "Will Trump 'Finish the Job' in Iran?" Arab Center Washington DC. 12/6/2026. at: <https://acr.ps/hBybHnB>

de La Rochefoucauld, François. *Collected Maxims and Other Reflections*. E. H. Blackmore, A. M. Blackmore & Francine Giguère (trans.). Oxford: Oxford University Press, 2007.

ختامًا، تبلغ لا-أخلاقية السياسة في ظل حكم ترمب حد السياسة غير الأخلاقية، أو عديمة الأخلاق، في الخطاب والممارسة. وتتجاوز ما وصف أعلاه إلى مجالات لم يتطرق المقال إليها؛ مثل التحلل من كل ما يضع ضوابط على سياسة القوة والربح كالقيود البيئية على الصناعة واستهلاك الطاقة، ورفض الرقابة على تطور الذكاء الاصطناعي بسبب المخاطر الممكنة المتمثلة في خروجه عن السيطرة والتعدي على الملكية والمجال الخاص وغيرها. وبالتدريج، تصبح النزعة اللا-أخلاقية في السياسة من خلال سياسة القوة، والجشع للمال، وروتينية الكذب، والطاووسية الذكورية، والتباهي بالزنجسية وغيرها نزعة شمولية تغطي جميع المجالات. ولا شك في أنها ترك أثرًا في الأخلاق في المجالين العام والخاص.

قد يُعَيِّر الناس أنماط تصويتهم لاعتبارات مختلفة في انتخابات التجديد النصفي للكونغرس الأمريكي (مجلسا النواب والشييوخ) في 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 2026، وفي انتخابات الرئاسة في تشرين الثاني/ نوفمبر 2028. وقد تحصل ردة شاملة ضد سياسات اليمين المتطرف في حكم الولايات المتحدة؛ ومع ذلك، يبقى التساؤل عن حجم الأثر الذي خلفته هذه المرحلة في القيم والأخلاق مهمًا. وسوف تحتاج العلاقات الدولية إلى وقت لكي تتعافى من حالة فقدان المعايير وانعدام القانون Lawlessness التي تميز فترة حكم ترمب.

- Haberman, Maggie & Jonathan Swan. *Regime Change: Inside the Imperial Presidency of Donald Trump*. New York: Simon & Schuster, 2026.
- Kharif, Olga. "Trump Memecoin Speculator Says Presidential Dinner Is Costing Him Just \$1,200." *Bloomberg*. 14/5/2025. at: <https://acr.ps/hBybHjZ>
- Khoury, Rami G. "Will Trump's Gulf Trip Exacerbate or Mitigate the Arab World's Three Plagues?" Arab Center Washington DC. 22/5/2025. at: <https://acr.ps/hBybGz9>
- W. Dunne, Charles et al. "President Trump's Gulf Trip: Post-Visit Observations." Arab Center Washington DC. 20/5/2025. at: <https://acr.ps/hBybHcu>

عدد خاص
قضايا الانتقال والهوية
وبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد
المحرر: أحمد قاسم حسين

Special Issue
Transition, Identity, and State-Building
in Post-Assad Syria

Editor: Ahmed Qasem Hussein

أحمد قاسم حسين | Ahmed Qasem Hussein*

مقدمة:

قضايا الانتقال والهوية وبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد

Introduction:

Transition, Identity, and State-Building in Post-Assad Syria

أولاً: لحظة سقوط النظام وبداية سؤال الانتقال

مثل سقوط نظام بشار الأسد، في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، نقطة تحول مفصلية في تاريخ سورية المعاصر؛ إذ أنهى أكثر من خمسة عقود من حكم عائلة الأسد، ونحو أربعة عشر عامًا من الصراع المسلح. ولم يكن سقوط النظام متوقعًا بالسرعة التي حدث بها؛ فقد بدأت عملية "ردع العدوان"، التي أطلقها تحالف من فصائل المعارضة السورية، ضمّ هيئة تحرير الشام، وفصائل من الجيش الوطني الذي تدعمه تركيا، في 27 تشرين الثاني/ نوفمبر 2024، استغرقت اثني عشر يومًا، تمكّنت في نهايتها من دخول دمشق وإطاحة السلطة المركزية، من دون قتال، بعد أن هرب رأس النظام إلى القاعدة العسكرية الروسية في حميميم، وتبددت أجهزته الأمنية وفرقه العسكرية⁽¹⁾. ومع سقوط النظام في 8 كانون الأول/ ديسمبر، دخلت سورية مرحلة سياسية جديدة أعادت إلى الواجهة أسئلة جوهرية بشأن مستقبل الدولة، وطبيعة النظام السياسي في مرحلة ما بعد الأسد، والأسس التي ستُنظم العلاقة بين السلطة والدولة والمجتمع.

جاء هذا التحول بعد سنوات عجاف من الحرب المدمرة بفعل سياسات النظام القمعية التي أدخلت البلاد في أتون حرب أهلية تركت آثارًا عميقة في الدولة والمجتمع؛ إذ أفضت إلى مقتل مئات الآلاف، وتهجير ملايين السوريين داخل البلاد وخارجها، وتدمير أجزاء واسعة من البنية التحتية، وتراجع قدرة المؤسسات العامة على أداء وظائفها، فضلًا عن الانهيار الاقتصادي واتساع الفقر والبطالة⁽²⁾. وأدت سنوات النزاع إلى تعدد مراكز القوة وسلطة الأمر الواقع De Facto، وانتشار المجموعات المسلحة، وتراجع احتكار الدولة للعنف، وتوسّع نطاق التدخلات الخارجية، ونشوء اقتصاد حرب وشبكات مصالح غير رسمية استفادت من استمرار النزاع. وقد تحولت سورية إلى دولة مصدّرة للأزمات الأمنية في محيطها الإقليمي.

وبناء عليه، ورثت السلطة الجديدة دولة ضعيفة المؤسسات، واقتصادًا منهكًا، ومجتمعًا تعرّض لانقسامات عميقة، فضلًا عن أزمة ثقة تراكمت خلال عقود بين الدولة والمجتمع وبين مكونات المجتمع فيما بينها. ولا يمكن فصل سقوط النظام عن التحولات الإقليمية والدولية التي سبقت عملية 27 تشرين الثاني/ نوفمبر؛ فقد تراجعت قدرة حلفائه الرئيسيين على الاستمرار في تقديم مستوى الدعم العسكري والسياسي نفسه؛ نتيجة انشغال روسيا بالحرب في أوكرانيا، وتعرّض إيران وحزب الله لخسائر كبيرة بسبب تزايد الضربات العسكرية الإسرائيلية على مواقعها في سورية. وتزامن ذلك مع تحولات أصابت قدرات المعارضة المسلحة

* باحث أول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Senior Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.

Email: ahmed.hussein@dohainstitute.edu.qa

1 يحاج مروان قبلان بأن سقوط نظام الأسد لا يمكن تفسيره بالعوامل الداخلية وحدها، بل بتفاعلها مع تحولات عميقة في البيئتين الإقليمية والدولية، ولا سيما خلال الفترة 2019-2024. وقد أدت مجموعة من الأزمات المتزامنة، في مقدمتها تداعيات الحرب الروسية - الأوكرانية، والحروب الإسرائيلية في المنطقة بعد عملية طوفان الأقصى، والعقوبات الأميركية، وأزمة المصارف اللبنانية، وجائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، إلى استنزاف النظام اقتصاديًا واجتماعيًا، وإضعاف بنيته الأمنية والعسكرية، وتآكل جزء من قاعدته الداخلية ومصادر إسناده الخارجي، مما هيأ الظروف لانهاياره السريع في كانون الأول/ ديسمبر 2024. ينظر: مروان قبلان، "السقوط المدوي: كيف تفسّر نظريات الثورة انهيار نظام الأسد؟"، سياسات عربية، مج 14، العدد 81 (تموز/ يوليو 2026).

2 للمزيد عن التحولات الديموغرافية والمجالية العميقة التي شهدتها سورية خلال سنوات الحرب، وما نتج منها من إعادة تشكيل للخريطة السكانية بفعل النزوح الداخلي واللجوء والتهجير القسري وتعدد مناطق السيطرة، ينظر: سامر بكور، *التغييرية السورية: الحرب الأهلية وتدابيراتها المجالية والسكانية 2011-2020*، الجزء الأول: المناطق الجنوبية والوسطى والساحلية من سورية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024)، والجزء الثاني: التغييرية السورية: المنطقة الشمالية الشرقية والمنطقة الشمالية الغربية من سورية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024).

لم يكن إسقاط رأس النظام كافيًا لإنتاج أنظمة ديمقراطية مستقرة، بل أظهرت الحالات المختلفة (مصر، وتونس، وليبيا، واليمن) أنَّ مآلات الثورة تتحدد بمجموعة واسعة من العوامل، من بينها طبيعة مؤسسات الدولة، وموقع المؤسسة العسكرية والأمنية، وقدرة النخب السياسية على التوافق والمساومة، وعمق الانقسامات الاجتماعية، فضلًا عن تأثير البيئتين الإقليميتين والدولية.

لذلك تكتسب هذه الخبرة العربية المقارنة أهمية خاصة عند تناول الحالة السورية؛ فسورية لم تشهد، بعد اندلاع الثورة عام 2011، مرحلة انتقال سياسي يمكن مقارنتها حتى بالتجارب الانتقالية القصيرة أو المتعثرة في مصر وتونس وليبيا واليمن. فقد واجه النظام الاحتجاجات الشعبية بالعنف، ثم تحولت الثورة تدريجيًا إلى صراع مسلح، قبل أن تتخذ الأزمة أبعادًا محلية وإقليمية ودولية متداخلة؛ إذ تدخلت إيران وروسيا بصورة حاسمة إلى جانب النظام، ودعمت الولايات المتحدة الأميركية وتركيا ودول خليجية المعارضة السورية السياسية والمسلحة، فأدى تدويل الصراع إلى نقل مركز الثقل من التسوية السياسية الداخلية إلى موازين القوى العسكرية والإقليمية والدولية.

وعلى الرغم من تعدد المبادرات الدولية ومسارات التفاوض التي طُرحت خلال سنوات الحرب، لم تنجح أي منها في إنتاج تسوية سياسية تنقل سورية من النزاع المسلح إلى عملية انتقالية متوافقة عليها. واستمر هذا الاستعصاء السياسي بالتوازي مع تعمق تدويل الصراع؛ فأصبحت سورية ساحة لتقاطع مصالح قوى إقليمية ودولية متعددة. وأصبحت أجزاء من الأراضي السورية خاضعة لسلطات وقوى عسكرية متباينة. وبدلًا من أن يقود التدخل الخارجي إلى تسوية تعيد بناء المجال السياسي الوطني، أسهم في تثبيت موازين القوى القائمة وتعميق تعدد مراكز النفوذ في مراحل مختلفة، وربط تطورات الصراع السوري بتحولات البيئتين الإقليميتين والدولية⁽⁶⁾.

ثانيًا: لماذا هذا العدد الخاص؟

تكتسب دراسة الانتقال السياسي في سورية أهمية خاصة بالنظر إلى طبيعة اللحظة التي تمر بها البلاد وتفتح المجال أمام إعادة النظر

وتنظيمها في الشمال السوري، التي استثمرت حالة ضعف النظام عسكريًا واقتصاديًا، واستطاعت تطوير قدراتها العسكرية. وقد أسهم تفاعل هذه العوامل الداخلية والخارجية في تسريع الانهيار، وفتح مرحلة جديدة لا تزال ترتيباتها السياسية والمؤسسية في طور التشكل.

تشهد سورية، إذًا، عملية انتقال سياسي. والانتقال، بالمعنى الذي نستخدمه هنا⁽³⁾، ليس حدثًا يقع في لحظة انهيار النظام السلطوي، بل صيرورة سياسية ممتدة تبدأ بتفكيك قواعد الحكم السلطوي، وتمهيد إعادة تنظيم السلطة وتحديد قواعد الوصول إليها وممارستها، وبناء مؤسسات قادرة على العمل وفق قواعد عامة، والتوافق على أسس دستورية جديدة، وتوسيع مجال المشاركة السياسية، وتنتهي، إذا نجحت، بتحقيق العدالة الانتقالية⁽⁴⁾ وترسيخ نظام ديمقراطي تصبح فيه المؤسسات والقواعد أكثر قدرة على الاستمرار من موازين القوى والأشخاص الذين أداروا المرحلة الانتقالية. ولذلك، ينبغي التمييز بين سقوط النظام، والانتقال السياسي، والانتقال الديمقراطي وترسيخ الديمقراطية، وهي مراحل لا تقود إحداها إلى الأخرى بصورة تلقائية أو حتمية⁽⁵⁾. وقد قدمت التجارب العربية التي أعقبت الثورات الشعبية عام 2011 دليلًا واضحًا على أهمية هذا التمييز؛ إذ

3 يُستخدم في هذه المقدمة، وفي توصيف المرحلة التي أعقبت سقوط نظام الأسد، مصطلح "الانتقال السياسي" بدلًا من "الانتقال الديمقراطي". فمن الناحية المفاهيمية، يفترض وصف عملية الانتقال بأنها "انتقال ديمقراطي" أن تكون الديمقراطية غايةً معلنة للمسار السياسي، وأن تتجه ترتيبات المرحلة الانتقالية، بصورة واضحة، نحو بناء نظام تعددي وتنافسي يقوم على المشاركة السياسية والتداول السلمي للسلطة والمؤسسات التمثيلية المنتخبة. أما في الحالة السورية، فلم تتبلور، حتى الآن، عملية انتقال ديمقراطي بالمعنى الاصطلاحي الذي تستخدمه أدبيات التحول الديمقراطي، ولم تجعل السلطة الجديدة "الديمقراطية"، بوصفها نظامًا للحكم، مرجعيةً صريحة لخطابها السياسي، في حين تركز خطابها وترتيباتها الانتقالية بدرجة أكبر على بناء الدولة، واستعادة الأمن والاستقرار، وتوحيد المؤسسات، وإعادة الإعمار، وترسيخ السيادة، وإدارة المرحلة الانتقالية. ومن ثم، فإن استخدام مصطلح "الانتقال السياسي" أدق؛ لأنه يصف عملية انتقال السلطة وإعادة تشكيل مؤسسات الدولة وقواعد الحكم من دون افتراض مسبق لمآلاتها أو اعتبار الديمقراطية نتيجةً حتمية لها.

4 للمزيد حول الإطار الدستوري والقانوني للمرحلة الانتقالية وأسئلة الشرعية وبناء النظام الدستوري الجديد، ينظر: محمد حسام حافظ، "الشرعية والمشروعية في مرحلة التأسيس الانتقالي: قراءة قانونية-دستورية في بنية الإطار الدستوري والقانوني في سورية"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 9، العدد 34 (شتاء 2026)؛ ناصيف نعيم، "أسس نظام دستوري جديد في سورية"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 9، العدد 34 (شتاء 2026)؛ عبد الحميد عكيل العواك، "الحقوق والحريات السياسية في دستور سورية المستقبل"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 9، العدد 34 (شتاء 2026).

5 سبق أن استخدم غيرمو أودونيل وفيليب شميتز، في كتابهما المرجعي، الانتقال من الحكم السلطوي: استنتاجات أولية بشأن ديمقراطيات غير يقينية، مصطلح "الانتقال من الحكم السلطوي" لا "الانتقال الديمقراطي"، وهما أمران مختلفان تمامًا، إذ حاجًا بأن حالات الانتقال لا تؤدي بالضرورة إلى الديمقراطية، بل قد تؤدي إلى ردة نحو السلطوية، أو إلى ثورات، أو إلى أنظمة هجينة. ينظر: غيرمو أودونيل وفيليب شميتز، "حالات الانتقال من الحكم السلطوي: استنتاجات أولية بشأن ديمقراطيات غير يقينية"، في: مقالات مرجعية في دراسات الانتقال الديمقراطي، ترجمة مجموعة مترجمين (الدوحة) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023، ص 115-157؛ وينظر أيضًا كتاب عزمي بشارة المرجعي أيضًا، في: عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة (الدوحة) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

6 تشير الأدبيات إلى أن أهمية التدخلات الإقليمية والدولية تتزايد كلما ازدادت الأهمية الجيوسياسية للدولة المعنية، وأن العامل الخارجي قد يتحول في مثل هذه الحالات إلى أحد المحددات الأساسية التي تعيق التحول أو تعيد توجيه مساره، للمزيد حول العامل الخارجي وتأثيره في مسار الانتقال الديمقراطي، ينظر: العامل الخارجي والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية، عبد الفتاح ماضي (محرر) (الدوحة) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021؛ وينظر خاصة: بشارة، ص 363-406؛ عزمي بشارة، "ملاحظات عن العامل الخارجي في الانتقال الديمقراطي"، سياسات عربية، مج 7، العدد 38 (أيار / مايو 2019).

مجالاً مهماً لاختبار الأدبيات القائمة حول الانتقال السياسي، وربما الإسهام في تطويرها انطلاقاً من الخبرة السورية ذاتها.

ثالثاً: مساهمات هذا العدد الخاص

1. إرث السلطوية:

الدستور والدولة وآليات إنتاج الولاء

ورث النظام الجديد مؤسسات وقوانين وبيروقراطيات وشبكات مصالح وثقافة سياسية تكونت خلال المرحلة السابقة، مثلما ورث تصورات المواطنين عن الدولة والسلطة والقانون. ولهذا، فإن فهم فرص الانتقال في سورية ومخاطره يتطلب تحليل طبيعة النظام الذي انهار، والمؤسسات التي بناها، والآليات التي استخدمها لإنتاج الشرعية والولاء والاستمرار. فقد شهدت سورية، منذ استيلاء حزب البعث على السلطة في 8 آذار/ مارس 1963، ثم بصورة أشد وضوحاً بعد انقلاب حافظ الأسد (1970-2000) ووصوله إلى الحكم عام 1970، عملية متدرجة لتركيز السلطة في مؤسسة الرئاسة، بالتوازي مع اتساع أدوار الأجهزة العسكرية والأمنية، وإخضاع الحياة الحزبية والنقابية والمجال العام لسيطرة النظام. ومع انتقال السلطة إلى بشار الأسد عام 2000، طرأت تغيرات على البنية الشبكية والاجتماعية للنظام وشبكات مصالحه، لكن من دون أن يرافقها تحول مماثل في طبيعة النظام السياسي أو قواعد ممارسة السلطة.

في هذا السياق، يتناول إبراهيم دراجي في دراسته، "الإرث الدستوري في سورية (1973-2024): فرص ضائعة على الطريق نحو انهيار نظام الأسد"، إحدى المفارقات الأساسية في التجربة السورية، وهي وجود نصوص ومؤسسات دستورية من جهة، واستمرار تركّز السلطة وشخصيتها، من جهة أخرى. وتبيّن الدراسة الكيفية التي تحوّل بها الدستور، خلال عهديّ حافظ الأسد وبشار الأسد، من وثيقة يُفترض أن تنظّم السلطة وتضع حدوداً لها إلى أداة وظيفية لإضفاء الشرعية على بنية حكم فردية وأمنية وحزبية، وصولاً إلى ما تصفه بـ "الدولة الأمنية الدستورية". ولا تقتصر قدرة هذا الإرث على تفسير سلوك النظام السابق، بل تشمل أيضاً مرحلة ما بعد سقوطه؛ لأن إحدى القضايا الحاسمة في بناء الدولة الجديدة تتمثل في الانتقال من دستور يخضع لمنطق السلطة إلى سلطة تخضع لمنطق الدستور. وتحتاج الدراسة بأن النظام أهدر فرصتين تاريخيتين للإصلاح الدستوري، هما دستور عام 2012، ومسار اللجنة الدستورية (2019-2024)؛ وهو ما أسهم في تعميق أزمة شرعيته القانونية والسياسية، وصولاً إلى انهياره في نهاية عام 2024.

في أسس الدولة ذاتها، بعد عقود من السلطوية وأكثر من عقد من الحرب. لذلك، لا ينحصر السؤال الذي يطرحه سقوط النظام في طبيعة السلطة التي ستحلّ محله، بل يمتد إلى طبيعة الدولة التي يُراد بناؤها، ومصادر شرعيتها، وقواعد ممارسة السلطة وتوزيعها، وشكل العلاقة بين الدولة والمجتمع، والكيفية التي يُدار بها التعدد الاجتماعي والديني والإثني ضمن إطار وطني جامع، فضلاً عن التعامل مع الإرث الثقيل للحرب، بما في ذلك من عنف وانتهاكات وتهجير وتحولات ديموغرافية واقتصاد حرب وشبكات مصالح تشكّلت وترسّخت خلال سنوات النزاع. وبهذا المعنى، تتداخل في الحالة السورية إشكاليات الانتقال السياسي مع إشكاليات بناء الدولة وإعادة تأسيس الشرعية وترميم المجال الاجتماعي في آن واحد، الأمر الذي يمنحها خصوصية مقارنة.

في هذا السياق، يأتي هذا العدد الخاص من دورية سياسات عربية ليقدم محاولة للإسهام في فهم بعض الأبعاد الأساسية لهذه المرحلة، بعيداً عن المتابعة الحداثيّة للتحولات المتسارعة أو التكهّن بمآلات سياسية لا تزال مفتوحة على احتمالات عديدة. فبدلاً من ذلك، ينطلق العدد من الحاجة إلى تفكيك جملة من المسائل البنيوية التي يرجّح أن يكون لها أثر حاسم في اتجاه الانتقال ومآلاته، وفي مقدمتها الإرث الدستوري والمؤسسي الذي خلفه النظام السابق، والتحولات التي طرأت على علاقته بقواعده الاجتماعية خلال سنوات الحرب، والتغيرات التي طرأت على تصورات السوريين للهوية الوطنية، وشروط إعادة بناء الدولة وصوغ عقد اجتماعي جديد، وصولاً إلى مساءلة طبيعة السلطة والمؤسسات الآخذة في التشكّل ومدى قدرتها على القطع مع أمّاط الحكم الشخصي والربوبي التي طبعت المرحلة السابقة. ومن ثم، فإن مساهمات هذا العدد لا تتعامل مع سقوط النظام بوصفه نهاية لمسار تاريخي فحسب، بل باعتباره بداية لمسار أشد تعقّداً يتعلق بإعادة تشكيل الدولة والسلطة والمجتمع والعلاقة بينها.

علاوة على ذلك، يسعى هذا العدد الخاص إلى البناء على الأدبيات التي تتناول قضايا الثورات والانتقال الديمقراطي وبناء الدولة في المنطقة العربية، وفي الوقت نفسه الإسهام فيها، سواء تعلّق الأمر بالتمايز والتداخل بين مراحل الانتقال والتحول الديمقراطي أو شروط نجاح الانتقال وتعهّره، أو أدوار النخب والمؤسسات، أو أثر العامل الخارجي، أو العلاقة بين الجيش والسياسة، أو إشكاليات الطائفية والهوية والمواطنة. ويتيح هذا التراكم النظري والمقارن إطاراً مهماً لقراءة الحالة السورية، مع الانتباه إلى خصوصيتها وعدم إسقاط نماذج الانتقال المستمدّة من تجارب أخرى عليها بصورة آليّة. فالحالة السورية تجمع بين تحديات الخروج من السلطوية وتداعيات حرب طويلة وتدخلات إقليمية ودولية واسعة، وبين الحاجة إلى إعادة بناء مؤسسات الدولة وإنتاج شرعية سياسية جديدة؛ الأمر الذي يجعلها

الدراسة كيفية إعادة السوريين تعريف هويتهم الوطنية في ظل إعادة تشكّل الدولة، وتختبر أثر مجموعة من المتغيرات الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والطائفية والمكانية في إدراك هذه الهوية. وتشير نتائجها إلى أن الهوية الوطنية لا ترتبط على نحو حاسم بالخصائص الفردية التقليدية بقدر ارتباطها بالسياق السياسي والمكاني، مع ظهور أثر للتعليم العالي وللتفاعل بين الطائفة والإقليم.

3. بناء الدولة والعقد الاجتماعي الجديد

يقود سؤال الهوية الوطنية مباشرة إلى سؤال العقد الاجتماعي. فإعادة بناء الدولة السورية لا تقتصر على استعادة المؤسسات قدرتها الإدارية، بل تتطلب إعادة تعريف الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين الدولة والمجتمع. والدولة الحديثة ليست جهازاً إدارياً وأمنياً فحسب، يحتكر أدوات الإكراه، بل هي أيضاً إطار قانوني وسياسي للمواطنة، وفضاء لتنظيم المصالح والخلافات وإنتاج المصلحة العامة. وفي هذا السياق، تبحث دراسة عماد العلي، "بناء الدولة والعقد الاجتماعي في سورية ما بعد الأسد: مقارنة تأسيسية"، في المحددات السياسية والسوسيولوجية والمعارية التي ينبغي أخذها في الحسبان عند التفكير في الدولة السورية الجديدة. وتنطلق من أن الثورة والحرب كشفتاً أزمة عميقة في العلاقة بين الدولة والمجتمع، تمثلت في تحوّل الدولة، بدرجة كبيرة، إلى بنية سلطوية منفصلة عن التحولات الاجتماعية، بما يجعل إعادة بناء الدولة عملية تتجاوز ترميم المؤسسات القديمة إلى إعادة تأسيس العلاقة بينها وبين المجتمع. وتكتسب فكرة العقد الاجتماعي أهمية خاصة، بوصفها إطاراً معيارياً لفهم شرعية الدولة والالتزام السياسي المتبادل بين المواطنين والمؤسسات. وفي الحالة السورية، يتطلب ذلك معالجة مسائل شائكة تتعلق بالطائفية وتفكك الثقة وعلاقة الدين بالسياسي والمساواة بين المواطنين وتوزيع السلطة والموارد. ويتقاطع هذا الطرح مع مسألة أوسع تتعلق بشرعية الدولة؛ فالقدرة على استخدام القوة أو تقديم الخدمات لا تكفي وحدها لإنتاج دولة مستقرة، ما لم تتحول المؤسسات إلى مؤسسات عامة يشعر المواطنون بأنها تمثلهم ويخضع القاهمون عليها لقواعد عامة.

ومن هنا، يمكن ملاحظة التضافر بين دراستي الهوية الوطنية والعقد الاجتماعي؛ فإذا كانت الأولى تبحث في الجماعة السياسية التي يعيد السوريون تصور انتمائهم إليها، فإن الثانية تفحص الإطار المؤسسي والمعياري الذي يمكن أن ينظم هذه الجماعة. فلا يتسنى بناء عقد اجتماعي مستقر من دون حد أدنى من الانتماء إلى جماعة سياسية مشتركة، مثلما يصعب بناء هوية وطنية جامعة من دون دولة تعامل أفراد المجتمع بوصفهم مواطنين متساوين.

وينتقل حيان دخان ورهف الدغلي من فحص الإرث الدستوري للنظام السابق، إلى دراسة إرثه الاجتماعي وآلياته في إنتاج الولاء؛ فيناقشان في دراستهما، "سوسيولوجيا انهيار نظام الأسد: الطائفة العلوية وتفكك العقد الاجتماعي (2011-2024)"، تحولات العلاقة بين نظام الأسد والطائفة العلوية خلال سنوات الحرب، متجاوزةً التصورات التي تتعامل مع الطائفة بوصفها كتلة سياسية متجانسة أو بوصف علاقاتها بالنظام ثابتة لا تتغير. وتُظهر الدراسة أن اصطفاً قطاعاً واسعاً من العلويين خلف النظام في مراحل الحرب الأولى جاء نتيجة تداخل توظيف النظام للخوف الوجودي مع مخاوف فعلية ولدها تصاعد العنف والخطاب الطائفي. لكن طول أمد الحرب وارتفاع الخسائر البشرية وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانتشار اقتصاد الحرب أسهمت كلها تدريجياً في تآكل "العقد السلطوي الضمني"، الذي ربط النظام بقطاعات من قاعدته الاجتماعية. وتنبع أهمية هذا التحليل من التمييز بين الطائفة والطائفية السياسية. فالطوائف ليست، في ذاتها، فاعلين سياسيين متجانسين ذوي إرادة واحدة، بل في إمكان الطائفية السياسية أن تعيد تشكيل الجماعات وإنتاجها بوصفها جماعات متخيلة ذات مصالح ومخاوف سياسية مشتركة. وهذا التمييز مهم في الحالة السورية؛ لفهم كيفية إدارة النظام السابق للانقسامات، ولمنع إعادة إنتاج هذه المقاربة في المرحلة الانتقالية.

2. الهوية الوطنية وإشكالية إعادة بناء الجماعة السياسية

إذا كان الانتقال السياسي يفترض إعادة بناء المؤسسات، فإنه يتطلب أيضاً وجود جماعة سياسية تستطيع هذه المؤسسات تمثيلها. وهنا تبرز إشكالية الهوية الوطنية بوصفها إحدى أعقد المسائل التي خلفتها سنوات النزاع السوري. فقد عاش السوريون منذ عام 2011 تجارب سياسية وأمنية واجتماعية متباينة إلى حد بعيد، وتوزعوا بين مناطق خضعت لسلطات مختلفة، بين الداخل واللجوء والشتات، في حين وُظفت الانتماءات الدينية والمذهبية والإثنية في عمليات التعبئة السياسية والعسكرية. ولا يعني ذلك بالضرورة انهيار الهوية الوطنية السورية أو إحلال الهويات الفرعية محلّها، لكنه يطرح سؤالاً عن أثر الحرب والتشظي السياسي والمكاني في تعريف السوريين لانتمائهم الوطني، وعن الشروط التي يمكن أن تجعل المواطنة أساساً لعلاقة الأفراد بالدولة الجديدة. في هذا السياق، يربط أحمد قاسم حسين ونبيل حسين في دراستهما، "هويات متصدعة: قراءة في تحولات الهوية الوطنية السورية اعتماداً على نتائج المؤشر العربي في سورية 2025"، بين مقاربات الهوية من الناحية النظرية والتحليل الكمي لبيانات استطلاع المؤشر العربي في سورية لعام 2025. وتفحص

جديدة.⁽⁷⁾ ومن ثم، يقترح العدد الخاص الأسئلة التالية: ما الذي سقط بسقوط نظام الأسد؟ وما الذي استمر بعده؟ وما الذي يمكن أن يعاد إنتاجه في صورة مختلفة؟ وهي أسئلة تسمح بتجاوز التعامل مع 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024 بوصفه حدًا فاصلًا بين مرحلتين متميزتين تمامًا، والنظر إليه بدلاً من ذلك بوصفه لحظة فتحت عملية إعادة تشكيل للدولة والسلطة والمجتمع، ولمّا تتحدد نتائجها ومآلاتها بعد.

وتتطلب هذه العملية، فضلاً عن إعادة بناء المؤسسات، معالجة إرث العنف والانتهاكات⁽⁸⁾، وترسيخ مبدأ المواطنة المتساوية، وإعادة بناء الثقة بين المجتمع والدولة وبين مكونات المجتمع نفسها، وإعادة تنظيم المؤسسات العسكرية والأمنية على أسس وطنية ومؤسسية، وتفكيك شبكات اقتصاد الحرب، وتوسيع مجال المشاركة السياسية. ولذلك، فإن بناء الدولة لا ينفصل عن الانتقال السياسي، مثلما أن الديمقراطية لا يمكن أن تستقر في غياب دولة قادرة وشرعية.

لا تسعى دراسات هذا العدد الخاص إلى تقديم إجابات نهائية عن مستقبل سورية، الذي لا يزال قيد التشكل، بقدر ما تحاول طرح أسئلة يتوقف عليها هذا المستقبل، من قبيل: كيف يمكن الانتقال من شرعية القوة والأمر الواقع إلى شرعية دستورية وسياسية؟ وكيف يمكن تجاوز إرث استخدام الهويات الفرعية سياسيًا من دون إنكار تعددية المجتمع السوري؟ وما الشروط التي تسمح بإعادة بناء هوية وطنية قائمة على المواطنة لا على فرض التجانس؟ وكيف يمكن صوغ عقد اجتماعي يعيد وصل الدولة بالمجتمع؟ وكيف يمكن بناء مؤسسات فاعلة من دون أن تتحول إلى واجهة لإعادة إنتاج الشخصية والزبونية؟ وكيف يمكن تحويل سقوط نظام سلطوي إلى عملية تأسيس لدولة لا تعيد إنتاج الشروط التي أفضت إلى أزمتها؟ وهذه، في جوهرها، هي أسئلة الانتقال في سورية.

7 للمزيد عن التحولات التي طرأت على الاقتصاد السياسي السوري، وشبكات المحسوبية واقتصاد الحرب خلال حكم نظام الأسد وسنوات النزاع، ينظر: جوزيف زاهر، "الاقتصاد السياسي في سورية: الديناميكيات النيولبرالية والاستبدادية"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 8، العدد 31 (ربيع 2025)؛ رزان خربوطلي، "رأسمالية المحسوبية في سورية: تطور الشبكات الاقتصادية والنخب 1970-2024"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 8، العدد 31 (ربيع 2025)؛ حسام الحميد، "الاقتصاد السياسي للحرب: السياسات الاقتصادية في سورية بعد 2011"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 8، العدد 31 (ربيع 2025).

8 للمزيد عن تحولات العنف في سورية خلال سنوات الثورة والحرب ومخاطر إعادة إنتاجه، ينظر: حسام الحميد، "ظاهرة العنف الفاضل في سورية بعد 2011: الأسباب والأنماط والتداعيات"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 9، العدد 33 (خريف 2025)؛ إبراهيم الجبين، "العنف في المجتمع السوري: جذوره وأنماطه وآلياته ومخاطر إعادة إنتاجه"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 9، العدد 33 (خريف 2025)؛ نهلة نعنح، "العنف بوصفه أداءً سياديًا رمزيًا في سورية 2011-2024"، مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، مج 9، العدد 33 (خريف 2025).

4. السلطة الجديدة: بين بناء المؤسسات وإعادة إنتاج السلطوية

يتعلق السؤال الأشد حساسية في أي مرحلة انتقالية بطبيعة السلطة الجديدة نفسها. فإسقاط نظام سلطوي لا يعني بالضرورة تفكيك أنماط السلطوية التي أنتجها؛ إذ قد تستمر بعض الممارسات والشبكات والثقافات السياسية بعد اختفاء المؤسسات والشخصيات التي ارتبطت بها. وقد بيّنت تجارب عربية عديدة بعد عام 2011 أن المرحلة التي تعقب انهيار النظام قد تكون ميدانًا للصراع بين اتجاهات بناء المؤسسات وقوى استعادة السلطوية، أو قد تنتج ترتيبات هجينة تجمع بين عناصر مؤسسية حديثة وممارسات شخصية وزبائية. في هذا السياق، يطرح عزام القصير في دراسته، "إعادة تشكيل السلطة في سورية ما بعد الأسد: مقارنة نيوباتريمونية"، سؤالاً جوهرياً عما إذا كانت السياسات والتعيينات والإصلاحات المؤسسية التي اعتمدتها السلطة الجديدة تمثل قطيعة مع أنماط الحكم الشخصي والزبوني، أم إعادة تشكيل لها ضمن سياق تنظيمي وأيديولوجي مختلف. وتكشف الدراسة عن تزامن مسارين: اتجاه نحو التحديث البيروقراطي وإعادة بناء المؤسسات وتقديم خطاب يستند إلى الشرعية القانونية والحوكمة والإدارة التكنوقراطية، واتجاه موازٍ نحو تركز جانب من القوة الفعلية في هيئات وشبكات مرتبطة بمؤسسة الرئاسة ووسطاء موثوق بهم وشبكات عائلية وتنظيمية ونخب تشكلت في سياق هيئة تحرير الشام وتجربة حكم إدلبي. وهنا يصبح من الضروري التمييز بين تحديث مؤسسات الحكم وتحول قواعد الحكم. فقد تتطور القدرات البيروقراطية للدولة من دون أن يرافقها انتقال نحو المؤسسات السياسية، وربما تستخدم الإصلاحات الإدارية والاعتدال في الخطاب أدوات لبناء الشرعية وترسيخ السلطة بدلاً من أن تكون مؤشراً كافياً دالاً على تحول ديمقراطي.

رابعاً: سورية بعد الأسد: من سقوط النظام إلى بناء الدولة

تكشف المساهمات في هذا العدد أن السؤال المركزي في حالة سورية بعد الأسد لا يمكن اختزاله في ثنائيات تبسيطية، مثل نجاح الانتقال أو فشله؛ فعمليات التحول السياسي أشد تركيبيًا وتعقيدًا؛ إذ تتداخل فيها عناصر القطيعة مع عناصر الاستمرارية، وتختفي بعض مؤسسات النظام السابق، بينما تستمر بعض أنماط ممارسة السلطة والثقافة السياسية وشبكات المصالح أو يُعاد إنتاجها بأشكال

المراجع

بشارة، عزمي. "ملاحظات عن العامل الخارجي في الانتقال الديمقراطي". سياسات عربية. مج 7، العدد 38 (أيار/ مايو 2019).

_____. الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

بكور، سامر. التغيرات السورية: الحرب الأهلية وتداعياتها المجالية والسكانية 2011-2020، الجزء الأول: المناطق الجنوبية والوسطى والساحلية من سورية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

_____. التغيرات السورية: الحرب الأهلية وتداعياتها المجالية والسكانية 2011-2020، الجزء الثاني: التغيرات السورية: المنطقة الشمالية الشرقية والمنطقة الشمالية الغربية من سورية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

الجبين، إبراهيم. "العنف في المجتمع السوري: جذوره وأماطه وآلياته ومخاطر إعادة إنتاجه". مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 9، العدد 33 (خريف 2025).

حافظ، محمد حسام. "الشرعية والمشروعية في مرحلة التأسيس الانتقالي: قراءة قانونية-دستورية في بنية الإطار الدستوري والقانوني في سورية". مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 9، العدد 34 (شتاء 2026).

الحמיד، حسام. "الاقتصاد السياسي للحرب: السياسات الاقتصادية في سورية بعد 2011". مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 8، العدد 31 (ربيع 2025).

_____. "ظاهرة العنف الفاض في سورية بعد 2011: الأسباب والأماط والتداعيات". مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 9، العدد 33 (خريف 2025).

خربوطلي، روان. "رأسمالية المحسوبية في سورية: تطور الشبكات الاقتصادية والنخب 1970-2024". مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 8، العدد 31 (ربيع 2025).

ضاهر، جوزيف. "الاقتصاد السياسي في سورية: الديناميكيات النيوليبرالية والاستبدادية". مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 8، العدد 31 (ربيع 2025).

إن الانتقال (السياسي) سيرورة ممتدة ومتغيرة، تتفاعل فيها إعادة بناء مؤسسات الدولة مع إعادة تشكيل بنية السلطة والنخب، وصوغ الأطر الدستورية والقانونية الجديدة، وإعادة تنظيم العلاقة بين الدولة والمجتمع، فضلاً عن قضايا الهوية والمواطنة والعدالة الانتقالية والمصالحة المجتمعية، وإصلاح المؤسسات العسكرية والأمنية، والاقتصاد السياسي وإعادة الإعمار، وأدوار الفاعلين الإقليميين والدوليين. ومن ثم، فإن فهم هذه المرحلة يقتضي رصدًا بحثيًا متواصلًا يواكب تحولات الحالة السورية، ويخضعها في الوقت نفسه للتحليل النظري والمقارن، بما يتجاوز القراءات الآنية والانطبعية التي عادةً ما ترافق المراحل المتسارعة من التحول السياسي. وهذا ما يسعى إليه هذا العدد الخاص.

العامل الخارجي والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية. عبد
الفتاح ماضي (محرر). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث
ودراسة السياسات، 2021.

العواك، عبد الحميد عكيل. "الحقوق والحريات السياسية في دستور
سورية المستقبل". مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم
الإنسانية. مج 9، العدد 34 (شتاء 2026).

قבלان، مروان. "السقوط المدوي: كيف تفسّر نظريات الثورة انهيار
نظام الأسد؟". سياسات عربية. مج 14، العدد 81 (تموز/
يوليو 2026).

مقالات مرجعية في دراسات الانتقال الديمقراطي. ترجمة مجموعة
مترجمين. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة
السياسات، 2023.

نعنع، نهلة. "العنف بوصفه أداءً سياديًا رمزيًا في سورية 2011-2024".
مجلة قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 9،
العدد 33 (خريف 2025).

نعيم، ناصيف. "أسس نظام دستوري جديد في سورية". مجلة
قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. مج 9، العدد 34
(شتاء 2026).

إبراهيم دراجي | Ibrahim Draji*

الإرث الدستوري في سورية (1973-2024): فرص ضائعة على الطريق نحو انهيار نظام الأسد

The Constitutional Legacy in Syria (1973-2024): Missed Opportunities all along the way to the Assad Regime's Collapse

تتناول هذه الدراسة الإرث الدستوري للنظام السوري في فترتي حكم حافظ الأسد (1971-2000) وابنه بشار (2000-2024)، من خلال تحليل تحول الدستور السوري، بين عامي 1973 و2024، من وثيقة لتنظيم السلطة، إلى أداة وظيفية لشرعة الحكم الفردي والأمني والحزبي. وتكشف عن أن شخصية الرئاسة وعسكرة الدولة وتحزيب المجال العمومي أدت إلى تفرغ الدستور من مضمونه التعاقدي، وأنتجت ما يمكن وصفه بـ "الدولة الأمنية الدستورية". وتظهر أن النظام أهدر فرصتي إصلاح دستوري تاريخيتين، تمثلتا في دستور عام 2012، ومسار اللجنة الدستورية (2019-2024)، ما ساهم في تعميق أزمة الشرعية القانونية والسياسية. وتخلص إلى أن استعادة الشرعية وبناء الدولة السورية الحديثة يتطلبان تأسيس عقد دستوري جديد، يقوم على الإرادة الشعبية ومدنية الدولة واستقلال السلطة القضائية وإرساء مبادئ العدالة الانتقالية.

كلمات مفتاحية: الدستور، سورية، العدالة الانتقالية، القضاء، النظام السلطوي.

This study explores how the Syrian constitution transformed between 1973 and 2024, from a framework intended to regulate political authority into a functional instrument designed to legitimize personalized, securitized, and partisan rule. The study argues that the personalization of the presidency, the militarization of the state, and the politicization of the public sphere have effectively stripped the constitution of its contractual substance, giving rise to what may be termed a "constitutional security state". It further argues that the regime squandered two critical opportunities for constitutional reform – namely, the 2012 Constitution and the Constitutional Committee process (2019-2024), thereby deepening the crisis of legal and political legitimacy. The study concludes that restoring legitimacy and rebuilding the modern Syrian state necessitates the establishment of a new constitutional compact grounded in popular sovereignty, the civic nature of the state, judicial independence, and the principles of transitional justice.



Keywords: Constitution, Syria, Transitional Justice, Judiciary, Authoritarian Regime.

* باحث وأكاديمي سوري، مختص في القانون الدولي والتحويلات الدستورية وحقوق الإنسان.

Academic and Researcher Specializing in International Law, Constitutional Transformations, and Human Rights.

Email: ibrahim.draji@damascusinstitute.org

مقدمة

سقوط النظام، وبناء عقد اجتماعي جديد، يستعيد مفهوم الدستور بوصفه تعبيراً عن الإرادة العامة ومصدراً للشرعية السياسية.

تتبع أهمية هذه الدراسة من أنها تقدّم تحليلاً بنيوياً للإرث الدستوري السوري بوصفه أحد الأسباب الجوهرية في تقويض الدولة وإضعافها، لا مجرد انعكاس له. فهي لا تكتفي بمجرد تشخيص الطابع الاستبدادي للنظام، بل تسعى لإظهار الكيفية التي جرى من خلالها إضفاء طابع دستوري على هذا الاستبداد. وتكتسب أهمية أيضاً في سياق سورية ما بعد الأسد؛ إذ توفر قاعدة نظرية لفهم متطلبات الصياغة الدستورية في المرحلة الانتقالية، وتبرز ضرورة الفصل الحقيقي بين السلطات وإخضاع المؤسسات العسكرية والأمنية للرقابة المدنية، وتحاول تقديم قراءة متكاملة للعلاقة بين النص الدستوري وتشكل النظام السلطوي. وتفترض أن الخلل في التجربة السورية لم يكن سياسياً فحسب، بل كان خللاً دستورياً بنيوياً أيضاً وأن الاستبداد لم يكن خروجاً على الدستور، بقدر ما كان تجسيدا له. فالدساتير السورية، ولا سيما دستوري عامي 1973 و2012، لم تكن معطلة، بقدر ما صُممت لترسيخ ثلاثية الحاكم الفرد والجيش العقائدي والحزب القائد، وهو ما جعل سقوط النظام نتيجة محتملة بمجرد انفكاك هذه الثلاثية عن قاعدة الشرعية الشعبية.

لا نفهم، في هذه الدراسة، الدستور بوصفه نصاً قانونياً محضاً، بل نتصور أنه بنية سياسية تعبّر عن علاقة السلطة بالمجتمع. وبناء عليه، تقارب الدراسة الدستور من ثلاث زوايا تحليلية مترابطة، هي: شخصنة السلطة، أي تحويل النص الدستوري إلى تفويض دائم للرئيس؛ وعسكرة الدولة، أي إخضاع المجال السياسي لمنطق المؤسسة العسكرية والأمنية؛ وتحزيب الدستور، أي تذويب الدولة في الحزب وتحويل النص الدستوري إلى إطار أيديولوجي. ومن تفاعل هذه الزوايا الثلاث، تنشأ الحالة التي تصفها الدراسة بـ "الدولة الأمنية الدستورية"، وهي حالة تجمع بين الشكل الدستوري والمضمون الاستبدادي.

تعتمد الدراسة مجموعة من المؤشرات، أبرزها نصوص المواد الدستورية المتعلقة بصلاحيات الرئيس والجيش والأجهزة الأمنية والحزب، وعدد المراسيم التشريعية الصادرة، مقارنةً بالقوانين البرلمانية، بوصفها مؤشراً على تغوّل السلطة التنفيذية، واستمرار حالة الطوارئ بين عامي 1963 و2011 بوصفها مؤشراً دالاً على تطبيع الاستثناء، إضافة إلى موقع القضاء والمحكمة الدستورية في منظومة السيطرة، وتحليل مضمون المادة الثامنة من دستور عام 1973 وبدائلها في دستور عام 2012 بوصفها مؤشراً دالاً على تحويل التحزيب من صيغة أيديولوجية صريحة، إلى صيغة مؤسسية، إضافة

تُجمع أدبيات القانون الدستوري على أن الدستور، حين ينبثق من إرادة جماعية حرة، يغدو إطاراً تعاقدياً يؤسس للمواطنة ويكفل الحقوق ويُنظّم ممارسة السلطة ضمن حدود قانونية واضحة، بدلاً من أن يكون أداةً لتكريسها. لكن التجربة السورية، منذ استيلاء حزب البعث العربي الاشتراكي على السلطة، في عام 1963، قدّمت مساراً مغايراً؛ إذ لم تُصغ الدساتير بوصفها تعبيراً عن الإرادة العامة، بل بوصفها آليات لإعادة تشكيل المجال السياسي وفقاً لمتطلبات السلطة الحاكمة. وقد أفضى ذلك إلى تداخل القانون بالولاء، وتآكل الحدود بين الشرعية والهيمنة؛ إذ تحوّل الدستور تدريجياً من وثيقة تنظّم الحكم، إلى أداة لتبرير حكم الفرد. وفي هذا السياق، يمكن فهم الكارثة الوطنية التي شهدتها البلاد منذ عام 2011 بوصفها ذروة هذا المسار التراكمي من التآكل الدستوري.

تعالج هذه الدراسة مسألتين مترابطتين تشكّلان معاً جوهر الإشكالية السورية: أولاهما، السمات الدستورية التي وسمت الدساتير الصادرة في عهد حافظ وبشار الأسد، والتي ساهمت في تحويل الدستور إلى أداة لترسيخ الحكم الفردي والحزبي والأمني. وثانيتهما، الفرص الدستورية التي أهدرها النظام السابق عندما تجاهل إمكان بناء شرعية جديدة من خلال دستور عام 2012 ومسار اللجنة الدستورية، وهي الفرص التي كان يمكن أن تفتح أفقاً لتحوّل سياسي وقانوني في البلاد، غير أن إهدارها ساهم في تعميق أزمة الشرعية، وأصبح أحد العوامل المباشرة للانهيار السياسي والدستوري معاً.

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية تتمثل في فهم تفسير الكيفية التي تحوّل بها الدستور السوري في عهد الأب وابنه (1971-2024) من وثيقة تعاقدية تعنى بتنظيم السلطة وتقييدها، إلى أداة لتكريس الحكم الفردي والأمني والحزبي، وما نجم عن هذا التحول من آثار عميقة في بنية الشرعية السياسية والدستورية للدولة السورية. وفي هذا الإطار، تسعى الدراسة لتحليل البنية الدستورية للنظامين، وتفكيك منطقها السلطوي عبر قراءة تكاملية لنصوص الدساتير وممارساتها السياسية، وتهدف إلى تفسير العلاقة بين شخصنة السلطة، وعسكرة الدولة وتحزيب الدستور، بوصفها عناصر مترابطة ضمن منظومة حكم ساهمت في ترسيخ هيمنة السلطة التنفيذية وتعزيز دور الأجهزة الأمنية على حساب مبدأ الفصل بين السلطات.

وتسعى الدراسة أيضاً لتتبع الفرص الضائعة للإصلاح الدستوري، ولا سيما في دستور عام 2012 ومسار اللجنة الدستورية، بهدف بيان الكيفية التي أهدرت بها إمكانات بناء شرعية شعبية ودولية جديدة، وهو ما كان أحد العوامل التي أدّت إلى تقويض شرعية النظام السابق وسقوطه. وتهدف كذلك إلى استخلاص جملة من الدروس الدستورية الممكنة لمرحلة ما بعد

إفراغ الدستور من هذه الوظيفة التقييدية، وتحويلها إلى ما يشبه "التفويض الدائم" للرئيس؛ إذ بات يُؤدّي دوراً أساسياً في شرعنة تغوّل شخص الرئيس على مؤسسات الدولة وسلطاتها كلها، علماً أن المسألة لم تتعلق بسلطة تنفيذية مهيمنة فحسب، بل بنمط حكم جعل الدولة نفسها تدور في فلك الرئيس؛ إذ غابت الحدود الفاصلة بين شخص الحاكم وهيبة الدولة. وهكذا، ولدت ظاهرة "تفصيل الدولة على مقياس الرئيس"، أو ما يمكن تسميته بـ "شخصنة الدستور".

ويمكن قراءة ظاهرة شخصنة الدستور من خلال أربع دوائر متداخلة: الأولى رمزية، تبدأ من اللغة الدستورية نفسها؛ إذ تجعل من الرئيس، بحكم الصلاحيات الممنوحة له والدور المتوقع منه، رمزاً لوحدة الوطن⁽²⁾، وضامناً لسير السلطات⁽³⁾. ولا تبدو صياغة النص الدستوري محايدة أو بريئة من الدلالات السياسية، لأنها تضع شخص الرئيس في موقع المرجعية العليا للوحدة الوطنية، بدلاً من أن يكون الدستور والقانون الأساس الجامع والضامن لاستقرار الدولة ومؤسساتها. والدائرة الثانية مؤسسية؛ إذ تُمنح الرئاسة سلطة تعيين كبار المسؤولين في الحكومة والإدارة والقضاء وإقالتهم، فيصبح الولاء الشخصي أهم من الكفاءة أو القانون، حتى لو جرت الإشارة إلى القانون، كما هي الحال في النص الدستوري السوري، باعتبار أن الإشارة هنا تكون رمزية وشكلية، من دون أن يُتقيّد بمضمونها⁽⁴⁾. والدائرة الثالثة تشريعية، فقد منح الدستور السوري، سواء في عام 1973 أو 2012⁽⁵⁾، الرئيس سلطة إصدار المراسيم التشريعية في حال غياب مجلس الشعب، أو حتى في أثناء انعقاده، بحجة "الضرورة". وهذه الصيغة "المطاطة" جعلت التشريع تابعاً لإرادة الرئيس، لا لممثلي الشعب. أما الدائرة الرابعة، فقضائية - رقابية، وتكمن في ترؤس الرئيس مجلس القضاء الأعلى، وتعيينه أعضاء المحكمة الدستورية، وحصر مساءلته في حالات نادرة تكاد تكون مستحيلة التحقيق. وهنا تفقد الرقابة معناها، وتتحول العدالة إلى امتداد لإرادة السياسة العليا⁽⁶⁾. وحين تجتمع هذه الطبقات، يُحى الفاصل بين الدولة والرئيس، وتصبح المؤسسات كلها انعكاساً لشخص واحد، بدلاً من أن تكون انعكاساً ل ضمانات دستورية موضوعية.

إلى أداء اللجنة الدستورية بين عامي 2019 و2024 باعتباره مؤشراً دالاً على حدود الإصلاح الدستوري ضمن البنية السلطوية القائمة.

أولاً: الإرث الدستوري لنظام الأسد: الشخصية والعسكرة والتحزيب

يُنظر إلى الدستور في أيّ دولة حيّة بوصفه مرآةً تعكس روحها وضميرها الجمعي؛ فهو لا يقتصر على أنه نص قانوني ينظم السلطات ويحدد اختصاصاتها، بل يُثّل إعلاناً عن معنى الدولة نفسها وهويتها السياسية والقيم التي تقوم عليها. فالدستور، حين ينبع من الإرادة العامة، يتحوّل إلى ضمانة لحقوق الأفراد وحرّياتهم، وإلى أساس للشرعية السياسية، إضافة إلى أنه مؤشر دال على نضج الدولة وقدرتها على إدارة شؤونها وفقاً لحكم القانون، لا منطق القوة والغلبة. أما حين يُصاغ بيد السلطة وحدها، فيتحوّل من شهادة ميلاد للنظام السياسي، إلى بطاقة هوية للحاكم، تكشف أيديولوجيته وتُجسّد رؤيته عن الدولة والإنسان معاً؛ وهكذا فإن "الوثيقة تدل على وضعها"⁽¹⁾.

بهذا المعنى، لا يمكن قراءة الإرث الدستوري السوري، خصوصاً في ظل حكم آل الأسد، الأب والابن، بوصفه نصاً قانونياً معزولاً، بل بنية سلطوية صاغت الدولة على صورة الحاكم وأدواته. فقد تحوّل الدستور من "قيد على السلطة" إلى "ترخيص مفتوح" لشخصتها، ثم إلى مظلة تُشرعن عسكرة المجال العمومي وتحزيبه، مع إبقاء مبادئ الفصل بين السلطات وحقوق الإنسان في حيّز الإعلان لا التنفيذ. لقد تراكبت ثلاثية حاكمية: الشخصية والعسكرة والتحزيب؛ فأعادت توزيع الوظائف الدستورية لمصلحة المركز الرئاسي وأجهزته، وحدّت من قدرة المؤسسات على الرقابة والمساءلة. وفي ظل هذا المسار، تحوّل الدستور من عقد اجتماعي يؤسّس على المشاركة والثقة، إلى وثيقة تبريرية تُدار عبر الإحالات إلى القانون ومحاكم الاستثناء. ومن ثم، يُعدّ فهم الإرث الدستوري للنظام السوري، في عهد آل الأسد، مدخلاً لازماً لتفسير تعتُر الدولة المدنية في سورية، وكيفية انتهاء النصوص إلى شرعنة واقعٍ أمني يتقدم على الدولة والقانون معاً.

1. شخصنة الدستور

يُفترض أن يكون الدستور القانون الأعلى الذي يضع حدوداً للسلطة، ويضبط أدواتها، ويضمن التوازن بين مؤسسات الدولة. لكن في التجربة السورية، ولا سيما في ظل حكم آل الأسد، جرى

2 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية، المرسوم رقم 94، المادة 96، 2012/2/27، شوهد في 2/3/2026، في: <https://acr.ps/hBy2sxJ>

3 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية، المرسوم التشريعي رقم 8، المادة 131، 1973/3/13، شوهد في 5/3/2026، في: <https://acr.ps/hBy2sOk>

4 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 1973، المادة 109؛ الجمهورية العربية السورية دستور الجمهورية العربية السورية لعام 2012، المادة 106.

5 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 1973، المادة 111؛ الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 2012، المادة 113.

6 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 1973، المواد 91، 132، 139؛ الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 2012، المواد 117، 133، 141.

1 علي يوسف الشكري، الوسيط في فلسفة الدستور (بيروت: منشورات زين الحقوقية، 2017)، ص 9.

أ. التأسيس الدستوري للسلطة الفردية: دستور عام 1973

أسس دستور عام 1973 ميثاقاً لترسيخ حكم الفرد وشخصنة الدولة في إطار حزبي مهيم (7)، وهو ما تجلّى بوضوح في آلية الوصول إلى منصب الرئاسة، وفي حجم الصلاحيات الواسعة الممنوحة للرئيس؛ الأمر الذي انعكس جلياً في الإخراج المرتبك والشكلي لعملية تعديل الدستور في عام 2000، التي وُظفت لتأمين انتقال السلطة داخل العائلة الحاكمة. وقد حدد الدستور ثلاث مراحل شكلية للوصول إلى منصب الرئاسة؛ وتكون البداية باقتراح القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، ثم ترشيح مجلس الشعب، وأخيراً استفتاء شعبي على مرشّح واحد (8).

عملياً، كانت المرحلة الأولى حاسمة، لأنها تُقصي أي احتمال للمنافسة، بينما كان الاستفتاء في نهايته مجرد طقس رمزي لتأكيد الإجماع. وقد كرّست مدة الولاية (سبع سنوات قابلة للتجديد بلا حدود (9)) فكرة "الرئيس الدائم"، حيث تحوّل المنصب إلى ملكية سياسية متوارثة في الواقع، وإن بقيت جمهورية في الشكل.

في المقابل، منح الدستور صلاحيات تشريعية واسعة لرئيس الجمهورية، فهو يحلّ مجلس الشعب ويعدّ القوانين ويعترض عليها ويشرّع عند الضرورة ويملك حق رفض تعديل الدستور إن لم يوافق عليه. وقضائياً، يترأس مجلس القضاء الأعلى ويعيّن أعضاء المحكمة الدستورية، ويملك حق تعليق عمل مؤسسات الدولة إذا رأى "خطراً جسيماً". أما إدارياً وعسكرياً، فهو من يعيّن الوزراء والضباط وكبار الموظفين ويقود الجيش ويعلن الحرب أو حالة الطوارئ ويُلغِيها، من دون أي قيد مؤسسي فعلي (10). وقد جرى ذلك كله تحت غطاء حصانة شبه مطلقة؛ إذ يُسأل الرئيس عن أفعاله إلا في حالة الخيانة العظمى، وبشروط شبه مستحيلة تبدأ باقتراح ثلث مجلس الشعب وتنتهي بمحاكمته أمام محكمة عيّنها هو بنفسه.

أما في ما يتعلق بالعلاقة مع البرلمان ومنح الرئيس صلاحية التشريع، فتتمثّل المفارقة في أن البرلمان بقي طوال عقود خاضعاً لإرادة الرئيس وتوجيهاته، من دون أن يُسبّب له أي عراقيل على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك، فإن حافظ الأسد وازبط على الحكم طوال ثلاثة عقود عن طريق المراسيم التشريعية التي تمنحه صلاحية التشريع،

مثله مثل البرلمان، في ظل شروط شكلية؛ إذ تكشف أرقام مجلس الشعب، في تلك الحقبة، عن أن تلك المراسيم التشريعية قارب عددها عدد القوانين التي أقرّها مجلس الشعب، فقد أصدر حافظ الأسد 1134 مرسوماً تشريعياً بين عامي 1971 و1999، في حين أقرّ البرلمان 1158 قانوناً خلال الحقبة نفسها (11).

وتجلّت ذروة الشخصنة في عملية تعديل الدستور، في عام 2000. ففي غضون ساعات من وفاة حافظ الأسد، اجتمع مجلس الشعب لتعديل المادة الخاصة بسنّ الترشيح، وحُفّضت من أربعين عاماً إلى أربعة وثلاثين عاماً، بما يتناسب تماماً مع عمر ابن بشار، حيث لم تُجرِ مداولات ولا نقاشات، بل جرى التصويت بالإجماع، وأُتبعت الخطوة بسلسلة مراسيم عسكرية وحزبية لتثبيت الابن الوريث في موقع والده (12).

ب. استمرار الجوهر على الرغم من الإصلاح الشكلي: دستور عام 2012

حاول النظام امتصاص الغضب الشعبي، بعد اندلاع الاحتجاجات في عام 2011، بإعلان دستور جديد، بدا ظاهرياً أكثر انفتاحاً؛ إذ ألغيت المادة 8 التي تكرّس قيادة حزب البعث، وتحديث النص عن "تعددية سياسية" (13)، وعن انتخاب الرئيس بالاقتراع العام المباشر مدة سبع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة (14). لكن جوهر السلطة، في حقيقة الأمر، بقي كما هو، واستمرت شخصنة الدولة والدستور واقعياً وفعلياً. فعلى صعيد علاقة الرئيس بالحكومة والبرلمان، بقي الرئيس هو من يعيّن رئيس الوزراء والوزراء ونوابهم، وهو من يرسم "السياسة العامة للدولة" ويشرف على تنفيذها (15)، من دون أن يكون لمجلس الشعب أي دور فعلي في منح الثقة أو سحبها. وحتى حين تُسحب الثقة من الحكومة، يستطيع الرئيس إعادة تشكيلها بالوجوه نفسها.

ويملك الرئيس أيضاً صلاحية حلّ البرلمان متى شاء ذلك، على أن "يذكر الأسباب" فحسب، من دون تحديد إذا ما كانت تلك الأسباب موضوعية أو سياسية (16). وبذلك، تبقى السلطة التشريعية خاضعةً لسلطة الرئيس، ولا يمكن أن تمارس رقابة حقيقية، إضافة إلى استمرار

11 كريم الأتاسي، سوريا: قوة الفكرة: المشروع الوطني والهندسات الدستورية للأنظمة السياسية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022)، ص 342.

12 ديفيد دبليو ليش، سورية: سقوط مملكة الأسد (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2014)، ص 16.

13 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 2012، المادة 8.

14 المرجع نفسه، المادتان 86، 88.

15 المرجع نفسه، المواد 97-98.

16 المرجع نفسه، المادة 111.

7 كمال الغالي، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية (دمشق: دار العروبة للطباعة، 1978)، ص 560-572.

8 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 1973، المادة 84.

9 المرجع نفسه، المادة 85.

10 المرجع نفسه، المواد 93، 114.

المثال، حدّد أنواع المحاكم واختصاصاتها (المواد 166-173)، ونص على شروط تعيين القضاة ومُدّد ولايتهم وضوابط عزلهم وأجورهم (المواد 174-177)، بما يمنع ترك هذه المسائل الحساسة للقانون العادي الذي قد يخضع للغالبية السياسية.

• كفالة استقلال المحكمة الدستورية وتنظيم الوصول إليها: تحتل المحكمة الدستورية موقعاً محورياً بوصفها الحارس الأعلى للدستور. ولضمان استقلالها، توزّع دساتير عديدة سلطة تعيين قضاها بين أكثر من جهة. ففي إسبانيا، تنص المادة 159 من الدستور على أن يُقترح أعضاء المحكمة من البرلمان بغرفتيه بغالبية معززة، إضافة إلى الحكومة والمجلس العام للسلطة القضائية، ويُشترط فيهم الكفاءة والخبرة القانونية⁽²¹⁾. وفي دستور البرتغال، نصت المادة 222 على أن تعيّن الجمعية الوطنية غالبية القضاة، ويختار القضاة المعيّنون بقية الأعضاء، ويتمتع الجميع بضمانات عدم النقل والاستقلال. أما من حيث الوصول إلى المحكمة، فقد أتاح الدستور الإسباني الطعن بعدم الدستورية لجهات سياسية محددة، وأتاح التظلم الدستوري للأفراد دفاعاً عن مصلحة مشروعة (المادة 162). وفي جنوب أفريقيا، يمكن أي شخص، بإذن المحكمة، وفي مصلحة العدالة، عرض الأمر مباشرة أمام المحكمة الدستورية، أو الطعن بحكم صادر عن محكمة أخرى (المادة 167). وبناء عليه، تُظهر التجارب المقارنة أن استقلال القضاء لا يتحقق بمجرد إعلان مبدئي، بل من خلال: حظر التدخل صراحة، وتنظيم بنية القضاء دستورياً، وتوزيع صلاحيات التعيين، وتحصين مدة الولاية، وتمكين الأفراد من الوصول إلى الرقابة الدستورية، من دون إفراط أو إغلاق.

وعودة إلى الحالة السورية، مُنح الرئيس سلطات استثنائية بلا حدود؛ إذ تفتح المواد الخاصة بحالة الطوارئ و"التدابير السريعة" مجاًلاً واسعاً لإدارة البلاد تحت حالة الاستثناء. فمصطلحات مثل "الخطر الكبير"، أو "الوحدة الوطنية"، تُركت بلا تعريف، الأمر الذي منح الرئيس سلطة تقديرية شاملة، لا تخضع لمراجعة. وحتى شرط موافقة مجلس الوزراء على إعلان الطوارئ لا يُشكّل ضماناً، لأن المجلس نفسه مكوّن من أشخاص عيّنهم الرئيس⁽²²⁾.

يخالف ذلك العديد من المعايير الدولية، فالتجارب المقارنة تؤكد أن الخطر لا يكمن في وجود نظام للطوارئ في حد ذاته، بل في غياب القيود الصارمة التي تمنع تحوّلها إلى وضع دائم. لذلك، حرصت

منح الرئيس صلاحية اقتسام سلطة البرلمان في التشريع عبر "المراسيم التشريعية" التي حافظ بشار على نهج والده في الإفراط بإصدارها، وخلال الفترة 2001-2010 تبنى مجلس الشعب 542 قانوناً، بينما أصدر الرئيس حينها 699 مرسوماً تشريعياً⁽¹⁷⁾.

واستمر القضاء تحت عباءة الرئاسة؛ فقد أعاد الدستور إنتاج الفكرة نفسها، القائلة إن الرئيس "يضمن استقلال السلطة القضائية"، ويتحكّم فيها في حقيقة الأمر من خلال أنه يرأس مجلس القضاء الأعلى⁽¹⁸⁾، ويعيّن أعضاء المحكمة الدستورية العليا، ويملك سلطة التأديب والعزل عبر القوانين التنفيذية. أما المحكمة الدستورية نفسها، فولايته قصيرة، قابلة للتجديد بمرسوم رئاسي، ولا يمكنها النظر في القوانين التي تُقرّ بالاستفتاء الشعبي. بهذا المعنى، تُفرّغ الرقابة الدستورية من مضمونها، ويبقى النظام لنفسه ممرّاً للالتفاف على أي قيد قانوني.

ومن ثم، يتّضح عجز الدستور السوري وسلبه في هذا الصدد من خلال مقارنته بما تتضمنه عادةً الدساتير لجهة كفالة استقلالية السلطة القضائية، وهو ما يكون عادةً من خلال ثلاث ركائز أساسية:

• التأكيد الصريح على استقلال القضاء وحظر التدخل في شؤونه: تنص الدساتير الحديثة على استقلالية سلطة القضاء وعدم خضوعها إلا للدستور والقانون. فقد نص دستور جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، على أن السلطة القضائية منوطة بالمحاكم، ومستقلة، ولا يجوز لأي شخص أو جهاز من أجهزة الدولة التدخل في عملها (المادة 165)⁽¹⁹⁾. وشددت دساتير عدة على أن الاستقلال المؤسسي يقتضي ألا يرأس السلطة القضائية رئيس السلطة التنفيذية، بل مجلس قضائي، يرأسه قاضٍ من أعضائه، كما هي الحال في البرتغال، على سبيل المثال، حيث يرأس مجلس القضاء الأعلى رئيس محكمة العدل العليا، ويتكوّن المجلس من أعضاء موزعين بين تعيين رئاسي وانتخاب برلماني وانتخاب من القضاة أنفسهم (المادة 218)⁽²⁰⁾.

• التنظيم الدستوري الدقيق للسلطة القضائية: لم تكن دساتير عديدة بإعلان مبدأ الاستقلال، بل نظّمت تفاصيل جوهريّة على المستوى الدستوري نفسه. فدستور جنوب أفريقيا، على سبيل

17 الأتاسي، ص 427.

18 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 2012، المواد 132-133.

19 Republic of South Africa, *The Constitution of the Republic of South Africa*, 1996, sec. 165, accessed on 4/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sZL>

20 Portuguese Republic, *Constitution of the Portuguese Republic, Seventh Revision [2005]*, accessed on 10/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2ssT>

21 Kingdom of Spain, *Spanish Constitution of 1978*, art. 159, accessed on 9/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2slq>

22 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 2012، المادة 103.

مدني فعّال. فحين تُصاغ شروط الترشّح على نحو يضيّق المنافسة السياسية ويستبعد المعارضين، كما حدث في انتخابات عامي 2014 و2021، يفقد الاقتراع وظيفته التنافسية، ويتحوّل إلى آلية لإعادة إنتاج التفويض السياسي ضمن إطار انتخابي مقيد.

وهكذا، بقي الدستور أداةً لتكريس السلطة وليس لتقييدها، وبقيت الدولة انعكاساً لشخص الرئيس، وبدلاً من أن يكون الدستور أداةً لإعادة بناء الثقة بين الدولة والمجتمع، أصبح وسيلةً لتأكيد أن الرئيس هو الدولة، وأن مؤسساتها تعمل بتفويض منه، لا بتفويض شعبي. وكانت النتيجة أن الدولة السورية، كما رسمتها الدساتير في عهد الأسد، الأب والابن، بقيت دولة الفرد الواحد، لا دولة القانون والمؤسسات.

2. عسكرة الدستور

تشير عسكرة الدستور إلى عملية إخضاع الدستور لمنطق المؤسسة العسكرية والأمنية وهيمنتها؛ إذ يتحوّل من أداةٍ لتنظيم سلطة مدنية، إلى أداةٍ لتكريس حكم العسكر وإضفاء الشرعية عليه. ويُعدّ غياب النصوص التي تُكرّس مبدأ الدولة المدنية من بين الملامح الدالة على المآزق الدستوري في سورية؛ إذ قابل هذا الغياب تصاعد مستمر في هيمنة المؤسسات العسكرية والأمنية، بوصفها الإطار الحاكم للعلاقة بين الدولة والمجتمع، بما أدى إلى تراجع المجال المدني والسياسي لمصلحة منطق الضبط الأمني والعسكرة.

والجدير بالملاحظة أن هذا الغياب لم يكن مجرد سهو لغوي أو نقص في الصياغة الدستورية، بل مثل تصميمًا واعيًا لترسيخ بنية أمنية تجعل الدستور نفسه خاضعاً للمنطق السلطوي. وفي هذا السياق، يلاحظ في الوثيقتين الأساسيتين في تاريخ حكم آل الأسد، أي دستوري 1973 و2012، أنهما لم تنصّ صراحةً على مبدأ حصر القوة في يد الدولة، ولا على إخضاع الأجهزة الأمنية والعسكرية لرقابة مدنية أو قضائية، بل اكتفتا بإحالات عامة وفضفاضة إلى "القانون"، الأمر الذي فتح مجالاً واسعاً أمام تحويل القانون إلى أداةٍ في يد السلطة التنفيذية ذاتها. وهكذا لم يكن الصمت الدستوري حياً، بل كان تفويضاً ضمناً للعسكر والأمن ليتجاوزوا حدود النص، ويصبحوا هم الضامن الحقيقي لبقاء النظام، وليس لبقاء الدستور.

أ. الأمن فوق الدستور:

من سيادة القانون إلى سيادة الأجهزة

تُظهر قراءة متأنية لبنية الدستورين أنهما امتنعا عن تحديد طبيعة الأجهزة الأمنية وآليات إنشائها، أو بيان حدود سلطاتها، وهو ما جعل وجود هذه الأجهزة واستمرارها مرتبطاً بإرادة السلطة، لا بإرادة المشرّع الدستوري. وفي ظلّ غياب مثل هذا التحديد، غُمت الأجهزة

دساتير حديثة على وضع ضوابط دقيقة تُقيّد إعلان حالة الطوارئ، موضوعياً وإجرائياً وزمناً. فينص دستور جنوب أفريقيا، في المادة 37، على أن إعلان حالة الطوارئ لا يكون إلّا بقانون، وعندما تكون الأمة مهددة بالحرب، أو الغزو أو العصيان أو الكوارث، مدةً لا تتجاوز 21 يوماً، ما لم يُمددها البرلمان بغالبية معزّزة، مع اشتراط مناقشة علنية لكل تمديد. أما دستور البرتغال، فيشترط استشارة الحكومة والحصول على إذن البرلمان قبل إعلان حالة الحصار أو الطوارئ، ويقصرها على حالات العدوان أو التهديد الخطر للنظام الدستوري، أو الكوارث العامة، ويُحددها زمنياً (المادة 19). وفي دستور كينيا، لا يسيّر إعلان حالة الطوارئ أكثر من 14 يوماً، من دون موافقة البرلمان، ويستلزم تمديدها غالبية الثلثين، مع حصر مبرراتها في الحرب أو الغزو أو العصيان أو الكوارث أو طوارئ عامة مماثلة (المادة 58)⁽²³⁾.

أما في ما يتعلق بتحصين الحقوق في أثناء الطوارئ، فيمكن الإشارة، على سبيل المثال، إلى دستور البرتغال الذي يقرّر أن إعلان حالة الحصار أو الطوارئ لا يجوز أن يمسّ الحقوق الأساسية غير القابلة للتقييد، مثل الحق في الحياة والسلامة الشخصية والهوية والمواطنة وحق الدفاع وحرية العقيدة، ولا ينبغي أيضاً أن يُغيّر طبيعة النظام الدستوري، أو يعطلّ عمل الهيئات السيادية⁽²⁴⁾. وفي جنوب أفريقيا، لا يُسمح بالانتقاص من وثيقة الحقوق إلّا بالقدر الذي تقتضيه الضرورة، وبما يتوافق مع القانون الدولي، مع حظر إعفاء الدولة أو أي شخص من المسؤولية عن الأفعال غير القانونية⁽²⁵⁾. أما في كينيا، فلا يجوز تقييد الحقوق الأساسية خلال الطوارئ إلّا بقدر صارم تفرضه الظروف، وبما ينسجم مع الالتزامات الدولية، ولا يدخل أيّ تشريع حيّز النفاذ قبل نشره رسمياً⁽²⁶⁾. وتُظهر هذه الأمثلة أن حالة الطوارئ في الأنظمة الدستورية الرشيدة تُبنى على خمسة عناصر، هي: تحديد حصري للأسباب، وإعلان رسمي خاضع لموافقة برلمانية، ومدة محددة قابلة للتمديد بشروط مشددة، وتحصين حقوق غير قابلة للتعطيل، ورقابة قضائية فعالة. وبهذه الضمانات، تبقى حالة الطوارئ أداةً استثنائيةً لحماية النظام الدستوري، لا وسيلة لتعليقه.

أما التحديد العددي لولايات الرئيس في الدستور السوري، فقد بقي خطوة بلا أثر عملي في غياب انتخابات حرة وإعلام مستقل ومجتمع

23 Republic of Kenya, *Constitution of Kenya, 2010*, art. 58, accessed on 10/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sJu>

24 Portuguese Republic, *Constitution of the Portuguese Republic, Seventh Revision [2005]*, Sec. 19.

25 Republic of South Africa, *The Constitution of the Republic of South Africa, 1996*, sec. 37, par. 4 & 5.

26 Republic of Kenya, *Constitution of Kenya, 2010*, art. 58, par. 6.

اللازمة لدسترة عمل الأجهزة الأمنية يجعلهما مسؤولين عن جرائمها وانتهاكاتها، لأن العيب الدستوري لا يتحقق بوجود نص معيب دستورياً فحسب، بل أيضاً بغياب نص دستوري جيد يصون الحقوق ويكفل الحريات. ولهذا، تُعدّ دسترة عمل الأجهزة الأمنية والعسكرية ضماناً أساسية لحماية الدولة المدنية ومنع تحويل هذه الأجهزة إلى أدوات قمع سياسي. والمبدأ الحاكم في الدساتير المقارنة هو تحديد الوظيفة الدستورية لهذه القوى على نحو صريح وربطها بحماية الدولة والحقوق، لا بخدمة السلطة؛ إذ ينص القانون الأساسي الألماني، على سبيل المثال، على أن إنشاء القوات المسلحة يكون "لأغراض الدفاع"⁽²⁹⁾، وأنه "لا يجوز استخدامها لغير مهمات الدفاع، إلا إذا أجاز القانون الأساسي ذلك صراحة"⁽³⁰⁾. أما الدستور الإسباني، فينص على أن قوات الأمن تتولّى "حماية حرية ممارسة الحقوق والحريات وضمان أمن المواطنين"، رابطاً الوظيفة الأمنية بحماية الحقوق⁽³¹⁾.

وإضافة إلى ذلك، ينبغي التأكيد على خضوع الأجهزة الأمنية لسيادة القانون. فقد أكد دستور جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، أنه يجب على أجهزة الأمن أن تعمل وفقاً للدستور والقانون، بما في ذلك القانون الدولي⁽³²⁾، وأورد مبدأً جوهرياً يقضي بأنه "لا يجوز لأي فرد من جهاز أمني أن يطبق أمراً ليس له صفة شرعية واضحة"⁽³³⁾. ونص دستور كينيا على أن الأمن القومي يتحقق في ظل الاحترام الكامل لسيادة القانون وحقوق الإنسان⁽³⁴⁾. وذهب دستور الإكوادور إلى إخضاع القوات المسلحة والشرطة للسلطة المدنية، والتأكيد على أن إطاعة الأوامر لا تُعفي من المسؤولية⁽³⁵⁾.

تكشف هذه الأمثلة عن أن دسترة القطاع الأمني تقوم على أسس مترابطة، منها تحديد صريح لوظيفة الجيش والشرطة، وإخضاع الأجهزة الأمنية لسيادة الدستور والقانون من دون حصانات، وكذلك عدم جواز التدّرع بالأوامر غير المشروعة. وبهذه الضوابط، يتحوّل القطاع الأمني إلى مؤسسة دستورية منضبطة بالقانون ومكرّسة لحماية المجتمع، ولا يكون أداة في يد السلط. وهو ما جرى تغييبه وتجاهله في الدساتير السورية، موضوع هذه الدراسة.

الأمنية في سورية منذ السبعينيات في شكل "سلطات موازية"، تتجاوز المؤسسات التقليدية الثلاث، وتعمل بمرجعية أمنية، لا دستورية.

وقد تركز هذا الوضع في ظلّ قوانين استثنائية، منحت عناصر الأمن حصانةً شبه مطلقة من المساءلة على الجرائم التي ارتكبوها في أثناء ممارستهم وظائفهم، أو بسببها، من تعذيب للمواطنين وحجز حريتهم وإزهاق أرواحهم وحرمانهم من حق الحياة، وذلك استناداً إلى نصوص قانونية عدة وردت في قانون إحداث إدارة أمن الدولة وقانون التنظيمات الداخلية لإدارة أمن الدولة، وقواعد خدمة العاملين فيها. فموجب قانون إدارة أمن الدولة، جرى النص على نحو صريح على أنه "لا يجوز ملاحقة أي من العاملين في الإدارة عن الجرائم التي يرتكبوها أثناء تنفيذ المهمات المحددة الموكلة إليهم، أو في معرض قيامهم بها إلا بموجب أمر ملاحقة يصدر عن المدير"⁽²⁷⁾. وجرى تأكيد هذه الحصانة أيضاً في قانون التنظيمات الداخلية لإدارة أمن الدولة، وقواعد خدمة العاملين فيها، التي ورد فيها أنه "لا يجوز ملاحقة أي من العاملين في إدارة أمن الدولة أو المنتدبين أو المعارين إليها أو المتعاقدين معها مباشرة أمام القضاء، في الجرائم الناشئة عن الوظيفة، أو في معرض قيامه بها قبل إحالته على مجلس التأديب في الإدارة واستصدار أمر ملاحقة من قبل المدير"⁽²⁸⁾. وبذلك فقد منح هذان القانونان امتيازات لرجال الأمن، قوّضت مبدأ المساواة أمام القانون، وسلبت المواطنين حقهم في اللجوء إلى القضاء لوقف الاعتداء عليهم، ومعاقبة المعتدي، إذا كان المتهم من رجال الأمن.

وقد أدت النصوص السابقة إلى تجاوزات وجرائم وانتهاكات ترقى إلى مرتبة الجرائم ضد الإنسانية وفقاً لما كشفت عنه تقارير دولية عديدة وشهادات ناجين من تلك المعتقلات. وبذلك، غدت أجهزة الأمن دولةً داخل الدولة، تمتلك أدوات العنف، وتحتكر تفسير النصوص، وتتحكّم في مصائر المواطنين، من دون أي رادع قانوني أو رقابي. ومع تراكم هذه الصلاحيات عبر عقود من الزمن، نشأت الدولة الأمنية السورية بوصفها نموذجاً فريداً في المنطقة: دولة تُدار بواسطة الأجهزة، لا من خلال المؤسسات.

وعلى الرغم من أن بعض تلك القوانين كان يعود إلى ما قبل دستور عام 1973، فإن تجاهل دستوري عامي 1973 و2012 وضع الضمانات

29 Basic Law for the Federal Republic of Germany (as Amended up to Act of December 23, 2014 [1949]), sec. 87/a, par. 1, accessed on 12/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2shs>

30 Ibid., sec. 87/a, par. 2.

31 Kingdom of Spain, Spanish Constitution of 1978, sec. 104, par. 1.

32 Republic of South Africa, *The Constitution of the Republic of South Africa*, 1996, sec. 199, par. 5.

33 Ibid., par. 6.

34 Republic of Kenya, *Constitution of Kenya*, 2010, art. 328, par. 2 (a).

35 Republic of Ecuador, *Ecuador's Constitution of 2008 with Amendments through 2021*, accessed on 11/5/2026, at: <https://acr.ps/hBy2t05>

27 المادة 16 من قانون إحداث إدارة أمن الدولة، الصادر بالمرسوم التشريعي رقم 14، بتاريخ 25 كانون الثاني/يناير 1969. للمزيد، ينظر: "قانون إحداث إدارة أمن الدولة وقانون التنظيمات الداخلية لإدارة أمن الدولة"، اللجنة السورية لحقوق الإنسان، 2004/2/6، شوهده في 2026/3/6، في: <https://acr.ps/hBy2t4V>

28 المادة 74 من قانون التنظيمات الداخلية لإدارة أمن الدولة وقواعد خدمة العاملين فيها، الصادر بالمرسوم التشريعي رقم 549، في 25 أيار/مايو 1969. للمزيد ينظر: "قانون إحداث إدارة أمن الدولة وقانون التنظيمات الداخلية لإدارة أمن الدولة".

ب. عسكرة السلطة في دستور 1973: الجيش العقائدي بوصفه ذراعاً للحزب

دمج دستور عام 1973 بين مفهومَي السلطة والحزب والدولة في معادلةٍ واحدة، انعكست بوضوح في نصّ المادة 8 الشهيرة التي نصّت على أنّ "حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة"، ثم حدّدت وظيفة الجيش في تحقيق أهداف الحزب، حيث نصّت على أن "القوات المسلحة ومنظمات الدفاع الأخرى مسؤولة عن سلامة أرض الوطن وحماية أهداف الثورة في الوحدة والحرية والاشتراكية"⁽³⁶⁾، علماً أن تلك الأهداف هي نفسها شعارات الحزب الحاكم. وانتشر حينها مصطلح "الجيش العقائدي"⁽³⁷⁾؛ إذ بمقتضاه يجب على الجيش بأسره أن يعتنق عقيدة الحزب الحاكم. وقد أرسّت هذه الصيغة الأساس الدستوري الذي سوّغ أن تكون لحزب البعث الغلبة والسيطرة الكاملة في سلك الضباط، حيث كان الولاء للحزب أولاً، ثم للرئيس، بعد شخصنة النظام في عهد حافظ الأسد، الأساس الذي استندت إليه سياسة التجنيد والتدريب والترقية وتخصيص الامتيازات للضباط البعثيين⁽³⁸⁾. وهي السياسات التي انتهت بتدمير الدولة على النحو الذي حصل لاحقاً. وبذلك، أُلغيت المسافة الفاصلة بين المؤسسة العسكرية والعقيدة الحزبية، وتحوّلت العقيدة العسكرية إلى عقيدة أيديولوجية تابعة للحزب القائد.

ولم يكن هذا الدمج الدستوري مجرد تنظيمٍ شكلي للعلاقة بين الحزب والجيش، بل مثل، في جوهره، تأطيراً دستورياً لعسكرة السياسة. فبدلاً من أن يكون الجيش مؤسسةً وطنية محايدة، صار حارساً للأيديولوجيا الحاكمة. ومن خلال هذا الدور، وُظف الجيش أداة لإخضاع المجتمع، لا لحمايته، ولحراسة النظام، لا للدفاع عن الدستور. وبات "الجيش العقائدي" يُلخّص هذه الفلسفة: فالعقيدة الحزبية أصبحت محدّداً لهوية الجيش، والولاء للرئيس هو الامتحان النهائي للانتماء الوطني.

ج. استمرار العسكرة المقلّعة في دستور عام 2012

تكشف القراءة المتأنية لنصوص دستور عام 2012 أنّ الجوهر السلطوي بقي على حاله، وإن تغيّرت بعض العبارات. صحيح أن المادة 8 القديمة أُلغيت، لكنّ الدستور الجديد لم ينظّم العلاقات المدنية - العسكرية بوضوح؛ إذ لم يتضمّن نصّاً يحظر تدخّل المؤسسة العسكرية والأجهزة الأمنية في المجال السياسي، ولم يُحدّد آليات

خضوعها للرقابة المدنية، بل عزّزت المواد المتعلقة بصلاحيات الرئيس واقع التداخل بين السلطة السياسية والسلطة العسكرية. فالرئيس هو القائد العام للجيش والقوات المسلحة، وهو من يُعلن الحرب والتعبئة العامة، ويعقد الصلح، وله أن يعلن حالة الطوارئ ويُلغياها بمرسومٍ يصدر في مجلس الوزراء الذي يرأسه بنفسه.

لم تكن تلك الصياغة الجديدة إصلاحاً دستورياً، بل إعادة ترتيبٍ للسلطة في شكلٍ مغاير، حيث تُحافظ على مركزية القرار العسكري والأمني في يد الرئيس، مع غياب أي ضوابط دستورية فعّالة. فمجلس الشعب الذي يُفترض أن يمارس الرقابة بقي عاجزاً عن مساءلة الأجهزة الأمنية أو رئيس الجمهورية، والمحكمة الدستورية العليا بقيت مؤسسة صورية تُعيّن قيادتها بمرسومٍ رئاسي، من دون استقلالٍ فعلي. وهكذا استمرّت عسكرة الدولة في ظلّ دستورٍ يرفع شعارات المدنية، من دون أن يضع آلياتٍ لضمانها.

ويؤكد خلو دستور عام 2012 من نص صريح حصر سلطة الدولة في إنشاء الأجهزة الأمنية، واحتكارها استخدام القوة وتنظيم حيازة السلاح، ما ساهم في تضخم عدد الأجهزة والتشكيلات الأمنية والعسكرية الرسمية وشبه الرسمية، إضافة إلى نشوء تشكيلات ذات طابع شخصي أو ولائي خارج الأطر المؤسسية الواضحة، لجأ بعض الأفراد إلى تأسيسها خلال سنوات الحرب السورية. فإضافةً إلى الأجهزة الأمنية الرسمية الأربعة (المخابرات العسكرية والمخابرات الجوية والمخابرات العامة والأمن السياسي)، أنشئ كذلك، من دون تغطية دستورية في سنوات الحرب، ما بات يُعرف بالقوات الرديفة، وهي ميليشيات محلية تعتمد في تشكيلها على المدنيين المتطوعين والجنود المتقاعدين، تُنظّم تحت مسمى "قوات الدفاع الوطني"، قبل أن تتطوّر الأمور لاحقاً إلى فوضى في إنشاء تلك القوات الأمنية والعسكرية، فأنشئت "صقور الصحراء" الخاضعة للحرس الثوري الإيراني، و"لواء العرين" القريب من حزب الله اللبناني، و"نسر الزوبعة" التابع للحزب القومي السوري الاجتماعي، و"لواء الرضا" وقوات "مقاتلي العشائر" و"لواء الباقر" وقوات "أحمد درويش" وقوات "القاطرجي" وقوات "حمشو" وهي تابعة كلها لأفراد، وتعمل على نحو فردي مباشر، أو تحت ستار شركات أمنية خاصة⁽³⁹⁾.

لا تبيّن مقارنة التجارب الدستورية العالمية وجود نص دستوري يخالف النص على احتكار الدولة لسلطة إنشاء القوات العسكرية والأمنية، وهو النص الذي يُعدّ ضماناً أساسية لمنع فوضى تعدّد

36 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 1973، المادة 11.

37 عزمي بشارة، الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 117-122.

38 الأتاسي، ص 414.

39 رشيد حوراني، "القوات الرديفة للنظام السوري: التوسيف والتغيرات والمصير"، تقرير تحليلي، مركز جسور للدراسات - إسطنبول (آب/ أغسطس 2023)، ص 5 وما بعدها، شوهده في 2026/3/6، في: <https://acr.ps/hBxMwen>

يهدف اجتثاث خصوم النظام من جذورهم، أو إرغامهم على الصمت والانكفاء في جو من الخوف والهلع⁽⁴⁴⁾. وضمن البيئة القانونية السورية المغلقة، كان القضاء الاستثنائي إحدى أخطر الأدوات التي رسّخت عسكرة الدولة على مدى أكثر من نصف قرن، وشهدت توسّعاً في إنشاء العديد من المحاكم الاستثنائية، مثل محاكم الأمن القومي⁽⁴⁵⁾ والمحاكم العسكرية الاستثنائية ومحاكم أمن الدولة العليا⁽⁴⁶⁾، من دون أن تغفل بطبيعة الحال محكمة الميدان العسكرية⁽⁴⁷⁾، وكلّها مارست القضاء بحسب مفاهيم الذين أنشؤوها⁽⁴⁸⁾.

وقد أهدرت مواثيق إنشاء تلك المحاكم ضمانات المحاكمة العادلة الموضوعية والإجرائية كلها، فنصّت على سبيل المثال، في خصوص محاكم الأمن القومي، على أنه "لا يجوز الاعتراض على الأحكام الغيابية، ولا الطعن بأيّ وجه من الوجوه في الأحكام الصادرة عن محاكم الأمن القومي"⁽⁴⁹⁾. وفي خصوص محاكم أمن الدولة العليا، جرى النص على أنه "مع الاحتفاظ بحق الدفاع المنصوص عليه في القوانين النافذة، لا تتقيّد محاكم أمن الدولة بالإجراءات الأصولية المنصوص عليها في التشريعات النافذة، وذلك في جميع أدوار وإجراءات الملاحقة والتحقيق والمحاكمة"⁽⁵⁰⁾. وهذا يعني صراحة أن قانون أصول الإجراءات الجنائية غير موجود، وأن النص على حقوق الدفاع ليس أكثر من كلمات لا مدلول لها. فلا تتقيّد المحاكم العسكرية الاستثنائية بالأصول المنصوص عليها في التشريعات النافذة في أدوار الملاحقة والتحقيق والمحاكمة وإجراءاتها كلها. وترتّب على هذا الإهدار لضمانات العدالة كلها، إصدار العديد من أحكام الإعدام غير القانونية تحت ذلك الستار القانوني⁽⁵¹⁾. وقد أسّس هذا القضاء الاستثنائي للتجاوزات كلها التي كُشفت لاحقاً في سورية بعد سقوط نظام الأسد في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024؛ والتي بات سجن

الأجهزة النظامية أو شبه النظامية، وظهور تشكيلات مسلحة موازية خارج الإطار الدستوري. وقد اعتمدت الدساتير المقارنة أسلوبين رئيسين: فإما أن تنص، كقاعدة عامة، على احتكار الدولة وحدها هذه المهمة، وإما أن تحدد بدقة الأجهزة الأمنية والعسكرية القائمة، وتحظر إنشاء أيّ جهاز آخر خارج هذا التحديد. ومن الدول التي تبنت أسلوب النص العام على مبدأ احتكار الدولة هذه المهمة، نشير، على سبيل المثال، إلى دستور كينيا الذي حظر ذلك على الأفراد، فنص صراحةً على أنه "لا يؤسس الأشخاص منظمات عسكرية أو شبه مسلحة أو أيّ منظمات شبيهة لتعزيز وضمان الأمن القومي باستثناء ما ينص عليه هذا الدستور أو قانون برلماني"⁽⁴⁰⁾. وكذلك دستور غانا الذي أشار إلى أنه "لا يمكن أن ينشئ أيّ شخص قوة مسلحة من دون قانون يقرّه البرلمان"⁽⁴¹⁾.

وفي مقابل ذلك، تبنت دول أخرى أسلوب تعداد الأجهزة القائمة ونفي شرعية أيّ أجهزة أخرى غيرها. فبيّن دستور جنوب أفريقيا أن أجهزة أمن الجمهورية تتكوّن من قوة دفاع واحدة، وجهاز واحد للشرطة، وأيّ أجهزة استخبارية تؤسس وفقاً للدستور، موضعاً في الوقت نفسه أن قوة الدفاع، أي الجيش، هي القوة المسلحة الشرعية الوحيدة في الجمهورية. ولا يجوز إنشاء تنظيمات أو أجهزة مسلحة، بخلاف الأجهزة الأمنية المنشأة وفقاً للدستور، بموجب التشريعات الوطنية⁽⁴²⁾. وإضافة إلى ذلك، بيّن دستور البرازيل أن "ممارسة الأمن العام، وهي واجب الدولة وحق الجميع ومسؤوليته، تجري من أجل المحافظة على النظام والأمن العامين للأشخاص والممتلكات، وذلك بواسطة الأجهزة الآتية: الشرطة الاتحادية وشرطة الطرق العامة الاتحادية وشرطة السكك الحديدية الاتحادية والشرطة المدنية وأفواج الإطفاء العسكرية والشرطة العسكرية"⁽⁴³⁾.

د. القضاء الاستثنائي وتطبيع الاستثناء الدائم

يُعَدّ القضاء الجزائي الاستثنائي إحدى أبرز الأدوات التي تستخدمها الأنظمة العسكرية لترسيخ حكمها وتعزيز هيمنتها وفرض استبدادها، مستخدمةً في ذلك قبضة قمعية مخفيةً بستار من العدالة المزعومة والمُفترضة تحت مسمى "محاكم جزائية خاصة أو استثنائية"، وذلك من أجل إنشاء هيئات "بشبه عدالة تركز على العنف والتحكّم"،

44 عبد الوهاب حومد، "المحاكم الجزائية الاستثنائية"، مجلة الحقوق (جامعة الكويت)، مج 3، العدد 1 (1979)، ص 114.

45 الجمهورية العربية السورية، قانون محاكم الأمن القومي، المرسوم التشريعي رقم 21، 1963/4/24؛ للمزيد، ينظر: "محكمة أمن الدولة العليا"، الموسوعة القانونية المتخصصة، شوهدي في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2sy3>.

46 "المرسوم التشريعي رقم 47 تاريخ 1968/3/28: قانون إحداث محكمة أمن دولة عليا وتحديد اختصاصاتها"، اللجنة السورية لحقوق الإنسان، 2004/2/6، شوهدي في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2sOE>.

47 ينظر: "المحاكمات الصورية"، اللجنة السورية لحقوق الإنسان، 2004/1/26، شوهدي في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2t5f>.

48 حومد، ص 123.

49 ينظر: المادة 128 المعدلة، في: "المرسوم التشريعي رقم 47 تاريخ 1968/3/28؛ للمزيد ينظر: المادة 12 من المرسوم التشريعي رقم 21، الصادر في 24 نيسان/ أبريل 1963.

50 ينظر: المادة 7 في: "المرسوم التشريعي رقم 47 تاريخ 1968/3/28".

51 حومد، ص 123.

40 Republic of Kenya, *Constitution of Kenya*, 2010, art. 239, par. 4.

41 Republic of Ghana, *Constitution of the Republic of Ghana*, 1992 (rev. 1996), sec. 210, par. 2, accessed on 11/5/2026, at: <https://acr.ps/hBy2scC>.

42 The Constitution of the Republic of South Africa, 1996, sec. 199.

43 Federative Republic of Brazil, *Constitution of the Federative Republic of Brazil*, 1988 (rev. 2017), sec. 144, accessed on 11/5/2026, at: <https://acr.ps/hBy2std>.

كافة تلك الإجراءات لرقابة القضاء أو البرلمان أو لكليهما معاً⁽⁵⁵⁾. وفي السياق السوري، تُعدّ حالة الطوارئ أحد أبرز تجليات عسكرة الدولة وتغليب المقاربة الأمنية على البنية الدستورية والمؤسسية. فقد منح دستور عام 1973 رئيس الجمهورية، بموجب المادة 101 منه، سلطة إعلان حالة الطوارئ وإلغائها "على الوجه المبين في القانون"، وهي صياغة اتّسمت بقدر كبير من العمومية والغموض. فلم تحدد شروط الإعلان عنها، ولا مدّتها، ولا الآليات الرقابية النازمة لها. واستناداً إلى هذه المادة، فُرضت حالة الطوارئ في الفترة 1963-2011، ما يقارب ثمانية وأربعين عاماً، الأمر الذي حوّل الاستثناء القانوني إلى قاعدة حكم دائمة. وبهذا المعنى، لم تُعدّ حالة الطوارئ إجراءً مؤقتاً لمواجهة ظرف استثنائي، بل غدت الإطار الفعلي الناظم للعلاقة بين الدولة والمجتمع، في حين تراجع الدستور إلى وظيفة شكلية، تفتقر إلى القدرة الحقيقية على تقييد السلطة التنفيذية.

أما دستور عام 2012، فقد أعاد تنظيم مسألة إعلان حالة الطوارئ بصياغة مختلفة، من دون إحداث تحوّل جوهري في طبيعة العلاقة بين السلطة والقانون؛ إذ نصّت المادة 103 على أن حالة الطوارئ تُعلن بمرسومٍ في مجلس الوزراء المنعقد برئاسة الرئيس، على أن يُعرض لاحقاً على البرلمان "مجلس الشعب". لكن لم يُحدّد النص الدستوري بوضوح إذا ما كان للبرلمان سلطة فعلية في رفض القرار، أو الحدّ من مدّته أو مراقبة آثاره، ولم يُبيّن القيود الدستورية المفروضة على ممارسة السلطة خلال فترة الطوارئ. وهكذا، استمرت العلاقة الملتبسة بين الشرعية القانونية والسلطة الأمنية؛ إذ تحوّل القانون إلى أداة لإضفاء المشروعية على توسيع صلاحيات الدولة وأجهزتها الأمنية، بدلاً من أن يكون إطاراً لتقييدها وضمان خضوعها للمساءلة الدستورية.

ويُظهر تحليل المادتين 101 من دستور عام 1973، و103 من دستور عام 2012، أنّ المشكلة لا تكمن في النصوص الدستورية فحسب، بل في المنهج الذي حكم صياغتها. فقد استخدمت الإحالات العامة إلى القانون بوصفها آليةً تمنح السلطة التنفيذية هامشاً واسعاً لإعادة تعريف القواعد والإجراءات وفقاً لمقتضياتها السياسية والأمنية، في غياب الضمانات الدستورية الواضحة التي تُحدّد شروط استخدام هذه الصلاحيات أو تفرض رقابةً فعالةً عليها. وبهذا المعنى، لم يكن الدستور إطاراً لتقييد السلطة، بقدر ما أصبح أداةً مرنة تسمح بتوسيع نطاقها الاستثنائي على نحو مستمر.

ومن ثم، نشأ ما يمكن وصفه بعسكرة الدستور، أي تحويل الدستور إلى نصٍّ مفتوحٍ يُشرعن تغوّل العسكر في الحياة السياسية والعامة،

صيدانيا، أحد أكثر السجون العسكرية السورية تحصيناً، بفضائعاتها، كلها رمزاً لها لجهة إجراء محاكمات بلا ضمانات، وسجناء بلا حقوق، وتعذيب بلا حدود، وجثث بلا معالم، وضحايا بلا قبور.

وفي الاتجاه نفسه، خلا دستور عام 2012 من أيّ حظر لإقامة المحاكم الاستثنائية، مكتفياً بنصّ عام يُحيل فيه إنشاء المحاكم إجمالاً إلى نصوص القانون؛ فنصّ على أنه "يُنظم القانون الجهاز القضائي بجميع فئاته وأنواعه ودرجاته، ويبيّن قواعد الاختصاص لدى مختلف المحاكم"⁽⁵²⁾. وهنا مكنم الخطورة في الإحالة إلى القوانين من دون وجود أيّ قيد أو رقابة دستورية على مضمون تلك القوانين، خصوصاً في ظل التعطيل الفعلي لأحكام المحكمة الدستورية بقيود وإجراءات عديدة، إضافة إلى هيمنة السلطة التنفيذية عليها من خلال سلطة تعيين قضااتها⁽⁵³⁾. وفي ظل هذه "الإباحة"، وفي سنة إصدار دستور البلاد الجديد نفسها، صدر قانون مكافحة الإرهاب رقم 19 لعام 2012، وأنشئت محكمة استثنائية للنظر في جرائم الإرهاب (القانون رقم 22 لعام 2012) التي يشمل اختصاصها جميع الأشخاص من مدنيين وعسكريين، ولا تخضع الأحكام الغيابية الصادرة عنها لإعادة المحاكمة في حال إلقاء القبض على المحكوم عليه إلا إذا كان قد سلّم نفسه طواعيةً، إضافة إلى عدم تقييدها بالأصول المنصوص عليها في التشريعات النافذة، وذلك في أدوار الملاحقة والمحاكمة وإجراء اتهاماتها كلها. وهو ما جعلها عرضةً للعديد من الانتقادات، لاعتبارها غير مستقلة وفضفاضة الاختصاص، ولا تضمن للمتهم المائل أمامها أيّاً من الضمانات القانونية للمحاكمات العادلة التي التزمت بها سورية دولياً⁽⁵⁴⁾. وبذلك، اندمجت السلطة القضائية في بنية للنظام العسكرية. وفقد المواطن أيّ أملٍ في حماية دستورية حقيقية، حيث بات الأمن فوق العدالة، والاستثناء قاعدة الحكم.

هـ. حالة الطوارئ أو حالة الاستثناء الدائمة

تُعرف حالة الطوارئ، قانونياً، بأنّها "نظام قانوني يجد مصدره في الدستور أو التشريع يمنح السلطة التنفيذية في الظروف الاستثنائية صلاحيات واسعة تجاوز المسموح به في الظروف العادية لمواجهة تلك الظروف، بهدف الحفاظ على الأمن والنظام العام، مع إخضاع

52 الجمهورية العربية السورية، دستور الجمهورية العربية السورية لعام 2012، المادة 135.

53 للمزيد ينظر: إبراهيم دراجي، المحكمة الدستورية في الدساتير السورية: قراءة قانونية تاريخية مقارنة (لندن: كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، 2020)، شوهدي في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2sCl>

54 ينظر: "محكمة الإرهاب في سوريا: أداة تنفيذ جرائم حرب. تقرير صادر عن مركز توثيق الانتهاكات في سوريا في نيسان/ أبريل 2015"، المركز السوري للعدالة والمساءلة، 2015/7/13، شوهدي في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2sSW>

55 عاصم رمضان مرسي، التنظيم القانوني لحالة الطوارئ وأثره في الحقوق والحريات العامة (القاهرة: دار النهضة العربية، 2015)، ص 9.

تحت مظلة "الحزب القائد". ولم تُمثل الجبهة صيغة فعلية للتعددية السياسية، بل كانت واجهةً تنظيمية، الهدف منها إظهار تنوع سياسي شكلي ضمن بنية نظام الحزب الواحد.

وقد انعكست هذه الهيمنة الحزبية في مستويات عدة: 1. إلغاء التعددية السياسية؛ إذ انتفت فكرة المنافسة السياسية والتداول السلمي للسلطة، وسُمح للأحزاب الأخرى بالوجود بشرط الولاء للبعث والاعتراف بقيادته للدولة والمجتمع. 2. شرعنة "التميز السياسي"؛ إذ أصبح الانتماء إلى الحزب شرطاً ضمناً للترقي في الدولة، بينما حُرّم المستقلون أو المعارضون من فرص التوظيف والتمثيل السياسي. 3. تكريس الشرعية الثورية بدلاً من الشرعية الدستورية؛ إذ تأسست شرعية النظام على "ثورة الثامن من آذار" بوصفها مرجعية سياسية للحكم، لا على عقد دستوري قائم على الإرادة الشعبية. وبهذا أصبح الحزب الذي قاد الثورة يحتكر حق القيادة والحكم بوصفه مصدر الشرعية السياسية للدولة. 4. قلب العلاقة بين الدولة والحزب، فبدلاً من أن يكون الحزب جزءاً من النظام السياسي في خدمة الدولة، أصبحت مؤسسات الدولة تعمل ضمن إطار المشروع الحزبي. وقد خضعت مؤسسات الجيش والنقابات والاتحادات المهنية والمنظمات الشبابية لإشراف القيادات الحزبية، ما أدى إلى تهاهي الولاء الوطني مع الحزبي⁽⁵⁶⁾.

وقد أدّت هيمنة البعث إلى تحويل مؤسسات الدولة والتنظيمات الجماهيرية إلى أدوات تابعة للسلطة الحزبية، ما أفرغها من دورها الوطني والمجتمعي. فقد أصبحت البيروقراطية والتعليم والإعلام وسائل للتعنتبة الأيديولوجية وتعزيز الولاء الحزبي، بدلاً من أداء وظائفها العامة. وكُرست المادة 49 من الدستور خضوع التنظيمات الجماهيرية للدولة والحزب، فأنشئت شبكات تنظيمية للطلبة والشباب والعمال والفلاحين والمهنيين تحت إشراف حزب البعث، ما أدى إلى احتكار العمل النقابي والجماهيري وتهميش أيّ تنظيمات مستقلة لا تنسجم مع توجهات النظام⁽⁵⁷⁾.

ب. دستور عام 2012:

تحزيب مستتر تحت شعارات التعددية

صدر دستور عام 2012، في خضمّ الثورة السورية، وبدا في ظاهره أنه يقطع مع إرث الحزب القائد. فقد ألغيت المادة 8 القديمة، واستُبدلت بنصّ يتحدث عن "نظام سياسي يقوم على التعددية

من دون أن يصرّح بذلك. وقد أنتجت هذه البنية، عبر عقود، نظام الدولة الأمنية، حيث تنماهى أجهزة الاستخبارات مع مؤسسات الدولة، ويتحوّل المواطن من طرفٍ في عقد اجتماعي، إلى موضوعٍ للمراقبة والسيطرة. فالدستور، الذي يُفترض أن يكون وثيقة الحرية، أصبح غطاءً قانونياً للسيطرة الأمنية، وأداةً لإعادة إنتاج السلطة الأمنية نفسها.

3. تحزيب الدستور

قدّمت التجربة السورية في ظل نظام حزب البعث نموذجاً مغايراً لوظيفة الدستور في الدولة الوطنية الحديثة؛ إذ تحوّل النص الدستوري من اعتباره عقداً جامعاً بين المواطنين، إلى إطارٍ أيديولوجي للحزب الحاكم، وغداً وسيلةً لاحتكار المجال العام، بدلاً من أن يكون آليةً لتنظيمه. وهذا ما يمكن تسميته بـ "تحزيب الدستور"، أي إخضاع النصّ الأعلى في الدولة لمنطق الحزب الواحد وإرادته، سواء عبر النصوص الصريحة، كما في دستور عام 1973، أو عبر الممارسة والهيمنة المؤسساتية، كما في دستور عام 2012.

أ. دستور 1973 بوصفه وثيقة حزبية

لدستور عام 1973، منذ ديباجته، طابع أيديولوجي واضح مستمدّ من أدبيات حزب البعث، أكثر من تعبيره عن هوية وطنية سورية جامعة. فقد جاءت المقدمة أقرب إلى بيان حزبي منها إلى مقدمة دستور، حيث ركّزت على مفاهيم، مثل "الأمة العربية الواحدة"، و"الثورة المستمرة"، و"الاشتراكية العلمية"، بوصفها أهدافاً للدولة. وبهذا، لم تُقدّم الجمهورية السورية بوصفها كياناً سياسياً مستقلاً، بل أداة لتحقيق مشروعٍ قوميٍّ أوسع، ما أدى إلى دمج الدستور في الحزب بوصفه مرجعيةً أيديولوجية تحتكر تمثيل الإرادة الوطنية. ولم يقتصر هذا التحزيب على البعد الرمزي اللغوي، بل تجسّد في صورة قانونية في المادة 8 التي نصت على أن "حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة، ويقود جبهة وطنية تقدمية تعمل على توحيد طاقات الجماهير".

منحت هذه المادة الجبهة الوطنية التقدمية، وهي تحالف سياسي أنشأه حافظ الأسد في عام 1972، بقيادة حزب البعث، يضم عدداً من الأحزاب المرخّصة التي عملت ضمن إطار يكرّس قيادة البعث للدولة والمجتمع، مكانةً دستورية، وجعلت الحزب فوق الدولة والقانون. فبدلاً من أن تكون الأحزاب أداةً للتعبير السياسي، أصبح حزب البعث المرجع الذي تُشتق منه شرعية المؤسسات كلها. وفي هذا السياق، لم يُعد البرلمان، أي "مجلس الشعب"، مؤسسة قائمة على التمثيل الحر والتعددي، بل تحوّل إلى إطار لتمثيل القوى المنضوية

56 الأتاسي، ص 333.

57 ينظر: "لا مجال للتنفس: القمع الحكومي للنشاط في مجال حقوق الإنسان في سوريا"، هيومن رايتس ووتش، 2007/10/16، شوهد في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2t9x>

الفعالية. فبدلاً من النص الصريح على أن "حزب البعث هو الحزب القائد"، أصبحت بنية السلطة وآليات عملها هي التي تتركس هذه الهيمنة على نحو غير مباشر. ومن ثم، اقتصر التغيير على الجانب الشكلي القانوني، في حين بقي جوهر السلطة وآليات التحكم السياسي على حاله، وهو ما ظهر في طريقة تشكيل الحكومات واختيار المرشحين وإدارة الحياة السياسية في البرلمان وخارجه.

تكشف المقارنة بين دستوري عامي 1973 و2012 عن أن تحزيب الدستور في سورية مرّ بمرحلتين: الأولى هي مرحلة التحزيب الأيديولوجي المباشر، بموجب دستور عام 1973، حيث كان الحزب جزءاً من النص، يفرض عقيدته على الدولة. والثانية هي مرحلة التحزيب المؤسسي المقنّع، بمقتضى دستور عام 2012، حيث لم يعد الحزب مذكوراً في النص، لكنه بقي حاكماً في البنية والولاءات والممارسات.

في الحالتين، أفرغت الفكرة الدستورية من مضمونها الوطني، وأصبح الانتماء السياسي معياراً ضمناً للشرعية والمواطنة. وبذلك، لم يكن تحزيب الدستور مجرد خيار سياسي، بل آلية لترسيخ منظومة السيطرة وإعادة إنتاجها؛ إذ استمرت الدولة البعثية، حتى بعد حذف النصوص الصريحة، بوصفها حزباً يتخذ شكل الدولة. وقد أدّت شخصنة الدستور وعسكرته وتحزيبه إلى تحويل الدساتير السورية إلى وثائق شكلية، تتضمن مبادئ عامة، مثل الفصل بين السلطات وسيادة القانون وحقوق الإنسان، من دون توفير الآليات الكفيلة بضمان تطبيقها. ففي دستوري عامي 1973 و2012، بقي الفصل بين السلطات محدوداً شكلياً، في حين تركّزت الصلاحيات الفعلية في يد رئيس الجمهورية، وأخضعت الحقوق والحريات لقيود قانونية واسعة، مع غياب رقابة قضائية مستقلة وفعّالة. وهكذا، تحول الدستور إلى إطار رمزي يمنح النظام مظهرًا قانونيًا، في حين أُديرَت الدولة فعلياً بمنطق الأمن والطوارئ، ما أدى إلى تكريس دولة أمنية ذات طابع دستوري شكلي ومضمون سلطوي.

ثانياً: الفرص الدستورية الضائعة وسقوط النظام

وقفت خلف سقوط نظام الأسد عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية متعددة، تمثل أبرزها في الفشل المستمر في استثمار الفرص الدستورية لإعادة بناء الشرعية ومنع تفكك الدولة. فقد أضاع النظام فرصة دستور عام 2012، الذي صدر في لحظة مفصلية، لكنه بقي محدوداً من حيث الإصلاح والمشاركة السياسية، وخاضعاً لمنطق الحفاظ على بنية السلطة القائمة. وتكرّر الأمر نفسه في مسار اللجنة الدستورية،

السياسية والحزبية". وبذلك، باتت إقامة نظام سياسي متعدد الأحزاب يضمن مشاركة السوريين في الحياة السياسية للبلاد معتمدةً على نص هذه المادة⁽⁵⁸⁾. لكنّ التحوّل كان خطابياً أكثر منه فعلياً؛ إذ لم يؤدّ إلى تفكيك البنية الحزبية التي سيطرت على الدولة منذ عقود، بل استمر تحزيب الدستور بطريقة مختلفة، عبر الهيمنة المؤسسية، بدلاً من النصوص الصريحة. وعلى الرغم من تبني خطاب التعددية بعد دستور عام 2012، فإن مؤسسات الإدارة والجيش والنقابات والإعلام والمجال المدني بقيت خاضعةً لهيمنة حزب البعث. ولم تتمكن الأحزاب التي أسست بموجب قانون الأحزاب الجديد من منافسة الحزب الحاكم، أو الوصول الفعلي إلى المجال العمومي، في ظل استمرار القوانين الانتخابية والبنى التنظيمية السابقة التي ضمنت بقاء السيطرة البعثية على المؤسسات التشريعية والتنفيذية.

وتؤكد انتخابات عام 2012، التشريعية والمحلية، استمرار هذا الواقع؛ إذ لم تُحدث التعديلات الدستورية والقانونية أثراً جوهرياً في العملية السياسية. فقد استمر العمل بتقسيم الدوائر الانتخابية القائم، وبنظام الحصص المخصصة لـ "العمال والفلاحين"، وواصل حزب البعث القيام بالدور الأساسي في تشكيل القوائم الانتخابية، على الرغم من إلغاء النص الدستوري الذي يكرّسه بوصفه حزباً قائداً للدولة والمجتمع⁽⁵⁹⁾. وعلى الرغم من اعتماد قانون الانتخابات مبدأ الاقتراع والترشّح الفردي، فإن حزب البعث واصل إصدار قوائم انتخابية موحّدة لمرشحيه وحلفائه؛ إذ استُبدلت بعد عام 2012 تسمية "قوائم الجبهة الوطنية التقدمية" بـ "قوائم الوحدة الوطنية" التي ضمّت مرشحين من الجبهة وآخرين مستقلين موالين للنظام. وقد فاز جميع مرشحي هذه القوائم، ما جعل العملية الانتخابية أقرب إلى التصديق على خيارات الحزب منها إلى منافسة سياسية فعلية. وساد النمط نفسه في انتخابات الإدارة المحلية، حيث حافظ حزب البعث على هيمنته على المجالس المحلية ومكاتبها التنفيذية، واستمر نفوذه في مؤسسات الإدارة والنقابات المهنية؛ إذ بقي المحافظون ورؤساء المجالس المحلية ومعظم القيادات النقيابية من كوادرات الحزب أو المقربين منه⁽⁶⁰⁾.

واللافت أن حذف المادة 8 لم يؤدّ إلى إنهاء مبدأ "قيادة الحزب"، بل نقل حضوره من النص الدستوري إلى مستوى الممارسة السياسية

58 الأتاسي، ص 414.

59 زياد عوّاد وأغنيس فافيه، الانتخابات في زمن الحرب: مجلس الشعب السوري (2016-2020)، ترجمة مايا صوّان (فلورنسا: مركز روبرت شومان للدراسات العليا، معهد الجامعة الأوروبية، برنامج مسارات الشرق الأوسط، 2020)، ص 5.

60 أيمن الدسوقي، "إدارة النظام للمحليات: ماذا تخبرنا نتائج انتخابات الإدارة المحلية؟"، أوراق بحثية، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 2018/11/16، شوهدي في 2026/5/16
https://acr.ps/hBy2shM في:

الأحيان. فقد عبّرت تلك المطالب عن اختلالات دستورية واضحة، سواء من خلال المطالبة بالتعددية السياسية وإلغاء المادة 8 التي كرّست هيمنة حزب البعث بوصفه "قائدًا للدولة والمجتمع"، أم عبر الدعوات إلى الحرية والمحاسبة والعدالة، التي كشفت تعطيل العديد من الحقوق والضمانات الدستورية عملياً، ما سهّل انتهاكها وتقويضها.

وقد تجسّد ذلك، على سبيل المثال، في المطالب التي تقدّم بها وجهاء مدينة درعا باسم أهالي المحافظة خلال المفاوضات التي جرت في الأيام الأولى للاحتجاجات الشعبية في آذار/ مارس 2011؛ إذ شملت محاسبة المسؤولين عن إطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين، وعدم اعتقال المشاركين في المظاهرات السلمية، والإفراج عن المعتقلين السياسيين، وإلغاء قانون الطوارئ المقيّد للحريات العامة، ومكافحة الفساد الإداري والمالي، واحترام الحريات الشخصية، والسماح بعودة المهجّرين والمطلوبين إلى سورية⁽⁶²⁾. وقد عكست هذه المطالب، في جوهرها، أزمة العلاقة بين السلطة والمجتمع، وكشفت حدود البنية الدستورية والقانونية القائمة آنذاك، علماً أن هذه المطالب كلها كان يُفترض أن تُمثّل حقوقاً مكفولة بموجب الدستور السائد آنذاك، الذي لو كان فعالاً وحظيت نصوصه وضماناته بالاحترام والتطبيق، لما استدعى الأمر احتجاجات شعبية للمطالبة بالتفعيل الفعلي للحقوق الدستورية النظرية.

وقد أكدت قوى المعارضة السورية، منذ المراحل الأولى للأحداث، الارتباط المباشر بين الأزمة السياسية والبنية الدستورية القائمة. ففي مؤتمرها التأسيسي الأول، في دمشق، في حزيران/ يونيو 2011، اعتبرت هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي أن إلغاء المادة 8 من الدستور يُعدّ مدخلاً أساسياً لإنهاء الاستبداد، ودعت إلى عقد مؤتمر وطني لصياغة دستور جديد قائم على النظام البرلماني والتعددية السياسية⁽⁶³⁾. وبرزت أيضاً المسألة الدستورية في البيان الختامي للقاء التشاوري للحوار الوطني، الذي عُقد في دمشق، في تموز/ يوليو 2011 برعاية حكومية، حيث أوصى المشاركون بمراجعة شاملة للدستور، بما في ذلك المادة 8 ومقدمة الدستور، والعمل على صياغة دستور جديد يضمن التعددية السياسية وسيادة القانون والحقوق الأساسية.

ب. استمرار النزعة الشخصية - الأمنية - الحزبية في الاستجابة للمطالب الدستورية

أصدر بشار الأسد، في 15 تشرين الأول/ أكتوبر 2011، القرار الجمهوري رقم 33، القاضي بتشكيل اللجنة الوطنية لإعداد مشروع

الذي جرى التعامل معه بوصفه أداةً للمماطلة السياسية، أكثر من اعتباره مدخلاً لتسوية سياسية متكاملة. لذلك، لم تكمن الإشكالية الأساسية في النصوص الدستورية في حد ذاتها، بقدر ما كانت في طبيعة العقل السياسي الذي صاغها وأدارها؛ إذ بقي الدستور في سورية أداةً لخدمة السلطة، بدلاً من أن يكون أساساً لعقد اجتماعي وطني، الأمر الذي ساهم في تآكل الشرعية وانسداد المجال السياسي.

1. إهدار فرصة بناء شرعية شعبية في دستور عام 2012

جاء صدور دستور عام 2012 في لحظة تاريخية فارقة؛ فعلى مدى أكثر من عقد قبل اندلاع الثورة في آذار/ مارس 2011، شهدت سورية تآكلاً تدريجياً في بنيتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وعلى المستوى السياسي، استمرت حالة الطوارئ المفروضة منذ عام 1963، ما منح الأجهزة الأمنية صلاحيات واسعة، في ظل دستور كرّس هيمنة حزب البعث بوصفه "قائدًا للدولة والمجتمع". وفي المقابل، تراجعت التعددية السياسية وانحسرت المشاركة العامة إلى حد بعيد. أما اقتصادياً، فقد ساهمت السياسات الليبرالية غير المنضبطة في صعود شبكة من المصالح المرتبطة بالسلطة، احتكرت الموارد والعقود والامتيازات الاقتصادية، في وقتٍ ازدادت فيه معدلات الفقر والتهemis، ولا سيما في المناطق الريفية والأطراف. وأدى ذلك إلى تعميق الفروق الاجتماعية وتوسيع الهجرة الداخلية والخارجية، خصوصاً في أوساط الفئات الاجتماعية الضعيفة والطبقة الوسطى⁽⁶¹⁾.

ولم يكن الدستور، بوصفه الإطار الناظم للعلاقة بين الدولة والمجتمع، قادراً على احتواء هذه التناقضات، ما جعل الحاجة إلى دستور جديد ضرورةً سياسيةً ودستورية. وكان يمكن أن تساهم هذه الخطوة، لو جرت وفقاً لأسس دستورية وديمقراطية حقيقية، في بناء شرعية شعبية جديدة قادرة على الاستجابة للمطالب الاحتجاجية المتصاعدة. لكنّها تحوّلت، بالنسبة إلى النظام السابق، من مدخلٍ للنجاة، إلى عامل إضافي في تعميق الأزمة والانهيار.

أ. المسألة الدستورية في الاحتجاجات

يتضح من مسار الأحداث التي شهدتها سورية منذ آذار/ مارس 2011 أن المسألة الدستورية كانت حاضرةً على نحو جوهري في المطالب الشعبية التي شكّلت الشرارة الأولى للاحتجاجات، حتى إن لم يُستخدم مصطلح "الدستور" استخداماً صريحاً في الكثير من

62 "قراءة مطالب أهالي درعا من المسجد العمري"، الذكرة السورية، 2011/3/19، شوهده في 2026/5/19، في: <https://acr.ps/hBy2sPi>

63 "هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي"، الذكرة السورية، شوهده في 2026/5/17، في: <https://acr.ps/hBy2syn>

61 محمد جمال باروت، العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 49-55.

المدني والأهلي ومختلف الجهات ذات العلاقة، ويُشبع دراسةً وحوارًا ونقاشًا شعبيًا من هذه الفئات كلها، وتحقق صورة واضحة عنه وعن مضمونه لدى جميع النخب من أبناء الشعب، ويُتاح لهم إبداء آرائهم الحقيقية والأقرب إلى الصحة والموضوعية بالرفض أو القبول خلال الاستفتاء، فإن الدستور السوري لم يحط بأي من ذلك، وكل ما قامت به الحكومة هو نشر نصه وبث خطاب المديح والثناء عليه⁽⁶⁵⁾.

أنهت اللجنة عملها في الوقت المحدد، وأصدر الأسد مرسومًا بتحديد 26 شباط/ فبراير 2012 موعدًا للاستفتاء العام. وكانت البلاد، في تلك اللحظة، غارقة في دوامة من العنف، حيث المدن محاصرة والمعتقلات مكتظة والآلاف نازحون أو مطاردون. وعلى الرغم من ذلك، أعلنت السلطات أن نسبة المشاركة بلغت 57 في المئة، وأن 89 في المئة من المصوتين وافقوا على الدستور، في حين قاطعت المعارضة عملية الاستفتاء، وعدّتها مسرحية سياسية تهدف إلى ترميم صورة النظام⁽⁶⁶⁾. أما في الوعي العام، فقد غاب الشعور بأن هذه الوثيقة تمثل عقدًا اجتماعيًا جديدًا أو نقطة انطلاق نحو إصلاح حقيقي.

ج. تداعيات إهدار التشاركية في صياغة الدستور

أدى غياب التشاركية في عملية صياغة الدستور إلى حرمانه من قاعدة شرعية حقيقية؛ إذ لم يُفتح نقاش عام بشأنه في وسائل الإعلام أو الجامعات أو النقابات، ولم تُنحَ لمنظمات المجتمع المدني أو قوى المعارضة فرصة تقديم تصوراتها ورؤاها. ويكتسب ذلك دلالة إضافية إذا ما أُخذ في الحسبان أن المجتمع المدني نفسه كان شبه غائب آنذاك، بعد أن أفرغته السلطة من مضمونه عبر منظومة الجمعيات والنقابات الرسمية المرتبطة بالحزب الحاكم، التي شكّلت جزءًا من بنية الولاء السياسي. ومن ثم، لم يكن مستغربًا أن تأتي لجنة صياغة الدستور أحادية التوجّه، معبّرة عن رؤية السلطة واتجاهاتها، لا عن التنوع الاجتماعي والسياسي القائم في البلاد. وفي ظل بيئة كهذه، كان من المتعذر إنتاج دستور يمكن أن يمثّل "عقدًا اجتماعيًا" بين الدولة والمجتمع؛ إذ تغيب عملية التفاوض المجتمعي ويغلب منطق الإملاء من أعلى.

لم يكن الإخفاق في تحويل الدستور إلى رافعةٍ للشرعية نتيجة خللٍ في الصياغة فحسب، بل جاء بسبب استمرار منطق أن القوة فوق القانون. فالشرعية الشعبية لا تُمنح بمرسوم، ولا تُستعاد بالاستفتاءات الشكلية، بل تُبنى على المشاركة والثقة والإرادة العامة. وفي الحالة السورية، جرى تجاهل ذلك كله. فقد كُتِبَ الدستور على عجل، وفي ظرفٍ استثنائي،

دستور جديد للجمهورية العربية السورية، تمهيدًا لإقراره وفقًا للإجراءات الدستورية. وحدّد القرار مهلة أربعة أشهر لإنجاز أعمال اللجنة. وضُمّت اللجنة 29 شخصية، من بينهم ثلاث سيدات، ثم انسحب أحد الأعضاء منها عقب تكليفه مباشرة. وأسندت رئاسة اللجنة إلى الحقوقي مظهر العنبري الذي سبق أن ترأس لجنة صياغة دستور عام 1973، وشارك في إعداد الدستور المؤقت لعام 1964⁽⁶⁴⁾.

تركزت انتقادات المعارضة والجهات الحقوقية المستقلة على طريقة تعيين اللجنة التي صاغت مسودة الدستور، لأنه من حيث المبدأ، كان من المفروض أن تضع الدستور هيئة تأسيسية منتخبة من الشعب، تشارك فيها مختلف الاتجاهات السياسية والفئات الاقتصادية والاجتماعية، ومختلف تنوعات فئات المجتمع السوري، كي يكون الدستور مُلبّيًا لمصالح الجميع وطموحاتهم، وتضع هذه الهيئة أسس مشروع الدستور، ثم تُكلّف لجنة من المتخصصين والأكاديميين والقانونيين في صياغته وإعداده، ثم بعد ذلك يُطرح على الاستفتاء الشعبي، بعد فترة كافية من الحوار والنقاش.

وبناء عليه، لم تكن عملية كتابة الدستور تشاركية شفافة، بل جاءت بمرسوم رئاسي لم يراع إطلاقًا وجود قوى أخرى، اجتماعية أو سياسية أو نقابية أو مهنية، لها دور ومصلحة في أن تشارك في صياغة دستور حقيقي، يُقرّر حال البلاد عمومًا، وليست حال السلطة الحاكمة فحسب، خصوصًا أن تيارات المعارضة السورية المتعددة كانت قد رفضت لجنة وضع الدستور عند تشكيلها، لأنها تؤدي مهمتها في ظروف سيئة جدًا، وغير ملائمة، وعلى أشلاء آلاف القتلى، وعشرات آلاف المعتقلين والمُشردين، وانتشار الجيش والقوات المسلحة والأمنية في شوارع القرى والبلدات والمدن السورية، مُنتقدةً إصرار النظام على أن يكون الدستور على صورته وبحسب مصالحه.

وتركزت الانتقادات، أيضًا، في غياب المشاركة الشعبية والشفافية، سواء في أثناء صياغة الدستور، وهي عملية كانت اجتماعاتها تُعقد بسريّة وتكتم "على الرغم من تعيين ناطق رسمي باسم اللجنة"، أو حتى في أثناء الاستفتاء عليه وبعد إقراره، نظرًا إلى عدم نشر محاضر اجتماعات ومناقشات أعضاء لجنة صياغته، إضافة إلى عدم طرح مشروع الدستور للنقاش العام في وسائل الإعلام والمراكز والمؤسسات الثقافية والجامعات لإظهار حسناته وسيئاته أمام الرأي العام. وخلافًا لما هو متبع عند صياغة الدساتير عالميًا، بإخضاع مسودة الدستور ومشاريعه لنقاش وحوار بشأنه تُجريه وسائل الإعلام والصحافة والمنتديات الثقافية والهيئات النقابية والمهنية ومنظمات المجتمع

65 حسين غودات، "حول مشروع الدستور السوري"، البيان، 2012/2/25، شوهد في <https://acr.ps/hBy2sTg>، في: 2026/5/17

66 خطة التحول الديمقراطي في سوريا (إسطنبول: بيت الخبرة السوري؛ المركز السوري للدراسات الاستراتيجية والسياسية، 2013)، ص 46.

64 إبراهيم دراجي، سورية: بدائل دستورية (بيروت: لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - الإسكوا، 2017)، ص 59، شوهد في 2026/5/17، في: <https://acr.ps/hBy2sCF>

التفاوضي. فمحاولات جنيف الأولى (2014-2017) التي رعتها الأمم المتحدة، لم تحقق أي تقدم حقيقي، بسبب تمسك نظام بشار الأسد بالحل العسكري ورفضه الاعتراف بجذور الأزمة السياسية. في المقابل، لم تستطع المعارضة المسلحة أو السياسية، على الرغم من الدعم الدولي، فرض توازن قوى يمكنها من انتزاع تنازلات حقيقية. وفي هذا السياق، برزت مبادرة اللجنة الدستورية أداةً بديلةً لإحياء العملية السياسية، بعد تراجع آمال الانتقال السياسي المنصوص عليه في بيان جنيف، في عام 2012 وقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2254، في عام 2015، الذي شكّل الإطار الدولي الوحيد المقبول لتسوية النزاع السوري⁽⁶⁹⁾.

نص قرار مجلس الأمن المذكور، بوضوح، على أن الحل السياسي يقوم على عملية انتقال سياسي، تشمل صياغة دستور جديد للبلاد، تمهيداً لانتخابات حرة، بإشراف الأمم المتحدة. لكن نظام الأسد، مدعوماً من روسيا وإيران، سعى لتفريغ القرار من مضمونه عبر نقل مركز الثقل من مفهوم "الانتقال" إلى مفهوم "الإصلاح الدستوري"، أي من تغيير النظام السياسي إلى تعديل شكلي في النصوص القانونية⁽⁷⁰⁾. وهكذا ظهرت فكرة اللجنة الدستورية بوصفها المسار البديل الذي اقترحتة موسكو في مؤتمر سوتشي، في كانون الثاني/يناير 2018، بعنوان "مؤتمر الحوار الوطني السوري".

في سوتشي، أُعلن عن نيّة تشكيل لجنة دستورية "ذات ولاية لصياغة إصلاح دستوري"، لتعمل في جنيف تحت رعاية الأمم المتحدة⁽⁷¹⁾. وكان الهدف المعلن هو إعادة إحياء المسار الذي رعته الأمم المتحدة، لكن الدافع الحقيقي تمثّل في نقل العملية السياسية إلى ميدان السيطرة الروسية، وتحويلها من عملية انتقال سياسي إلى نقاش قانوني تقني بشأن صياغة الدستور. وفي هذا الإطار، ولدت اللجنة الدستورية وسط توازنات قسرية متمثلة في مطلب للأمم المتحدة وواجهة تفاوضية، لكنها في الجوهر أداة روسية لتجميد المسار السياسي.

3. تشكيل اللجنة الدستورية والهدف منها

تشكلت اللجنة الدستورية من 150 عضواً، مؤّعين بالتساوي بين ثلاث كتل، تُمثّل الحكومة السورية والمعارضة والمجتمع المدني⁽⁷²⁾. ثم

ومن دون إشراك فعلي لأصحاب المصلحة، ثم فُرض باعتباره أمراً واقعاً. وفي بيئة يهيمن عليها العنف والخوف وانعدام الثقة، لم يكن ممكناً أن تتحوّل وثيقة كهذه إلى رمز لوحدة وطنية أو أساس لبناء سياسي جديد.

لقد حاول النظام من خلال دستور عام 2012 ترميم صورته أمام الداخل والخارج على السواء. ففي الداخل، أراد أن يُظهر استجابته للمطالب الشعبية، من دون تقديم تنازلات حقيقية؛ وفي الخارج، أراد إظهار نفسه بوصفه طرفاً منفتحاً على "إصلاح تدريجي"، مقابل القوى التي طالبت برحيله. لكن هذه المحاولة فشلت في الحالتين. فالمجتمع السوري لم يرَ في الدستور سوى مناورة شكلية لإطالة عمر النظام، ولم يقتنع المجتمع الدولي بأن التعديلات المعلنة تمثل تحوُّلاً بنوياً⁽⁶⁷⁾. وبذلك ضاعت فرصة تاريخية كان يمكن أن تفتح مساراً تفاوضياً حقيقياً نحو انتقال سياسي سلمي.

كان في إمكان السلطة أن تسلك مسالك أخرى، كأن تدعو إلى حوار وطني حقيقي، وأن تُنشئ جمعية تأسيسية منتخبة تمثّل مختلف أطراف المجتمع السياسي⁽⁶⁸⁾، وأن تفتح الإعلام للنقاش العمومي بشأن مواد الدستور، وأن تُؤجل الاستفتاء حتى تنهت البيئية السياسية والأمنية المناسبة. وكان لمثل هذه الخطوات أن تمنح الوثيقة شرعية شعبية، حتى لو بقي الخلاف على مضمونها. لكنها اختارت الطريق الأقصر والأخطر: صياغة فوقية، وسرعة في الإقرار، وإعلان نتائج محسومة سلفاً. والنتيجة هي فقْد الدستور منذ لحظة ولادته شرطه الأساسي المتمثل في أن يكون تعبيراً عن الإرادة العامة، لا أداة في يد السلطة.

وبناء عليه، يمكن القول إن دستور عام 2012 لم يكن نقطة انطلاق لبناء شرعية جديدة، بل لحظة إضافية في سلسلة فقدان الشرعية. فبدلاً من أن يُعيد الثقة بين الدولة والمجتمع، عمّق الفجوة بينهما. وبدلاً من أن يؤسس لممارسة سياسية حديثة، رسّخ البنية القديمة وأعطاهها غطاءً قانونياً جديداً. وهكذا تحوّل "الإصلاح الدستوري" إلى وسيلة لتجميد الاستبداد، لا لإنهائه؛ ففقد النظام ما تبقى له من رأس مال رمزي أمام شعبه والعالم.

2. إهدار فرصة استعادة الشرعية الدولية بتعطيل مسار اللجنة الدستورية في عام 2018

بعد ما يقارب من ثمانية أعوام من الحرب السورية التي اندلعت في عام 2011، كانت الساحة السياسية تعيش حالة انسداد كامل في المسار

69 United Nations, Security Council, "Resolution 2254 (2015)," 18 December 2015, accessed on 12/5/2026, at: <https://acr.ps/hBy2t9L>

70 محمد حسام حافظ، "اللجنة الدستورية السورية: ظروف تأسيسها، آليات عملها، وآفاق نجاحها"، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019/10/15، ص 3، شوهد في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2t9R>

71 "مسار اللجنة الدستورية السورية"، تقرير تحليلي، مركز جسور للدراسات - إسطنبول، كانون الأول/ديسمبر 2019، ص 3، شوهد في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2smo>

72 "اللجنة الدستورية السورية: التأسيس، التشكيل، الاجتماعات، الآراء"، البحث الراجع (المركز الاستشاري للآراء والتوثيق)، العدد 50 (آذار/مارس 2021)، ص 5.

67 "Syria Counts Vote of Controversial Referendum," Al Jazeera, 27/2/2012, accessed on 13/5/2026, at: <https://acr.ps/hBy2szs>

68 ينظر: الشكري، ص 144-145.

المجتمع المدني وآلية الاختيار وموقع اللجنة في تسلسل تنفيذ القرار رقم 2254. فقد حاولت دمشق وموسكو فرض مقولة إن "اللجنة الدستورية هي مدخل الحل السياسي"، في حين تمسكت المعارضة والأمم المتحدة بأن الدستور ليس سوى جزء من عملية انتقال أوسع، تشمل البيئة الآمنة والمحايدة والانتخابات والإفراج عن المعتقلين. وفي تموز/ يوليو 2019، أعلن الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، عن التوصل إلى تفاهم نهائي بشأن تشكيل اللجنة، بعد أن وافق النظام السوري على قائمة المجتمع المدني التي أعدت بصعوبة. وفي 23 أيلول/ سبتمبر من العام نفسه، أعلن مبعوث الأمم المتحدة غير بيدرسون Geir Otto Pedersen عن إطلاق اللجنة رسمياً في جنيف، لتبدأ أعمالها في تشرين الأول/ أكتوبر 2019 بحضور الأطراف الثلاثة⁽⁷⁵⁾.

ب. مسار اجتماعات اللجنة الدستورية⁽⁷⁶⁾

مثّلت اجتماعات اللجنة الدستورية السورية، منذ انطلاقتها في جنيف عام 2019، أحد أبرز المسارات التي رعتها الأمم المتحدة في إطار تنفيذ القرار رقم 2254، والدفع نحو حل سياسي للنزاع السوري. وقد أنشئت اللجنة بوصفها إطاراً تفاوضياً، يُفترض أن يُفضي إلى إصلاح دستوري أو صياغة دستور جديد يُمهّد لعملية انتقال سياسي أوسع. لكن مسار الاجتماعات كشف تدريجياً عن حجم التباينات بين الأطراف المشاركة، ولا سيما في ما يتعلق بطبيعة العملية السياسية نفسها، وحدود التغيير الدستوري الممكن، والعلاقة بين الإصلاح الدستوري والانتقال السياسي.

وعلى الرغم من عقد جولات تفاوضية عدة بين عامي 2019 و2022، فإن أعمال اللجنة بقيت محكومةً بحالةٍ من التعثّر المستمر نتيجة الخلافات الإجرائية والسياسية، وغياب الإرادة الحقيقية لتحقيق اختراق فعلي في الملفات الجوهرية. ويرصد الجدول أبرز جولات اللجنة الدستورية، والقضايا التي طُرحت خلالها، والنتائج التي انتهت إليها، ما يوضح كيفية تحوّل المسار الدستوري تدريجياً من أداة يُفترض أن تساهم في التسوية السياسية إلى إطار شبه مجمّد لإدارة الأزمة.

75 الأناشي، ص 492.

76 ينظر في عرض مضمون اجتماعات اللجنة: عبد الوهاب عاصي، "حصار عامين من مباحثات اللجنة الدستورية السورية"، تقرير تحليلي، مركز جسر للدراسات - إسطنبول (تشرين الثاني/ نوفمبر 2021)، ص 3 وما بعدها، شوهده في 2026/5/15، في: <https://acr.ps/hBy2sCZ>; "اللجنة الدستورية السورية: التأسيس، التشكيل، الاجتماعات، الآراء"، ص 13-19.

أنشئت "اللجنة المصغرة"، أو ما يُعرف بـ "الهيئة المصغرة" المكوّنة من 45 عضواً (15 من كل كتلة)، لتتولّى الصياغة الفعلية للنصوص الدستورية المقترحة، بينما يقتصر دور الهيئة الموسعة على إقرار ما تتوصل إليه الهيئة المصغرة. وكان يُفترض أن تعمل اللجنة وفقاً لمبدأ "التوافق"، وأن تُدار اجتماعاتها في جنيف تحت رعاية الأمم المتحدة ومبعوثها الخاص إلى سورية⁽⁷³⁾.

لكن هذه البنية التنظيمية التي بدت متوازنة شكلياً، كانت في الواقع مصممة لتكريس الشلل. فقد اشترط النظام أن تُتخذ القرارات "بالتوافق"، ما يعني فعلياً أن أي طرف قادر على تعطيل أي تقدّم. وجرى اختيار ثلث المجتمع المدني بطريقة تضمن هيمنة الوجوه القريبة من السلطة أو الحيادية المفرطة، وهو ما أفقد الكتلة الثالثة طابعها المستقل المفترض. فضلاً عن ذلك، رفض النظام الاعتراف بالمعارضة محاوراً سياسياً متساوياً معه، وأصرّ على التعامل معها بوصفها "طرفاً وطنياً معارضاً" لا يمثل الثورة أو الشعب.

أعلنت الأمم المتحدة عند انطلاق اللجنة الدستورية، في 30 تشرين الأول/ أكتوبر 2019، أن هدفها هو إصلاح دستوري، يُمهّد لانتخابات حرة، بإشرافها، وفقاً للقرار 2254⁽⁷⁴⁾.

قانونياً، لم تكن اللجنة الدستورية نتاج عملية تأسيس دستوري شعبية، بل وليدة تفاهات فوقية بين أطراف الصراع ورُعاهتهم الدوليين. فهي ليست هيئة تأسيسية ذات سيادة، ولا تملك ولاية قانونية ملزمة، بل أنشئت باعتبارها "آلية استشارية" ضمن القرار 2254، تعمل تحت إشراف مبعوث الأمم المتحدة. وجعلها هذا الوضع القانوني الهجين بلا سلطة تنفيذية، ولا صلاحية إلزامية، فاقترص أثرها على الجانب الرمزي والإجرائي.

أما سياسياً، فقد جسّدت اللجنة محاولةً لربط الشرعية الدولية بمسار تفاوضي قابل للتسويق. فنجاحها كان سيمنح النظام السوري نافذة عودة تدريجية إلى المجتمع الدولي عبر اعتراف سياسي مشروط بأنه طرف في عملية ترعاها الأمم المتحدة. وفي المقابل، كان فشلها يعني استمرار العزلة وتآكل المشروعية. لذلك، نظر النظام إلى اللجنة بوصفها ورقة تفاوضية، لا بوابة إصلاح، يسهل تحريكها عند الحاجة إلى ذلك وإبطاؤها عندما يُهدّد أي تغيير حقيقي بنيته السلطوية.

شهدت مفاوضات تشكيل اللجنة، بين عامي 2018 و2019، سلسلةً من الخلافات الإجرائية والمناورات السياسية، خصوصاً بشأن قائمة

73 "اللجنة الدستورية"، الذاكرة السورية، شوهده في 2026/3/19، في: <https://acr.ps/hBy2s2mi>

74 "Syrian Constitutional Committee: Official Convening," UN Multimedia Newsroom, 30/10/2019, accessed on 15/5/2026, at: <https://acr.ps/hBy2s2PP>

جدول جولات اللجنة الدستورية وأبرز القضايا المطروحة

الجولة	التاريخ	أبرز القضايا المطروحة	النتيجة
الجولة الأولى	30 تشرين الأول / أكتوبر 2019	نقاشات إجرائية بشأن جدول الأعمال، مع رفض وفد النظام إدراج قضايا، مثل "الانتقال السياسي" و"الفصل بين السلطات"	انتهت من دون اتفاق على جدول أعمال واضح
الجولة الثانية	25 تشرين الثاني / نوفمبر 2019	طرح وفد النظام ورقة "الركائز الوطنية" التي ركزت على "مكافحة الإرهاب" و"رفض التدخل الأجنبي" و"رفع العقوبات الاقتصادية"	تعطّلت الاجتماعات بعد يومين بسبب الخلاف بشأن طبيعة النقاش وجدول أعمال الجولة بين المعارضة والنظام
الجولة الثالثة	24-29 آب / أغسطس 2020	مناقشة "الإصلاح الدستوري" بعد توقّف جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، مع استمرار الخلاف بين تعديل دستور عام 2012 أو صياغة دستور جديد	استمرار الجمود من دون تقدّم جوهري
الجولة الرابعة	30 تشرين الثاني / نوفمبر - 4 كانون الأول / ديسمبر 2020	طرح المعارضة مبادئ تتعلق بسيادة القانون واستقلال القضاء والحريات العامة	رفض وفد النظام مناقشتها وانتهت الجولة من دون نتائج
الجولة الخامسة	25-29 كانون الثاني / يناير 2021	مطالب المعارضة بمناقشة شكل الحكم وصلاحيات الرئيس والفصل بين السلطات	رفض النظام الخوض في هذه الملفات، وأعلن بيدرسون غياب الإرادة السياسية للنظام
الجولة السادسة	18-22 تشرين الأول / أكتوبر 2021	تقديم نصوص دستورية حول سيادة القانون والحريات والهوية الوطنية	انسحب وفد النظام عملياً من النقاشات، واعتُبرت الجولة نقطة الانهيار الفعلي
الجولة السابعة (المقررة)	21-25 آذار / مارس 2022	محاولة برعاية الأمم المتحدة لإحياء المسار عبر وساطة روسية - تركية	شهدت تقديم أربعة مبادئ دستورية تناولت الحوكمة وهوية الدولة ورموزها وبنية السلطات العامة وتفاعلت المعارضة وبعض ممثلي المجتمع المدني مع تضمين ملاحظاتهم على المبادئ، في حين رفض النظام الإقدام على هذه الخطوة
النتيجة العامة	2019-2024	استمرار المسار الدستوري شكلياً تحت مظلة القرار رقم 2254	تحوّلت اللجنة إلى إطار لتجميد العملية السياسية أكثر من كونها آلية للحل

المصدر: من إعداد الباحث.

4. كيف أفضل نظام

بشار الأسد مسار اللجنة الدستورية؟

الجنة إلى ستار قانوني للعجز السياسي، ووسيلة لتحديد قرارات الأمم المتحدة وتجميد المساءلة الدولية.

يمكن تمييز أربع أدوات رئيسة استخدمها النظام السوري في تعطيل اللجنة الدستورية: 1. التلاعب بالمفاهيم القانونية؛ إذ أصرّ على أن اللجنة "ذات ولاية لمراجعة دستور عام 2012"، لا لصياغة دستور جديد، ما حوّل التفويض من تأسيس إلى إصلاح شكلي. 2. الاستنزاف الإجرائي، عبر الاعتراض المستمر على جدول الأعمال والآلية والمكان والوسيط، حتى استهلكت الجولات في نقاشات شكلية. 3. تجميد

تعامل نظام بشار الأسد مع اللجنة، منذ تأسيسها، بوصفها أداةً للمماطلة، لا للإصلاح؛ إذ كانت كل جولة تفاوضية بالنسبة إليه فرصة لالتقاط الأنفاس، ولإظهار "حسن النية" أمام حلفائه. وبدلاً من أن تكون اللجنة خطوة نحو الحل السياسي، أصبحت خطّ دفاعٍ دبلوماسياً ضد أيّ تدخل أو ضغط دولي. وقد استخدم النظام اللجنة لتبرير رفضه أيّ تفاوض مباشر بشأن الانتقال السياسي. وتحوّلت

الوقت، لا بمنطق إنتاج الحلول؛ أي المشاركة من دون التزام فعلي، والتفاوض من دون استعداد لتقديم تنازلات جوهرية. ومنذ الجولة الأولى حتى تعثر المسار كلياً، بقي الخطاب الرسمي للنظام يدور حول مفاهيم "الثواب الوطنية" و"السيادة"، مع رفض مستمر للخوض في القضايا الدستورية الجوهرية، مثل توزيع الصلاحيات واستقلال القضاء وحياد المؤسسة العسكرية وآليات الانتقال السياسي. وقد أدى هذا التعثر المتكرر إلى تعميق حالة الإحباط في أوساط المعارضة واللاجئين وقطاعات واسعة من السوريين؛ إذ تحولت اللجنة الدستورية تدريجياً إلى رمز لعجز المسار السياسي الدولي عن إحداث تغيير فعلي، وإلى تعبير عن محدودية قدرة المجتمع الدولي على فرض مسار جاد للمساءلة، أو العدالة الانتقالية أو الإصلاح السياسي الحقيقي.

لم يُقرأ فشل اللجنة على أنه فشل مسارٍ تفاوضي، بل بوصفه نزاعاً ممنهجاً لما تبقى من شرعية النظام. وأظهر أنه لا يملك مشروعاً سياسياً، ولم يعد قادراً على تبرير وجوده سوى بلغة الأمن والقوة. وبذلك، تحول المسار الذي رعته الأمم المتحدة من أداة لإعادة تأهيل النظام إلى شاهدٍ على موته السياسي. وبحلول عام 2024، كانت الصورة قد اكتملت: اقتصاد متهاك، مؤسسات بلا فعالية، حلفاء متعبون، شعب ناقم، ونظام بلا شرعية. وفي غياب أي أفق للإصلاح، أصبحت اللجنة الدستورية التي أرادها الأسد بمنزلة مظلة لتجميل صورته، رمزاً لانهياره السياسي الكامل. فقد خسر النظام الغطاء الأممي، وفقدت روسيا حجة الدفاع عنه، وانكشف أمام العالم بوصفه سلطة بلا مستقبل، وهو ما مهّد، من بين عوامل أخرى، لسقوطه مع نهاية عام 2024.

خاتمة

لم تكن أزمة الدستور في سورية أزمة نصوص ومواد قانونية فحسب، بل كانت في جوهرها أزمة بنية سياسية اختزلت الدولة في شخص الحاكم، وأضعفت مفهوم المواطنة لمصلحة الولاء السياسي، وحولت المؤسسات إلى أدوات تابعة للسلطة التنفيذية، بدلاً من أن تكون إطاراً مستقلاً لتنظيم الحياة العامة. وقد أدى ذلك إلى إفراغ الدستور تدريجياً من وظيفته التعاقدية والضابطة للسلطة، ليغدو إطاراً شكلياً يمنح شرعية قانونية لبنية سلطوية قائمة على حالة الاستثناء الدائمة، وتغليب القوة على حكم القانون.

بيّنت هذه الدراسة أن سقوط النظام لم يكن حدثاً منفصلاً عن سياقه التاريخي، بل جاء نتيجة مسار طويل من التآكل الدستوري والسياسي. فالنظام الذي قام طوال عقود على شخصنة الرئاسة وعسكرة الدولة واحتكار المجال العمومي، فقدَ بمرور الوقت قدرته على إنتاج شرعية

الوقت السياسي، فقد جعل النظام من كل جولة أداة لشراء الوقت في انتظار تغييرات ميدانية أو سياسية تضمن تفوقه. 4. الشرعنة الخارجية؛ إذ استخدم عقد اللجنة، فحسب، لإقناع بعض الدول بأنه "منخرط في مسار أممي"، الأمر الذي سمح بفتح قنوات دبلوماسية غير رسمية معه. وبهذه الوسائل، تحول ما كان يُفترض أن يكون مدخلاً للانتقال السياسي إلى أداة تأييد للسلطة؛ إذ أدرك النظام أن أيّ تقدّم دستوري فعلي يعني تقويض النظام الرئاسي المطلق الذي يستند إليه حكمه، فاخترت تعطيل العملية كلها، ولو على حساب صورته الدولية وفرصته الأخيرة في إعادة إدماجه في المنظومتين العربية والدولية.

5. كيف ساهم إفشال مسار اللجنة الدستورية في إسقاط نظام الأسد؟

لم يكن فشل اللجنة الدستورية السورية تعثراً تفاوضياً، فحسب، ضمن مسار سياسي متأزم أصلاً، بل شكّل مؤشراً حاسماً على وصول النظام إلى مرحلة العجز عن إنتاج أيّ تسوية، أو مبادرة إصلاحية ذات مغزى. وكشف هذا الفشل تمسك النظام بخيار الجمود السياسي، وتفضيله الحفاظ على البنية السلطوية القائمة حتى على حساب استمرار الانهيار المؤسسي والاجتماعي للدولة. ومنذ تشكيل اللجنة في أيلول/سبتمبر 2019، جرى التعامل معها بوصفها الفرصة الأخيرة التي ترعاها الأمم المتحدة لإحياء مسار القرار رقم 2254 والدفع نحو تسوية تدريجية تتيح قدراً من الإصلاح السياسي وإعادة دمج النظام في البيئة الدولية. ونظرت عواصم غربية عدة إلى اللجنة بوصفها مدخلاً ممكناً لتسوية تفاوضية شبيهة بتجارب دولية أخرى، تقوم على الإصلاح التدريجي، بدلاً من الانهيار الكامل للنظام. ولو تمكّنت اللجنة من إنتاج مسودة دستور توافقي، تتضمن إصلاحات حقيقية، مثل تعزيز الفصل بين السلطات وتوسيع المشاركة السياسية، لكان في الإمكان تحويلها إلى "بوابة" لإعادة التأهيل الدولي التدريجي للنظام السوري. لكن أظهر تعثرها المستمر، ثم انهيارها العملي، حدود استعداد السلطة لتقديم أيّ تنازل يمسّ جوهر بنيته السياسية والأمنية⁽⁷⁷⁾.

لكن ما كان يُفترض أن يشكّل مخرجاً سياسياً للنظام تحول تدريجياً إلى مأزق كشف حدود قدرته على التكيف والإصلاح. فلم تنظر دمشق إلى اللجنة الدستورية بوصفها مساراً نحو تسوية سياسية، بل بوصفها تهديداً محتملاً للبنية الأمنية والسلطوية التي قامت عليها الدولة طوال عقود. ومن ثم، تعاملت مع العملية الدستورية بمنطق إدارة

أدوات تعبئة أيديولوجية، الأمر الذي عمّق الفجوة بين الخطاب الرسمي القائم على شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية، وواقع سياسي اتّسم بالخوف والانكماش وتقييد المشاركة العامة.

• رابعاً، تحوّلت محطات التغيير الدستوري المتعاقبة إلى أدوات لإعادة إنتاج النظام، أكثر من كونها مسارات للإصلاح الحقيقي. فدستور عام 2012، الذي صدر في ذروة الاحتجاجات الشعبية، كان يمكن أن يشكّل مدخلاً لعقد اجتماعي جديد، إلّا أنه صيغ ضمن الآليات التقليدية نفسها، في غياب المشاركة الشعبية وهيمنة البنية الأمنية والسياسية القائمة. أما اللجنة الدستورية التي بدأت العمل في جنيف في عام 2019، فقد مثّلت المحاولة الأخيرة لإحياء المسار السياسي وتفادي الانهيار الكامل، لكنها وُلدت في سياق دولي وإقليمي معقّد، وفي غياب إرادة داخلية فعلية لإحداث إصلاح جوهري. وبمرور الوقت، تحوّلت اللجنة إلى أداة لإدارة الوقت واحتواء الضغوط السياسية، أكثر من كونها إطاراً لإنتاج تسوية دستورية حقيقية. وتكشف هذه التجربة عن أن الإصلاح في ظل بنية سلطوية مغلقة لا يقود بالضرورة إلى تحوّل سياسي فعلي، بل قد يعيد إنتاج الأزمة بأدوات وخطابات جديدة. وهكذا، تآكلت تدريجياً فرص إعادة بناء الشرعية من داخل النظام نفسه، إلى أن وصل المسار السياسي برّمته إلى حالة من الانسداد الكامل، ثم انهيار النظام القائم في نهاية عام 2024.

جديدة، أو التكيّف مع التحوّلات الاجتماعية والسياسية المتسارعة. وبقيت التعديلات الدستورية التي طُرحت خلال العقود السابقة ذات طابع شكلي؛ إذ لم تمسّ جوهر توزيع السلطة أو طبيعة النظام السياسي، الأمر الذي ساهم في تعميق الأزمة البنيوية، بدلاً من معالجتها ودفع النظام تدريجياً نحو حالة الانسداد التي انتهى إليها. وبناء عليه، نصل إلى النتائج التالية:

• أولاً، لم يكن الدستور في التجربة السورية مرجعاً لضبط السلطة وموازنتها، بل أصبح الصيغة القانونية التي تُجيز التفرد بها. فبدلاً من أن يُقيّد الحاكم، تحوّل إلى أداة تمنحه تفويضاً دائماً باسم "الشرعية الدستورية". وهكذا، أصبح النص الأعلى في الدولة وثيقة إذعان تُعفي الحاكم من المساءلة، وتُعطل فكرة الرقابة التي هي جوهر أيّ نظام دستوري.

• ثانياً، منذ بداية السبعينيات، صار الجيش والأجهزة الأمنية العمود الفقري للنظام السياسي، لا مؤسسات وطنية محايدة. وقد جعل منها غياب أيّ نصوص دستورية تُخضعها لرقابة مدنية دولة داخل الدولة، أو بالأحرى الدولة نفسها. فقد حوّل الدستور الجيش إلى جيش "عقائدي"، أي حزبي، وربط ولاءه بالحاكم، لا بالوطن، وترك للأجهزة الأمنية صلاحيات مطلقة تحت ذريعة "حماية الثورة" أو "صون الوحدة الوطنية". وبهذا المعنى، لم تُحكّم سورية بالقانون، بل بالأمن، وصار الدستور مجرد ورقة تبرّر حالة استثناء دائمة.

• ثالثاً، حين نصّ دستور عام 1973 على أن "حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في الدولة والمجتمع"، فإنه لم يكرّس هيمنة حزب سياسي فحسب، بل أسّس عملياً لإلغاء التعددية السياسية تحت مظلة "الجبهة الوطنية التقدمية". وبذلك، تداخلت حدود الحزب والدولة بصورة جعلت مؤسسات الدولة امتداداً للبنية الحزبية، في حين تراجعت المواطنة بوصفها علاقة قانونية متساوية لتحلّ محلّها أشكال من الانتماء والولاء السياسي. وعلى الرغم من أن دستور عام 2012 ألغى المادة 8 شكلياً، فإن البنية السياسية التي قامت عليها بقيت حاضرة في الممارسة. فقد استمر الحزب في الهيمنة على البرلمان والنقابات والإدارة المحلية عبر القوائم الموحدة وآليات التحكم في التمثيل السياسي، بما أبقى المجال العمومي خاضعاً لمنطق الاحتكار السياسي نفسه. وفي ظل هذا المناخ، تآكلت الوظيفة الطبيعية للعمل السياسي، وأصبح الولاء التنظيمي عاملاً حاسماً في التوظيف والترقي والوصول إلى الموارد ومجالات النفوذ. وهكذا، أدى تسييس الدستور وتحزيب الدولة إلى تفويض المجال العمومي وتحويل مؤسسات الدولة إلى

المراجع

العربية

الدسوقي، أيمن. "إدارة النظام للمحليات: ماذا تخبرنا نتائج انتخابات الإدارة المحلية؟". أوراق بحثية. مركز عمران للدراسات الاستراتيجية. 2018/11/16. في: <https://acr.ps/hBy2shM>

الشكري، علي يوسف. الوسيط في فلسفة الدستور. بيروت: منشورات زين الحقوقية، 2017. في: <https://acr.ps/hBy2sks>

عاصي، عبد الوهاب. "حصاد عامين من مباحثات اللجنة الدستورية السورية". تقرير تحليلي. مركز جسر للدراسات - إسطنبول. تشرين الثاني/نوفمبر 2021. في: <https://acr.ps/hBy2sCZ>

عواد، زياد وأغنيس فافيه. الانتخابات في زمن الحرب: مجلس الشعب السوري (2016-2020). ترجمة مايا صوّان. فلورنسا: مركز روبرت شومان للدراسات العليا، معهد الجامعة الأوروبية، برنامج مسارات الشرق الأوسط، 2020.

الغالي، كمال. مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية. دمشق: دار العروبة للطباعة، 1978.

"اللجنة الدستورية السورية: التأسيس، التشكيل، الاجتماعات، الآراء". البحث الراجع (المركز الاستشاري للآراء والتوثيق). العدد 50 (آذار/مارس 2021).

"اللجنة الدستورية". الذاكرة السورية. في: <https://acr.ps/hBy2smi>
ليش، ديفيد دبليو. سورية: سقوط مملكة الأسد. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2014.

"المحاكمات السورية"، اللجنة السورية لحقوق الإنسان، 2004/1/26. في: <https://acr.ps/hBy2t5f>

"محكمة الإرهاب في سوريا: أداة تنفيذ جرائم حرب. تقرير صادر عن مركز توثيق الانتهاكات في سوريا في نيسان/أبريل 2015". المركز السوري للعدالة والمساءلة. 2015/7/13. في: <https://acr.ps/hBy2sSW>

"محكمة أمن الدولة العليا". الموسوعة القانونية المتخصصة. في: <https://acr.ps/hBy2sy3>

مرسي، عاصم رمضان. التنظيم القانوني لحالة الطوارئ وأثره في الحقوق والحريات العامة. القاهرة: دار النهضة العربية، 2015.

"مسار اللجنة الدستورية السورية". تقرير تحليلي. مركز جسر للدراسات - إسطنبول. كانون الأول/ديسمبر 2019. في: <https://acr.ps/hBy2smo>

الأتاسي، كريم. سوريا: قوة الفكرة: المشروع الوطني والهندسات الدستورية للأنظمة السياسية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022.

باروت، محمد جمال. العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

بشارة، عزمي. الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية وفماذج عربية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

الجمهورية العربية السورية. دستور الجمهورية العربية السورية. 1973/3/13. في: <https://acr.ps/hBy2sOk>

_____. دستور الجمهورية العربية السورية. 2012/2/27. في: <https://acr.ps/hBy2sxJ>

_____. قانون محاكم الأمن القومي. 1963/4/24.

حافظ، محمد حسام. "اللجنة الدستورية السورية: ظروف تأسيسها، آليات عملها، وآفاق نجاحها". تقييم حالة (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، 15 تشرين الأول/أكتوبر 2019. في: <https://acr.ps/hBy2t9R>

حوراني، رشيد. "القوات الرديفة للنظام السوري: التوصيف والتغيرات والمصير". تقرير تحليلي. مركز جسر للدراسات - إسطنبول (آب/أغسطس 2023). في: <https://acr.ps/hBxMwen>

حومد، عبد الوهاب. "المحاكم الجزائية الاستثنائية". مجلة الحقوق - جامعة الكويت. مج 3، العدد 1 (1979).

خطة التحول الديمقراطي في سوريا. إسطنبول: بيت الخبرة السوري؛ المركز السوري للدراسات الاستراتيجية والسياسية، 2013.

درّاجي، إبراهيم. سورية: بدائل دستورية. بيروت: لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - الإسكوا، 2017.

في: <https://acr.ps/hBy2sCF>

_____. المحكمة الدستورية في الدساتير السورية: قراءة قانونية تاريخية مقارنة. لندن: كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية LSE، 2020. في: <https://acr.ps/hBy2sCl>

"هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي". *الذاكرة السورية*.
في: <https://acr.ps/hBy2syn>

الأجنبية

Basic Law for the Federal Republic of Germany (as amended up to Act of December 23, 2014 [1949]).
at: <https://acr.ps/hBy2shs>

Federative Republic of Brazil. *Constitution of the Federative Republic of Brazil, 1988 (rev. 2017)*. at:
<https://acr.ps/hBy2std>

Kingdom of Spain. *Spanish Constitution of 1978*. at:
<https://acr.ps/hBy2slq>

Portuguese Republic. *Constitution of the Portuguese Republic, Seventh Revision [2005]*. at:
<https://acr.ps/hBy2ssT>

Republic of Ecuador. *Ecuador's Constitution of 2008 with Amendments through 2021*. at:
<https://acr.ps/hBy2t05>

Republic of Ghana. *Constitution of the Republic of Ghana, 1992 (rev. 1996)*. at: <https://acr.ps/hBy2scC>

Republic of Kenya. *Constitution of Kenya, 2010*. at:
<https://acr.ps/hBy2sJu>

Republic of South Africa. *The Constitution of the Republic of South Africa, 1996*. at: <https://acr.ps/hBy2sZL>

United Nations, Security Council. "Resolution 2254 (2015)".
18 December 2015. at: <https://acr.ps/hBy2t9L>

عماد العلي | Emad Alali*

بناء الدولة والعقد الاجتماعي في سورية ما بعد الأسد: مقاربة تأسيسية

State-building and Social Contract in Post-Assad Syria: A Constitutive Approach

ينطوي بناء الدولة في سورية ما بعد سقوط نظام بشار الأسد على جملة من التحديات المعقدة، يتصدّرها الانقسام المجتمعي والطائفي وتعقيدات المشهد السياسي. ومن ثم، تتطّلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن الثورة السورية كشفت عن خلل سياسي واجتماعي عميق، تمثل في انفصال الدولة عن المجتمع وعدم تطوُّرها بما ينسجم مع التحولات الاجتماعية. وتجادل بأن بناء دولة جديدة يتطلب إعادة صياغة العلاقة بين الدولة والمجتمع ضمن عقد اجتماعي جديد، لذا فإنها تسعى لبحث المحددات السياسية والسوسيولوجية والمعياريّة التي تشكّل الأساس النظري بالنسبة إلى فكرة الدولة، وتحليل تداخلاتها مع عملية إعادة بناء العقد الاجتماعي. وتبحث، استناداً إلى منهجية التأويل التحليلي النقدي، في المحددات المذكورة من حيث علاقتها بفكرة الدولة، مع التركيز على معوقات بناء العقد الاجتماعي، مثل الطائفية وتفكك الهوية الجمعية والعلاقة بين الديني والسياسي. وتخلص إلى وجود أزمة سياسية مركّبة تتمثل في تراجع دور الدولة لصالح بنية سلطوية وقمعية، مؤكدة ضرورة الانتقال نحو نموذج الدولة التعاقدية، عبر صياغة نمط جديد من التفاعل السياسي بين المجتمع والدولة والسلطة. وبناءً على ذلك، تتمثل إضافتها الأساسية في تقديم تصور معياري وتأسيسي لعلاقة أكثر توازناً وواقعية بين المجتمع والدولة، بما ينسجم مع خصوصية السياق السوري.

كلمات مفتاحية: سورية، الدولة، بناء الدولة، العقد الاجتماعي، الهوية الجمعية، العلمانية، الشرعية السياسية، الطائفية.

The idea of state-building in post-Assad Syria faces formidable challenges, most notably deep social and sectarian divisions and political complexities. The Syrian revolution revealed a deep political and social crisis, reflected in the disconnection between state and society and the state's inability to adapt to social changes. This study contends to rebuild the state the relationship between state and society must be redefined through a new social contract. Adopting a critical analytical approach, the study examines the political, sociological, and normative foundations of the state, with particular attention to obstacles such as sectarianism, fragmented collective identity, and the relationship between religion and politics. It concludes that Syria's crisis is rooted in the erosion of the state in favour of an authoritarian and repressive governing structure. The study therefore calls for a transition toward a contractual model of the state based on a new model of political interaction between society, the state, and authority. Its main contribution lies in proposing a more balanced and context-sensitive framework for the relationship between society and the state.



Keywords: Syria, State, Contractualism/ Social Contract, Collective Identity, Secularism, Political Legitimacy, Sectarianism.

* باحث في معهد الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في جامعة برلين الحرة.

مقدمة

الأساس المعياري لما يمكن تسميته الشرعية الثورية⁽⁴⁾. وفي الحالة السورية، تستند شرعية السلطة الحالية، من جهة، إلى انبثاقها من الفعل الثوري وارتباطها بسقوط النظام السابق، لكنها تظل، من جهة أخرى، شرعية مشروطة بمدى نجاحها في بناء بيئة سياسية مختلفة نوعيًا عن البنية السلطوية السابقة.

وعلى هذا الأساس، يمكن صياغة أحد العناصر المركزية في معادلة الانتقال السياسي السوري على النحو الآتي: إذا كان بناء الدولة يشكل المحور الأساسي لمرحلة ما بعد الأسد، فإن استمرار الشرعية الثورية بالنسبة إلى السلطة الحاكمة يظل مرتبطًا بقدرتها على تأسيس دولة تحظى بالشرعية والقبول المجتمعي. ومن ثم، لا يتحقق الانتقال من الشرعية الثورية إلى الشرعية السياسية بعد السيطرة على السلطة مباشرة، بل من خلال بناء نظام سياسي جديد قادر على إنتاج شرعية مؤسسية ومعيارية مستدامة، وإقامة علاقة أكثر توازنًا بين الدولة والمجتمع.

وتحوز مسألة الدولة في سورية هذه الأولوية المحورية، بسبب خصوصية الظرفية الراهنة أولًا، وفقر التجربة التاريخية السورية في مجال تشكّل الدولة الحديثة ثانيًا. فعندما يُطرح موضوع بناء الدولة، نعي أن ضعف الإنتاج المعرفي والفكري الأصيل في نظرية الدولة ومفهومها⁽⁵⁾، وتعزّز بلورة صيغة ناظمة للعلاقة بين الحاكمين والمحكومين تتناسب مع محددات الدولة الحديثة⁽⁶⁾، جعلًا التجربة

على الرغم من صعوبة تقديم تقدير دقيق لمسارات العملية السياسية في سورية ما بعد الأسد، فإن أهمية سقوط نظامه الاستثنائية، في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تنتج من أنه حدث مفصلي يفتح مجالًا لإعادة تأسيس المجالين السياسي والاجتماعي، ولا سيما في ما يتعلق بمشروع بناء الدولة الجديدة. وينطلق هذا الطرح من افتراض مفاده أن الثورة السورية عام 2011 مثّلت نهايةً لحقبة سياسية وبدايةً لتحوّل تاريخي نحو أفق سياسي مغاير؛ إذ عبّرت عن رفض الاستبداد بوصفه بنيةً حكمٍ وآليةً لإدارة المجتمع، وعن رفض إعادة إنتاج أي صيغة للدولة التسلطية⁽¹⁾. ولم تقتصر ديناميات الفعل الثوري على السعي لإنهاء الممارسات القمعية التي كرّسها النظام السابق⁽²⁾، بل انطوت أيضًا على صراع ذي أبعاد سياسية وأخلاقية يهدف إلى ترسيخ منظومة جديدة من القيم والمبادئ تشكّل الأساس المعياري بالنسبة إلى نظام اجتماعي وسياسي مستقبلي. ومن هذا المنطلق، يقتضي بناء منظومة سياسية منسجمة مع تطلعات الثورة عمليةً تأسيسيةً للدولة الجديدة لا تقتصر على إعادة هيكلة المؤسسات، بل تمتد إلى إعادة صياغة العلاقة بين الدولة والمجتمع وإعادة تعريف المجال العمومي.

ويستند إدراج الثورة السورية في سياق إعادة بناء الدولة إلى افتراض مؤداه أن الثورة الشعبية لم تنتهِ في عقب سقوط نظام الأسد، بل إن إسقاطه يمثّل مرحلة من مراحلها وليس نهايتها التاريخية. فلكي تكتسب الثورة معناها السياسي بوصفها ثورةً تاريخية، لا بد لها من أن تنطوي على مشروع لإعادة تشكيل المجال السياسي وإعادة تعريف العلاقة بين الدولة والمجتمع⁽³⁾. وفي الحالة السورية، تأجّل هذا المشروع إلى مرحلة ما بعد الأسد، لأن أولوية الفعل الثوري تمثّلت، أولًا، في إزالة البنية السلطوية التي عرقلت إمكان التغيير السياسي. ومن ثم، يمكن النظر إلى مسار الإصلاح السياسي في مرحلة ما بعد الأسد بوصفه امتدادًا للعملية الثورية واستكمالًا لها، لا مرحلة منفصلة عنها. وبهذا المعنى، تتحدد استمرارية شرعية السلطة السياسية الجديدة بمدى قدرتها على ترجمة المطالب التي عبّرت عنها الثورة إلى ترتيبات ومؤسسات سياسية جديدة، وهو ما يشكّل

4 نستخدم مفهوم "الشرعية الثورية" بمعنى وسياق مختلفين عن استخدامهما في الأيديولوجيات الثورية في سياق بعض الأنظمة العربية الحاكمة مصدرًا للشرعية والعقد الاجتماعي، من خلال وعود سياسية، مثل تحقيق العدالة والمساواة وتحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية، مقابل تأييد المجتمعات وطاعتها إياها وعدم معارضتها. للمزيد، ينظر: سعد الدين إبراهيم، "مصادر الشرعية في أنظمة الحكم العربية"، في: أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002 [1984])، ص 422 وما بعدها؛ وينظر أيضًا: Roger Owen, *State, Power and Politics in the Making of the Modern Middle East* (London: Routledge, 1992).

5 ينطبق على الفكر السياسي السوري الخاص بالدولة ما ينطبق على الفكر السياسي العربي عمومًا بالنسبة إلى التقوقع داخل أنساق تاريخية ومعرفية لم ينتج منها تأصيل لنظريات في الدولة تستمد مقولاتها ومجالاتها من السياق العربي وخصوصياته في المقام الأول. للمزيد ينظر مثلاً: سعد الدين إبراهيم [وآخرون]، المجتمع والدولة في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988)، ص 85-101.

6 تركّز هذه المسألة على الدولة الوطنية الحديثة من حيث المضامين القيمية والمعيارية، مثل الحريات العامة والفردية، والمشاركة السياسية، وغيرها. ومن ثم، لا ينصرف الاهتمام إلى شكل الدولة خارجيًا أو بنيتها المؤسسية بقدر ما يركّز على مضمونها القيمي والسياسي. وستناقش هذه الرؤية في حدود ما يخدم الإشكالية البحثية للدراسة، مع الإقرار بأن هذه الفرضية لا تزال في حاجة إلى مزيد من التدقيق والتحليل المنهجي والتأصيل التاريخي. ينظر: محمد جمال باروت، "الإخفاق في بناء الدولة ونهاية الجمهورية البرلمانية الأولى والأخيرة في سورية"، في: الدولة العربية المعاصرة: بحوث نظرية ودراسات حالة، محمد حمشي ومراد ديان (محرران) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023)، ص 195-247؛ عزمي بشارة، الدولة العربية: بحث في المنشأ والمسار (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024)، ص 287-320.

1 للمزيد، ينظر: خلفيات الثورة: دراسات سورية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

2 Raymond Hinnebusch, "Syria: From 'Authoritarian Upgrading' to Revolution?" *International Affairs*, vol. 88, no. 1 (2012).

3 عزمي بشارة، في الثورة والقبالية للثورة، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 40.

ضمن إطار العقد الاجتماعي، تشكل معياراً لفهم الشرعية السياسية وقياسها داخل المجتمع. ومن ثم، يمكن النظر إلى هذا البحث بوصفه امتداداً للنقاش المتعلق بمسار الانتقال السياسي في سورية بعد سقوط نظام الأسد، من خلال تأكيد ضرورة إعادة تأسيس علاقة جديدة بين الدولة والسلطة والمجتمع، على نحو يضمن قيام مجال سياسي يقوم على التفاعل والاعتراف المتبادل؛ ذلك أن المجتمع لا يتشكل بوجود صيغة تعاقدية مجردة، بل يتجسد فعلياً عندما تتحول مضامين التعاقد إلى ممارسات سياسية واجتماعية فعلية وذات فاعلة⁽¹²⁾.

وفي ضوء ما تقدم، تقتضي الشروط الاستثنائية التي أفرزتها الثورة السورية أن يتمحور مسار الانتقال السياسي حول مشروع بناء الدولة الجديدة. وفي هذا السياق، يغدو العقد الاجتماعي الركن الثالث في معادلة التأسيس، إلى جانب الدولة باعتبارها موضوع البناء، والمعطيات الواقعية بوصفها الإطار الذي يتعين أن تجري ضمنه عملية التأسيس، بما يتيح بلورة رؤية أكثر شمولاً للمعادلة السياسية الناضجة لمرحلة ما بعد الأسد.

وانطلاقاً من ذلك، تركز هذه الدراسة على افتراض أساسي مفاده أن الدولة في سورية، بوصفها كياناً مؤسسياً ومشروعاً سياسياً، لم تستكمل بعد شروط التطور المؤسسي التي تمكّنها من أداء وظائف الدولة الحديثة⁽¹³⁾. ويُفهم اندلاع الثورة، في هذا السياق، بوصفه تعبيراً عن أزمة سياسية واجتماعية متراكمة، تجسّدت في بنية الدولة وفي التصورات المرتبطة بها في آن واحد⁽¹⁴⁾. وبما أن بناء الدولة عملية بشرية واعية بقيمة الدولة، ومرتبطة في الحالة السورية بالسياق التاريخي السوري (الثورة والوضع السياسي ما قبل الثورة)، فإن هذه الدراسة تسعى لبحث المحددات السياسية والسوسيولوجية والقيمية والأخلاقية التي ينبغي أخذها في الحسبان في عملية بناء الدولة. وبصيغة أخرى، فإنها تشغل بالسؤال عن الأفكار والاعتبارات والسياسات المؤطرة لبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد، مع التركيز على نقاط التقاطع بين بناء الدولة والعقد الاجتماعي.

السياسة السورية تفتقر إلى "الرؤية التاريخية" و"الوعي بالتاريخ"، بما قد يُفني إلى إهمال "المحتوى المعرفي" وتغليب "المضمون الأيديولوجي" وفقاً لتعبير محمد عابد الجابري⁽⁷⁾. ومع ذلك، وفي ظل الظروف الحالية، لا ينبغي النظر إلى هذا الافتقار المعرفي والتاريخي بوصفه عائقاً، بل يمكن اعتباره عاملاً محفزاً للدخول في نقاش جاد متعلق بمسألة الدولة، ولا سيما أنها، على مستوى المفهوم النظري والمشروع الواقعي، تقع في صميم عملية الانتقال والتغيير السياسي التي تمرّ بها سورية منذ سقوط نظام الأسد. وإذا كنا قد افترضنا، في دراسة سابقة لنا عن مضامين ثورات الربيع العربي، أن الرسالة الأهم بالنسبة إلى هذه الثورات هي عودة المجتمع إلى السياسة⁽⁸⁾، فإن هذه "العودة" في الحالة السورية يمكن قراءتها بوصفها عودة إلى مشروع الدولة ذاته. أما الافتراض القائل إن منظومة المجتمع القيمية الثورية لا يمكن أن تتحقق إلا ضمن إطار الدولة الجديدة المتوافقة معها، فمن شأنه أن يؤدي إلى بلورة ما يمكننا تسميته "المجتمع السياسي"⁽⁹⁾، بوصفه كياناً ناشئاً عن تداخل ثلاثة عناصر يحدد شكل التفاعل بينها ملامح المجال السياسي: المجتمع، والمنظومة القيمية، والدول.

وعلى هذا النحو، نكون قد تطرقنا إلى مسألة العقد الاجتماعي المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدولة، من منطلق اعتبار أن بناء الدولة في سورية يعني في جوهره إعادة تأسيس العلاقة بين الدولة والمجتمع. ونتفق في هذا الصدد مع مقولة عزمي بشارة إن العقد الاجتماعي هو "مقاربة فلسفية للعلاقة بين المواطن والدولة، وربما لشرعية السلطة، وليس نظرية عامة في نشوء الدول"⁽¹⁰⁾؛ إذ إن ما نسعى لإبرازه هو أن طبيعة العلاقة التبادلية بين السلطة والدولة⁽¹¹⁾ والمواطن، كما تتبلور

7 محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ط 6 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1993)، ص 49.

8 عماد علي، "الثورة بين الأهداف الواقعية والمضامين المعيارية: نحو قراءة جديدة في الثورات العربية"، سياسات عربية، مج 13، العدد 74 (2025).

9 هذه استعارة عن عنوان كتاب مهم لباحث ألماني في موضوع التأثير الواسع والمتبادل بين السياسة والمجتمع في العصر الحديث، مع التشديد على أن "المجتمع السياسي" مختلف عن "الجماعة السياسية". ينظر:

Michael Th. Greven, *Die politische Gesellschaft: Kontingenz und Dezsion als Probleme des Regierens und der Demokratie*, 2. Auflage (Wiesbaden: VS Verlag für Sozialwissenschaften, 2008 [1999]).

10 عزمي بشارة، مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياسات، ط 2 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023)، ص 150.

11 نؤكد هنا عدم التطابق بين مفهومي الدولة والسلطة. فالسلطة ترتبط أساساً بنظام الحكم أو بالجماعة السياسية الحاكمة التي تتولى اتخاذ القرارات السياسية وتوجيهها على المستويين الداخلي والخارجي. أما الدولة، فنقصد بها الإطار المؤسسي والمعياري، بل الرمزي أيضاً، الذي ينظم الحياة العامة داخل إقليم معيّن، ويضم مجموعة من المؤسسات والقواعد والإجراءات التي تؤطر ممارسة الحكم والعلاقة بين المجتمع والسلطة. ومن الناحية المفهومية، تُعد الدولة كياناً عاماً يتجاوز الأشخاص والجماعات الحاكمة، ولا يمكن اختزالها في السلطة القائمة أو في النخبة التي تتولى إدارتها، وهي الأطروحة التي تسعى هذه الدراسة لمناقشتها وتطويرها.

12 عماد علي، "الانتقال السياسي في سورية: بناء الدولة وإصلاح المؤسسة السياسية: تحديات وآفاق"، سياسات عربية، مج 13، العدد 72 (كانون الثاني/ يناير 2025)، ص 66.

13 يتحدث محمد جابر الأنصاري عن فرضية مشابهة تتعلق بالدولة العربية عموماً، مع الاختلاف الجوهرى المتمثل في أن الأنصاري يشير إلى مشروع الدولة والانتقال الديمقراطي على مستوى التنظيم والمؤسسات، في حين أننا نركز في هذه الدراسة على الدولة مفهوماً ونظرية وواقعاً في ارتباطها بالعقد الاجتماعي. ينظر: محمد جابر الأنصاري، "الدولة القطرية: هل يمكن بناء ديمقراطية راسخة قبل ترسيخ دولة مكتملة النمو؟"، المستقبل العربي، مج 16، العدد 175 (1994).

14 للمزيد في هذا الشأن، ينظر مثلاً: عزمي بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

مفهوم العقد الاجتماعي للكشف عن مضامينه وتجلياته وتفكيكه في ضوء العلاقة بين السلطة والمجتمع والشرعية في الحالة السورية، انطلاقاً من فهمه بوصفه تصوراً معيارياً للدولة ولطبيعة علاقتها بالمجتمع، وما يحقق توازناً منهجياً بين الأبعاد الفلسفية والقيمية للعقد الاجتماعي من جهة، والمعطيات الواقعية بالنسبة إلى الدولة والسلطة السياسية من جهة أخرى.

أولاً: الأزمة السياسية: المحددات والتجليات

كتب عدنان الأتاسي في منتصف الخمسينيات: "إننا نرى أنفسنا بعد ثمان سنين من الفوز بالاستقلال مواطني دولة لا دستور لها أو أن لها عدة دساتير، وتحكم حكماً فردياً، وقد مرت عليها انقلابات عديدة أتت على تنظيمها الإداري فأصبح كبار موظفيها موظفي العهود القديمة لا موظفي الدولة. [...] ولا يتمتع المواطنون بأي وضع ثابت عملياً بالنسبة لحقوقهم المدنية والسياسية ولحرياتهم العامة"⁽¹⁷⁾. ويطرح الأتاسي بعض الأفكار للخروج من الأزمة للوصول إلى بناء ما سمّاه "الدولة الحديثة"، وفي مقدمتها تأتي ضرورة الانتقال إلى الحكم القانوني الدستوري، والاعتماد على التربية السياسية بوصفها شرطاً للانتقال من الحكم الفردي والعقلية الفردية. ويضع الفكرة القومية في مركز بناء الدولة، بهدف توحيد "الشعور والأهداف الأساسية" في المجتمع لتحقيق مشروع النهضة⁽¹⁸⁾.

يشير الأتاسي بدقة إلى الأزمة، لكنه يطرح بناء الدولة الحديثة، وعلى نحو أدق الدولة الحديثة الغربية، بوصفه حلاً يبدو ناجحاً ولا يتطلب سوى قرار سياسي. والمفارقة أنه يشرح نفسه الصيرورات التاريخية المتعلقة بالدولة الغربية. وتكتسب هذه الملاحظة أهمية خاصة، لأن نموذج الدولة الغربية طُبّق وفُرض على سورية، بحدودها الترابية وشكلها القانوني وبنيتها الإدارية، في ظل الانتداب الفرنسي. وبذلك، لم يكن ثمرة تطور داخلي نابع من المجتمع السوري، بل فُرض بهيكله المؤسسي من قوة استعمارية خارجية⁽¹⁹⁾. وبهذا المعنى، لم تُبنَ الدولة بقدر ما استُنسخ قالب جاهز للدولة الحديثة من دون تأسيس اجتماعي أو ثقافي أو فكري مواكب له. وعلى الرغم من تقبّل

وانطلاقاً من ذلك، لا تهدف الدراسة إلى تقديم تصور نظري للدولة ووظائفها، أو اختزال مسار بناء الدولة في فاعل سياسي واحد، بل تسعى لبلورة تأصيل نظري ومفهومي لبناء الدولة قابل للتكييف مع خصوصية الحالة السورية، بما يوفر قاعدة أولية لمجموعة من المقومات التأسيسية بالنسبة إلى الدولة الجديدة في ضوء مرحلة ما بعد سقوط نظام الأسد⁽¹⁵⁾. وفي هذا الإطار، تشير "الأفكار والاعتبارات" في صيغة السؤال البحثي المذكور إلى أبعاد معيارية وتأملية، في حين تحيل "السياقات" إلى ضرورة مواءمة هذه الأبعاد مع الشروط الواقعية التي تحدد إمكانيات تحقيقها وحدودها.

تعتمد هذه الدراسة على منهجية سوسيولوجيا المعرفة التأويلية، لما توفّره من مرونة في مقاربة الحقائق التاريخية وربطها بمعطيات الواقع الراهن، وإتاحتها توظيف بعض الأفكار التأملية والأطروحات النظرية والأطر القيمية المرتبطة بموضوع الدراسة. وينطلق هذا المنهج من تحديد الإشكالية في سياقها، ثم تفكيك مكوناتها وتحليلها ونقدّها، وصولاً إلى تقييم النتائج في ضوء المعطيات الواقعية، ضمن جملة من الضوابط التي تحفظ النسق المعرفي للدراسة. وبما أن تناول العلاقة بين الدولة والسلطة والمجتمع لا يقتصر على وصف الوقائع التجريبية، بل يستلزم أيضاً الاستعانة بأطر نظرية ومعايير قيمية وأخلاقية مؤسسة معرفياً، تتخذ الدراسة مسافة نقدية من النزعة الوضعية في العلوم الاجتماعية⁽¹⁶⁾، وتشدّد على ضرورة إخضاع التصورات المعيارية للفحص العلمي وربطها بمحددات الواقع الفعلي.

وتحقيقاً للموضوعية المعرفية، تستند الدراسة إلى معيارين رئيسيين: أولهما، الارتباط بالواقع الوجودي الفعلي لتجنّب إنتاج تصورات لا تعكس محدّداته الفعلية. وثانيهما، صلاحية المعايير القيمية واتساقها الداخلي، بما يعزز الموضوعية ويحدّ من النزعة الذاتية. وفي هذا الإطار، تبدأ الدراسة بتحليل العوامل التي أثّرت، ولا تزال تؤثر، في السياق السياسي السوري عموماً، وفي قضايا الحكم والدولة والسلطة خصوصاً. وفي المرحلة التحليلية النقدية، ينصبّ التركيز على

15 نؤكد، في هذا السياق، مسألة تركيز الدراسة على محاولة تأصيل بناء الدولة في السياق السوري مفهوماً ونظرياً، وهو ما يختلف، على سبيل المثال، عن دراسة فرانسيس فوكوياما بشأن بناء الدولة في السياق العام وإدخال مجالات مختلفة، مثل الفقر والإرهاب والأمن العالمي والاقتصاد ... إلخ، عناصر مؤثرة في بناء الدولة، أو الانتقال من "الدولة الضعيفة" إلى "الدولة القوية". ينظر:

Francis Fukuyama, "The Imperative of State-Building," *Journal of Democracy*, vol. 15, no. 2 (2004).

16 من الأعمال المهمة التي نذكرها، في هذا السياق، كتاب بيتر ونش عن العلاقة بين العلوم الاجتماعية والفلسفة، وفيه يرفض فصل هذه العلوم عن الفلسفة، ويؤكد ضرورة الإبداع الفكري والفلسفي لفهم الواقع. ينظر:

Peter Winch, *The Idea of a Social Science and Its Relation to Philosophy* (London: Routledge, 2007 [1958]).

17 عدنان الأتاسي، أزمة الحكم في سورية (حمص: مطبعة وزنكوغراف الميثم الإسلامي، 1954)، ص 4 وما بعدها.

18 المرجع نفسه، ص 65.

19 للمزيد، ينظر مثلاً: فيليب خوري، سوريا والانتداب الفرنسي: سياسة القومية العربية 1920-1945 (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1997)؛ نزيه الأيوبي، العرب ومشكلة الدولة (بيروت: دار الساقي، 1992)؛ خلدون حسن النقيب، الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية مقارنة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991).

ربما نرتكب خطأً إذا افترضنا أن الطائفية، كما تظهر في السياق السوري بعد سقوط نظام الأسد، ظاهرة جديدة أو من مخرجات الثورة؛ إذ إنها في الواقع عملية تراكت وتجدّرت تاريخياً، وتحوّلت إلى أداة للتوظيف السياسي في سياق تعزيز السلطة في ظل نظام الأسد⁽²³⁾. ولا تقتصر خطورة الطائفية في السياق السوري الراهن على ما تسبّب به من انقسام مجتمعي نتيجة لجوء الأفراد إلى الطائفة بوصفها إطاراً بديلاً من الانتماء إلى المجتمع الأوسع، بل تمتد أيضاً إلى استخدامها أداةً للتعبئة السياسية في المجال العمومي⁽²⁴⁾. وينتج من ذلك ممارسة الفاعلين السياسيين سياساتٍ مبنية على منطق التوزيع الطائفي في المجال العمومي، بحيث لا يكون الفاعلون في العملية السياسية قوى سياسية بالمعنى المتعارف عليه، بل قوى ذات أساس طائفي تتخذ من الخطاب السياسي غطاءً لها. ولهذا السبب، نميل إلى اعتبار هذه القوى طوائف سياسية⁽²⁵⁾، حيث تمثّل الطائفة المجال الحزبي والانتماء الطائفي وأداة التعبئة الأيديولوجية. ويؤدي هذا المناخ إلى عملية سياسية مشوّهة غير قادرة على خلق قنوات من التفاهم والتوافق السياسي. ويبقى الخطر الأكبر أن يقود هذا المسار إلى تسويات سياسية إشكالية تتجسد في عقد اجتماعي مُلتبس قائم على أساس المحاصصة الطائفية، كما هو عليه الحال في لبنان مثلاً⁽²⁶⁾.

في ظل الاستقطاب والانقسام الطائفي، تُطرح العلمانية بوصفها أحد سبل تجاوزه. ولسنا بصدد تقييمها، بل نشير إلى صعوبة تقديمها حلاً مسبقاً وشاملاً بمعزل عن الواقع السوري. فهي، بمفهومها القائم على الفصل بين الديني والسياسي، تصطدم بحقيقة أن القوى الإسلامية

السوريين عمومًا لهذه الدولة بوصفها "أمرًا واقعًا"⁽²⁰⁾، فإن ذلك لم يكن كافيًا لتجاوز أزمة الشرعية البنيوية التي ارتبطت بها منذ نشأتها واستمرت بأشكال مختلفة حتى عام 2011.

وبناءً على ذلك، نعتقد أن الثورة السورية ومسارها الصعب ومآلاتها تفرض إعادة النظر في قضايا الحكم والسلطة والدولة. فالأزمة التي أدّت إلى الثورة هي، كما وصفها الأتاسي، أزمة حكم ناجمة عن غياب معايير توافقية داخل المجتمع بشأن مبادئ الحكم وقواعده. ومع نجاح السلطة في تأسيس ما يمكن تسميته بـ "الدولة السلطوية"، حيث مارست القمع وأقصت المجتمع من المجال السياسي، تحوّلت الأزمة إلى أزمة سياسية بنيوية في العلاقة بين السلطة والمجتمع، ومن ثم في بنية الدولة ذاتها. ومن هذا المنظور، تحوّلت أزمة الحكم إلى أزمة في السياسة والدولة نتيجة إخضاع الدولة للسلطة وتقهقرها لصالحها. ونستخدم مفهوم الدولة السلطوية للدلالة على غط من الدولة يفقد استقلاليته النسبية لصالح السلطة الحاكمة. وهي دولة متقهقرة لأنها، على الرغم من طابعها السلطوي، تبقى محدودة الفعالية بوصفها جهازاً تابعاً للسلطة ومنفصلاً عن المجتمع، بل أداة لقمعه⁽²¹⁾. فهي دولة واهية من حيث مضمونها الاجتماعي ووظيفتها التمثيلية، ومتسترة خلف جهاز بيروقراطي، ومتضخمة⁽²²⁾ من حيث أدوات الإكراه والقمع. وبعبارة أخرى، تكون الدولة متقهقرة عندما تضعف روابطها التكوينية مع المجتمع، في حين تبدو قويةً بالنظر إلى امتلاكها أدوات الجبر والقمع.

ومن منظور استعراض الدولة المتقهقرة على هذا النحو، يغدو مسوّغ إعادة التفكير في الدولة والوعي بها أكثر إلحاحاً. وفي خضم الظروف في مرحلة ما بعد الأسد، تبرز الحاجة إلى منظومة من المعايير والقيم القادرة على تأسيس توافق مجتمعي واسع، ولا سيما أن الثورة قد كشفت عن شرخ اجتماعي عميق واختلال في توازن القوى بين الفئات الاجتماعية، مما يفرض إعادة النظر في تموضع هذه الفئات ضمن الخريطة السياسية الجديدة. وفي ضوء ذلك، يمكن ملاحظة صعود واضح لإشكالية ذات بُعدين: يتمثل الأول في الطائفية، بوصفها ظاهرة تتجاوز حدود الخطاب والسرديات لتتحول إلى بنية اجتماعية وسياسية مؤثرة، ويتمثل الثاني في العلاقة بين الديني والعلماني، والتي تكتسب أهميتها من وجود جماعة ذات خلفية إسلامية في موقع السلطة.

20 بشار، الدولة العربية، ص 320.

21 برهان غليون، المحنة العربية: الدولة ضد الأمة، ط 4 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)؛ غسان سلامة، المجتمع والدولة في المشرق العربي، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999 [1987]).

22 استدلال مقصود على كتاب نزيه أيوبي، تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط، ترجمة أمجد حسين (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010 [1994]).

23 قارن مثلاً بن نيقولاس فان دام، الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة: 1961-1995 (القاهرة: مطبعة مدبولي، 1995)؛ ومن خلال دراسة توثيقية متعلقة بهوية الضباط المتنفذين في الجيش والمخابرات في الفترة 2000-2011، يصل بشار إلى النتيجة الواضحة التالية: "لا يمكن لأي محلل لطبيعة الدولة والنظام في سورية، بغض النظر عن موقفه من هذا النظام، أن يتهرب من التطرق إلى هذه الظاهرة، فهي أساس واقعي لتشكّل الشعور لدى عامة الناس في سورية، بأن أقلية علوية تحكمهم، وشعور عامة العلويين أيضاً بعلاقة خاصة تجمعهم بالجيش ونظام الحكم"، ينظر: عزمي بشار، الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 371.

24 لا نقصد بذلك أن هذا الخطر هو الخطر الذي تمثّله الطائفية فحسب، بل فحّة أيضاً سابقات ومستويات أخرى لا تقلّ عنه خطورةً، مثل بنية المؤسسة السياسية والأمنية والعسكرية (محاصصة طائفية غير معلنة)، والمحابة وتوزيع الثروة وغيرها. وبأني تركيزنا في هذا السياق على التعبئة السياسية للطائفية، لأنها الجانب المرتبط، على نحو مباشر، بمحور الدراسة.

25 نقارب هذا المصطلح مع "الطائفية السياسية" كما قدّمها بشار في تحليله للطائفية في الحالة اللبنانية. ينظر: بشار، الطائفة، ص 540-571؛ ويستخدم بشار المصطلح نفسه في نقده للدولة العربية وأزمة شرعيتها أيضاً، ينظر: المرجع نفسه، ص 378.

26 عاطف عطية، الدولة المؤجلة: معوقات نشوء الدولة والمجتمع المدني في لبنان (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 2000).

Bassel Salloukh et al., *The Politics of Sectarianism on Postwar Lebanon* (London: Pluto Press, 2015).

هما يتطلبه من ضمانات للتعايش الأهلي، مشروطاً بصياغة توافق سياسي يتجاوز الاستقطاب بين الديني والعلماني، ويؤسس لمشروع دولة قائم على التوافق المجتمعي والقيم الجامعة المرتبطة بالهوية؛ إذ لا ينفصل بناء الدولة في الحالة السورية عن عملية بناء الأمة⁽²⁹⁾.

ثانياً: العقد الاجتماعي: التفكيك وإعادة البناء

1. الدولة والجماعات والمجتمع

مثلت الثورة، كما أوضحنا سابقاً، حدثاً تاريخياً كشف على نحو جلي الاختلال الذي أصاب تماسك المجتمع السوري نتيجة عقود طويلة من غياب السياسة الجمعية وهيمنة نمط من الحكم النخبوي والاستبدادي الذي انحصر اهتمامه في حماية مصالح السلطة وضمان استمرارية بقائها. وقد انعكس ذلك في تبني استراتيجيات أسهمت في تعزيز تماسك بنية الحكم على حساب تماسك المجتمع نفسه؛ إذ إن ترسيخ السلطة الاستبدادية بهذه الطريقة لم يكن ممكناً من دون امتلاك أدوات فعالة لإضعاف البنى الاجتماعية، وهي سمة تشترك فيها الأنظمة الاستبدادية الشمولية، كما بينت حنة أرندت⁽³⁰⁾. ولذلك، تواجه عملية استعادة التماسك الاجتماعي في سورية تحديات معقدة تتصل بالانقسامات الطائفية والعرقية والأيدولوجية؛ وهي انقسامات تفاقت بسبب غياب مرجعية جامعة يمكن أن تؤدي دور الإطار الناظم لهوية وطنية جمعية. وينطلق هذا التصور من افتراض مفاده أن المجتمع يتكوّن من مجموعة من الهويات الجماعية المرتبطة بجماعات مختلفة، والتي ازدادت رسوخاً بتأثير من الانقسامات الراهنة. ويُنظر إلى الهوية الجمعية Collective Identity على أنها ليست مفهوماً ثابتاً أو نهائياً عبر الزمن، بل هي ظاهرة ديناميكية تتأثر بالتحوّلات الاجتماعية

تمثّل اليوم الفاعل السياسي الأبرز في سورية، في سياق يُنظر فيه إلى النظام السابق بوصفه قد وظّف العلمانية للشرعنة السياسية مع ممارسته سياسات قمعية تجاه المجال الديني⁽²⁷⁾. ومن ثم، تكتسب العلاقة بين العلمانية والديني والسياسي في سورية بُعداً تحليلياً خاصاً. ولا يعني ذلك اختزال المسألة في توازن مصالح بين القوى العلمانية والدينية؛ إذ تكمن الإشكالية في تقديم العلمانية بوصفها أيديولوجيا صدامية مع الدين، في حين يفتح مفهومها أيضاً على دلالات أخرى، مثل الحياء المؤسسي، والنظام الدستوري، والمدنية السياسية.

ومن ثم، يبرز سؤال تصورات القوى الإسلامية، ولا سيما السلطة الانتقالية، تجاه العلمانية والقوى السياسية الأخرى، ورؤيتها للدولة وشكل الحكم. ولا يُطرح هذا السؤال من منظور الأدبيات النظرية، بل انطلاقاً من الراهن السياسي، حيث تميل السلطة الانتقالية إلى تأجيل حسم هذه القضايا لحساسيتها وما قد تثيره من انقسامات ومخاوف. وهو ما يعزّز الحاجة إلى خطاب معرفي أكثر توافقاً مع تعقيدات الواقع.

وفي هذا السياق، لا تبدو التفسيرات السيكولوجية، التي تعزو "عدم مقبولية العلمانية" إلى "ذهنية" دينية متطرفة أو متعصبة⁽²⁸⁾، كافية لتفسير الظاهرة، لقيامها على افتراضات تعميمية تفتقر إلى الأساس الواقعي والمنهجي. فالإشكالية، في تقديرنا، تكمن في تسويغ العلمانية من خارج حدودها المفهومية عبر ربطها برفض الدين وتصويره سبباً للأزمة، في حين تُفهم أساساً بوصفها نمطاً لتنظيم العلاقة بين المجالين السياسي والديني، وليست مشروعاً لمعاداة الدين أو إقصائه. وإضافة إلى ذلك، فإن الربط الحتمي بين الدين والأزمات الاجتماعية، أو بين العلمنة على المستوى السياسي والاجتماعي ومستوى الوعي الفردي، يفتقر إلى مسوغ كافٍ. في حين تظل مقارنة حيادية الدولة تجاه العقائد الدينية في حاجة إلى تأصيل أوضح لمفهومَي الدولة والحياد، وإلى التمييز بين الدولة ونظام الحكم وعدم اختزال الدولة في مواقف القوى السياسية.

وبناءً على ذلك، تمثّل الطائفية والعلاقة المتوترة بين الديني والعلماني قضيتين مركبتين تؤثران في إمكانات التوافق بين المجتمع والسلطة ضمن إطار العقد الاجتماعي. لذا، يتجاوز بناء الدولة في سورية البعد الإجرائي، ليكون عملية سياسية معقدة تتطلب مقارنة واقعية للمعوقات الاجتماعية والسياسية. ويبقى المستقبل السياسي السوري،

27 هذا مع تأكيدنا أن العلمانية لم تكن سوى "علمانية مزيفة" استخدمها نظام الأسد لتحقيق أهداف سياسية سلطوية بحتة، منها قمع المعارضين وعموماً والإسلاميين على وجه التحديد.

28 رسلان عامر، "ما مدى واقعية العلمانية في المجتمع السوري؟"، المركز العربي لدراسات سورية المعاصرة، 2021/9/11، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2suq>

29 René Grotenhuis, *Nation-Building as Necessary Effort in Fragile States* (Amsterdam: Amsterdam University Press, 2016).

توجد تقاطعات عديدة بين بناء الدولة State-Building وبناء الأمة Nation-Building، لكن لا يوجد تطابق بينهما. في دراستنا، نشير أحياناً ضمنياً إلى بعض الجوانب المنتمية إلى بناء الأمة بدرجة أكبر من بناء الدولة، مثل مسألة الهوية والقومية كما نقدهما في الأسفل، والسبب في ذلك هو تركيز الدراسة على بناء الدولة على نحو أساسي. ومن ثم، ينطلق تناولنا مفهوم الأمة في هذا السياق أساساً من منظور سوسيولوجي، أكثر من اعتباره مقارنة مفهومية أو نظرية خالصة.

30 حنة أرندت، *أسس التوتاليتارية*، ترجمة أنطوان أبو زيد (بيروت: دار الساقي، 2016)؛ حنة أرندت، *النظام الشمولي: آليات التحكم في السلطة والمجتمع*، ترجمة نادرة السنوسي (الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، 2019).

الدستورية، لا تكفي وحدها لتكوين الشعور بالانتماء إلى الأمة أو لترسيخ الهوية الوطنية. فوجود جماعة بشرية متجانسة من الناحية الأنثروبولوجية لا يضمن بالضرورة نشوء وعي وطني مشترك. ومع أن للدستور دوراً محورياً في تنظيم المجال السياسي وتعزيز المنظومة القيمية السائدة في الدولة الحديثة، فإنه يفقد كثيراً من فعاليته إذا عجز عن الإسهام في بناء وعي جماعي بالانتماء الوطني. وتكتسب هذه الملاحظة أهمية خاصة عند إسقاطها على السياق السوري الراهن، حيث لا يزال التحدي الأساسي يتمثل في بلورة هوية وطنية جامعة تتجاوز الانقسامات الفرعية وتؤسس لشعور مشترك بالمواطنة والانتماء إلى الأمة.

وفي السياق السوري أيضاً، تبدو القومية الجامعة محدودة القدرة، في الظروف الراهنة، على أداء وظيفة الإطار الموحد للهوية الوطنية؛ ذلك أن طبيعة الأزمة لا تتمثل في مواجهة مع عدو خارجي، كما في حالات الاستعمار أو الغزو، بل هي ناجمة أساساً عن اختلالات داخلية تحكم علاقات المراكز والقوى الاجتماعية في ما بينها. واستناداً إلى ذلك، لا يمكن أن تقوم إعادة بناء التماسك المجتمعي على محفز خارجي يوحد الجماعة الوطنية، بل ينبغي أن تنشأ العملية بوصفها عملية داخلية تستند إلى إعادة تنظيم العلاقة بين مكونات المجتمع المختلفة. وانطلاقاً من ذلك، فإن الإطار المرجعي القادر على أداء وظيفة الدمج بين الجماعات والهويات الفرعية ينبغي أن يتجاوز الانتماءات الجزئية، بحيث لا يمثل مصالح جماعة بعينها، بل يعمل بوصفه فضاءً عاماً جامعاً ومنظماً للتعدد⁽³⁷⁾. وفي الحالة السورية، تبدو الدولة، بوصفها إطاراً مؤسسياً عاماً، الأكثر قدرة، من حيث المبدأ، على أداء هذه الوظيفة. غير أن الدولة السورية القائمة تاريخياً كانت قد تراجعت عن هذا الدور بسبب اختزالها في بنية السلطة وإخضاع مؤسساتها لمنطق الهيمنة، الأمر الذي يجعل نجاح مشروع الدولة الجديدة مرتبطاً بقدرتها على استعادة وظيفتها المؤسسية وإعادة تنظيم التعدد الاجتماعي ضمن إطار وطني مشترك. وبهذا المعنى، لا تمثل الدولة أداةً لتنفيذ مشروع سياسي فحسب، بل تصبح غايةً تأسيسية في حد ذاتها أيضاً؛ إذ تتداخل عملية بناء الدولة مع عملية إعادة بناء الهوية الوطنية واستعادة التماسك المجتمعي.

وتقتضي هذه الوظيفة المربكة بالنسبة إلى الدولة، بوصفها إطاراً عابراً للجماعات والهويات الفرعية، أن يتزامن بناؤها مع عملية تشكل عقد اجتماعي جديد، وأن يسير معها بالتوازي. ومن هذا المنطلق، يمكن تأكيد أن بناء الدولة وتبلور العقد الاجتماعي يمثلان عمليتين

المختلفة⁽³¹⁾، وتشكل نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي توطر علاقات الفاعلين داخل "نظام فعل متعدد الأقطاب" Multipolar Action System⁽³²⁾. وانطلاقاً من ذلك، تظل الهوية الجمعية قابلةً للتشكل وإعادة البناء على نحو مستمر، وهو أمرٌ يجعل من الظروف البنوية والسياسية المحيطة بالنظام، الذي تتفاعل ضمنه محددات الهوية، عوامل أساسية لا يمكن تجاهلها في فهم آليات تكوينها وتحولاتها⁽³³⁾.

ووفقاً لهذا التصور، يمكن افتراض إمكانية استيعاب الهويات الجماعية الفرعية، كالهويات الطائفية مثلاً، ضمن إطار هوية جمعية أشمل تتمثل في الهوية الوطنية، وذلك عبر مشروع سياسي قادر على تجاوز الانقسامات وصياغة مرجعية جامعة تؤسس لشعور مشترك بالانتماء⁽³⁴⁾. وفي ظل الاستعمار الفرنسي، اكتسبت فكرة القومية (الأمة) صلاحية نافذة وواسعة، أثرت في تكوين الهوية الوطنية. وعندما كانت ألمانيا خاضعةً لهيمنة الجيش الفرنسي، اضطلعت خطابات يوهان غوتليب فيشته بدور بارز في الدعوة إلى إحياء "روح الأمة" وتعزيز الشعور القومي باعتباره مدخلاً للتحرر وبناء الدولة الوطنية، وهو ما أسهم في ترسيخ إحساس ثقافي وجمعي مشترك⁽³⁵⁾. وقد بلغ تأثير هذا التصور حدّاً دفع برتراند راسل إلى تحميل فيشته، إلى جانب فلاسفة ألمان آخرين مثل إيمانويل كانط وجورج فيلهلم فريدريش هيغل، مسؤولية فكرية غير مباشرة عن صعود النزعات الفاشية في أوروبا⁽³⁶⁾. ومن المثير للاهتمام أن فيشته يرى أن عوامل، من قبيل الخصائص الأنثروبولوجية أو البنية

31 Jennifer Todd, "Social Transformation, Collective Categories, and Identity Change," *Theory and Society*, vol. 34, no. 4 (2005).

32 Alberto Melucci, "Getting Involved: Identity and Mobilization in Social Movements," *International Social Movement Research*, vol. 1 (1988); Alberto Melucci, *Nomads of the Present: Social Movements and Individual Needs in Contemporary Society*, John Keane & Paul Mier (eds.) (Philadelphia, PA: Temple University Press 1989).

33 Francesca Polletta & James M. Jasper, "Collective Identity in Social Movements," *Annual Review of Sociology*, vol. 27, no. 1 (2001).

34 للمسألة ارتباطها الوثيق بمفاهيم عديدة مثل الوطنية والهوية الوطنية والهوية الثقافية. ينظر:

Tim Reesens & Matthew Wright, "Nationalism and the Cohesive Society: A Multilevel Analysis of the Interplay Among Diversity, National Identity, and Social Capital Across 27 European Societies," *Comparative Political Studies*, vol. 46, no. 2 (2013).

35 Erich Fuchs et al. (eds.), *Johann Gottlieb Fichte: Gesamtausgabe der Bayerischen Akademie der Wissenschaften. Teil 1: Werke, Band 10: Werke 1808-1812* (Stuttgart-Bad Cannstatt: Frommann-Holzboog, 2005).

36 Bertrand Russel, *A History of Western Philosophy* (London: Routledge, 1996 [1945]).

37 وهو ما يشير إليه المتدين في قراءته عن حالة المغرب. ينظر: عبد اللطيف المتدين، "سياسات الهوية واستقرار الدولة في المغرب العربي"، في: *الدولة العربية المعاصرة: بحوث نظرية ودراسات حالة*، ص 415-416.

قائمة ضمنياً خلال العقود السابقة للثورة⁽⁴⁰⁾، نتيجة ضعف المجال السياسي المستقل، وعدم تطور العمل السياسي ضمن إطار مؤسسي يسمح بتفاعل حقيقي بين القوى السياسية والمجتمع. ومن ثم، لم تكن الثورة سبباً في إنتاج الأزمة المجتمعية، بل كشفت عن اختلالات عميقة في بنية النظام السياسي والاجتماعي، وفي المنظومة التي حكمت علاقة السلطة بالمجتمع. ومن خلال قراءة سوسيولوجية، فإن الثورة جسدت تطوراً للمجتمع خارج نطاق السلطة، ومحاولة تاريخية للحصول على الاعتراف (Anerkennung/ Recognition)، باعتباره شرطاً للحرية وفق التصور الهيجلي الذي طوره أكسيل هونيت⁽⁴¹⁾.

ومن منظور أنثروبولوجي، مثل الاستبداد في عهد الأسد ما يمكننا وصفه بـ "حالة الطبيعة المنظمة"؛ إذ جرى تنظيم العنف وأدوات الهيمنة بدلاً من تنظيم المجتمع وقواعد التفاعل داخله. وقد أنتج ذلك وضعاً هجيناً لم يرتقِ إلى حالة سياسية مكتملة. والمقصود بالحالة السياسية، في هذا السياق، حالة التنظيم والفعل السياسي ضمن إطار دولة منسجمة مع المجتمع، ومرتبطة بقضايها، وقادرة على معالجة مشكلاته والاستجابة لمطالبه، بحيث لا يمكن فهم الدولة بمعزل عن علاقتها العضوية بالمجتمع. وانطلاقاً من هذا التصور، يمكن النظر إلى الثورة باعتبارها محاولةً للتحرر من "حالة الطبيعة المنظمة"؛ أي الاستبداد، والانتقال نحو الحالة السياسية التي تتجسد في الدولة بوصفها إطاراً للتنظيم والمشاركة العامة. وبهذا المعنى التأويلي، تغدو الثورة حركة اجتماعية تجديدية تتفاعل مع معطيات الماضي، وتسعى في الوقت نفسه لتجاوزها وبناء نظام اجتماعي جديد.

ويؤدي هذا التصور إلى إعادة طرح مسألة الدولة ودورها في التنظيم السياسي والاجتماعي، وهي المسألة التي تناولتها نظريات العقد الاجتماعي من هوبز إلى روسو وجون لوك وكانط وجون رولز⁽⁴²⁾. وتتناول هذه النظريات مسألة الشروط التي تمنح سلطةً سياسيةً معينة صفة الشرعية، بحيث يحق لصاحب السلطة فرض قواعد محددة على الأفراد الخاضعين لها ضمن إطار الصيغة التعاقدية الافتراضية. وفي مقابل تخلي الأفراد، طوعاً أو أحياناً على نحو غير طوعي، عن جزء من حريتهم واستقلاليتهم، كما في الامتثال للقوانين أو الخضوع للعقوبات، تصبح الكيفية التي تُفرض بها الطاعة والخضوع معياراً

متراپطين لا يمكن فصل إحدهما عن الأخرى؛ إذ يتأسسان عبر تفاعل تشاركي وتوافقي بين السلطة بوصفها جماعة سياسية من جهة، والمجتمع بما يضمه من قوى وجماعات وأفراد من جهة أخرى. ويفترض برهان غليون أن النزاعات الطائفية والدينية والانقسامات السياسية (بين الجماعات والقوى في المجتمع الواحد) تعود إلى غياب "الدولة الأمة" و"دولة المواطنه [...] التي تساوي بين جميع مواطنيها وتعاملهم كأعضاء رابطة سياسية واحدة"، ويؤكد أن "غياب الطابع الوطني والقومي الحقيقي لهذه الدولة" يجسد "السبب الرئيس في تثبيت التمايزات الطائفية والعشائرية"⁽³⁸⁾. ومن ثم، يخلص إلى أن الطائفية لا تنجم، بالضرورة، عن التعدد الديني أو الطائفي في حد ذاته، بل ترتبط بطبيعة المشكلة السياسية والاجتماعية، وبالسياسات التي تنتهجها السلطة في إدارة الدولة والمجتمع⁽³⁹⁾.

غير أن الإشكالية المركزية تتمثل في الكيفية التي يمكن من خلالها دمج المجتمع في عملية بناء "دولة المواطنه"، بحيث يصبح شريكاً فعلياً، أو حتى نذاً سياسياً، للسلطة في صياغة هذا المشروع. فعندما تعجز الدولة عن تمثيل المجتمع والتعبير عن قضايها، فإن الخلل يكمن، بدرجة أساسية، في النخبة السياسية التي تدير السلطة وتعيد إنتاج هذا النموذج من الدولة. وبناءً على ذلك، يقتضي البحث عن مداخل للحل العمل في اتجاهين متوازيين: الأول من داخل مؤسسات السلطة، عبر السعي لإصلاح بنيتها وآليات عملها، والثاني من خارجها، من خلال تمكين المجتمع وإدخاله فاعلاً مؤثراً في عملية إعادة بناء الدولة وصياغة العقد الاجتماعي الجديد.

2. حالة الطبيعة والحالة السياسية

إذا انطلقنا من هذا التأويل في محاولة لتقديم قراءة واقعية للحالة السياسية السورية في عقب سقوط نظام الأسد، فقد يمكن النظر إليها بوصفها تجلياً لما يمكن تسميته بـ "حالة ما قبل السياسة"؛ أي الحالة التي يفتقر فيها المجتمع إلى نظام سياسي قادر على تنظيم العلاقات العامة وصياغة إطار جامع للحياة المشتركة. ولا نقصد بذلك العودة إلى مفهوم "حالة الطبيعة" كما صاغها توماس هوبز أو جان جاك روسو، بل الإشارة إلى واقع تاريخي تشكّل نتيجةً لظروف سياسية واجتماعية محدّدة أعادت المجتمع إلى موقع البحث عن أسس جديدة للتنظيم السياسي والعيش المشترك. ولا يعني ذلك أن هذه الحالة نشأت مع سقوط نظام الأسد، بل يمكن القول إنها كانت

40 Alan George, Syria: Neither Bread nor Freedom (London/ New York: Zed Books, 2003).

41 Axel Honneth, *Leiden an Unbestimmtheit: Eine Reaktualisierung der Hegelschen Rechtsphilosophie* (Stuttgart: Reclam, 2001).

42 يقدّم بشارة قراءة نقدية ومنطقية متعلقة بالنظريات التعاقدية. ينظر: بشارة، مسألة الدولة، ص 146-181.

38 برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013 [1979])، ص 9 وما بعدها.

39 برهان غليون، نظام الطائفية: من الدولة إلى القبيلة (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1990).

لا توجد وسيلة عملية لإثبات تحقق إجماع كامل على صيغة سياسية أو اجتماعية معينة، حتى إن جرى تبريرها ضمن إطار "المصلحة العامة" كما هو الأمر بالنسبة إلى روسو، وذلك بسبب اختلاف الأفراد والجماعات وتباين مصالحهم. وفي هذا السياق، تبرز التعاقدية الليبرالية التي تؤكد حرية الأفراد بوصفها الأساس الذي يقوم عليه التعاقد. غير أن هذه المقاربة تواجه إشكالية تتمثل في أن حرية فرد أو جماعة في تحديد مصالحها قد تتعارض مع مصالح جماعات أخرى داخل المجتمع. ولذلك، يفترض رولز أن "التسامح" بين الجماعات في المجتمع لا يكتسب معناه الحقيقي إلا إذا كانت الجماعات المعنية متحررة من أي "شبكة من الهيمنة" (46) التي قد تؤثر في قدرتها على الاختيار الحر. وتبدو هذه الأطروحة مقبولة من الناحية النظرية، لكنها مثالية، لأنها تفترض وجود "حالة طبيعة" مثالية. ومن ثم، يأتي التصور عن "التعاقدية الأخلاقية" التي تحاول تأطير مفهوم التعاقدية سياسيًا واجتماعيًا على أساس المبادئ الأخلاقية السائدة في المجتمع (47).

ومن الأمثلة البارزة من هذا الحقل مقارنة الألماني بيتر شتيمر، الذي يرى في الأخلاق نظامًا من القواعد السلوكية التي تنشأ على نحو عقلائي على أساس مصالح الأفراد من خلال قبولهم بقيود معينة إذا فعل الجميع الأمر نفسه (48). ومن المثير للاهتمام أن شتيمر يعتبر أنه لا يمكن تبرير الأخلاق على أساس القيم الميتافيزيقية والدينية، بل على أساس اتفاق عقلائي بين الأفراد لتنظيم مصالحهم. وبناءً على ذلك، فإن الأخلاق هي منتج إنساني عقلائي من الأفراد وبينهم لحل النزاعات الاجتماعية. ويتجسد مفهوم الأخلاق في هذه المقاربة بميل الأفراد أنفسهم إلى قبول التعاقد بسبب مصالحهم المتبادلة؛ ما يعني "عقلانية متبادلة" على أساس المصلحة المشتركة، فيمكن القبول بتقييد الحرية الشخصية لأنه يعني أيضًا تقييد حريات الآخرين (49). لذا، يبدو القبول بالتعاقد الافتراضي نابعاً من شعور الأفراد أن ذلك يصب في مصلحتهم في نهاية المطاف. وليست الأخلاق في حد ذاتها المعيار، بل هي نفسها تخضع للتقييم الأخلاقي وفقاً لمعايير أخلاقية من شأنها التمييز بين المعايير المبررة وغير المبررة، وبين المعايير الأخلاقية الملزمة

لتقييم شرعية السلطة (43). ويعتمد العقد الاجتماعي، بوصفه نموذجًا للشرعية، على فرضية معيارية مفادها أن البشر ينبغي أن يشاركوا في تأسيس السلطة السيادية باعتبارهم أفرادًا أحرارًا ومتساوين. فالتعاقدية تتمحور، في جوهرها، حول العلاقة التبادلية بين الحقوق والواجبات بين الأفراد والسلطة. وينجم تصور هذه التبادلية من افتراض نظري مؤداه أن الأفراد المقيمين داخل حدود الدولة يقبلون قراراتها وقوانينها بوصفهم قد اختاروا طوعًا الإقامة ضمن إطارها السياسي والقانوني. ومع ذلك، يبقى التساؤل عن حدود هذه الطاعة مسألة فلسفية وإشكالية محل جدل مستمر (44). وهكذا، تجد الدولة نفسها ملزمة سياسيًا بصياغة قراراتها على نحو يراعي مصالح الأفراد ومعتقداتهم، بما يعزز قبولهم لها وولاءهم تجاهها (45).

ومن المهم الإشارة إلى أن نظريات العقد الاجتماعي نشأت في سياقات تاريخية وفكرية متباينة، وانطلقت من افتراضات مختلفة متعلقة بطبيعة الحالة السياسية والعلاقة بين الفرد والدولة، بما يجعلها تعكس وعيًا اجتماعيًا وتاريخيًا خاصًا بكل مجتمع ومرحلة. وبغض النظر عن اختلاف مضامين هذه النظريات، فإنها تثير تساؤلات عن الطبيعة المعيارية للمسوغات التي تقدمها بشأن شكل الدولة والعلاقة بين الأفراد والسلطة، وهو ما يحد من إمكانية التعامل معها بوصفها نماذج تفسيرية مطلقة. ويظهر ذلك بوضوح في اختلاف تصوراتها لـ "حالة الطبيعة"؛ إذ لا تمثل هذه الحالة وصفًا محايدًا بقدر ما تشكل أساسًا نظريًا لتبرير نمط معين من الدولة. ففي نظرية هوبز، مثلاً، يؤدي افتراض الصراع الدائم بين الأفراد في الحالة الطبيعية إلى تبرير قيام دولة قوية ذات سيادة مركزية، يقبل الأفراد الخضوع لها مقابل تحقيق الأمن والسلم. ومن ثم، تتمثل الإشكالية في تعميم تصورات محددة للحالة الطبيعية ومنحها طابعًا كونيًا، على نحو يحولها إلى أساس لتبرير نموذج بعينه للدولة باعتباره الأكثر شرعية.

ويمكن، في هذا الإطار، إثارة مسألتين أساسيتين ينبغي مراعاتهما عند تناول التصورات التعاقدية. تتمثل الأولى في أن العقد الاجتماعي لا يمنح الدولة شرعية ثابتة ودائمة، لأن الشرعية السياسية ترتبط بسياقات تاريخية واجتماعية متغيرة، ولا يمكن اختزالها في توافق أولي بين الأفراد فحسب. أما المسألة الثانية فتتعلق بأن التعاقدية تفترض، ضمنيًا، أن التوافق بين الأفراد أمر شامل ومحسوم، في حين أنه

46 John Rawls, "Justice as Fairness: Political Not Metaphysical," *Philosophy and Public Affairs*, vol. 14, no. 3 (1985).

47 ينظر على سبيل المثال:

Carl G. Hedman, "Making the Social Contract Relevant," *Social Theory and Practice*, vol. 13, no. 3 (1987).

48 Peter Stemmer, *Handeln zugunsten anderer: Eine moralphilosophische Untersuchung* (Berlin: de Gruyter, 2000).

49 Peter Stemmer, "Moralischer Kontraktualismus," *Zeitschrift für philosophische Forschung*, vol. 56, no. 1 (2002).

43 Edward A. Harris, "From Social Contract to Hypothetical Agreement: Consent and the Obligation to Obey the Law," *Columbia Law Review*, vol. 92, no. 3 (1992).

44 Harris, pp. 652-655.

45 Harry Beran, *The Consent Theory of Political Obligation* (New York: Routledge, 2020 [1987]).

مماثل بين الجماعات المختلفة، نظرًا إلى تباين مصالحها، وتقاليدها، ومرجعياتها الفكرية والثقافية، فضلًا عن اختلاف تصوراتها للواقع ولطبيعة النظام السياسي المنشود.

تنطلق مختلف النظريات التعاقدية، ويظهر ذلك بوضوح في مقارنة شتيمر، من افتراض وجود معيار أخلاقي عملي مشترك لدى الأطراف، وهو مبنيٌّ على إدراك مصلحة متبادلة في تنظيم الحياة السياسية. واستنادًا إلى ذلك، تكون السلطة، بوصفها القوة الأعلى من الناحية الواقعية، ملزمةً بتقديم نفسها باعتبارها راعيةً لحقوق مختلف الجماعات، وهو ما يتيح لها الحصول على قبول الأفراد والجماعات؛ ومن ثم تأسيس شرعيتها. غير أن هذا القبول لا يمكن تحقيقه عبر الإكراه أو العنف أو الفرض القسري؛ إذ لا يمكن أن تستمر أي سلطة سياسية اعتمادًا على أدوات القمع وحدها من دون حدٍّ أدنى من الشرعية الاجتماعية أو الشعبية⁽⁵²⁾، وهي الفكرة التي يؤكدُها روسو على نحو خاص. ومع ذلك، تظل الحاجة إلى وجود قوة سياسية قادرة على فرض الأمن والاستقرار أمرًا أساسيًا، منعا لانسحاق المجتمع إلى الفوضى أو إلى حالة "حرب الكل ضد الكل" كما عند هوبز، وكذلك لضبط العلاقة بين المجتمع وحقوقه وحرّياته من جهة، والسلطة من جهة أخرى، كما في التصور التعاقدي عند روسو⁽⁵³⁾. بيد أن هذا الدور ينبغي أن يُمارس ضمن إطار سيادة الدولة الجديدة، بما يضمن اكتسابها للمشروعية، لا بوصفها مرجعية أخلاقية مطلقة كما عند هوبز، بل باعتبارها كيانًا يفترض أن يكون فوق شخصي، وفوق جماعتي، وفوق أيديولوجي. ومن ثم، فإن من شأن ربط الدولة بمصالح جماعة بعينها أن ينعكس سلبًا على مشروعيتها ويقوّضها تقويصًا مباشرًا أو غير مباشر.

ويُعدّ مطلب وجود قوة أساسية قادرة على ضبط الأوضاع، أمنياً وسياسياً، مطلبًا واقعيًا في سياق الحالة السورية؛ فمن دون وجود قوة تمتلك القدرة على إنفاذ الاحتكار الشرعي للعنف، بالمعنى الذي صاغه ماكس فيبر⁽⁵⁴⁾، لا يمكن الحديث عن قيام دولة بالمعنى المؤسسي. ومن ثم، يفقد النقاش في موضوع العقد الاجتماعي جزءًا كبيرًا من معناه في غياب إطار دولتي قادر على تنظيم العلاقة بين الفاعلين، حتى إن ديفيد هيوم انتقد نظريات العقد الاجتماعي، واعتبر أن نشوء الدول يرتبط في أغلب الأحيان بعنصر القوة، وأن الأفراد يبقون ضمنها في كثير من الحالات

ومعايير القوة المجردة⁽⁵⁰⁾. وتبدو هذه المقاربة متأثرة إلى حدٍّ بعيد بتصور كانط للعقد الاجتماعي، الذي يُنظر إليه بوصفه مبدأً أخلاقيًا يرتكز على احترام كرامة الإنسان واستقلالية الفرد⁽⁵¹⁾.

وبالنظر إلى مقاربات مختلفة لنظريات العقد الاجتماعي، يمكن ملاحظة أن الإشكالية المشتركة بينها تتمثل في انطلاقها من سياقات زمانية ومكانية محددة لبناء تصوراتها المتعلقة بمضامين الصيغة التعاقدية، حتى إن كانت هذه الصيغة ذات طابع افتراضي أو نظري. غير أن هذه السياقات لا يمكن افتراض تطابقها مع المعطيات الواقعية المتباينة في مختلف الحالات الاجتماعية والسياسية. وانطلاقًا من ذلك، تبقى أي محاولة لإسقاط تصور تعاقدني نظري بعينه على الحالة السورية محدودةً وغير مكتملة، لأن هذه التصورات صيغت ضمن أطر تاريخية وفكرية عامة، ولم تُطوّر أساسًا لتتلاءم مع خصوصيات الواقع السوري وتعميقاته السياسية والاجتماعية. لذلك، قد يكون من الأنسب التعامل مع هذه النظريات بوصفها أطرًا مرجعية يمكن الاستفادة من بعض أفكارها ومبادئها القابلة للمواءمة مع الحالة السورية، مع ضرورة إعادة صياغتها ومعالجتها بما ينسجم مع خصوصيات المجتمع السوري التاريخية والاجتماعية والسياسية.

3. التعاقدية في السياق السوري

اتسم الحراك الثوري، لأسباب متعددة لا يتسع المجال لتفصيلها هنا، بدرجات متفاوتة من المشاركة بين مكونات المجتمع وفئاته. وقد يترتب على ذلك احتمال نشوء شعور لدى بعض هذه المكونات أنها مستبعدة من المشاركة في السلطة وصنع القرار السياسي. ومن ثم، ينشأ أحد أبرز العوائق أمام بناء عقد اجتماعي جامع، يتمثل في ما يمكن وصفه بالتوتر بين المشروعية الثورية من جهة، والمشروعية التوافقية الشاملة من جهة أخرى. ويُعزّز هذا التوتر بعوامل إضافية، من بينها الانقسام السياسي الذي يتخذ، في بعض الأحيان، أبعادًا طائفية أو عرقية، فضلًا عن الإشكاليات المرتبطة بالطائفية، وتباين التوجهات الأيديولوجية، والاختلاف في المواقف من العلاقة بين الديني والعلماني، كما أُشير إلى ذلك سابقًا. وترتبط بذلك، أيضًا، مسألة التفاوت في مطالب الجماعات الاجتماعية والسياسية وتوقعاتها. فحتى مع افتراض وجود قدر من الانسجام داخل الجماعة الواحدة، يبقى من الصعب تصور تحقّق انسجام

52 موريس دوفرجه، علم اجتماع السياسة: مبادئ علم السياسة، ترجمة سليم حداد (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991)، ص 130 وما بعدها.

53 جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي: أو مبادئ القانون السياسي، ترجمة وتقديم عبد العزيز ليب (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011).

54 Max Weber, *Wirtschaft und Gesellschaft: Grundriss der verstehenden Soziologie*, 5. Auflage (Tübingen: Mohr Siebeck 1972 [1922]), p. 29.

50 Peter Stemmer, "Die Rechtfertigung moralischer Normen," *Zeitschrift für philosophische Forschung*, vol. 58, no. 4 (2004), p. 486.

51 Immanuel Kant, *Idee zu einer allgemeinen Geschichte in weltbürgerlicher Absicht*, Vollständige Neuausgabe (Göttingen: LIWI Literatur- und Wissenschaftsverlag, 2019 [1784]).

الجماعي قد يتحول إلى خيار نفعي أو براغماتي يهدف إلى الحصول على الدعم الشعبي وتقوية الموقف تجاه السلطة والجماعات الأخرى. ومن منظور واقعي، قد تمتلك السلطة التي أطاحت بنظام الأسد إمكانية تعزيز شرعيتها استناداً إلى الغالبية من الطائفة السنية التي تنتمي إليها اجتماعياً. غير أن حصر مصادر الشرعية في مكون اجتماعي واحد من شأنه أن يؤدي تلقائياً إلى خلق مسافة مع بقية المكونات، بما يعزز شعورها بالإقصاء من المشاركة في العملية السياسية، وهو ما قد ينعكس سلباً على مضمون العقد الاجتماعي، الذي يفترض أساساً أنه إطار متغير وغير ثابت، لأنه يمس جوهر العلاقة بين السلطة والمجتمع. وفي الحصة، قد ينعكس أي اختلال في هذا الإطار التوافقي على استقرار الدولة ذاتها وتماسكها السياسي.

يوجد ميل عام في النقاشات والنظريات السياسية الغربية لاعتبار التعاقدية ذات طابع علماني؛ فقد كان لتحرر المجال السياسي من الكنيسة دوراً في تطور نظريات العقد الاجتماعي والنظريات السياسية الغربية عموماً. ومن حيث المبدأ، سبقت الإشارة إلى "نقطة ضعف" مشتركة في مختلف نظريات العقد الاجتماعي، تتمثل في انطلاقها من سياقات تاريخية محددة ومن تصورات معينة للحالة الطبيعية، على نحو يجعل نطاق صلاحيتها الزماني والمكاني محدوداً. وينطبق هذا الأمر، أيضاً، على الموقف من الدين والعلمانية. ولذلك، تبرز الحاجة إلى مقارنة سياقية لهذه المسألة عند إسقاطها على الحالة السورية، وخاصة أن الصيرورة التاريخية والمعطيات الواقعية والظروف الاجتماعية والسياسية في سورية تختلف جوهرياً عن نظيراتها في السياقات الغربية. وعموماً، يؤدي الدين دوراً بارزاً في الحياة العامة، وهو ما ينعكس بالضرورة على المجال السياسي⁽⁵⁸⁾. ومع ذلك، لا يمكن اختزال الممارسة السياسية في محددات دينية، نظراً إلى أن المجال السياسي يتمتع بقدر من الاستقلالية والخصوصية في عدد من الجوانب. وبما أن الدين يؤثر في الحياة العامة وفي سلوك الأفراد، فمن الممكن توظيفه توظيفاً إيجابياً ضمن مسار بناء التعاقد الاجتماعي، بدلاً من تحويله إلى عنصر تنازع سياسي بين الجماعات المختلفة. ويعتبر الجابري أن العلاقة بين الدين والدولة في الفكر العربي المعاصر علاقة "مزيفة"، والأمر نفسه ينطبق على العلمانية في العالم العربي التي يرى أنها، أيضاً، "مسألة مزيفة"؛ فالمسألة الأولى تستر، في نظره، بمشكلة الطائفية، في حين أن العلمانية، كما تُطرح في السياق العربي، "تعبّر عن حاجات مضامين غير متطابقة مع تلك الحاجات"، ليقترح الديمقراطية والعقلانية إطارين لمعالجة هاتين الإشكاليتين⁽⁵⁹⁾.

لأنهم ببساطة لا يملكون خياراً آخر⁽⁵⁵⁾. ولا يعني هذا الطرح أن مهمة الدولة هي إخضاع مكونات المجتمع أو توحيد المناطق قسرياً، حتى لو كان ذلك بالعنف، وهو ما ينتقده عبد الإله بلقزيز تحت مسمى "الرؤية البسماركية لعملية التوحيد"⁽⁵⁶⁾. وبناءً على ذلك، تبقى المسألة الجوهرية مرتبطة بتحديد حدود الدولة داخل المجتمع: أين تبدأ الدولة؟ وأين تنتهي؟ وهو سؤال يثير على الأقل قضيتين مترابطتين. تتمثل الأولى في أن الدولة، في جميع الأحوال، تبقى ملزمةً بإثبات شرعيتها عبر تقديم نفسها بوصفها دولةً للجميع، راعيةً لمصالح الجميع، ومسؤولةً تجاه مختلف مكونات المجتمع من دون استثناء. أما القضية الثانية فتتمثل في أن الدولة ليست كياناً مفارقاً للمجتمع، بل هي منجز بشري يصنعه الأفراد أنفسهم، بما يعني أن أعضاء المجتمع هم من يحدّدون شكلها، وحدود صلاحياتها، وطبيعة علاقتها بالمجتمع، وهو ما يسهم في تشكيل الوعي الجمعي بالدولة وطبيعة إدراكها داخل المجتمع.

وتعيدنا هذه الحيثية إلى فكرة التقاطع المستمر بين العقد الاجتماعي وبناء الدولة؛ إذ إن التفاعل والتبادل السياسي بين السلطة والقوى الاجتماعية والسياسية يمثلان عملية ديناميكية متواصلة تؤثر، على نحو مباشر، في تشكّل الدولة وفي طبيعة المجال السياسي⁽⁵⁷⁾. وهذا يعني أن بناء الدولة ليس حدثاً منجزاً، بل هو مسار مستمر يرتبط بتفاصيل تطور العلاقة بين "الحاكم والمحكوم"، باستخدام التعبير الكلاسيكي. ومن ثم، يمكن القول إن العقد الاجتماعي ليس صيغة نهائية يتوصل إليها في لحظة زمنية محددة، بحيث تستقر عندها الدولة في حالة من الثبات، بل هو إطار علاقة مستمرة بين السلطة والمحكومين، يظل قابلاً للتغير وفقاً للتحويلات السياسية والاجتماعية. وبما أن العقد الاجتماعي يُفهم بوصفه شكلاً من أشكال القبول بشرعية طاعة سلطة الدولة، فإن الدولة نفسها تتجسد بوصفها عملية مستمرة ودينامية، تتحدد ملامحها وتعيد إنتاج نفسها بحسب تطور العلاقة المتبادلة بين السلطة والمجتمع.

ومن القضايا المهمة في هذا السياق مسألة توجه السلطة الانتقالية الإسلامي من منظور تعاقدية؛ إذ لا يمكن تناولها بمعزل عن إشكاليات الطائفية والعلاقة بين الدين والدولة. وفي ظل حالة الاستقطاب الطائفي والتجاذبات الأيديولوجية، بما تتضمنه من مواقف متباينة تجاه العلمانية والإسلامية، كما أشير إليه سابقاً، يبدو أن اللجوء إلى الانتماء الطائفي أو

55 David Hume, "Of the Original Contract," in: David Hume, *Essays, Moral, Political and Literary*, edited and with a Foreword, Notes, and Glossary by Eugene F. Miller (Indianapolis: Liberty Fund, 1987), pp. 465-471.

56 عبد الإله بلقزيز، الدولة والمجتمع: جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008)، ص 119-121.

57 Beth A. Rubin, "Shifting Social Contracts and the Sociological Imagination," *Social Forces*, vol. 91, no. 2 (2012).

58 الزواوي بغورة، الإسلام والحكم: دراسات في المسألة السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر (الجزائر: دار ابن النديم، 2019)، ص 204.

59 محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، سلسلة الثقافة العربية 29، قضايا الفكر العربي 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996)، ص 100-114.

ثالثاً: اعتبارات بناء الدولة

والسياسية، وهو أمرٌ جعل وظيفتها الأساسية تتمحور حول الضبط والقمع، ولا تتمحور حول إنتاج التمثيل أو الرعاية السياسية⁽⁶¹⁾.

وانطلاقاً من هذا التصور، يبدو من الصعب تبني الفرضية التي يطرحها خضر خضور، التي مفادها أن "الدولة السورية" كانت قادرة على البقاء والاستمرار في سنوات الثورة لأنها أثبتت أنها "المزود الذي لا غنى عنه للخدمات العامة الأساسية، حتى بالنسبة إلى السوريين الذين يعيشون في العديد من المناطق الخارجة عن سيطرة النظام"⁽⁶²⁾. فاختزال استمرارية الدولة في قدرتها الوظيفية على تقديم الخدمات يتجاهل الطبيعة السياسية للعلاقة بين السلطة والمجتمع، كما يغفل حقيقة أن النظام، الذي اعتمد على نطاق واسع على القصف والتعذيب والعقاب الجماعي، لم يكن يتعامل مع الخدمات العامة باعتبارها جزءاً من عقد اجتماعي أو التزام سياسي تجاه المجتمع، بل بوصفها أداة براغماتية للحفاظ على الحد الأدنى من شروط البقاء والاستمرار. وهكذا، لا يمكن اعتبار استمرار تقديم بعض الخدمات الأساسية مؤشراً كافياً على وجود شرعية سياسية أو علاقة تمثيلية بين الدولة والمجتمع، بقدر ما يعكس محاولة للحفاظ على البنية الإدارية الضرورية لاستمرار السلطة ذاتها.

ولا يكفي أن تُستخدم الدولة بوصفها أداة في يد السلطة، كما كان الحال في عهد نظام الأسد، بل لا بد من إعادة توجيهها نحو أداء دورها الاجتماعي. ويتقاطع هذا الطرح مع تحليل مروان قبلان الذي يرى أن "دولة البعث" استندت في شرعيتها إلى ثلاثة مصادر أساسية تُحيل إلى وظائف الدولة كما صاغها فير، وهي: توفير الخدمات الأساسية للمجتمع (الوظيفة الاقتصادية)، وحماية الدولة والمجتمع داخلياً وخارجياً (الوظيفة الأمنية)، وترسيخ الأيديولوجيا البعثية بوصفها مرجعية سياسية (الوظيفة الأيديولوجية). واللافت للانتباه أن السلطة هي التي تولّت عملياً أداء هذه الوظائف باسم الدولة⁽⁶³⁾؛ إذ يرى فير أن الدولة لا يمكن أن تقوم إلا بوجود السلطة⁽⁶⁴⁾، وهو أمرٌ يؤكد ما

يتضح، مما سبق، أن عملية بناء الدولة في سورية يمكن أن تتخذ مسارها بما يتلاءم مع الظرفية الراهنة، وذلك عبر التركيز على أولوية بناء الدولة بوصفها الإطار الناظم للمجال العمومي، بحيث ترتبط مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بها على نحو مباشر أو غير مباشر⁽⁶⁰⁾. ويتطلب منح مسألة الدولة هذه الأولوية عملاً اجتماعياً في الدولة وعلى الدولة؛ أي يمنح المجتمع، إلى جانب السلطة، دوراً في تكوينها، ومن ثم إخضاعها للمعايير والقيم المعمول بها في هذا المجتمع. وفي هذا السياق، لا يمكن النظر إلى الدولة بوصفها كياناً مقدساً، وأيّ قداسة لها تجعلها خارج الممكن البشري، وقابلة للتحويل إلى أداة للقمع أو التعسف. ومع ذلك، فإنها تبقى ضرورة أساسية لتنظيم الاجتماع الإنساني وضبطه. وفي المقابل، لا يُنظر إلى المجتمع بوصفه كتلة متجانسة أو جماعة منسجمة داخلياً، بل باعتباره مجموعة من التكوينات الاجتماعية المتمايزة التي تحتاج إلى صيغة تعاقدية مشتركة في نطاق الدولة، مما يمنع تحوّل هذا التباين إلى صراعات داخلية؛ ليس بالضرورة على أساس الانتماءات العرقية أو الدينية أو الطائفية، بل نتيجة لاختلاف التصورات في السياسة والنفوذ وأشكال التأثير أيضاً.

تقتضي هذه الأطروحة تحديداً أدق لطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، بما يستلزم، في الوقت ذاته، تناول مسألة الشرعية Legitimacy السياسية للدولة بوصفها عنصراً تأسيسياً في فهم بنية السلطة ومصادر اكتسابها للاعتراف الاجتماعي وآليات إنتاج هذه الشرعية وإعادة بنائها Legitimation. وفي هذا السياق، ثمة معطيات تاريخية وواقعية ذات الدلالة الواضحة، لعل أبرزها النهج العنيف الذي اعتمده نظام الأسد في حملته العسكرية ضد مناطق الثورة، والذي شكّل مؤشراً صريحاً دالاً على غياب الحد الأدنى من الاعتبارات القيمية والأخلاقية في علاقة الدولة بالمجتمع. غير أن دلالة هذه الممارسة لا تقتصر على توظيف العنف بوصفه استراتيجية عسكرية أو أداة للسيطرة السياسية، بل تتجاوز ذلك لتكشف عن طبيعة الانفصال البنيوي بين السلطة والمجتمع، بحيث بدت السلطة السياسية كأنها كيان منفصل عن المجال الاجتماعي وغير مؤسّس على تمثيل مصالحه أو الاستجابة لقضاياه. ومن هذا المنظور، يمكن النظر إلى هذه الدولة في السياق المعني بوصفها "دولة فوق المجتمع" أو "دولة خارج المجتمع"؛ أي دولة تستمد استمراريتها من أدوات السيطرة والإكراه أكثر مما تستمدّها من أشكال الشرعية الاجتماعية

61 David W. Lesch, "Assessing Repression in Syria," in: Robert Rotberg (ed.), *Worst of the Worst: Dealing with Repressive and Rogue Nations* (Washington: Brookings Institution Press, 2007).

62 Kheder Khaddour, "The Assad Regime's Hold on the Syrian State," *Carnegie Endowment for International Peace*, 8/6/2015, accessed on 28/12/2025, at: <https://acr.ps/hBy2t1C>

63 مروان قبلان، "لماذا انهارت دولة البعث في سورية؟"، في: *الدولة العربية المعاصرة: بحوث نظرية ودراسات حالة*، ص 362.

64 يركز ماكس فير في أعماله على السلطة Herrschaft أكثر من الدولة التي تظهر في نظريته في أغلب الأحيان في ظل السلطة وليس العكس، وما ساعد في إعادة بناء نظريته المتعلقة بالدولة هو أبحاث في علم الاجتماع الألماني صدرت لاحقاً وركزت على حدود التماهي والتقاطع والافتراق بين السلطة والدولة في أعماله المختلفة. ينظر خصوصاً:

Andreas Anter, *Max Webers Theorie des modernen Staates: Herkunft, Struktur und Bedeutung*, 3. aktualisierte und überarbeitete Auflage (Berlin: Duncker & Humblot, 2014).

60 Joel S. Migdal, *State in Society: Studying How States and Societies Transform and Constitute One Another* (Cambridge: Cambridge University Press, 2001).

والمجتمع، بل على اعتبارات وظيفية وأمنية مرتبطة بإدارة السيطرة والمحافظة على الاستقرار القسري. ومن ثم، لا تستطيع الشرعية الوظيفية، على أهميتها، بمفردها إنتاج استقرار سياسي طويل الأمد ما لم تقترن بشرعية معيارية تستند إلى المشاركة والتمثيل والاعتراف المتبادل بين الدولة والمجتمع⁽⁶⁹⁾. ومن ثم، يمكن قراءة اندلاع الثورة السورية بوصفها لحظة دخلت فيها الشرعية الإكراهية في أزمة بنيوية عميقة، ومحاولة لفتح المجال أمام إعادة تشكيل العلاقة بين الدولة والسلطة والمجتمع لتأسيس الشرعية السياسية. فال مطلب الجوهرى الذى عبّر عنه الثورة لم يقتصر على تغيير النخبة الحاكمة، بل تمثل أيضاً في السعي لإعادة إدخال الفرد/ المواطن إلى مركز العملية السياسية، وذلك في مواجهة حالة الاغتراب السياسي والاجتماعي التي كرّستها الدولة التسلطية عقوداً طويلة⁽⁷⁰⁾.

وفي ضوء ما تقدّم بشأن العقد الاجتماعي في الحالة السورية، يمكن أن نجادل بأن إعادة دمج الدولة السورية في المجتمع لا تمثل مطلباً سياسياً فحسب، بل ضرورة أساسية لإعادة الدولة إلى سياقها السياسي ونسقتها الاجتماعي⁽⁷¹⁾. فالدولة، بخلاف السلطة التي قد تقتصر على جماعة سياسية بعينها، تقوم على الجمع بين السلطة والمجتمع. وعندما تقتصر على تمثيل السلطة، تتحول إلى "دولة سلطة" منفصلة عن المجتمع، وهكذا ستكون سلطة الدولة إشكالية، لأنها منسلخة عن المجتمع، وفي الوقت نفسه تمارس أدوات الهيمنة والقمع بدلاً من تمثيله واحتوائه. ويتحقق هذا الاندماج من خلال تنظيم العلاقة بين الدولة والمجتمع استناداً إلى مرجعية قيمة مستمدة من الأعراف والتقاليد والثقافة المجتمعية. وعلى هذا النحو، تزداد علاقة الدولة بالمجتمع قوة وعمقاً، بما يسهم في ترسيخ الوعي الجمعي بالدولة. وفي هذه الحالة، لا تقتصر وظيفة الدولة على تنظيم السلطة وتوزيعها، بل تمتد إلى إدارة التفاعلات الاجتماعية ضمن إطار معياري ومؤسسي يتيح بناء توافق سياسي في مسألة الدولة ذاتها بوصفها إطاراً جامعاً، وفي مفهوم الصالح العام الذي لا يُستمد من مرجعية متعالية على المجتمع، بل يتشكل تاريخياً وسياسياً من خلال تفاعلاته وقيمه وتصوراته المشتركة⁽⁷²⁾.

وإذا كانت الثورة قد أبرزت الحاجة إلى الانتقال من الواقعية السياسية القائمة على القوة وفرض النفوذ بالإكراه، إلى سياسة واقعية

أشرنا إليه بالنسبة إلى القوة الواسعة للسلطة مقابل الهشاشة الكبيرة للدولة في سورية الأسد. ويتوافق هذا الاستنتاج مع مقولة بشاره إن ثورات الربيع العربي كانت موجّهة ضد أنظمة الحكم (السلطة) وليس ضد الدولة نفسها⁽⁶⁵⁾. غير أن الوظائف المشار إليها تُعدّ من قبيل المخرجات Outputs التي يفترض أن تمتلك أي سلطة القدرة على إنتاجها لضمان استمرارها بوصفها سلطة دولة، وهي بذلك لا تكفي في ذاتها لتمييز طبيعة شرعية سلطة نظام الأسد من أي سلطة أخرى أو تمييزها على نحو حاسم تحديداً. وبناءً على ذلك، تبرز الحاجة إلى الانتقال إلى مستوى آخر من التحليل يتعلق بطبيعة المدخلات Inputs؛ أي بكيفية تفاعل المجتمع مع هذه المخرجات واستجابته لها، وهو ما يسمح بفهم أعمق لمفهوم الشرعية السياسية بوصفها علاقة تفاعلية بين السلطة والمجتمع، لا حسيلة أداء وظيفي للدولة فحسب⁽⁶⁶⁾.

إنّ ما يميز شرعية نظام الأسد، في هذا الإطار، هو ارتكازها أساساً على أدوات القوة والعنف والإكراه؛ أي ارتكازها على نمط من الشرعية مبنئ على الإخضاع والسيطرة أكثر مما يستند إلى وجود منظومة قيمية مشتركة أو علاقة تمثيلية مع المجتمع. ومن هذا المنطلق، يمكن فهم قدرة النظام، خلال مراحل معيّنة، على الاستثمار السياسي في الأرياف وبعض المناطق المهمّشة عبر تقديم خدمات أساسية أو تحسينات معيشية محدودة⁽⁶⁷⁾. غير أن هذه السياسات بقيت ذات طابع وظيفي وآني؛ إذ إن توفير الخدمات العامة يُفترض أن يكون جزءاً من الوظائف الاعتيادية بالنسبة إلى الدولة، وليس مصدراً كافياً لإنتاج شرعية سياسية مستقرة، أو تأسيس علاقة تعاقدية مع المجتمع. وقد تجلّت محدودية هذا النمط من الشرعية بوضوح في انطلاق الاحتجاجات الثورية من بعض تلك المناطق نفسها التي سعى النظام لاحتوائها عبر سياسات خدمية وتنموية محدودة⁽⁶⁸⁾.

وبهذا المعنى، يمكن توصيف هذا الشكل من الشرعية بوصفه شرعية وظيفية إكراهية؛ أي شرعية تستند إلى الجمع بين الحد الأدنى من الأداء الوظيفي للدولة وأدوات الضبط الأمني. وعلى الرغم من أن هذا النمط قد يضمن استمرارية السلطة فترات طويلة، فإنه يظل شرعيةً هشة وقابلة للتآكل عند لحظات الأزمات، أو مع تراجع القدرة على تقديم الخدمات، لأنه لا يقوم على رابطة سياسية وقيمية بين الدولة

65 بشاره، الدولة العربية، ص 18.

66 David Easton, *A Systems Analysis of Political Life* (New York: Wiley, 1965); Fritz Scharpf, *Governing in Europe: Effective and Democratic?* (Oxford: Oxford University Press, 1999).

67 محمد جمال باروت، العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).

68 وهي الفكرة التي يؤكدُها مروان قبلان بربطه تراجع قدرات النظام في تقديم الخدمات والضغط الإقليمي مع تقوية القبضة الأمنية لتعويض هذا النقص. ينظر: قبلان، ص 375.

69 David Beetham, *Legitimation of Power* (New York: Palgrave Macmillan, 1991).

70 العلي، "الانتقال السياسي"، ص 65.

71 غسان سلامة، نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1989)، ص 86-88.

72 Bruce Douglas, "The Common Good and the Public Interest," *Political Theory*, vol. 8, no. 1 (1980).

مجرد آليات انتخابية أو ترتيبات مؤسسية منفصلة عن طبيعة الدولة ووظائفها وعلاقتها بالمجتمع. ومن ثم، ترتبط فعالية الديمقراطية في سورية بقدرة عملية بناء الدولة على إعادة تأسيس المجال السياسي العام، وإعادة تنظيم العلاقة بين المجتمع والمؤسسات العامة على أسس جديدة من المشاركة والتمثيل، على نحو يحول الديمقراطية من مطلب معياري فحسب إلى ممارسة سياسية واجتماعية قابلة للاستمرار.

ومن خلال العودة إلى المجادلة المتعلقة بالحاجة إلى إقامة علاقة تعاقدية وتفاعلية بين السلطة والمجتمع ضمن إطار الدولة، وبعيداً عن التصورات الطوباوية، يمكن الانطلاق من فرضية واقعية مفادها أن عملية بناء الدولة لا تُدار من خلال المجتمع بوصفه فاعلاً مؤسسياً مباشراً، بل تتولى قيادتها عادةً الجماعة السياسية التي تتولى إدارة السلطة ومفاصل صنع القرار، بحيث تصبح رؤيتها لطبيعة السياسة والدولة محدداً أساسياً لاتجاه هذه العملية ونتائجها. غير أن السياق السوري الناجم عن الثورة يفرض عدم ترك هذه العملية رهينة احتكار الجماعة السياسية وحدها، لأن اختزال بناء الدولة في إرادة النخبة الحاكمة قد يعيد إنتاج دولة منفصلة عن المجتمع. فبخلاف العديد من العمليات السياسية الأخرى، لا يقتصر بناء الدولة، بوصفه مشروعاً سياسياً، على إعادة تنظيم مؤسسات الحكم، بل يمتد إلى إعادة تشكيل أنماط العلاقات داخل المجتمع، وكذلك طبيعة العلاقة البنوية بين المجتمع والسلطة السياسية.

وبناءً على ذلك، تقود الجماعة السياسية عملية بناء الدولة، لكنها لا تحتكر عملية تعريفها وتحديد وظائفها؛ إذ إن الدولة المستقرة لا تُبنى بإرادة السلطة الحاكمة وحدها، بل من خلال العلاقة التي تنشأ بينها وبين المجتمع. ويعني ذلك أن نجاح هذه العملية لا يمكن أن يستند إلى الإرادة السياسية وحدها، بل يتطلب رؤية سياسية واقعية تستند إلى تصور واضح لطبيعة الدولة ووظائفها، مع الأخذ في الحسبان الخصوصيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع، والعوامل الداخلية والأمنية والخارجية المؤثرة في مسار البناء وشروطه. ويهدف هذا الطرح إلى تأكيد عنصرين مترابطين: أولهما، ضرورة وجود رؤية فكرية ومعرفية تؤسس نظرياً لمفهوم الدولة وطبيعتها ووظائفها. وثانيهما، قدرة الجماعة السياسية على تجاوز منطق احتكار عملية البناء، والانتقال إلى تأسيس إطار سياسي تشاركي وتفاعلي يتيح انخراط مختلف الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين في إعادة بناء الدولة على نحو منتج ومستدام.

ويساعد هذا التأويل في توضيح الصورة العامة ومحاولة تركيب عناصر المعادلة السياسية على نحو أدق. وإذا كنا قد تناولنا في

ذات طابع قيمى ومعيارى تستند إلى العقلانية والتواصل السياسى والتفكير الأخلاقى المسؤول، فإن تحقيق هذا الانتقال يفترض وجود دولة قادرة على تجسيده ورعايته ودعمه. ومن هذا المنظور، تكتسب مسألة بناء الدولة دلالتها الخاصة بوصفها عملية تهدف إلى تجاوز حالة الطبيعة التى تتسم بغياب التنظيم السياسى والمعايير الجمعية النازمة للمؤسسة السياسية، والانتقال إلى حالة الدولة والسياسة القائمة على نظام سياسى واجتماعى تعاقدى. وانطلاقاً من ذلك، يمكن النظر إلى عملية بناء الدولة باعتبارها جملة من التدابير والقرارات الرامية إلى إعادة تأسيس الدولة بوصفها مخرجاً مزدوجاً: من اختزال الدولة في أجهزة خاضعة لمنطق السلطة ومكرسة لإعادة إنتاج هيمنتها من جهة، ومن انكفاء الدولة عن أداء وظائفها العامة وتحول أجهزتها إلى أدوات للضبط والقمع من جهة أخرى. وهكذا، يعنى الانتقال إلى التعاقدية السياسية بلورة صيغة جديدة من التفاعل الإيجابى والهادف بين المجتمع والدولة والسلطة، وهو أمر يفضى إلى إنتاج مفاهيم ومعايير ومعطيات جديدة داخل المجال السياسى العام. وبناءً على ذلك، لا يقتصر السؤال المحورى على شكل الدولة المنشودة، بل يمتد أيضاً إلى طبيعة الصيغة التفاعلية التى ينبغى أن تنشأ بين المجتمع والمؤسسة السياسية، والتى يفترض أن تؤسس لهذه الدولة وتحافظ على استمراريتها.

وتتفق أغلب النقاشات السورية والعربية، التى سادت خلال العقود الأخيرة، فى النظر إلى الديمقراطية بوصفها النقيض المباشر للتسلطية؛ ومن ثم البديل الطبيعى منها. ولا نعتز، من حيث المبدأ، على الافتراض القائل إن الديمقراطية تمثل مخرجاً ممكناً من البنية التسلطية، بل إن الدعوة إلى إعادة دمج المجتمع فى الدولة الجديدة تنطوي ضمناً على مطلب ديمقراطى، باعتبار أن أي عملية إدماج حقيقية تفترض توفير فضاءات للحرية والمشاركة السياسية، وضمان الحقوق، وترسيخ مبادئ العدالة والمساواة. لكن ثمة تساؤلات مشروعة متعلقة بإمكانية تفعيل الديمقراطية من دون معالجة قضايا يفترض أنها تسبقها من الناحية التأسيسية، وفى مقدمتها قضايا الدولة والحكم والتصورات المرتبطة بالعقد الاجتماعى. فهذه القضايا تشكل، فى نظرنا، الأساس المفهومى الذى يقوم عليه فهم السياسة داخل المجتمع، وتؤسس أيضاً لطبيعة المجال السياسى عمومًا.

وفى السياق السورى، تحتاج مفاهيم الدولة والسياسة والديمقراطية إلى تأصيل ينطلق من طبيعة التحولات التى شهدتها علاقة الدولة بالمجتمع خلال العقود السابقة، ولا سيما اختزال الدولة فى بنية السلطة الحاكمة وإضعاف المجال السياسى المستقل؛ إذ على الرغم من أن الديمقراطية إطار سياسى عام قابل للاستحضار فى تجارب انتقالية متعددة، فإنها فى الحالة السورية لا يمكن أن تُفهم بوصفها

بالمعنى المؤسساتي والمعياري الحديث، على نحو يجعل مسار تشكيلها مفتوحاً على الإشكاليات والاختلالات البنوية.

وبما أن عملية بناء الدولة لا تنفصل عن شروطها الواقعية، فقد كان من الضروري التوقف عند مكامن الخلل في التجربة السورية، حيث اعتبرنا أن التفاعل الذي نشأ منذ اندلاع الثورة بين قوى المجتمع ومكوناته من جهة، والمؤسسة السياسية من جهة أخرى، يمثل في جوهره تفاعلاً في سياق إعادة بناء العقد الاجتماعي السوري أو إعادة صياغته. وبناءً على ذلك، حُدِّدَت ثلاثة مستويات مؤسَّسة لمسألة بناء الدولة الجديدة: أولها الأسس النظرية والمعرفية لإعادة تعريف الدولة، وثانيها المعطيات الواقعية والشروط الزمانية والمكانية التي تؤطر هذا البناء، وثالثها المعايير الضمنية (خاصة الأخلاقية) التي يتأسس عليها العقد الاجتماعي.

وقد جادلت الدراسة بأن الأزمة السورية، منذ مرحلة ما بعد الاستقلال عن فرنسا، كانت في جوهرها أزمة حكم تتعلق ببنية مؤسسة السلطة ومعاييرها الدستورية وآليات اشتغالها. وفي وقت لاحق، ومع ترسُّخ التسليطية في المجال السياسي، تحولت إلى أزمة سياسية بنوية في العلاقة بين الدولة والمجتمع، بما أدى إلى تأكل الدولة لصالح السلطة، وترسيخ منطق التسليط على حساب منطق الدولة. وأدى هذا المسار إلى اختلال عميق في بنية النظام السياسي والنسيج الاجتماعي، الأمر الذي جعل مسألة التوافق الاجتماعي أكثر تعقيداً، خصوصاً في ظل إشكاليتين محورتين، هما: الطائفية، والعلاقة بين الديني والسياسي (العلمانية).

وفي حين أننا أوضحنا أن الطائفية ليست ظاهرة طارئة على لحظة الثورة، بل هي بنية إشكالية أسهم النظام السياسي في إعادة إنتاجها وترسيخها، بيَّنت الدراسة في الوقت نفسه أن طرح نموذج المحاصصة الطائفية لا يشكل حلاً واقعياً أو قابلاً للاستدامة. وأجرينا تمييزاً في مقارنة مسألة العلمانية؛ أشرنا إلى أن طرحها بصيغتها العامة، القائمة على الفصل الصارم بين الديني والسياسي، يواجه صعوبات في الحالة السورية، لا سيما في ظل وجود قوة في السلطة ذات خلفية إسلامية، فضلاً عن ارتباط مفهوم العلمانية في الذاكرة السياسية المحلية بسرديات السلطة السابقة أو بتجارب أيديولوجية وُظِّفت فيها بصورة معادية للدين، بدلاً من أن تُفهم بوصفها آلية تنظيم للعلاقة بين المجالين الديني والسياسي.

وبيَّنت الدراسة أن الانقسامات الطائفية والعرقية والأيدولوجية قد تعمَّقت في غياب معيار جامع يمكن أن يؤسس لهوية وطنية مشتركة، خاصة أن الهوية الجمعية ليست بنية ثابتة، بل هي معطى متغير يخضع للتحويلات الاجتماعية والسياسية، ويمكن إعادة تشكيله

المبحث السابق جانب المسؤولية المرتبط بالسلطة في إدارة عملية بناء الدولة، فإنه ينبغي لنا التوقف عند الجانب الآخر المتعلق بالرؤية والتصورات الفكرية والمعرفية حيال القضايا السياسية الأساسية، وفي مقدمتها مسألة الدولة ذاتها. ينتقد عبد الله العروي الأطروحة التي تقول إن "الدولة سابقة على فكرة الدولة"⁽⁷³⁾؛ أي إنها تُفهم بوصفها معطى قائماً بذاته خارج دائرة التفكير النظري، داعياً إلى ضرورة مساءلتها بعمق من حيث أسسها ومضامينها. ويختزل أهمية النظرية في مقولته: "تثبت النظرية أن الحرية خارج الدولة طوبى خادعة، وأن الدولة بلا حرية ضعيفة متداعية"⁽⁷⁴⁾. ولا يساورنا شك في أن عملية بناء الدولة ينبغي أن تستند إلى أسس فلسفية ونظرية معمقة وشاملة. فثمة مجموعة من الأسئلة الإشكالية التي تستدعي نقاشاً وتأصيلاً فكرياً من داخل الواقع السياسي نفسه، من قبيل: من يبنى الدولة؟ وما محددات علاقتها بالمجتمع؟ وقبل ذلك، كيف يُعرَّف المجتمع أصلاً؟ وكيف تُحدَّد حدود مشاركته في عملية بناء الدولة وفي العمليات السياسية المرتبطة بها؟ ومن يملك سلطة تحديد هذه الحدود والمعايير؟

وتكمن الأهمية في هذا السياق في أن طرح هذه الأسئلة، والإصرار على ضرورة مناقشتها، يُعدّان مؤشراً، ولو ضمنيّاً، دالاً على الوعي بإمكانية تحويل الدولة، بل ضرورة تحويلها، من مجال قهري مفروض على المجتمع إلى مجال حاضن له. وتكتسب هذه الملاحظة أهمية خاصة، لأنها تمثل دليلاً إضافياً على ضرورة إعادة تشكيل المجال السياسي، بحيث يكون قادراً على استيعاب مثل هذه الإشكاليات، بوصفها إشكاليات تتطلب معالجة فكرية ونظرية وفلسفية مرتبطة بسياق الواقع. ومن ثم، يستدعي الأمر تطوير مقاربات فكرية ومنهجية جديدة تؤسِّس لنظرية سياسية خاصة بمرحلة الانتقال السياسي، وبالمفاهيم والعمليات السياسية في الحالة السورية.

خاتمة

انطلاقاً من الافتراض القائل إن الثورة السورية شكَّلت تعبيراً عن مطالبة اجتماعية وسياسية ببناء دولة جديدة على أنقاض الدولة التسليطية التي تشكَّلت وترسَّخت خلال عقود حكم الأسد، سعت هذه الدراسة لتقديم إطار نظري ومعرفي تأسيسي لمفهوم هذه الدولة المنشودة. وانطلقت من فرضية مفادها أن المجال السوري يفتقر، إلى حد بعيد، وفي آن معاً، إلى تراكم نظري متماسك بشأن الدولة بوصفها مفهوماً وممارسة، وتجربة تاريخية يمكن الاستناد إليها في بناء الدولة

73 عبد الله العروي، مفهوم الدولة، ط 9 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2011)، ص 7.

74 المرجع نفسه، ص 226.

المراجع

العربية

إبراهيم، سعد الدين [وآخرون]. **المجتمع والدولة في الوطن العربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.

أزمة الديمقراطية في الوطن العربي. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. ط 3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002 [1984].

الأتاسي، عدنان. **أزمة الحكم في سورية**. حمص: مطبعة وزنكوغراف الميثم الإسلامي، 1954.

أرندت، حنة. **أسس التوتاليتارية**. ترجمة أنطوان أبو زيد. بيروت: دار الساقى، 2016.

_____. **النظام الشمولي: آليات التحكم في السلطة والمجتمع**. ترجمة نادرة السنوسي. الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، 2019.

الأنصاري، محمد جابر. "الدولة القطرية: هل يمكن بناء ديمقراطية راسخة قبل ترسيخ دولة مكتملة النمو؟". **المستقبل العربي**. مج 16، العدد 175 (1993).

الأيوبي، نزيه. **العرب ومشكلة الدولة**. بيروت: دار الساقى، 1992.

_____. **تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط**. ترجمة أمجد حسين. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010 [1994].

بشارة، عزمي. **سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

_____. **في الثورة والقابلية للثورة**. ط 3. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

_____. **الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

_____. **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.

_____. **الدولة العربية: بحث في المنشأ والمسار**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

وفقاً للسياقات المحيطة. ومن ثم، طُرحت فكرة بناء الدولة بوصفها إطاراً مرجعياً قادراً على إعادة إنتاج هذا المشترك وتوحيد الهويات الجماعية الفرعية ضمن فضاء سياسي جامع. ويظهر التلازم بين بناء الدولة وبناء العقد الاجتماعي من خلال ضرورة تحقيق توازن بين مطلبين متلازمين: فمن جهة، لا تستطيع أي سلطة سياسية الاستمرار في الاعتماد الحصري على أدوات القهر والإكراه من دون حد أدنى من القبول الاجتماعي والشرعية السياسية؛ ومن جهة أخرى، لا يمكن الاستغناء عن وجود سلطة قادرة على فرض الأمن والاستقرار والحفاظ على النظام العام ومنع الانسياق إلى الفوضى. وجادلت الدراسة بأن هذا التوازن لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الدولة بوصفها كياناً مؤسسياً عاماً يتجاوز الأشخاص والجماعات والأيديولوجيات، ويؤدي وظيفة الإطار الجامع والمنظم للعلاقة بين السلطة والمجتمع. وفي الحصيلة، تقتضي إعادة توجيه وظيفة الدولة نحو تكريس شرعية تعاقدية تتجاوز منطق الإكراه أو الاكتفاء بشرعية الأداء الوظيفي المحدود، وتعميق ارتباطها بقضايا المجتمع ضمن مرجعية قيمية تتفاعل مع أعرافه وبنائه الثقافية، بما يحولها إلى إطار جامع لتنظيم التعدد، بدلاً من أن تكون أداة لإدارته قسراً.

علي، آزاد أحمد [وآخرون]. **خلفيات الثورة: دراسات سورية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

علي، عماد. "الانتقال السياسي في سورية: بناء الدولة وإصلاح المؤسسة السياسية: تحديات وآفاق". **سياسات عربية**. مج 13، العدد 72 (2025).

_____. "الثورة بين الأهداف الواقعية والمضامين المعيارية: نحو قراءة جديدة في الثورات العربية". **سياسات عربية**. مج 13، العدد 74 (2025).

غليون، برهان. **نظام الطائفية: من الدولة إلى القبيلة**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1990.

_____. **المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات**. ط 3. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013 [1979].

_____. **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة**. ط 4. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

فان دام، نيقولاس. **الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة: 1961-1995**. القاهرة: مطبعة مدبولي، 1995.

النجيب، خلدون حسن. **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية مقارنة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

هايدمان، ستيفن. **التسلطية في سوريا: الصراع بين المجتمع والدولة**. ترجمة عباس عباس. مراجعة رضوان زيادة. بيروت: الريس للكتب والنشر، 2011.

الأجنبية

Anter, Andreas. *Max Webers Theorie des modernen Staates: Herkunft, Struktur und Bedeutung*. 3. aktualisierte und überarbeitete Auflage. Berlin: Duncker & Humblot, 2014.

Barker, Eileen et al. (eds.). *Secularization, Rationalism, and Sectarianism: Essays in Honour of Bryan R. Wilson*. New York: Oxford University Press, 1993.

Beetham, David. *The Legitimation of Power*. New York: Palgrave, 1991.

Beran, Harry. *The Consent Theory of Political Obligation*. New York: Routledge, 2020 [1987].

باروت، محمد جمال. **العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

الدولة العربية المعاصرة: بحوث نظرية ودراسات حالة. محمد حمشي ومراد ديابي (محرران). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.

بغورة، الزواوي. **الإسلام والحكم: دراسات في المسألة السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر**. الجزائر: دار ابن النديم، 2019.

بلقزيز، عبد الإله. **المجتمع والدولة: جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر**. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.

الجابري، محمد عابد. **نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي**. ط 6. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1993.

_____. **الدين والدولة وتطبيق الشريعة**. سلسلة الثقافة العربية 29. قضايا الفكر العربي 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.

حنفي، حسن. **حصار الزمن: الحاضر (إشكالات)**. القاهرة: مؤسسة هندواوي، 2023 [2004].

خوري، فيليب. **سوريا والانتداب الفرنسي: سياسة القومية العربية 1920-1945**. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1997.

دوفرجيه، موريس. **علم اجتماع السياسة: مبادئ علم السياسة**. ترجمة سليم حداد. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991.

روسو، جان جاك. **في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي**. ترجمة وتقديم عبد العزيز لبيب. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011.

سلامة، غسان. **نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1989.

_____. **المجتمع والدولة في المشرق العربي**. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999 [1987].

العروي، عبد الله. **مفهوم الدولة**. ط 9. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2011.

عطية، عاطف. **الدولة المؤجلة: معوقات نشوء الدولة والمجتمع المدني في لبنان**. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 2000.

- Hume, David. *Essays, Moral, Political and Literary*. Edited and with a Foreword, Notes, and Glossary by Eugene F. Miller. Indianapolis: Liberty Fund 1987.
- Jentges, Erik (ed.). *Das Staatsverständnis von Norbert Elias*. Baden-Baden: Nomos, 2017.
- Kant, Immanuel. *Idee zu einer allgemeinen Geschichte in weltbürgerlicher Absicht*. Vollständige Neuausgabe. Göttingen: LIWI Literatur-und Wissenschaftsverlag, 2019 [1784].
- Rotberg, Robert (ed.). *Worst of the Worst: Dealing with Repressive and Rogue Nations*. Washington: Brookings Institution Press, 2007.
- Westerman, Pauline et al. (eds.). *Legal Validity and Soft Law*. Cham: Springer, 2018.
- Melucci, Alberto. "Getting Involved: Identity and Mobilization in Social Movements." *International Social Movement Research*. vol. 1 (1988).
- . *Nomads of the Present: Social Movements and Individual Needs in Contemporary Society*. John Keane & Paul Mier (eds.). Philadelphia, PA: Temple University Press 1989.
- Migdal, Joel S. *State in Society: Studying How States and Societies Transform and Constitute One Another*. Cambridge: Cambridge University Press, 2001.
- Owen, Roger. *State, Power and Politics in the Making of the Modern Middle East*. London: Routledge, 1992.
- Polletta, Francesca & James M Jasper. "Collective Identity in Social Movements". *Annual Review of Sociology*. vol. 27, no. 1 (2001).
- Rawls, John. "Justice as Fairness: Political Not Metaphysical." *Philosophy and Public Affairs*. vol. 14, no. 3 (1985).
- Reeskens, Tim & Matthew Wright. "Nationalism and the Cohesive Society: A Multilevel Analysis of the Interplay Among Diversity, National Identity, Douglas, Bruce. "The Common Good and the Public Interest." *Political Theory*. vol. 8, no. 1 (1980).
- Easton, David. *A Systems Analysis of Political Life*. New York: John Wiley and Sons, 1965.
- Fuchs, Erich et al. (eds.). *Johann Gottlieb Fichte: Gesamtausgabe der Bayerischen Akademie der Wissenschaften. Teil 1: Werke. Band 10: Werke 1808–1812*. Stuttgart-Bad Cannstatt: Frommann-Holzboog, 2005.
- Fukuyama, Francis. "The Imperative of State-Building." *Journal of Democracy*. vol. 15, no. 2 (2004).
- George, Alan. *Syria: Neither Bread nor Freedom*. London/ New York: Zed Books, 2003.
- Greven, Michael Th. *Die politische Gesellschaft: Kontingenz und Deziision als Probleme des Regierens und der Demokratie*. 2. Auflage. Wiesbaden: VS Verlag für Sozialwissenschaften, 2008 [1999].
- Grotenhuis, René. *Nation-Building as Necessary Effort in Fragile States*. Amsterdam: Amsterdam University Press, 2016.
- Habermas, Jürgen. *Theorie des kommunikativen Handelns*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1981.
- Harris, Edward A. "From Social Contract to Hypothetical Agreement: Consent and the Obligation to Obey the Law." *Columbia Law Review*. vol. 92, no. 3 (1992).
- Hedman, Carl G. "Making the Social Contract Relevant." *Social Theory and Practice*. vol. 13, no. 3 (1987).
- Hinnebusch, Raymond. "Syria: from 'Authoritarian Upgrading' to Revolution?" *International Affairs*. vol. 88, no. 1 (2012).
- Honneth, Axel. *Leiden an Unbestimmtheit: Eine Reaktualisierung der Hegelschen Rechtsphilosophie*. Stuttgart: Reclam, 2001.

- and Social Capital Across 27 European Societies." *Comparative Political Studies*. vol. 46, no. 2 (2013).
- Rubin, Beth A. "Shifting Social Contracts and the Sociological Imagination." *Social Forces*. vol. 91, no. 2 (2012).
- Russel, Bertrand. *A History of Western Philosophy*. London: Routledge, 1996 [1945].
- Salloukh, Bassel et al. *The Politics of Sectarianism on Postwar Lebanon*. London: Pluto Press, 2015.
- Scharpf, Fritz. *Governing in Europe: Effective and Democratic?* Oxford: Oxford University Press, 1999.
- Stemmer, Peter. *Handeln zugunsten anderer: Eine moralphilosophische Untersuchung*. Berlin: De Gruyter, 2000.
- _____. "Moralischer Kontraktualismus." *Zeitschrift für philosophische Forschung*. vol. 56, no. 1 (2002).
- _____. "Die Rechtfertigung moralischer Normen." *Zeitschrift für philosophische Forschung*. vol. 58, no. 4 (2004).
- Todd, Jennifer. "Social Transformation, Collective Categories, and Identity Change." *Theory and Society*. vol. 34, no. 4 (2005).
- Weber, Max. *Wirtschaft und Gesellschaft: Grundriss der verstehenden Soziologie*. 5. Auflage. Tübingen: Mohr 1972 [1922].
- Winch, Peter. *The Idea of a Social Science and Its Relation to Philosophy*. London: Routledge, 2007 [1958].

أحمد قاسم حسين | Ahmed Qasem Hussein*

نبيل حسين | Nabil Hussein*

"هويات متصدعة": قراءة في تحولات الهوية الوطنية السورية اعتمادًا على نتائج المؤشر العربي في سورية 2025

"Fragmented Identities": An Analysis of Transformations in Syrian National Identity Based on the Findings of the 2025 Arab Opinion Index in Syria

تتناول هذه الدراسة تحولات إدراك الهوية الوطنية في سورية خلال مرحلة ما بعد النزاع، انطلاقًا من إشكالية رئيسة تتمثل فيما يلي: كيف يعيد السوريون تعريف هويتهم الوطنية في ظل إعادة تشكّل الدولة؟ وتسعى الدراسة إلى سد فجوة في الأدبيات عبر الربط بين مقاربات الهوية من الناحية النظرية من جهة، وتحليل كمّي لبيانات استطلاع المؤشر العربي في سورية لعام 2025 من جهة أخرى، وقد اعتمدت نموذج الانحدار اللوجستي في اختبار أثر المتغيرات الديموغرافية، والسوسيو-اقتصادية، والتعليمية، والطائفية، والتفاعلات بينها. وتُظهر النتائج أن الهوية الوطنية في سورية لا ترتبط بقوة بالخصائص الفردية التقليدية، بل تتشكل أساسًا عبر السياق السياسي والمكاني، مع بروز أثر التعليم العالي والتفاعل بين الطائفة والإقليم. وتخلص إلى أن هذه الهوية ليست بنية ثابتة، بل هي عملية مبنية باستمرار وإن كانت عناصرها المؤسسة تبدو ثابتة، وترتبط بإعادة بناء الدولة على أسس المواطنة والمساواة. وتوصي بالاستثمار في التعليم، وتعزيز الثقة بالمؤسسات، ومعالجة التفاوتات الإقليمية.

كلمات مفتاحية: الهوية الوطنية، سورية ما بعد النزاع، الطائفة، الإقليم، إعادة بناء الدولة.

This study examines transformations in the perception of national identity in Syria during the post-conflict period, addressing the central question: How are Syrians redefining their national identity amid the reconfiguration of the state? The study seeks to fill a gap in the literature by connecting theoretical approaches to identity with a quantitative analysis of data from the 2025 Arab Opinion Index survey in Syria. It employs a logistic regression model to examine the effects of demographic, socioeconomic, educational, and sectarian variables, as well as their interactions. The findings indicate that national identity in Syria is not strongly associated with conventional individual-level characteristics; rather, it is shaped primarily by political and spatial contexts, with higher education and the interaction between sectarian affiliation and geography emerging as significant factors. The study concludes that national identity is not a fixed structure but rather an ongoing process of construction, even if its constitutive elements may appear stable. This process is closely linked to rebuilding the state on the foundations of citizenship and equality. The study recommends investing in education, strengthening trust in institutions, and addressing regional inequalities.

Keywords: National Identity, Post-conflict Syria, Sectarianism, Region, State Re-building.

* باحث أول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Senior Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.

Email: ahmed.hussein@dohainstitute.edu.qa

** محرر أول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Senior Editor, Arab Center for Research and Policy Studies.

Email: nabil.hussein@dohainstitute.edu.qa

مقدمة

لتحليل إمريقي يرصد تصورات السوريين لهويتهم الوطنية، ويختبر العوامل المرتبطة بها بطريقة منهجية. ومن ثم، تسعى الدراسة إلى توضيح نتائج هذا الاستطلاع في تحليل محدّدات إدراك الهوية الوطنية في سورية، عبر الجمع بين إطار نظري يعرّف هذه الهوية بوصفها بناءً تاريخياً - اجتماعياً متحوّلاً، وتحليل كمي يعتمد نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي لقياس أثر الخصائص السوسيو-اقتصادية والديموغرافية والجغرافية في تشكيل هذه التصورات.

بناءً على ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى الإسهام في سدّ فجوة قائمة في الأدبيات متعلّقة بالحالة السورية، من خلال الربط المنهجي بين النظرية والقياس، وتقديم قراءة تحليلية لتحوّلات الهوية الوطنية في مجتمع يمرّ مرحلة إعادة تشكّل عميقة. ولا تسعى الدراسة إلى تقديم وصف معياري للهوية الوطنية "المنشودة"، بقدر ما تركّز على فهم أنماط إدراكها كما تعبّر عنها آراء السوريين أنفسهم، وما تتضمّنه هذه الأنماط من دلالات على مستقبل التماسك الاجتماعي وإعادة بناء الدولة في سورية ما بعد النزاع.

أولاً: الهوية الوطنية بوصفها بناءً اجتماعياً - سياسياً متحوّلاً

1. الهوية الوطنية والجماعة السياسية المتخيّلة

تُعَدّ الهوية الوطنية من أشدّ المفاهيم إشكالية في العلوم الاجتماعية؛ نظراً إلى تداخل أبعادها التاريخية والثقافية والسياسية، وارتباطها بتجارب جماعية متغيّرة لا يمكن اختزالها في تعريف واحد ثابت. غير أن "القاسم المشترك" بين معظم نظريات القومية الحديثة يتمثل في النظر إلى هذه الهوية بوصفها بناءً اجتماعياً - تاريخياً تشكّل في سياقات سياسية محدّدة، وليست معطىً طبيعياً أو جوهراً أزلياً سابقاً للدولة والمجتمع الحديثين⁽¹⁾. ووفقاً لهذا المنظور، تُفهم الأمة باعتبارها نتاج عمليات طويلة من التخيّل الجماعي، والتنظيم السياسي، وإنتاج المعنى المشترك، وليست كياناً متجانساً قائماً بذاته.

يُعدّ إسهام بندق أندرسون من أكثر الإسهامات تأثيراً في هذا السياق، وذلك من خلال تعريفه الأمة بوصفها "جماعة سياسية متخيّلة"⁽²⁾؛ فهي متخيّلة، في رأيه، لأن أفرادها، مهما بلغ عددهم أو درجة

شهدت سورية منذ بدء أحداث الثورة، في 15 آذار/ مارس 2011، تحولات عميقة في بنية الدولة والمجتمع، أدت إلى إعادة طرح سؤال الهوية الوطنية الجامعة وعلاقتها بالهويات المحلية. فقد أفضى تحوّل الثورة إلى حرب هُجّر فيها الملايين داخل البلاد وخارجها، وانتعشت فيها النزعات الهوياتية المحلية والجهوية والطائفية والعشائرية، إلى تشظّي المجتمع السوري ودخوله مرحلة تذرر جماعتي، لمصلحة تبلور شعور بالهوية الوطنية الجامعة. ومن ثم، أضحى السؤال "من نحن بوصفنا سوريين؟" ملحاً على المستويين الشعبي والنخبوي، بعيداً عن الخطابات الرسمية التي حاول النظام السابق تكريسها كأيديولوجيا قومية جعلت من هوية السوريين الوطنية غير معرّفة بسبب تغليب التوجه القومي العروبي. وقد حلّ عشية سقوط نظام بشار الأسد، في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، شعار طرحه السوريون بعفوية "ارفع رأسك فوق أنت سوري حر"، محل الشعار الذي كان يردّده النظام بأن سورية هي "قلب العروبة النابض".

تاريخياً، لا تنفصل هذه التحوّلات عن تاريخ تشكّل الدولة السورية الحديثة، ولا عن أنماط الحكم التي سادت فيها، غير أنّ المرحلة التي أعقبت سقوط نظام بشار الأسد، منحت هذا السؤال بعداً جديداً؛ إذ وجدت سورية نفسها أمام ضرورة إعادة بناء العلاقة بين الفرد والدولة، وصياغة عقد اجتماعي جديد، يكون تعريف الهوية الوطنية أحد مرتكزاته الأساسية. وفي ظل هذا التحوّل، تبرز تساؤلات مركزية عن كيفية إدراك السوريين هويتهم الوطنية اليوم: ألا تزال فكرة الهوية الوطنية الواحدة قادرة على استيعاب التنوع الاجتماعي الإثني الواسع والمعقد الذي ذرّته سنوات الصراع، أم أنّ تصورات الهويات الخاصة باتت أكثر حضوراً في الوعي العام أم أنّ تصور الهويات والانتماءات المحلية الثقافية والإثنية لا يتعارض مع تصور هوية وطنية جامعة؟

تنطلق هذه الدراسة من افتراض أساسي مفاده أنّ الهوية الوطنية هي بناء اجتماعي - سياسي يتكون باستمرار، ويتأثر بعوامل متداخلة كثيرة، من بينها موقع الأفراد اجتماعياً، ومستويات التعليم والتنشئة الاجتماعية، والأوضاع الاقتصادية، والسياقات الجغرافية - السياسية التي يعيشون ضمنها. وبذلك، لا يمكن فهم تحولات هذه الهوية في سورية بمعزل عن الشروط المادية والاجتماعية التي أعقبت الصراع، ولا بمعزل عن تجارب الأفراد المتباينة مع الدولة، والعنف والعدالة والانتماء.

في هذا الإطار، يُعدّ استطلاع المؤشر العربي الذي أُجري في سورية، في الفترة 25 تموز/ يوليو-آب/ أغسطس 2025، أول مسح وطني واسع النطاق للرأي العام السوري بعد انهيار النظام السياسي، بمعنى انهيار نظام النخبة السياسية الحاكمة دفعة واحدة؛ إذ تتيح البيانات فرصة

1 بندق أندرسون، الجماعات المتخيّلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة ثائر ديب، تقديم عزمي بشارة، ط 2 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 62.

2 المرجع نفسه، ص 63.

الشرعية في نظر مواطنيها، وقد بينت كيفية تحول مشاعر الولاء الوطني إلى قوى يسهل شحنها وتعبئتها لمصلحة الدولة. ويوضح هوبزبوم أن الدول توظف آليات الاتصال المتنامية، وفي مقدمتها المدرسة الابتدائية، لنشر صورة الوطن وتراثه وعُرس الانتماء فيه وربط الأفراد بالدولة وعلمها، وأنها غالباً ما تبتدع تقاليد، بل أوطاناً كاملة لهذا الغرض. وبهذا المعنى، فإن قوة الهوية الوطنية، من هذا المنظور، تكمن في قدرة الدولة على إعادة إنتاجها باستمرار عبر مؤسسة التعليم تحديداً، وهو ما يجعلها إطاراً فعالاً للانتماء السياسي على الرغم من حداثة نشأتها التاريخية⁽⁵⁾.

ويترب على هذا التصور أن الهوية الوطنية عملية سردية متجددة تُعاد صياغتها باستمرار، فهي ليست كياناً مكتماً أو ثابتاً. وقد أسس أندرسون لهذا الطرح حين لاحظ أن مفهوم الهوية، شأنه شأن الشخصية الفردية، لا يمكن أن يُستعاد بالتذكر المباشر، حيث يُسرد من جديد في كل مرة؛ ذلك أن كل تحول عميق في الوعي الجمعي يستدعي ضروباً مميزة من النسيان، تنبثق منها، في ظروف تاريخية معينة، روايات وسرديات جديدة عن الجماعة الوطنية. ومن هنا، يستنتج أندرسون أن سيرة الأمة، خلافاً لسيرة الفرد ذات البداية والنهاية الواضحتين، لا يمكن كتابتها "نزولاً في الزمن" من أصل محدد نحو الحاضر، بل الممكن الوحيد هو صياغتها "صعوداً في الزمن"؛ انطلاقاً من حاضر سياسي متغير يُعاد منه، باستمرار، بناء الماضي وتأويله وفقاً لحاجاته الراهنة. وبذلك، فإن حدود الجماعة المتخيلة، ومعايير الانتماء إليها، ومعاني الوطنية ذاتها، تتبدل بتبدل أنماط الحكم والتحويلات الاقتصادية وتجارب الصراع أو الاستقرار؛ إذ إن كل سياق سياسي جديد يفرض إعادة سرد للهوية الوطنية مناسبة له⁽⁶⁾. وتأسيساً على ما تقدم، تصبح الهوية الوطنية قابلة للتحليل بوصفها متغيراً اجتماعياً متجدد السرد، لا حقيقة فوق تاريخية ثابتة؛ وهو ما يفتح مجالاً لدراساتها إمبيريقياً، من خلال رصد تصورات الأفراد ومواقفهم إزاء الانتماء والاندماج والاختلاف.

وانطلاقاً من ذلك، يوفّر مفهوم "الجماعة السياسية المتخيلة" إطاراً تحليلياً أساسياً لفهم تحولات الهوية الوطنية في المجتمعات التي مرّت بمراحل اضطراب أو إعادة تشكّل عميقة. فهو يسمح بفهم إمكانيات لكيفية ضعف الروابط الوطنية أو تذرّرها أو إعادة بنائها، وفقاً للشروط الاجتماعية والسياسية القائمة، من دون افتراض انهيار نهائي أو حتمي لفكرة الأمة ذاتها. ويتيح هذا الإطار، أيضاً، الانتقال

تماسكهم، لن يعرف بعضهم البعض الآخر معرفة مباشرة، ومع ذلك يتقاسمون تصوراً ذهنياً مؤداه أنهم جزء من جماعة واحدة. ويشير هذا التخيل إلى نمط خاص من الروابط الاجتماعية التي تُبنى رمزياً، وتُختبر واقعياً عبر الإحساس بالانتماء والولاء والاستعداد للتضحية من أجل الجماعة السياسية. وبهذا المعنى، فإن الهوية الوطنية حقيقية في آثارها وسلوكياتها، حتى إن كانت متخيلة في أصل تشكّلها.

ينطلق أندرسون في تحليله من رفض التصورات الجوهرانية المتعلقة بالأمة، التي تفترض أنه توجد خصائص ثقافية أو إثنية ثابتة تسبق تشكّل الدولة الحديثة. ويُبرز بدلاً من ذلك دور التحولات البنوية المرتبطة بصعود الحداثة، ولا سيما انتشار الطباعة بلغات قومية وتوحيد اللغة المكتوبة والتعليم، في خلق فضاءات رمزية مشتركة تسمح لأفراد لم يلتقوا قط بأن يتخيلوا أنفسهم جزءاً من كيان سياسي واحد⁽³⁾. فالأمة، وفقاً لهذا التصور، بوصفها نتاجاً لمنظومات تواصل ومعرفة حديثة وتفاعل بين البنى الاقتصادية والتقنيات الثقافية الحديثة، أعادت تنظيم إدراك الناس لذواتهم وللآخرين ضمن حدود سياسية محددة، وهي ليست نتاج الدم أو العرق أو الدين. وقد أدّى هذا التحول إلى إعادة تنظيم علاقة الأفراد بالجماعة السياسية، بحيث بات الانتماء الوطني ممكناً خارج الأطر القروية أو الدينية المباشرة.

يتيح هذا التصور البنائي بشأن الهوية الوطنية تجاوز الثنائية التقليدية بين "الهوية الحقيقية" و"الهوية المصطنعة"؛ فالمسألة من هذا المنظور، لا تكون متعلقة بمدى أصالة الهوية أو زيفها، بل بكيفية تشكّلها تاريخياً، وبالشروط الاجتماعية والسياسية التي تجعلها فاعلة في وعي الأفراد؛ ذلك أن هذه الهوية، وإن كانت حديثة النشأة تاريخياً، ومرتبطة أساساً بتطور الدولة، وتحديداً الدولة الحديثة التي شهدت في نماذجها كلها مرحلة بناء مركزي للهوية، لا تقل واقعية عن أي رابطة اجتماعية أخرى؛ إذ تتجسّد في الممارسات السياسية، وفي الاستعداد للتضحية، وفي تمثيلات السيادة والحدود. ويلفت أندرسون الانتباه إلى أن الأمم استطاعت، على الرغم من كونها تخيلات حديثة العهد تاريخياً لا يتجاوز عمرها قرنين، أن تستنهض لدى ملايين البشر استعداداً للموت من أجلها؛ وهو ما يُفضي إلى استنتاج أن مصدر قوة الهوية الوطنية لا يكمن في قِدَمها، بل ينبغي التماسه في الجذور الثقافية للقومية⁽⁴⁾.

ويُعزّز هذا التصور البنائي المتعلق بالهوية الوطنية ما قدّمه إريك جيه هوبزبوم في تحليله نشوء القوميات الحديثة بعد عام 1870؛ إذ يربط بين تنامي الديمقراطية وحاجة الدول والأنظمة إلى اكتساب

5 إريك جيه هوبزبوم، الشعوب والقوميات منذ عام 1780: المنهج والخرافة والحقيقة، ترجمة مصطفى إبراهيم علي حجاج (أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة؛ دار الكتب الوطنية، 2013)، ص 86، 88.

6 أندرسون، ص 306-308.

3 المرجع نفسه، ص 101-110.

4 المرجع نفسه، ص 65.

تدريجياً عبر اللغة المشتركة والتعليم والرموز الوطنية⁽¹⁰⁾. والعلاقة بين الأمرين، في تحليله، علاقة اعتماد؛ فكلما كانت المواطنة قوية وغنية بالحقوق والواجبات، كان "جسر" الانتماء إلى الدولة متيناً. وكلما ضعفت المواطنة وتراجعت حقوقها، تضعف هذا الجسر؛ فتلجأ الأنظمة السلطوية عندئذ إلى فرض هوية وطنية مصطنعة من فوق، بدلاً من تركها تتبع من مواطنة حقيقية. وبهذا المعنى، يكتسب مفهوم الجماعة المتخيلة عند بشاره بُعداً سياسياً واضحاً، فالسؤال الأهم كيف تصمد هذه الأمة عملياً، وهو ما يتوقف في رأيه على مدى رسوخ المواطنة نفسها.

2. الهوية الوطنية بين الحداثة والجذور الرمزية

على الرغم من أن الهوية الوطنية مبنية حديثاً، وفقاً لمقاربة الجماعة السياسية المتخيلة، فإن اختزال نشوء هذه الهوية في التحولات الحداثية وحدها يظل قاصراً عن تفسير قدرتها على الاستمرار والتجذر الاجتماعي. فالهويات الوطنية، وإن كانت نتاجاً لعمليات سياسية وتنظيمية حديثة، غالباً ما تستند إلى مخزون سابق قار من الرموز، وذاكرة تاريخية، فضلاً عن اللغة، والعناصر الثقافية المشتركة التي تمنحها عمقاً اجتماعياً واستمرارية زمنية.

غير أن الإشارة إلى هذا المخزون الرمزي ذي الثقل الأنثروبولوجي لا تعني افتراضاً لوجود أمة قائمة قبل الحداثة السياسية التي تعيد، أيضاً، تنظيم مواد رمزية سابقة وتمنحها شكلاً وطنياً جديداً في مفهوم الأمة. ويبرز هذا البعد بوضوح في المقاربة الإثنية - الرمزية التي طوّرها أنتوني سميث، والتي تسعى إلى تجاوز التعارض الحاد بين المقاربات الحداثية البحتة التي ترى الأمة اختراعاً سياسياً حديثاً، والمقاربات الجوهريانية التي تفترض وجود هويات قومية ثابتة ومتوارثة.

تنطلق هذه المقاربة من فرضية مفادها أن الهوية الوطنية الحديثة، على الرغم من ارتباطها بالدولة والمؤسسات الحديثة، تستمد جزءاً مهماً من مشروعيتها وقدرتها على التعبئة من رموز جمعية أقدم، مثل الأساطير المؤسسة، والذكريات التاريخية المشتركة، واللغة، والطقوس، والدين، وأنماط الانتماء الثقافي. وبحسب سميث، فإن الهويات الوطنية الحديثة لا تنشأ من العدم، بل تنشأ من خلال إعادة تأويل وحدات ثقافية أقدم، يطلق عليها مصطلح "إثنية" Ethnie، وهي تتكوّن من ستة عناصر رئيسية: اسم جمعي مميز، وأسطورة الأصل المشترك، وذكريات تاريخية مشتركة، وعنصر واحد أو أكثر من عناصر الثقافة المشتركة التي تميزها من غيرها، والارتباط بوطن محدد،

من النقاشات المعيارية المرتبطة بـ "ما ينبغي أن تكون عليه الهوية الوطنية" إلى تحليل واقعي لكيفية إدراكها وتخيّلها من الأفراد في لحظة تاريخية معينة.

وتلتقي مقارنة الجماعة السياسية المتخيلة مع أطروحة إرنست غيلنر المتعلقة بالأمة والقومية، والتي ترفض اعتبار الهوية الوطنية امتداداً طبيعياً أو تاريخياً لجماعات ما قبل الدولة الحديثة. فخلافاً للمجتمع الزراعي القائم على تمايز أفقي حاد بين الجماعات المحلية، يفرض المجتمع الصناعي على أفرادها تدريباً تعليمياً معيارياً وعاماً، سابقاً لأي تخصص مهني ومشتركا بين الجميع؛ ففي الاقتصاد الحديث، يُبنى العمل على التواصل بلغة مفهومة ومعايير مشتركة، لا على مهارات متوارثة تنتقل محلياً داخل الجماعة الصغيرة⁽⁷⁾. ومن خلال الحاجة البنيوية - وليس من خلال أي جوهر إثني أو ثقافي سابق - تنشأ، بحسب غيلنر، حاجة إلى "ثقافة عليا" موحدة ومعممة تسندها الدولة وتعيد إنتاجها عبر التعليم.

ويرى غيلنر أن القومية هي التي تُنتج الأمم، وليست الأمم هي التي تُنتج القومية. فالأهم، بهذا المعنى، نتاج تبلور جديد تفرضه شروط التنظيم الاجتماعي الحديث، وليست معطى تاريخياً سابقاً ينتظر من يعبر عنه سياسياً. وبذلك، تُفهم الهوية الوطنية بوصفها استجابة بنيوية لمتطلبات هذا التنظيم، وليست تعبيراً عن روابط إثنية أو ثقافية سابقة بذاتها⁽⁸⁾.

غير أن مقارنة الجماعة السياسية المتخيلة، على أهميتها التأسيسية، تظل في حاجة إلى استكمال يربط بين التخيّل الجماعي والبنية المؤسسية التي تجعله مستقرّاً وفعالاً. وهنا يقدم عزمي بشاره إضافة مهمة محورها فكرة المواطنة. فهو يرى أن الهوية الوطنية تُبنى أساساً على المواطنة الفعلية؛ أي على ما يحصل عليه الأفراد من حقوق، وما يُطلب منهم من واجبات، بوصفهم مواطنين متساوين في الدولة. ويسمّي بشاره هذا النوع من الروابط "الأمة المدنية" أو "المواطنة" Civic Nation، وهي رابطة تجمع كل مواطني الدولة بصرف النظر عن أصولهم الإثنية أو الدينية، وتجعل من الدولة دولة الجميع لا دولة فئة بعينها⁽⁹⁾.

غير أن المواطنة وحدها، بحسب بشاره، لا تكفي؛ فتماسك الهوية الوطنية يحتاج أيضاً إلى بُعد ثقافي ووجداني جامع، تصنعه الدولة

7 Ernest Gellner, *Nations and Nationalism* (Oxford: Blackwell, 1983), pp. 26-29, 47-49.

8 Ibid., pp. 55-56.

9 عزمي بشاره، "تأملات في مسألة الهوية"، تبين، العدد 41 (صيف 2022)، ص 33.

يتأثر مكاناتهم الاجتماعية، ومستويات تعليمهم، ودرجة اندماجهم في مؤسسات الدولة الحديثة. ويشير سميث، في معرض مناقشته لأطروحة غيلنر، إلى أن التعليم العام الإلزامي الموحّد يُعدّ الأداة المركزية التي توفرها الدولة الحديثة وحدها لصهر السكان في ثقافة موحدة قابلة للتعبئة السياسية، على نحو يجعل التعليم قناةً رئيسة لإعادة إنتاج الرموز الوطنية وتحويل المخزون الثقافي إلى هوية فاعلة في وعي الأفراد⁽¹⁵⁾.

واستناداً إلى ذلك، يوفر اعتبار أن الهوية الوطنية هي نتيجة تفاعل بين الحداثة والجذور الرمزية إطاراً تحليلياً متماسكاً لفهم قدرتها على الاستمرار والتحوّل في آن واحد. ويرز، أيضاً، الكيفية التي تُعاد بها صياغة الرموز والذاكرة ضمن شروط سياسية واجتماعية متغيّرة، وهو ما يجعل هذه الهوية عملية تقبل إعادة التعريف، لا كيانه ثابتاً أو منجزاً.

وبذلك، تقدم المقاربات الحداثيّة والمقاربات الإثنيّة - الرمزية مستويين تحليليين متكاملين؛ إذ يفسّر المستوى الأول شروط نشوء الأمة في إطار الدولة الحديثة، ويفسّر المستوى الثاني مصادر تجذّرها الرمزي وقدرتها على الاستمرار. فالمواد الثقافية السابقة لا تُنتج في حدّ ذاتها الأمة، بل تُوفّر موارد يُعاد تنظيمها سياسياً ضمن مشروع وطني حديث، ويعاد إنتاجها من خلال التنشئة الاجتماعية. غير أن استقرار هذا المشروع يظلّ محكوماً بمدى قدرته على تجسيد المساواة والمواطنة في مؤسسات الدولة؛ فمن دون هذا الإطار المؤسسي، تتحوّل الرموز إلى سرديات قابلة للاستقطاب بدلاً من أن تكون أساساً لاندماج جماعي مستدام.

3. الهوية الوطنية بوصفها تصنيفاً سياسياً وسياًقياً

لا تكمن أهمية مقارنة الهوية الوطنية في تفسير نشأتها أو بيان جذورها الرمزية فحسب، بل في فهم الكيفية التي تعمل بها داخل المجال السياسي والاجتماعي المتحوّل أيضاً. فحتى المقاربات التي تؤكد طابع الهوية البنائي الحديث قد تقع في مِيل غير مقصود إلى التعامل معها بوصفها كياناً متماسكاً يمكن توصيفه بطريقة شبه مستقلة عن السياق السياسي والاجتماعي المتغيّر. بيد أن هذا المنحى تعرّض في العقود الأخيرة لنقدٍ منهجي متزايد في علم الاجتماع السياسي، ولا سيما لدى الباحثين الذين يحذّرون من تشييء الهوية وتحويلها إلى وحدة تحليل صلبة، بدلاً من النظر إليها بوصفها عملية تصنيف ديناميّة تتشكّل عبر التفاعلات السياسية والخطابية والمؤسّساتية.

وشعور بالتضامن بين قطاعات واسعة من السكان. وبناءً على ذلك، تُفهم الجذور الرمزية بوصفها موارد ثقافية تنتظم ضمن ما يسميه سميث "مركب الأسطورة - الرمز" Myth-Symbol Complex، الذي يُعاد توظيفه وتعبئته في إطار مشروع سياسي حديث⁽¹¹⁾.

وهكذا، يتطلب التحول من إثنية إلى أمة ما يسميه سميث "الثورة الثلاثية"؛ الاقتصادية والإدارية والثقافية، وأبرز مظاهرها تشكّل الدولة الحديثة، وانتشار التعليم والمثقفين العلمانيين، وتأسيس الجماعة الإثنية عبر تحرك من العزلة إلى الحراك، ومن السكون إلى التعبئة، ومن الثقافة إلى السياسة⁽¹²⁾.

ولا يمكن، في هذا السياق، إغفال مكانة الدين والرموز الدينية في تشكّل الهوية الوطنية، ولا سيما في المجتمعات التي لم تعرف فصلاً حاداً بين المجالين الديني والسياسي. فالدين، في منظور أنطوني سميث، يمثل أحد العناصر الثقافية المشتركة التي تميز الجماعة الإثنية، إلى جانب اللغة والعادات والمؤسسات، ويمكن أن يسهم، عبر اندماجه في الذاكرة التاريخية والرموز والأساطير المؤسّسة، في بناء الهوية القومية. غير أن طبيعة هذا الدور تتوقف على الكيفية التي يُعاد بها توظيف الدين داخل المشروع القومي؛ إذ قد يُقدّم بوصفه مكوناً ثقافياً جامعاً يعزز التضامن، أو يُستثمر سياسياً على نحو يؤدي إلى تعميق الانقسامات⁽¹³⁾.

ويكشف هذا البعد عن توتر دائم بين طابع الهوية الوطنية الحداثي المبني من خلال التنشئة الاجتماعية الأيديولوجية لأجهزة الدولة الحديثة وطابعها الرمزي؛ فيسرد سميث من بين الرموز والطقوس التي تجسد هذه الهوية وتجعلها قابلة لملاحظة الأفراد: الأعلام، والأناشيد الوطنية، والمواكب، والعملة، والأزياء الشعبية، ومتاحف الفلكلور، ونصب تخليد الشهداء، وطقوس إحياء ذكرى الموتى، إلى جانب الممارسات التربوية والأعراف العسكرية. ففوة الهوية تنبع من قدرتها على دمج هذه العناصر في سردية سياسية معاصرة يمكن تعميمها بالنسبة إلى جميع المواطنين⁽¹⁴⁾.

ويسمح فهم الهوية الوطنية، على هذا النحو المركّب، بتفسير التفاوت في قوة الانتماء الوطني داخل المجتمع الواحد؛ إذ لا يستوعب جميع الأفراد الرموز الوطنية ويؤوّلونها على نحو متجانس، فهذا

11 Anthony D. Smith, *The Ethnic Origins of Nations* (Oxford: Basil Blackwell, 1986), p. 15.

12 Ibid., pp. 154-155.

13 Ibid., pp. 20-23.

14 Anthony D. Smith, *National Identity* (Reno: University of Nevada Press, 1991), p. 77.

استناداً إلى ذلك، يغدو التعامل مع الهوية الوطنية بوصفها تصنيفاً سياسياً وسياقياً، لا كياناً جماعياً ثابتاً، مدخلاً ضرورياً لتحليلها إمبيريقياً؛ فبدلاً من افتراض وجود انتماءات صلبة يمكن قياسها كما لو كانت معطيات ثابتة، ينسجم مع منطق "التجمّع" المتغيّر لدى بروباكر أن يُصبح التركيز منصباً على تصورات الأفراد وموضوعهم الخطابي، وعلى الكيفية التي يتأثر بها هذا التموضع بمتغيرات اجتماعية واقتصادية وجغرافية. وبهذا المعنى، فإن ما يُرصد إمبيريقياً ليس "جماعات" قائمة، بل عمليات تصنيف وخطاب وتعبئة متجددة، تُفعل الهوية الوطنية عبرها أو تُهمّش بحسب موازين القوى والسياق؛ أي إنها نتيجة تفاعل مستمر بين الخطاب والسلطة والمؤسسة من جهة، وتجارب الأفراد المعيشة مع الدولة والمجتمع من جهة أخرى.

ثانياً: الهوية الوطنية في سورية وسياق إعادة التشكل

1. تشكّل الهوية الوطنية السورية ما قبل الاستقلال وبعده

لم تتبلور الهوية الوطنية السورية في سياق تاريخي طبيعي متدرّج، كما هو الحال في عدد من التجارب الأوروبية. لقد نشأت في سياق انقطاع سياسي حادّ بين مجال بلاد الشام الاجتماعي - الثقافي التاريخي، والكيان السياسي الذي أنشئ في أعقاب الحرب العالمية الأولى عام 1918؛ إذ شكّلت اتفاقية سايكس - بيكو، ومن بعدها مقررات مؤتمر سان ريمو (نيسان/ أبريل 1920) في الانتداب الفرنسي (1920-1946)، لحظة تأسيس قسري لكيانات سياسية جديدة تمثّلت في الدويلات التي أنشأها الانتداب، وهو أمر ألقى بظلاله على مسار تشكّل الهوية الوطنية السورية منذ بداياتها الأولى. ويشير بدر الدين عرودي إلى أن الانتماء إلى الشام كان، قبل نشوء الدولة الحديثة، ذا طابع ثقافي - اجتماعي أكثر منه سياسياً؛ إذ كانت الهويات المحلية والدينية والمناطقية في بلاد الشام تاريخياً مدمجة ضمن فضاء السلطنة العثمانية التعددي إثنيّاً، ولم تُختبر بوصفها عناصر متنافسة داخل دولة قومية ذات سيادة، بل ضمن منظومة ولاءات متعددة المستويات. ومع الانتقال المفاجئ إلى نموذج الدولة الوطنية، برزت إشكالية الموازنة بين حدود سياسية جديدة ونسيج اجتماعي لم يُعرّف نفسه بعدُ بوصفه "أمة سورية" قائمة بذاتها⁽²¹⁾.

في هذا السياق، يقدّم روجرز بروباكر إسهاماً نقدياً مهماً من خلال دعوته إلى الانتقال من دراسة "الهويات" بوصفها جماعات قائمة بذاتها، إلى التفكير في الإثنية والعرق والأمة بمصطلحات فئات عملية، ومخططات معرفية، وأطر خطابية، ومشروعات سياسية، وأحداث طارئة، لا بوصفها جواهر أو كيانات ثابتة⁽¹⁶⁾. ويشير إلى أن الخطأ المنهجي الشائع، الذي يسميه "التصنيف المجموعي" Groupism، يتمثل في افتراض مفاده أنه توجد مجموعات قومية أو إثنية متجانسة داخلياً وذات حدود خارجية واضحة، حتى إذا كانت فاعلة موحدة ذات مقاصد مشتركة⁽¹⁷⁾.

وبذلك، تُفهم الهوية الوطنية باعتبارها إطاراً تصنيفياً يُفعل أو يُهمّش بناءً على الظروف السياسية وشكل السلطة وأنماط الصراع السائدة، وليس بوصفها خاصية ثابتة في الأفراد؛ إذ يؤكد بروباكر أن "درجة التجمّع" Groupness متغيرة وليست ثابتة، ولا يمكن افتراض وجودها سلفاً، فهي تتفاوت بين الجماعات المفترضة وداخلها، وقد تعلقو، أو تخفت، عبر الزمن؛ بحيث تبلغ ذروتها في لحظات استثنائية غير قابلة للاستمرار من "الغليان الجمعي"⁽¹⁸⁾.

وبناءً على ذلك، يكتسي التمييز بين الهوية بوصفها فئة تحليلية، والهوية بوصفها فئة ممارسة، أهمية خاصة؛ إذ إن التداول اليومي والسياسي المكثف لمصطلح "الهوية" باعتبارها فئة ممارسة لا يستلزم استخدامه بوصفه فئة تحليل علمي. ويميّز بروباكر بين هذين النوعين؛ فـ "فئات الممارسة"، وهو تعبير يستخدمه استناداً إلى بير بورديو، هي فئات التجربة الاجتماعية اليومية التي يطوّرها الفاعلون العاديون ويوظفونها، أمّا الفئات "البعيدة عن التجربة"، فهي التي يستخدمها المحلّلون الاجتماعيون⁽¹⁹⁾. لذا، ليس ما يُرصد في الواقع "جماعات" قائمة، بقدر ما هو عمليات تصنيف مستمرة تُنتج عبر الخطاب والمؤسسة والعلاقات السلطوية؛ ذلك أن "التشبيّه" ذاته عملية اجتماعية ولا يقتصر على أن يكون عادة فكرية سيئة لدى المحلل؛ بمعنى أنه من صميم ممارسة "رواد الفعل الإثنوسياسي" الذين يسعون، حين يُشيّئون الجماعات، إلى الإسهام في إنتاج ما يبدو أنهم يصفونه أو يسمونه فحسب⁽²⁰⁾. ويخلص هذا الطرح إلى أن الهوية الوطنية هي عملية تصنيف سياسي وسياقي متغيرة الفاعلية.

16 Rogers Brubaker, *Ethnicity without Groups* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004), p. 11.

17 Ibid., pp. 8-9.

18 Ibid., p. 4.

19 Ibid., p. 30.

20 Ibid., p. 10.

21 بدر الدين عرودي، "الهوية الوطنية السورية بين الإشكالية والالتباس: التاريخ والواقع والمستقبل"، أبحاث اجتماعية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2020، ص 15-21، شوهد في 2026/2/15، في: <https://acr.ps/1L9F2DI>

في السياق ذاته، تُبرز خلود الزغير أن نقاش هوية الدولة السورية في مرحلة ما بعد الاستقلال (1946-1963) شكّل محوراً مركزياً في سجلات التيارات السياسية المختلفة، التي بلورت تصورات متباينة بشأن مفهوم الأمة والقومية والدولة، وإن ظلّ تعريف الدولة الرسمي هو "الجمهورية السورية" في تلك المرحلة. وتلفت الزغير الانتباه إلى أن دستور عام 1950، على الرغم من كونه أول دستور عربي يتبنى النزعة الوحدوية لأيديولوجيا القومية العربية ويثبّت الصفة العربية للدولة السورية في مادته الأولى، لم يُقدّم صفة "العربية" على صفة "السورية"؛ إذ ظلّ يستخدم عبارتي "الجمهورية السورية" و"الشعب السوري" أو "الشعب السوري العربي". غير أن تجربة الوحدة مع مصر (1958-1961) مثّلت تحوُّلاً حاسماً؛ إذ أصبحت الجمهورية السورية جزءاً من "الجمهورية العربية المتحدة"، وتحولت العروبة من شعار أيديولوجي إلى إطار فعلي؛ ما أدى إلى تراجع حضور الهوية السورية الخاصة في الخطاب الرسمي⁽²⁶⁾. وبعد الانفصال، لم تتخلّ حكومة تلك المرحلة عن "الهوية العربية"، وحوّلت اسم الدولة إلى "الجمهورية العربية السورية"، في محاولة لنفي تهمة الانفصالية وإثبات التمسك بالهوية القومية العربية؛ وهنا تحديداً - بحسب الزغير - بدأت ظاهرة تقديم صفة "العروبة" على صفة "السورية" في النصوص الدستورية، وهي الظاهرة التي استمرت واستقرت لاحقاً في الدستور الدائم لعام 1973⁽²⁷⁾.

وفي قراءة موازية، يقدّم محمود باكير قراءة نقدية لمسار بناء الهوية الوطنية السورية، مؤكداً أن غياب مشروع وطني لبناء المواطنة السورية، في العقود التي سبقت تأليف كتابه، يُعزى إلى عمق الشعور القومي العربي وطغيانه عند كثير من السوريين، وأنه - على الرغم من الاستقلال عن الفرنسيين عام 1946 - لم يتصدّد أحد من النخبة السورية رسمياً لهذه المسألة الحيوية المتعلقة بماهية الهوية الوطنية ووجودها⁽²⁸⁾. ويستشهد باكير بتوصيف الدبلوماسي الهولندي نيكولاوس فان دام لطبيعة هذه الإشكالية، مفاده أن سورية حين استقلّت عام 1946 كانت "دولة" State من نواحٍ كثيرة من دون أن تكون "أمة" فلم تكن دولة-أمة بمعنى Nation-State، وكانت "كياناً سياسياً" Political Entity من دون أن تكون "مجتمعاً سياسياً".

26 خلود الزغير، سورية الدولة والهوية: قراءة حول مفاهيم الأمة والقومية والدولة الوطنية في الوعي السياسي السوري (1946-1963) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 8.

27 المرجع نفسه.

28 محمود باكير، هندسة "الهوية الوطنية"... سورية المستقبل، سلسلة قضايا (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025)، ص 11.

واستناداً إلى ذلك، فإن الهوية الوطنية السورية ظلّت، طوال العقود الأولى، في حالة "وجود بالقوة" من دون أن تتحقّق "بالفعل"؛ أي إن مقوماتها الثقافية والاجتماعية كانت قائمة، لكنها لم تُترجم إلى إطار سياسي توافقي جامع، بسبب غياب سلطة وطنية قادرة على بلورة عقد مواطني يدمج المكونات المختلفة ضمن تصور مشترك للوطن⁽²²⁾. ويتقاطع هذا الأمر مع ما أورده زيدون الزعبي في تحليله الدساتير السورية المبكرة؛ إذ بيّن أن النصوص الدستورية تذبذبت بين مرجعيات عربية عامة وتأكيدات شكلية للسيادة، من دون أن تطور تعريفاً دقيقاً لـ "الأمة السورية" بوصفها جماعة سياسية ذات حدود رمزية واضحة⁽²³⁾. ويظهر تحليله كذلك أن الهوية في الدساتير المتعاقبة قُدّمت بوصفها مسألة نصّية رمزية، استدعي فيها الدين واللغة والانتماء العربي، من غير ربط منهجي بمفهوم المواطنة المتساوية أو بآليات مؤسسية لترسيخ الانتماء الوطني عملياً⁽²⁴⁾. وأسهم هذا الانفصال بين الخطاب الدستوري والممارسة السياسية في إبقاء الهوية الوطنية في مستوى التجريد، مع عدم تحولها إلى خبرة اجتماعية يومية متجذّرة في تجربة الدولة.

ومن منظور سوسيولوجي أوسع، يشير برهان غليون إلى الحالة السورية بوصفها مثلاً دقيقاً يدلّ على تحوّل الدولة إلى أداة لإنتاج الانقسام بدلاً من تجاوزه؛ فالنخبة الحاكمة، في تحليله، عمدت إلى استثمار مؤسسات الدولة نفسها في بناء عصبية طائفية موالية لها ومستندة إليها، وفي الوقت ذاته عملت على تفكيك التضامات الأهلية الأخرى كلها ومنعها من أن تتحول هي، أيضاً، إلى عصبيات موازية تحدّ من هيمنة هذه الطائفة المندمجة في الدولة. ويرى غليون أن نمو الشبكات الطائفية في هذا السياق شكّل من أشكال الالتفاف على تعطيل الحياة السياسية الشرعية، وليس تعبيراً عن سمة ثقافية راسخة في بعض المجتمعات، وأنه ناتج من إغلاق السوق السياسية أمام أي تداول أو تنافس حقيقي على السلطة؛ ومن ثم، فإن قيام جماعة وطنية يشارك أعضاؤها في تقرير مصيرهم واختيار ممثليهم يبقى مشروطاً بدولة قائمة على الحرية وسيادة القانون والمساواة في الحقوق؛ فلا مواطنة حقيقية في غياب هذه الشروط⁽²⁵⁾.

22 المرجع نفسه، ص 26.

23 زيدون الزعبي، "الهوية الوطنية في الدساتير السورية: ظروف النشأة وانعكاساتها في الدساتير السورية"، قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، العددان 19-20 (تموز/ يوليو 2022)، ص 698-707، شوهد في 2025/10/15، في: <https://acr.ps/1L9F2Bo>

24 المرجع نفسه، ص 698-707.

25 برهان غليون، نظام الطائفية: من الدولة إلى القبيلة، ط 2 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 15.

عن الأسباب التي حالت دون أي محاولة واعية لبناء عقد اجتماعي يؤسس للدولة الوطنية، ويحدد هويتها، وانتماء شعبها.

ومع ترسخ ما عُرف لاحقاً بـ "الدولة الأسدية"، تعمّقت هذه الإشكالية، وغدت الهوية الوطنية جزءاً من منظومة سلطوية مغلقة، جرى فيها ربط الوطنية بالولاء السياسي، والانتماء إلى الوطن بالانتماء إلى النظام. وإلى جانب ذلك، لم تعمل الدولة السلطوية على تحييد الانتماءات الطائفية أو دمجها في إطار مواطني متساوٍ، بل أدارتها ضمن توازنات غير معلنة، أبقت الطائفية مورداً سياسياً كامناً يُستدعى عند الحاجة إليه.

ومن منظور دستوري، يُظهر تحليل الزعبي أن النصوص الدستورية في عهد البعث كرّست مركزية العروبة لفظياً وبنوياً؛ ففي دستور 1973 وحده، وردت كلمة "عربي" ومشتقاتها 58 مرة، مقابل ورود كلمة "سورية" 12 مرة فقط، وكانت أول مرة يتحدث فيها الدستور عن "جنسية عربية صفتها السورية"، وصدرت الأحكام باسم "الشعب العربي في سورية"، لا باسم "الشعب السوري"⁽³¹⁾. وظلت الهوية الوطنية في الدساتير السورية مرتبطة بالانتماء العربي، في حين غابت أي إشارة صريحة إلى تعدد المكونات المجتمعية أو وجود أقليات دينية أو إثنية؛ إذ يؤكد الزعبي أن دستور 2012 كان الدستور الأول في تاريخ الدساتير السورية الذي تحدّث، على نحو صريح، عن تنوع البلاد طائفيًا وعرقيًا؛ ما يعني أن هذا الغياب استمر في الدساتير السابقة على دستور 2012، بما في ذلك الدساتير التي صدرت خلال عقود حكم البعث⁽³²⁾.

وهكذا، يمكن القول إن مرحلة حكم البعث والدولة السلطوية لم تُنتج هوية وطنية سورية جامعة بالمعنى المؤسسي، بل كرّست هوية رسمية أحادية، قائمة على احتكار رمزي للوطن وربط الانتماء السياسي بالولاء للسلطة. وقد راكم هذا المسار اختلالات عميقة في العلاقة بين الدولة والمجتمع، جعلت الهوية الوطنية قابلة للتصدع السريع عند اهتزاز بنية الدولة نفسها، وهو ما ظهر جلياً مع اندلاع الثورة السورية عام 2011.

لقد أسهمت الحرب السورية في إعادة إنتاج الهويات الفرعية بوصفها آليات بقاء في غياب الدولة أو عجزها عن توفير الأمن. فمع تصاعد العنف وانهار منظومات الأمان العامة، ارتدّ الأفراد إلى انتماءات أولية - طائفية ومناطقية وعشائرية - توفر حدّاً أدنى من التضامن والحماية والثقة في سياق الفراغ الناتج من غياب الدولة. ولا يعكس

Political Community. ويرى باكير في هذا "التشخيص" تحديداً لأهم مصادر الألم الذي ما زالت سورية تعانيه إلى اليوم⁽²⁹⁾.

وهكذا، يمكن القول إن تشكّل الهوية الوطنية السورية إبان الكفاح الوطني، من أجل الاستقلال وبعده، اتسم بثلاث سمات مترابطة: أولاً، فجوة بين المجال الثقافي - التاريخي الشامي وحدود الدولة الحديثة؛ ثانياً، قصور في ترجمة النصوص الدستورية إلى ممارسة مواطنة جامعة؛ ثالثاً، غياب مشروع مؤسسي مستدام لتحويل الدولة من إطار قانوني إلى فضاء اندماج سياسي واجتماعي. ولا تُفسّر هذه السمات لاحقاً أزمات الهوية في سورية بوصفها "صراعات ثقافية" خالصة، بل بوصفها امتداداً لمسار تأسيسي لم يُحسم فيه تعريف الجماعة السياسية بطريقة توافقية منذ البداية.

2. الهوية الوطنية السورية في أثناء حكم نظام البعث والدولة السلطوية

شكّل وصول حزب البعث إلى السلطة عام 1963 منعطفاً في مسار الهوية الوطنية السورية؛ فبدلاً من أن تتبلور هذه الهوية بوصفها نتاجاً لتراكم اجتماعي - سياسي، لم يعثر عرودي في أدبيات حزب البعث نفسه - وخصوصاً في كتابات مؤسسه ميشيل عفلق - على أي ذكر لاسم سورية إلا في سياق الحديث عن الوحدة مع مصر؛ ذلك أن قاعدة الفكر البعثي، القائمة على مفهوم "أمة عربية واحدة"، لا تعترف بالتجزئة، جعلته "على طرفي نقيض مع مفهوم أمة سورية بأي معنى من المعاني". ولم يسعَ الحزب إلى ترسيخ هوية وطنية سورية متميزة بقدر ما عمل على إدماجها في هوية قومية عربية أوسع، وانعكس ذلك على الصعيدين الإعلامي والتعليمي - التربوي، وفي المادتين الأولى والثانية من الدستور المؤقت للجمهورية العربية السورية الصادر في 25 نيسان/ أبريل 1964، اللتين كرّستا الإيمان بـ "الوحدة" العربية والنضال "في سبيل تحقيقها". ويرى عرودي أن هذا كله "كرّس [...] طابع الالتباس، لا في مفهوم الهوية الوطنية السورية فحسب، بل في مفهوم الدولة الوطنية ذاتها"⁽³⁰⁾، وهو التباس ازداد عمقاً في إثر انقلاب 23 شباط/ فبراير 1966، حين اقتصر الحزب على الساحة السورية وحدها، من دون أن يفضي ذلك إلى تأكيد انتماء سوري محض، بل بقي متأرجحاً بين الانتماء إلى "الوطن العربي" و"الأمة العربية" من جهة، والقيادة "القطرية" السورية من جهة أخرى. وبناءً على ذلك، فإن غياب أي سياسة واضحة لإبراز الهوية الوطنية السورية خلال هذه المرحلة يطرح تساؤلات عميقة

31 الزعبي، ص 705.

32 المرجع نفسه، ص 705-706.

29 المرجع نفسه، ص 123.

30 عرودي، ص 30-31.

من الاندماج، تقابلها تجربة معيشة حديثة اتسمت بالاستقطاب. وهنا تتجلى أطروحة "الجماعة المختلطة" في بعدها الإمبريقي؛ إذ يمكن أن تستمر الأمة بوصفها إطاراً رمزياً حتى عندما تتعرض بنياتها المؤسسية للتصدع.

وعند سؤال المستجيبين عن أهم عامل يشكل الهوية الوطنية السورية، جاءت "الثقافة السورية المشتركة" في المرتبة الأولى (19%)، تليها اللغة العربية (17%)، ثم العيش على الأرض السورية (10%)، فالتنوع المجتمعي والثقافي (9%)، وأخيراً الدين الإسلامي (8%). وتتضمن هذه النتائج دلالات لافتة للانتباه؛ إذ تُظهر أن تعريف الهوية الوطنية في الوعي العام لا ينحصر في بُعد ديني أو إثني محدد، بل يتوزع بين عناصر ثقافية ولغوية ومدنية. فالثقافة المشتركة واللغة تتقدمان على الدين بوصفهما محددين للانتماء؛ ما يشير إلى استمرار تمثّل الهوية الوطنية بوصفها إطاراً ثقافياً - مدنياً أكثر من كونه إطاراً دينياً صرفاً. ويعكس حضور "التنوع المجتمعي" ضمن عناصر الهوية (9%) إدراكاً مفاده أن التعدد ليس نقيضاً للوطنية، بل يمكن أن يكون جزءاً من تعريفها. وهذه النتيجة تكتسب أهمية خاصة في سياق بلد شهد استقطاباً طائفيًا حاداً خلال سنوات الصراع.

في مقابل ذلك، تكشف النتائج عن وعي واسع بانتشار الخطاب الطائفي؛ إذ أفاد 85% من المستجيبين أن خطاب الطائفية منتشر في البلاد، ويعتقد 84% أن الناس يصنّفون أنفسهم والآخرين على أساس مذهبي أو ديني، ويرى 83% أن التمييز على هذا الأساس منتشر. وتعكس هذه الأرقام إدراكاً شبه إجماعي مقتضاه أن المجال العام قد أُعيد تنظيمه بحسب تصنيفات طائفية ودينية خلال سنوات النزاع.

ومن النتائج البارزة أن 67% من المستجيبين وافقوا على عبارة: "لا يحق لأحد أن يشكك في وطنية أي فرد لأنه معارض لسياسات الحكومة". وتشير هذه النسبة إلى إعادة تعريف ضمني لمفهوم الوطنية بوصفها رابطة مواطنة لا تُختزل في الولاء للسلطة. ويعكس هذا الموقف، في سياق تاريخي ارتبط فيه مفهوم الوطنية بالاصطفاف السياسي، تحولاً معيارياً في إدراك العلاقة بين الدولة والمجتمع؛ إذ تُفصل الوطنية عن الموقف من الحكومة، ويُعاد تأطيرها ضمن مبدأ المساواة السياسية وحق الاختلاف.

وعند سؤال المستجيبين عن أسباب التوتر الطائفي، توزعت إجاباتهم بين من يعزونه إلى تدخلات خارجية (41%)، ومن يربطونه بغياب المواطنة والتسامح (36%)، أو بسلوك المجتمعات (22%)، أو بدور وسائل التواصل الاجتماعي (18%)، أو بسلوك الأنظمة الحاكمة (7%). ويكشف هذا التوزيع عن تعدد في المنظورات والإدراكات؛ فالتوتر يُفهم بوصفه نتاجاً لتداخل عوامل خارجية وداخلية. ويربط

هذا التحول، عودة "جوهرية" إلى هويات كامنة، بقدر ما يعكس فشل الإطار الوطني في أداء وظائفه السياسية والاجتماعية.

في ضوء ذلك، لا يمكن تفسير ما جرى بوصفه "تعدد هويات" ثقافياً فحسب، بل بوصفه أيضاً إعادة تسييس مكثفة للانتماءات في سياق عنيف أعاد تعريف حدود الجماعة السياسية نفسها. فالتصدع الذي أصاب الهوية الوطنية لم يكن نتيجة التنوع الاجتماعي في حد ذاته، بل هو نتيجة انهيار الإطار المؤسسي الذي كان يفترض أن يستوعب هذا التنوع ضمن دولة مواطنة. ومن هنا، تنبع أهمية دراسة إدراك السوريين لهويتهم الوطنية في المرحلة الانتقالية، بوصفه مؤشراً دالاً على طبيعة العلاقة المستجدة بين الدولة والمجتمع بعد أكثر من عقد من الصراع، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى اختباره إمبريقياً من خلال الاعتماد على بيانات المؤشر العربي في سورية لعام 2025.

ثالثاً: المؤشر العربي في سورية: مدخل إمبريقي

يتيح استطلاع المؤشر العربي في سورية لعام 2025⁽³³⁾ فرصة مميزة للانتقال من الجدل النظري المتعلق بالهوية الوطنية إلى اختبارها على مستوى إدراك الأفراد، واتجاهاتهم السلوكية في لحظة انتقالية أعقبت انهيار النخبة السياسية القائمة للنظام وإعادة طرح سؤال الدولة والانتماء. وتكتسب هذه البيانات أهمية قصوى، لأنها تمثل أول مسح وطني واسع النطاق بعد نحو عقد ونصف العقد من اندلاع الثورة السورية؛ ما يتيح فحص الكيفية التي يُعاد من خلالها تخيّل الجماعة السياسية في سياق ما بعد الحرب، بعيداً عن الافتراضات الثقافية المسبقة.

تشير النتائج إلى أن 64% من المستجيبين يعتقدون أن الشعب السوري نجح، بدرجات متفاوتة، في "الانصهار في بوتقة الأسرة الواحدة"، مقابل 12% يرون أنه لم يتحقق أيّ انصهار قط. وتعكس هذه النسبة، في الوهلة الأولى، استمرار حضور سرديّة وطنية جامعة في الوعي العام، على الرغم من سنوات العنف والتشظي. غير أن قراءة هذه المعطيات لا ينبغي أن تُفهم باعتبارها دليلاً على تجانس اجتماعي فعلي، بل بوصفها تعبيراً عن بقاء تمثّل رمزي لفكرة "الوحدة الوطنية" في المخيال الجمعي. ولا ينبغي الاعتقاد المثل في وجود اندماجٍ تاريخي إدراك التوترات الراهنة، بل إنه يكشف عن ازدواجية في الوعي، متمثلة في سرديّة جمعية عن ماضٍ متخيّل

33 ينظر: "المركز العربي يعلن نتائج استطلاع المؤشر العربي في سورية"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025/8/31، شوهد في 2026/2/15، في: <https://acr.ps/1L9F2lj>

وفيما يلي فرضيات فرعية خاصة بالمتغيرات المستقلة والسياقية وتبريرها:

1. فرضية أثر العمر

تزداد احتمالات تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة بين الأفراد الأكبر سناً مقارنة بالفئات العمرية الأصغر؛ إذ يُفترض أن الأجيال الأكبر سناً، التي تشكل وعيها السياسي في ظل استقرار نسبي للدولة، تميل إلى تبني تصورات أكثر تقليدية ومتماسكة للهوية الوطنية، في حين تتأثر الأجيال الأصغر، التي خضعت لعمليات تنشئة سياسية في سياق النزاع والتفكك الاجتماعي، بإدراكات أكثر تعددية وتجزؤاً للهوية، تعكس خبرتها المباشرة مع الانقسامات والصراعات⁽³⁴⁾.

2. فرضية أثر الجنس

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك الهوية الوطنية بين الذكور والإناث في سورية، بحيث يختلف احتمال تبني تصور هوية وطنية واحدة باختلاف الجنس؛ إذ يُفترض أن اختلاف مواقع الأفراد في بنى العنف والعمل والمشاركة السياسية، خلال سنوات النزاع وما بعدها، يُنتج خبرات متميزة مع الدولة والمجتمع تنعكس على تصور الهوية الوطنية⁽³⁵⁾.

3. فرضية أثر المستوى التعليمي

يزداد احتمال تبني تصور هوية وطنية جامعة مع ارتفاع المستوى التعليمي؛ إذ يُنظر إلى التعليم، ولا سيما التعليم العالي، بوصفه وسيطاً يعزز القيم المدنية ويوسع دوائر الانتماء من خلال زيادة التعرض للتنوع الاجتماعي والاحتكاك بين الجماعات، على نحو

أكثر من ثلث المستجيبين التوتر بغياب المواطنة، وهو أمرٌ ينسجم مع الطرح النظري القائل إن اختلال الإطار المؤسسي للدولة يسهم في إعادة تسييس الانتماءات الأولية أو العمودية.

وعلى الرغم من الإقرار الواسع بانتشار خطاب طائفي، أفاد 66% من المستجيبين أنهم لا يفرقون في تعاملهم مع الآخرين على أساس الطائفة أو الدين، بينما يفضل 25% التعامل مع أفراد من الطائفة نفسها، في حين راوحت نسب قبول الجوار مع أفراد من طوائف وأديان وإثنيات أخرى بين 66% و78%. وتكشف هذه النتائج عن مفارقة لافتة للانتباه، تتمثل في وعي بانتشار الطائفية على مستوى الخطاب العام، يقابله استعداد شخصي واسع لقبول التعدد في الحياة اليومية. ويمكن تفسير هذه المفارقة بالتمييز بين المجال السياسي - الإعلامي الذي تكثف فيه الاستقطاب، والمجال الاجتماعي اليومي الذي ظل يحتفظ بمستويات من التعايش الحي.

نتيجةً لذلك، ثمة بنية مزدوجة للهوية الوطنية في المرحلة الانتقالية؛ فمن جهة، يستمر حضور سرديّة وطنية جامعة تستند إلى الثقافة واللغة والعيش المشترك. ومن جهة أخرى، يوجد إدراك واسع لانتشار الطائفية والتمييز. واستناداً إلى ذلك، تشير هذه المعطيات إلى إعادة تفاوض في معنى الهوية الوطنية وحدودها. فالوطنية لم تختف من الوعي العام، وباتت موضوعاً لإعادة تعريف في ضوء تجارب العنف والانقسام والانتقال السياسي. ومن ثم، تتيح هذه النتائج تأسيس تحليل قياسي أدق، يختبر أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية في تشكيل هذه التصورات، وهو ما تتناوله الدراسة في القسم المنهجي عبر نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي.

رابعاً: المنهجية: الفرضيات والبيانات والنموذج القياسي

تطلق الدراسة من فرضية مركزية مفادها أن الهوية الوطنية السورية بعد سقوط النظام هي نتاج تفاعل بين ما يلي: 1. الموارد الرمزية (الثقافة، والتعليم، واللغة، وتصور الدولة)، 2. المواقع الاجتماعية (العمر، والجنس، والتعليم، والوضع الاقتصادي، ومكان الإقامة)، 3. الجغرافيا السياسية - الاجتماعية (الأقاليم الجغرافية والمحافظة بوصفها فضاءات حكم متميزة)، 4. الانتماءات الطائفية بوصفها محددات اجتماعية وسياسية في سياق ما بعد النزاع، 5. الخبرة بالعنف الجماعي والطائفي التي تعيد تشكيل معنى "نحن". وبذلك، تُفهم الهوية الوطنية المشتركة بوصفها قدرة الأفراد على تخيل جماعة سياسية جامعة تُنتج رمزياً عبر اللغة والتعليم والذاكرة المشتركة، في سياق تتفاوت فيه شروط العيش والتعليم والأمن.

34 ينظر على سبيل المثال:

M. Kent Jennings & Richard G. Niemi, "Continuity and Change in Political Orientations: A Longitudinal Study of Two Generations," *American Political Science Review*, vol. 69, no. 4 (1975), pp. 1316-1335; Daniel Bar-Tal, Aurel Harrison Diamond & Meytal Nasie, "Political Socialization of Young Children in Intractable Conflicts: Conception and Evidence," *International Journal of Behavioral Development*, vol. 41, no. 3 (2017), pp. 415-425.

35 ينظر على سبيل المثال:

Lihi Ben Shitrit, Julia Elad-Strenger & Sivan Hirsch-Hoefler, "Gender Differences in Support for Direct and Indirect Political Aggression in the Context of Protracted Conflict," *Journal of Peace Research*, vol. 54, no. 6 (2017), pp. 733-747; Cynthia Cockburn, "War and Security, Women and Gender: An Overview of the Issues," *Gender & Development*, vol. 21, no. 3 (2013), pp. 433-452.

تميل البيئات الريفية الأقل تنوعاً إلى تعزيز الروابط المحلية والقريبة؛ ما قد يحدّ من تشكّل هويات جامعة⁽³⁸⁾.

6. فرضية أثر الإقليم الجغرافي (المحافظات) بوصفه فضاءً سياسياً - اجتماعياً

يختلف إدراك الهوية الوطنية بطريقة ذات دلالة إحصائية باختلاف الإقليم الجغرافي، على نحو يعكس تباين أنماط العنف والحكم المحلي وتجارب العلاقة مع الدولة؛ إذ لا تُفهم المناطق بوصفها وحدات إدارية فحسب، بل باعتبارها فضاءات اجتماعية وسياسية تنتج خبرات متميزة تؤثر في تشكيل الهوية والانتماء، خاصة في سياقات النزاع حيث تتباين أنماط السيطرة والحوكمة على المستوى دون الوطني⁽³⁹⁾؛ ولذلك أُعيد ترميز المحافظات في فئات تحليلية تعكس الأقاليم الرئيسة في البلاد: مناطق العلويين (الساحل السوري)، ومناطق الأكراد شمال شرق سورية (قسد)، والمحافظات الكبرى في الوسط (مناطق الحكومة الجديدة: دمشق، وريف دمشق، وحلب، وحماة، وحمص)، والجنوب السوري (الدروز)، إضافة إلى محافظة إدلب بوصفها حالة متميزة. ويُفترض أن هذه السياقات السياسية المختلفة تُنتج تصورات متباينة لمعنى "الوطن" و"الدولة".

7. فرضية تأثير الطائفة

تختلف احتمالات تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة باختلاف الانتماء الطائفي؛ إذ تُظهر الأدبيات أن النزاعات المسلحة، ولا سيما في السياقات المتعددة الطوائف، تؤدي إلى إعادة تسييس الانتماءات الدينية والمذهبية؛ ما يعزز بروز الهويات الجزئية ويؤثر في أنماط

يضعف الاعتماد الحصري على الهويات المحلية أو الأولية، غير أن هذا الأثر يبقى مشروطاً بالسياقين السياسي والمؤسسي⁽³⁶⁾.

4. فرضية أثر وضع الأسرة الاقتصادي

ينخفض احتمال تبني تصور "هوية وطنية واحدة" لدى الأفراد المنتمين إلى أسر تعاني العوز أو الكفاف الاقتصادي، مقارنة بالأفراد المنتمين إلى أسر ذات وضع اقتصادي ميسور؛ إذ تشير أدبيات ما بعد النزاعات إلى أن التدهور المعيشي واستمرار عدم المساواة يفضيان إلى تآكل الثقة الاجتماعية والمؤسسية؛ ما يضعف الانتماء إلى الهوية الوطنية الجامعة، ويدفع الأفراد إلى إعادة التمرکز حول الهويات الفرعية بوصفها شبكات حماية بديلة⁽³⁷⁾.

5. فرضية أثر مكان الإقامة (الحضر/ الريف)

تختلف احتمالات تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة بين سكان الحضر وسكان الريف؛ إذ يُفترض أن البيئات الحضرية، بحكم تنوعها الاجتماعي وارتفاع مستويات التفاعل بين الجماعات، تسهم في تعزيز مواقف أكثر تسامحاً وشمولاً، بما في ذلك تبني هويات وطنية أوسع، وذلك انسجاماً مع فرضية الاتصال Contact Hypothesis، في حين

36 ينظر على سبيل المثال:

Tim Reeskens & Matthew Wright, "Nationalism and the Cohesive Society: A Multilevel Analysis of the Interplay among Diversity, National Identity, and Social Capital Across 27 European Societies," *Comparative Political Studies*, vol. 46, no. 2 (2013), pp. 153-181; Sylvia Hurtado, "Linking Diversity with the Educational and Civic Missions of Higher Education," *The Review of Higher Education*, vol. 30, no. 2 (2007), pp. 185-196; Roslyn Arlin Mickelson & Mokubung Nkomo, "Integrated Schooling, Life Course Outcomes, and Social Cohesion in Multiethnic Democratic Societies," *Review of Research in Education*, vol. 36, no. 1 (2012), pp. 197-238.

37 تقول بذلك نظرية التماسك الاجتماعي Social Cohesion Theory، ونظرية عدم المساواة الأفقية Horizontal Inequalities، وأدبيات بناء السلام، ينظر:

Fletcher D. Cox & Timothy D. Sisk, "Peacebuilding: A Social Cohesion Approach," in: Fletcher D. Cox & Timothy D. Sisk (eds.), *Peacebuilding in Deeply Divided Societies: Toward Social Cohesion?* (Cham: Springer International Publishing, 2017), pp. 13-31; Frances Stewart, "Horizontal Inequalities and Conflict: An Introduction and some Hypotheses," in: Frances Stewart (ed.), *Horizontal Inequalities and Conflict: Understanding Group Violence in Multiethnic Societies*, Kofi Annan (foreword) (London: Palgrave Macmillan UK, 2008), pp. 3-24; Charlotte Fiedler & Christopher Rohles, "Social Cohesion after Armed Conflict: A literature Review," *Discussion Paper*, no. 7/2021, German Development Institute, 2021; Sam Whitt, "Ethnic Trust, Minority Status, and Public Goods in Post-conflict Societies," *Journal of Peace Research*, vol. 58, no. 6 (2021), pp. 1239-1255.

38 ينظر المرجع الكلاسيكي الذي يؤسس لفكرة أن التفاعل بين الجماعات يقلل التحيز: Gordon W Allport, *The Nature of Prejudice* (Cambridge, MA: Addison-Wesley Publishing, 1954);

وينظر أيضاً:

Terje Wessel, "Does Diversity in Urban Space Enhance Intergroup Contact and Tolerance?" *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*, vol. 91, no. 1 (2009), pp. 5-17; Rebecca Wickes et al., "Ethnic Diversity and Its Impact on Community Social Cohesion and Neighborly Exchange," *Journal of Urban Affairs*, vol. 36, no. 1 (2014), pp. 51-78.

39 ينظر على سبيل المثال:

Anssi Paasi, "Region and Place: Regional Identity in Question," *Progress in Human Geography*, vol. 27, no. 4 (2003), pp. 475-485; Stathis N. Kalyvas, "The Ontology of 'Political Violence': Action and Identity in Civil Wars," *Perspectives on Politics*, vol. 1, no. 3 (2003), pp. 475-494.

يُدعمُ بحدٍّ أدنى من الاستقرار الاقتصادي الذي يتيح ترجمة رأس المال التعليمي إلى اندماج اجتماعي وسياسي فعلي⁽⁴¹⁾.

إدراك الدولة والانتماء الوطني، حيث ترتبط كل جماعة طائفية بخبرات ومواقع مختلفة داخل الصراع⁽⁴⁰⁾.

9. فرضية العنف الطائفي بوصفه عاملاً سياقياً مُعدّلاً

يختلف أثر الانتماء الطائفي في تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة باختلاف الموقع الجغرافي، بحيث يُتوقع أن تظهر أنماط متميزة لدى العلويين في الساحل السوري، ولدى الدروز في الجنوب السوري.

- الفرضيات 1-7 تُختبر بوصفها آثاراً مباشرة في النموذج.
- الفرضيتان 8 و9 تُختبران بوصفهما تفاعلاً إحصائياً.

8. فرضية التفاعل بين التعليم والوضع الاقتصادي

يُعزّز الأثر الإيجابي للمستوى التعليمي في تبني تصور هوية وطنية واحدة لدى الأفراد ذوي الأوضاع الاقتصادية الأفضل، بينما يضعف هذا الأثر لدى الأفراد ذوي الأوضاع الاقتصادية المتدهورة؛ إذ يفترض هذا التفاعل أن التعليم وحده غير كافٍ لتعزيز الهوية الوطنية؛ ما لم

الجدول (1)

المتغيرات المستخدمة في نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي وإشارات معاملاتها المتوقعة

المتغير	نوع المتغير	الترميز	الإشارة المتوقعة	التفسير النظري
إدراك الهوية الوطنية (المتغير التابع)	ثنائي	1 = هوية وطنية واحدة 0 = هويات متعددة		يعكس تصور المستجيب لطبيعة الهوية الوطنية في سورية
العمر (الفئات العمرية)	صوري	1: 18-29 عاماً (المرجعية) 2: 30-44 عاماً 3: 45-59 عاماً 4: 60 عاماً فأكثر	+	الأجيال الأكبر سناً أكثر ارتباطاً بتجربة الدولة الوطنية قبل النزاع
الجنس	ثنائي	1 = أنثى 0 = ذكر (المرجعية)	±	اختلاف الخبرات الاجتماعية والسياسية بالعنف والدولة قد ينتج اتجاهات متباينة تجاه الهوية الوطنية
المستوى التعليمي	صوري	1: تعليم أساسي أو أقل (المرجعية) 2: تعليم ثانوي 3: تعليم جامعي (بكالوريوس أو دبلوم) 4: دراسات عليا (ماجستير أو دكتوراه)	+	التعليم يعزز الوعي المدني والقدرة على تخيل جماعة سياسية جامعة
وضع الأسرة الاقتصادي - كفاف	صوري	1 = أسر الكفاف 0 = غير ذلك (المرجعية: أسر الوفرة)	-	الضائقة الاقتصادية النسبية قد تُضعف الاندماج الوطني

40 ينظر على سبيل المثال:

Raymond Hinnebusch, "Identity and State Formation in Multi-sectarian Societies: Between Nationalism and Sectarianism in Syria," *Nations and Nationalism*, vol. 26, no. 1 (2020), pp. 138-154; Fanar Haddad, "Sectarian Identity and National Identity in the Middle East," *Nations and Nationalism*, vol. 26, no. 1 (2020), pp. 123-137.

41 يُعرف هذا في الأدبيات بالتأثير التفاعلي Interaction / Moderation effect. ينظر على سبيل المثال:

Jolanda Jetten et al., "Consequences of Economic Inequality for the Social and Political Vitality of Society: A Social Identity Analysis," *Political Psychology*, vol. 42 (2021), pp. 241-266.

المتغير	نوع المتغير	الترميز	الإشارة المتوقعة	التفسير النظري
وضع الأسرة الاقتصادي - عوز	صوري	1 = أسر العوز 0 = غير ذلك (المرجعية: أسر الوفير)	-	العوز الاقتصادي يعزز الانكفاء نحو الهويات الجزئية
مكان الإقامة (حضر - ريف)	ثنائي	0 = ريف 1 = حضر (مرجعية)	-	المجتمعات الريفية قد تكون أكثر ارتباطاً بالبنى المحلية أو القرابية
الإقليم الجغرافي (المحافظة)	صوري	1: المحافظات الكبرى؛ دمشق، ريف دمشق، حلب، حمص، حماة (المرجعية) 2: الساحل: اللاذقية، طرطوس 3: شمال شرق سورية؛ الحسكة، الرقة، دير الزور 4: الجنوب: السويداء، درعا، القنيطرة 5: إدلب	±	يعكس اختلاف أنماط الحكم والعنف والخبرة السياسية بين المناطق
الانتماء الطائفي	صوري	1: سني (المرجعية) 2: علوي 3: درزي 4: طوائف أخرى	±	الانتماءات الطائفية قد ترتبط بأنماط مختلفة من إدراك الهوية الوطنية في سياق ما بعد النزاع
التعليم × الكفاف	تفاعلي	تعليم × كفاف	-	الكفاف الاقتصادي قد يُضعف أثر التعليم الاندماجي
التعليم × العوز	تفاعلي	تعليم × عوز	-	العوز يقيد قدرة التعليم على تعزيز الهوية الوطنية
علوي × الساحل	تفاعلي	1 = علوي مقيم في الساحل 0 = غير ذلك	-	قد يرتبط التمركز العلوي في الساحل، في ضوء سياق العنف الطائفي، بانخفاض تبني الهوية الوطنية الجامعة
درزي × الجنوب السوري	تفاعلي	1 = درزي مقيم في الجنوب السوري 0 = غير ذلك	-	قد يرتبط التمركز الدرزي في الجنوب السوري، في ضوء سياق أحداث السويداء، بانخفاض تبني الهوية الوطنية الجامعة

المصدر: من إعداد الباحثين.

توظيف الدراسة نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي Binary Logistic Regression⁽⁴²⁾ لتحليل محددات إدراك الهوية

42 هو أسلوب إحصائي يُستخدم عندما يكون المتغير المراد تفسيره يأخذ قيمتين فقط (مثل: نعم/ لا، موجود/ غير موجود). ويهدف النموذج إلى تقدير احتمال وقوع حدث معين (كأن يختار الفرد هوية وطنية واحدة) استناداً إلى مجموعة من العوامل المفسرة. ويعتمد هذا النموذج على دالة رياضية (الدالة اللوجستية) تضمن أن تكون القيم المقدرة دائماً بين صفر وواحد، أي ضمن المجال الصحيح للاحتمالات. ينظر:

Jeffrey M. Wooldridge, *Introductory Econometrics: A Modern Approach*, 8th ed. (Boston: Cengage, 2025), pp. 609–610.

الوطنية في سورية في مرحلة ما بعد سقوط النظام، وذلك نظراً إلى طبيعة المتغير التابع الذي يُقاس على مقياس ثنائي يعكس إدراك المستجيبين للهوية الوطنية في سورية؛ بوصفها "هوية وطنية واحدة" أو "هويات متعددة". ويُعدّ هذا النموذج الأنسب إحصائياً ومنهجياً لتحليل المتغيرات الثنائية؛ بالنظر إلى ما يتيح من تقدير مباشر لاحتمال وقوع الحدث المدروس (تبني الهوية الوطنية الواحدة)، بوصفه دالة في مجموعة من الخصائص الديموغرافية والسوسيو-اقتصادية والجغرافية، مع التحكم في التفاعلات المحتملة بينها.

يُقاس المتغير التابع تصور المستجيبين لمدى نجاح السوريين في الانصهار في إطار وطني جامع، وذلك اعتماداً على السؤال: "إلى أي درجة تعتقد أن الشعب السوري عبر السنين نجح في الانصهار في بوتقة الأسرة الواحدة؟". وقد أُعيد ترميز الإجابات لتكوين متغير ثنائي Binary Variable، بحيث تأخذ الإجابات "إلى درجة كبيرة" و"إلى درجة متوسطة" القيمة (1) بوصفها تعبيراً عن تبني تصور هوية وطنية مشتركة، بينما تأخذ الإجابات "إلى درجة متدنية" و"لم يحصل انصهار على الإطلاق" القيمة (0) بوصفها مؤشراً دالاً على ضعف الهوية الوطنية الجامعة. واستُبعدت حالات "لا أعرف" و"رفض الإجابة" من التحليل الإحصائي.

أما المتغيرات المستقلة، فقد أُدرج العمر الذي بلغه المستجيب بوصفه متغيراً ديموграфياً مستقلاً يُحتمل أن يؤثر في إدراك الهوية الوطنية، استناداً إلى افتراضات الأدبيات السوسولوجية التي تشير إلى أن المواقف السياسية وتصورات الانتماء الجماعي تتباين بين الأجيال بحسب اختلاف الخبرات التاريخية والاجتماعية التي تشكّل وعيها السياسي. وأعيد ترميزه إلى أربع فئات عمرية Age Cohorts وفقاً لتصنيف رابطة مسح القيم العالمية World Values Survey (الفئة الأولى هي المرجعية: 18-29، والفئة الثانية: 30-44، والفئة الثالثة: 45-59، والفئة الرابعة: 60 فأكثر؛ من أجل اختبار الفروق الجيلية في تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة. ويتيح هذا التقسيم تحليل هذه الفروق؛ إذ يُفترض أن الأجيال الأكبر سناً، التي تشكّل وعيها السياسي في سياق الدولة السورية قبل مرحلة النزاع، قد تميل بدرجة أكبر إلى تبني تصور الهوية الوطنية الموحدة، في حين أن الأجيال الأصغر التي نشأت في ظل الحرب والتفكك الاجتماعي قد تكون أكثر ميلاً إلى إدراك المجتمع بوصفه متعدد الهويات والانتماءات. وبناءً على ذلك، يُدرج المتغير في نموذج الانحدار اللوجستي بوصفه متغيراً فئوياً Categorical Variable يمكن أن يُفرض إلى اختبار الفروق في احتمال تبني تصور الهوية الوطنية المشتركة بين الفئات العمرية المختلفة.

وأدرج الجنس بوصفه أحد المتغيرات الديموغرافية، المرتبطة باختلافات سوسولوجية وسيكولوجية في أنماط الإدراك والسلوك، التي يترتب عليها اتجاهات سلوكية قد تؤثر في إدراك الهوية الوطنية، انطلاقاً من الأدبيات التي تشير إلى أن التنشئة الاجتماعية والأدوار القائمة على الجنس قد تؤثر في أنماط الانتماء السياسي والاجتماعي. فالمواقف المرتبطة بالهوية والانتماء الجماعي قد تختلف بين الذكور والإناث نتيجة لاختلاف الخبرات الاجتماعية ومستويات المشاركة في المجال العام. ويُقاس هذا المتغير في بيانات المؤشر العربي من خلال السؤال الذي يحدد جنس المستجيب. ولأغراض التحليل الإحصائي، رُمز المتغير بوصفه متغيراً ثنائياً؛ بحيث تأخذ فئة الذكور القيمة (0) بوصفها

يُعَرَّف المتغير التابع بوصفه متغيراً ثنائياً يأخذ القيمة (1) إذا عبّر المستجيب عن تبنيّه تصوراً لهوية وطنية واحدة، والقيمة (0) إذا عبّر عن تبنيّه تصوراً لهويات متعددة. أما المتغيرات المستقلة، فتشمل الجنس، والمستوى التعليمي، ووضع الأسرة الاقتصادي، والمحافظة بوصفها فضاءً سياسياً - اجتماعياً يعكس تباين أنماط السلطة والخبرة بالعنف خلال سنوات النزاع. وإضافة إلى ذلك، يتضمن النموذج حداً تفاعلياً بين المستوى التعليمي ووضع الأسرة الاقتصادي، لاختبار الفرضية القائلة إن أثر التعليم في تعزيز الهوية الوطنية الجامعة مشروط بدرجة الاستقرار الاقتصادي.

وتُقدّر معاملات النموذج باستخدام طريقة الاحتمال الأعظمي Maximum Likelihood Estimation⁽⁴³⁾، ويُعبّر عن نتائج الانحدار من خلال معاملات لوغاريتم الأرجحية Log-odds⁽⁴⁴⁾، مع تحويلها، عند الحاجة إلى ذلك، إلى نسب أرجحية Odds Ratios⁽⁴⁵⁾، لتسهيل تفسير النتائج. وتُدرج متغيرات المحافظات بصيغة متغيرات صورية Dummy Variables⁽⁴⁶⁾ مع اختيار فئة مرجعية واضحة، على نحو يتيح قياس الفروق النسبية في إدراك الهوية الوطنية بين الأقاليم السورية المختلفة. ويُستخدم هذا الإطار التحليلي لاختبار الفرضيات النظرية المتعلقة بتأثير الموارد التعليمية والاقتصادية، والسياق الجغرافي - السياسي، في إعادة تشكّل هذه الهوية، في مجتمع ما بعد النزاع.

ويستند ترميز المتغيرات في هذه الدراسة إلى بنية أسئلة استبيان المؤشر العربي في سورية لعام 2025، مع الالتزام بإعادة ترميز الإجابات بطريقة تضمن اتساقها مع متطلبات نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي. وقد جرى توحيد اتجاه الترميز؛ بحيث تشير القيم الأعلى، حيثما أمكن، إلى احتمال أكبر لتبني تصور "هوية وطنية واحدة".

43 هي أسلوب إحصائي يُستخدم لتقدير معاملات النموذج من خلال اختيار القيم التي تجعل النتائج المشاهدة في العينة هي الأكثر احتمالاً من بين جميع القيم الممكنة؛ أي إنها تبحث عن مجموعة المعاملات التي ترفع احتمال الحصول على البيانات الفعلية التي بين أيدينا، في ضوء النموذج المفترض. ينظر: Ibid., pp. 611-612.

44 هو لوغاريتم نسبة احتمال وقوع الحدث p إلى احتمال عدم وقوعه 1-p. ففي نموذج Logit، لا يمثل معامل الانحدار تغييراً مباشراً في الاحتمال، بل التغير في لوغاريتم الأرجحية عند تغير المتغير المستقل وحدة واحدة، مع ثبات بقية المتغيرات. ويتيح هذا التحويل جعل العلاقة بين المتغيرات خطية من الناحية الرياضية، مع ضمان بقاء الاحتمالات بين صفر وواحد. ينظر: Ibid., pp. 609-610.

45 هي نسبة احتمال وقوع الحدث إلى احتمال عدم وقوعه بعد تغير أحد المتغيرات المستقلة. في نموذج Logit، إذا كان المعامل المقدّر لمتغير معيّن هو β ، فإن e^{β} تمثل نسبة الأرجحية؛ أي مقدار تضاعف (أو انخفاض) أرجحية وقوع الحدث عند زيادة المتغير بوحدة واحدة. فإذا كانت القيمة أكبر من 1، فهذا يعني زيادة الأرجحية، وإذا كانت أقل من 1، فهذا يعني انخفاضها. ينظر: Ibid., p. 592.

46 هي متغيرات تأخذ قيمتين فقط، غالباً (0) أو (1)، وتُستخدم لتمثيل الفئات أو الخصائص النوعية داخل النموذج الإحصائي، مثل النوع الاجتماعي أو الانتماء الجغرافي؛ إذ تشير القيمة (1) إلى وجود الصفة، بينما تشير القيمة (0) إلى غيابها، وهو ما يتيح إضافة معلومات غير كمية في تحليل الانحدار. ينظر: Ibid., pp. 76-77.

(أسر الكفاف)؛ 3. دخل لا يغطي الاحتياجات وتصابه صعوبات معيشية (أسر العوز). واستُبعدت حالات "لا أعرف" و"رفض الإجابة" من التحليل. ويُدرج المتغير في نموذج الانحدار اللوجستي بوصفه متغيراً فئوياً مع اتخاذ فئة "أسر الوفر" فئة مرجعية، وهو أمرٌ يمكن من خلاله تقدير الأثر النسبي للتدهور الاقتصادي في إدراك الهوية الوطنية.

وأدرجت محافظة المستجيب بوصفها متغيراً سياقياً قد يؤثر في إدراك الهوية الوطنية؛ إذ تشير الأدبيات المتعلقة بالمجتمعات الخارجة من النزاعات إلى أن تجارب الحرب المحلية، وأنماط السيطرة السياسية، ودرجة التجانس الاجتماعي قد تؤثر في تصورات الأفراد للانتماء الوطني. ويقاس هذا المتغير في بيانات المؤشر العربي من خلال السؤال الذي يحدد المحافظة التي يقيم فيها المستجيب. ونظراً إلى خصوصية الحالة السورية وتباين السياقات السياسية والاجتماعية بين المناطق، أُعيد ترميز المحافظات في فئات تحليلية تعكس الأقاليم الرئيسة في البلاد، وهي: الساحل السوري (اللاذقية وطرطوس)، وشمال شرق سورية (الحسكة والرقّة ودير الزور)، والمحافظات الكبرى في الوسط (دمشق وريف دمشق وحلب وحمص وحماة)، والجنوب السوري (السويداء ودرعا والقنيطرة)، إضافة إلى محافظة إدلب بوصفها حالة متميزة نظراً إلى خصوصية سياقها السياسي والإداري خلال سنوات النزاع. ويتيح هذا التصنيف اختبار الفروق في احتمال تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة بين الأقاليم المختلفة ضمن نموذج الانحدار اللوجستي.

وأدرجت الطائفة بوصفها متغيراً اجتماعياً مهماً في تفسير إدراك الهوية الوطنية في سورية، نظراً إلى الدور الذي اضطلعت به الانقسامات الطائفية في تشكيل التفاعلات السياسية والاجتماعية خلال سنوات النزاع. ويقاس هذا المتغير في بيانات المؤشر العربي من خلال السؤال الذي يحدد انتماء المستجيب إلى مذهب أو طائفة. ولأغراض التحليل الإحصائي أُعيد ترميز الطوائف في فئات تحليلية رئيسة تعكس البنية الدينية الأساسية بالنسبة إلى المجتمع السوري، وذلك على النحو الآتي: السنة (الفئة المرجعية)، والعلويون، والدروز، وبقية الطوائف. واستناداً إلى هذا التصنيف، يمكن اختبار الفروق في احتمال تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة بين هذه المجموعات المختلفة ضمن نموذج الانحدار اللوجستي.

وأخيراً، لا يتضمن الاستبيان سؤالاً مباشراً يقيس التعرض للعنف الطائفي، إلا أن تحليل الفروق بين الطوائف يمكن تفسيره في ضوء السياق السياسي والأمني الذي شهدته بعض المناطق السورية خلال المرحلة الانتقالية. فقد شهدت مناطق الساحل في آذار/ مارس 2025، وكذلك محافظة السويداء في تموز/ يوليو من العام نفسه، أحداثاً عنف طائفي. وللاقترب من الأثر السياقي المرتبط بالعنف الطائفي من دون اختزاله في متغير فردي مباشر، جرى اختبار تفاعلات

الفئة المرجعية، بينما تأخذ فئة الإناث القيمة (1). ويُدرج هذا المتغير لالتقاط الفروق المحتملة في إدراك الهوية الوطنية المرتبطة باختلاف الخبرات الاجتماعية والسياسية خلال سنوات النزاع.

وأدرج المستوى التعليمي بوصفه أحد المتغيرات السوسيوثقافية التي قد تؤثر في إدراك الهوية الوطنية؛ إذ تشير الأدبيات في علم الاجتماع السياسي إلى أن التعليم يساهم في توسيع دوائر الانتماء الاجتماعي وتعزيز التصورات المرتبطة بالدولة الوطنية والمواطنة. ويقاس هذا المتغير في بيانات المؤشر العربي من خلال السؤال الذي يحدد أعلى مستوى تعليمي بلغه المستجيب. ولأغراض التحليل الإحصائي أُعيد ترميز هذا المتغير إلى أربع فئات تعليمية تعكس تدرجاً رأس المال التعليمي، وهي: تعليم أساسي أو أقل، وتعليم ثانوي، وتعليم جامعي (البكالوريوس أو الدبلوم)، ودراسات عليا (الماجستير أو الدكتوراه). واعتمدت فئة "التعليم الأساسي أو أقل" بوصفها الفئة المرجعية في نموذج الانحدار اللوجستي، على نحو يتيح مقارنة أثر المستويات التعليمية الأعلى في احتمال تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة.

وأدرج مكان الإقامة بوصفه متغيراً ديموغرافياً قد يؤثر في إدراك الهوية الوطنية؛ إذ تشير الأدبيات في علم الاجتماع السياسي إلى أن أنماط الانتماء الجماعي قد تختلف بين البيئات الحضرية والريفية نتيجة لاختلاف مستويات التنوع الاجتماعي، وفرص التعليم والعمل، وأنماط التفاعل بين الجماعات المختلفة. ويقاس هذا المتغير في بيانات المؤشر العربي من خلال السؤال الذي يحدد إذا ما كان المستجيب يقيم في منطقة حضرية أم ريفية. وقد رُمز المتغير بوصفه متغيراً ثنائياً يسمح باختبار إذا ما كانت بيئة الإقامة ترتبط باحتمالات مختلفة في تبني تصور الهوية الوطنية الجامعة، مع جعل الحضر الفئة المرجعية؛ لأن المدن تمثل عادة مركز الدولة ومؤسساتها.

أما وضع الأسرة الاقتصادي، فقد أدرج بوصفه أحد المتغيرات السوسيو-اقتصادية التي يُحتمل أن تؤثر في إدراك الهوية الوطنية؛ إذ تشير أدبيات علم الاجتماع السياسي ودراسات ما بعد النزاع إلى أن الأوضاع المعيشية ومستوى الأمان الاقتصادي قد يؤثران في أنماط الانتماء الاجتماعي والسياسي. ففي السياقات التي تتسم بتدهور الظروف الاقتصادية واتساع الفوارق الاجتماعية، قد يميل الأفراد إلى إعادة تعريف انتماءاتهم من خلال الجماعات المحلية أو الطائفية أو المناطقية. ويقاس هذا المتغير في بيانات المؤشر العربي من خلال السؤال الذي يطلب من المستجيب تحديد العبارة الأقرب إلى وصف دخل أسرته. ولأغراض التحليل الإحصائي، رُمز المتغير إلى ثلاث فئات تعكس مستوى أمان الأسرة الاقتصادي: 1. دخل يغطي الاحتياجات ويمكن الادخار منه (أسر الوفر)؛ 2. دخل يغطي الاحتياجات من دون ادخار

أن نسبة الحضر عام 2026 بلغت 54.23%⁽⁴⁷⁾. أما باعتبار الجنس، فتظهر البيانات 51.26% من أفراد العينة من الذكور، مقابل 48.74% من الإناث، وهو توزيع يعكس توازناً نسبياً بين الجنسين في العينة. وقُسم العمر إلى أربع فئات رئيسة، وتبين أن الفئة العمرية 18-29 عاماً تمثل 32.1% من العينة، تليها الفئة 30-44 عاماً بنسبة 31.2%، ثم الفئة 45-59 عاماً بنسبة 29.0%، في حين تمثل الفئة العمرية 60 عاماً فأكثر نحو 7.8% من العينة. ويعكس هذا التوزيع هيمنة الفئات العمرية الشابة والمتوسطة على تركيبة العينة؛ إذ نحو الثلثين أقل من 45 سنة، كما هو حال المجتمع السوري.

ويبين توزيع المستوى التعليمي أن 58.8% من المستجيبين لديهم تعليم أساسي أو أقل، في حين تبلغ نسبة الحاصلين على تعليم ثانوي 23.5%، ونسبة الحاصلين على تعليم جامعي 16.1%، بينما لا تتجاوز نسبة الحاصلين على دراسات عليا 1.6% من العينة. وتعكس هذه النسب تراجع مستوى التعليم على نحو ملحوظ نتيجة الحرب وتدمير المدارس ونزوح الطلاب والكوادر. ولئن كان تراجع التعليم الأساسي لافتاً للانتباه في بلد وصل إلى شبه تعميم التعليم الابتدائي قبل الحرب بنسب تراوح بين 92% و 97% لصافي الالتحاق بالابتدائي في الفترة 2008-2010، فإن تراجع التعليم الثانوي والجامعي هو الأهم؛ فبعد أن كان صافي الالتحاق بالثانوي يبلغ نحو 60-70%، تدنّى إلى أقل من الربع. وتبين مؤشرات التنمية البشرية أن التعليم الثانوي عامل ذو أهمية في إعادة بناء الدولة على المدى الطويل. لذا، لا ينبغي الاستهانة بتراجعها في الحالة السورية⁽⁴⁸⁾. وجرى قياس الوضع الاقتصادي عبر سؤال يقيس قدرة الأسرة على تغطية احتياجاتها من الدخل وإن كانت تستطيع التوفير منه، وتشير النتائج إلى أن 42.43% من المستجيبين أفادوا أن دخل الأسرة لا يغطي احتياجاتها (أسر العوز)، في حين ذكر 44.01% أن الدخل يغطي الاحتياجات ولا تستطيع التوفير منه (أسر الكفاف). أما الذين أفادوا أن الدخل يكفي لتغطية احتياجات أسرهم مع قدرتهم على التوفير منه، فكانت نسبتهم 10.80%. ويشير هذا إلى أن أكثر من 86% من الأسر لا تستطيع الادخار، وهذا مؤشر قوي للدلالة على الضغط الاقتصادي في سورية نتيجة لسنوات الحرب.

وأخيراً، يظهر التوزيع الطائفي للعينة أن السنة يشكلون الغالبية بنسبة 79.0% من المستجيبين، في حين يمثل العلويون 7.9%، والدروز 1.8%، بينما تمثل الطوائف الأخرى نحو 11.4% من العينة. وتعكس

محددة بين الانتماء الطائفي والموقع الجغرافي، ولا سيما بين العلويين والساحل السوري، وبين الدروز والجنوب السوري، على اعتبار أن هذه التفاعلات قد تلتقط أثر السياقات المحلية المرتبطة بأحداث الساحل والسويداء في تشكيل إدراك الهوية الوطنية.

خامساً: النتائج التحليل والنقاش

1. الإحصاءات الوصفية للعينة

بلغ عدد المستجيبين الإجمالي في العينة الأصلية 3691 مستجيباً، وعند فحص توزيع المتغير التابع في العينة الكاملة، تبين أن 1515 مستجيباً (41.05%) يرون أن المجتمع السوري نجح في تكوين هوية وطنية واحدة، في حين يرى 1273 مستجيباً (34.49%) أن المجتمع يتسم بتعدد الهويات. وفي مقابل ذلك، بلغ عدد الحالات التي لم تتضمن إجابة صالحة عن هذا السؤال 903 حالات (24.46%)، وهي حالات تمثل القيم المفقودة الناتجة من عدم الإجابة أو رفضها. ونظراً إلى أن تحليل الانحدار اللوجستي يتطلب توافر قيمة صالحة للمتغير التابع، فقد جرى استبعاد الحالات التي تحتوي على قيم مفقودة في هذا المتغير من التحليل الإحصائي. ونتيجة لذلك، انخفض حجم العينة المعتمدة في التحليل إلى 2788 حالة، وهي العينة التي سيجري استخدامها في جميع النماذج الإحصائية اللاحقة.

ويُظهر توزيع المتغير التابع، بعد حذف القيم المفقودة، أن 54.34% من المستجيبين (1515 فرداً) يرون أن المجتمع السوري يمتلك هوية وطنية واحدة، مقابل 45.66% (1273 فرداً) يرون أنه يتسم بتعدد الهويات. ويشير هذا التوزيع إلى انقسام نسبي في تصورات الهوية الوطنية داخل المجتمع السوري؛ إذ تميل أغلبية بسيطة من المستجيبين إلى اعتقاد متمثل في وجود درجة من الاندماج الوطني، في حين يرى ما يقارب نصف العينة أن المجتمع السوري لا يزال يتسم بتعدد الهويات والانتماءات.

أما المتغيرات التابعة، فبيّن التحليل، بالنسبة إلى التوزيع الجغرافي، بعد أن جرى تجميع المحافظات السورية في خمسة أقاليم جغرافية رئيسة، أن المحافظات الكبرى (دمشق، وريف دمشق، وحلب، وحمص، وحماة) تمثل 60.9% من العينة، في حين يمثل شمال شرق سورية (الحسكة والرقّة ودير الزور) 16.6%، والساحل (اللاذقية وطرطوس) 7.6%، وإدلب 7.7%، بينما يشكل الجنوب السوري (السويداء ودرعا والقنيطرة) 7.2% من العينة. وبالنسبة إلى مكان الإقامة، تشير البيانات إلى أن 55.2% من المستجيبين يقيمون في المناطق الحضرية، مقابل 44.8% في المناطق الريفية، وهو توزيع يعكس تمثيلاً مقبولاً لكلا النمطين، ومطابق تقريباً لما ورد من إحصاءات حديثة بينت

47 "Syria Population," World Meter, 2026, accessed on 15/2/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sHE>

48 Syria Education Sector Analysis: The Effects of the Crisis on Education in Areas Controlled by the Government of Syria, 2010-2015 (Damascus: UNICEF Syria, 2016), p. 34, accessed on 25/2/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sYf>

الجدول (2)
الإحصاءات الوصفية للعيننة بحسب المتغيرات الرئيسة (العدد = 2788)

نوع المتغير	المتغير	الفئة	التكرار	النسبة (%)
المتغير التابع	تصور الهوية الوطنية	تعدد الهويات	1273	45.66
		هوية وطنية واحدة	1515	54.34
المتغيرات المستقلة	الجنس	ذكر	1429	51.26
		أنثى	1359	48.74
	العمر	29-18	894	32.07
		44-30	870	31.21
		59-45	807	28.95
		60 فأكثر	217	7.78
	التعليم	أساسي أو أقل	1638	58.75
		ثانوي	656	23.53
		جامعي	449	16.10
		دراسات عليا	45	1.61
	مكان الإقامة	حضر	1539	55.20
		ريف	1249	44.80
	الطائفة	سني	2202	78.98
		علوي	219	7.86
		درزي	49	1.76
		طوائف أخرى	318	11.41
	الوضع الاقتصادي	أسر العوز	1183	42.43
		أسر الكفاف	1227	44.01
		أسر الوفرة	301	10.80
	الإقليم الجغرافي	المحافظات الكبرى	1698	60.90
		الساحل	212	7.60
		شمال شرق سورية	462	16.57
		الجنوب السوري	200	7.17
		إدلب	216	7.75

المصدر: من إعداد الباحثين استنادًا إلى تحليل البيانات باستخدام برنامج Stata.

المتغير التابع	إدراك الهوية الوطنية
المتغيرات المستقلة	
60+	0.951 (-0.31)
المستوى التعليمي (المرجعية: تعليم أساسي أو أقل)	
التعليم الثانوي	0.988 (-0.13)
التعليم الجامعي	1.111 (0.93)
الدراسات العليا	1.918** (1.97)
وضع الأسرة الاقتصادي (المرجعية: أسر الوفر)	
أسر الكفاف	1.128 (0.89)
أسر العوز	1.165 (1.12)
مكان الإقامة (المرجعية: الحضر)	
الريف	1.036 (0.43)
الإقليم الجغرافي (المرجعية: المحافظات الكبرى)	
الساحل	1.563* (1.90)
شمال شرق سورية	1.173 (1.38)
الجنوب السوري	0.806 (-1.24)
إدلب	0.805 (-1.43)
الانتماء الطائفي (المرجعية: السنة)	
العلويون	0.598** (-2.47)
الدروز	0.770 (-0.39)
طوائف أخرى	0.871 (-1.05)

نسبة السنة في العينة نسبتهم المقدرة في المجتمع السوري بنحو 75%، في حين جاءت نسبة العلويين والدروز أقل من النسب المقدرة؛ إذ تشير الإحصاءات أن نسبة العلويين 11-12%، والدروز 2-3%⁽⁴⁹⁾، وربما يرجع ذلك إلى خفض حجم العينة على نحو لا تعبر فيه إلا عن الذين أبدوا آراءهم في المتغير التابع وهو سؤال الهوية.

2. نتائج نموذج الانحدار اللوجستي

تشير نتائج نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي إلى أن النموذج إجمالاً ذو دلالة إحصائية⁽⁵⁰⁾؛ ما يعني أن مجموعة المتغيرات المستقلة المدرجة قادرة على تفسير جزء مهم من التباين في إدراك الهوية الوطنية في سورية. وقد بلغ عدد الحالات المستخدمة في التحليل 2711 حالة⁽⁵¹⁾، وهو ما يوفر أساساً إحصائياً مناسباً لاختبار الفرضيات المطروحة.

الجدول (3)

نتائج نموذج الانحدار اللوجستي الثنائي

المتغير التابع	إدراك الهوية الوطنية
المتغيرات المستقلة	
الجنس (المرجعية: ذكر)	
أنثى	1.107 (1.26)
العمر (المرجعية: 18-29 عاماً)	
44-30	0.963 (-0.37)
59-45	1.126 (1.14)

49 Muhammad Tayyab, Shahid Ahmad Afridi & Maria Hamid, "Sectarian Divide as a Cause of Protracted Conflict: A Case of Syria (2011-18)," *Liberal Arts and Social Sciences International Journal (LASSIJ)*, vol. 4, no. 2 (2020), pp. 294-305; Yaron Friedman, "The Enigma of the Number of 'Alawis in Syria: 11% Indeed?" *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 53, no. 1 (2026), pp. 17-36.

50 جرى اختبار معنوية النموذج إجمالاً باستخدام اختبار F للنماذج المعممة Linearized Design-based F-test؛ إذ بلغت قيمة الاختبار $F(19,2692) = 2.06$ عند مستوى دلالة $p = 0.0045$ ، وهو ما يشير إلى رفض فرضية العدم القائلة بعدم معنوية النموذج، ومن ثم تفسر المتغيرات المستقلة مجتمعة جزءاً ذا دلالة إحصائية من التباين في إدراك الهوية الوطنية.

51 انخفض عدد الحالات من 2788 حالة، وهو عدد المستجيبين الذين أدلوا بآرائهم في سؤال المتغير التابع الخاص بتصور الهوية الوطنية. وفي سؤال الوضع الاقتصادي، كانت 77 إجابة غير صالحة (إجابة بـ "لا أعرف")، فُصّفت قيماً مفقودة، واستبعدت من التحليل الإحصائي، واقتصرت التقدير على الحالات الصالحة فحسب.

الطائفي. ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء موقع الطائفة داخل بنية الصراع وتجاربها مع النظام السابق.

● التفاعل بين الطائفة والإقليم (الطائفة العلوية × الساحل)

أجرينا هذا التفاعل لمعرفة تأثير العنف الطائفي في منطقة الساحل الذي وقع في آذار / مارس 2025، وافترضنا أن النتيجة ستكون عدم تأييد تصور الهوية الوطنية الواحدة (الفرضية التاسعة). ولكن النتائج تكشف عن أثر دال إحصائيًا لمتغير التفاعل (علوي × الساحل)؛ إذ بلغت نسبة الأرجحية (OR = 2.087, $p < 0.05$). ويعني ذلك أن لدى الأفراد العلويين المقيمين في منطقة الساحل احتمالاً أعلى من الضعف لتبني تصور الهوية الوطنية مقارنة بغيرهم. ويمكن تفسير ذلك بأن الطائفة العلوية التي كان يُنظر إليها على أنها طائفة النظام السابق وفي معقله، تنظر إلى الاندماج الوطني بعد سقوط النظام بوصفه "استراتيجية بقاء"، وتحاول - من خلال التمسك بهذه الهوية - تحقيق الاندماج والحماية، خاصة مع شعورها بفقدان الحماية السياسية. فعلى الرغم من انخفاض نسبة تبني تصور الهوية الواحدة لدى العلويين بـ 40% مقارنة بالفئة المرجعية (السنة)، فإن علويي الساحل تتضاعف لديهم نسبة تبني الاندماج الوطني مقارنة بالفئة المرجعية. ويُذكر أن نسبة العلويين في الساحل في العينة 53%، في مقابل 45% في المحافظات الكبرى.

● الإقليم الجغرافي

أظهرت النتائج أن متغير الساحل يقترب من الدلالة الإحصائية (OR = 1.563, $p < 0.10$)؛ ما يشير إلى ميل سكان الساحل إلى تبني تصور أكثر إيجابية للهوية الوطنية مقارنة بالمحافظات الكبرى، وإن كان هذا الأثر عند مستوى دلالة أضعف. ويدعم هذا الأمر تبني العلويين فيه تصور الاندماج الوطني بنسبة أكبر، إضافة إلى عامل آخر سببته في قسم الاحتمالات المتوقعة.

ب. المتغيرات غير الدالة إحصائيًا

● العمر

لم تظهر الفئات العمرية المختلفة أي دلالة إحصائية؛ ما يعني انعدام فروق واضحة بين الأجيال في تبني تصور الهوية الوطنية، وهو أمر يدل على عدم صحة الفرضية الأولى.

● الجنس

لم يظهر متغير الجنس دلالة إحصائية؛ ما يشير إلى انعدام فروق جوهرية بين الذكور والإناث في إدراك الهوية الوطنية، وفي ذلك دلالة على عدم صحة الفرضية الثانية.

المتغيرات المستقلة	المتغير التابع	إدراك الهوية الوطنية
	متغيرات التفاعل	
العلويون × الساحل	2.087**	
	(1.98)	
الدروز × الجنوب	0.942	
	(-0.08)	
عدد الحالات	2711	

ملاحظة: القيم تمثل نسب الأرجحية Odds Ratios، والقيم بين الأقواس تمثل إحصائية t.

* $p < 0.10$ ** $p < 0.05$ *** $p < 0.01$

المصدر: المرجع نفسه.

أ. المتغيرات ذات الدلالة الإحصائية

بالنظر إلى نتائج نموذج الانحدار اللوجستي، واستناداً إلى مستوى الدلالة الإحصائية ($p\text{-value} < 0.05$)، يتبين وجود ثلاثة متغيرات رئيسة ذات أثر دال إحصائيًا في تفسير إدراك الهوية الوطنية، هي: المستوى التعليمي (دراسات عليا)، والانتماء إلى الطائفة العلوية، ومتغير التفاعل بين الانتماء العلوي والإقامة في منطقة الساحل.

● التعليم العالي (دراسات عليا)

تشير النتائج إلى أن الأفراد الحاصلين على دراسات عليا تزيد احتمالات تبنيهم تصورًا مقتضاه وجود اندماج وطني في المجتمع السوري مقارنة بالفئة المرجعية (التعليم الأساسي أو أقل)؛ إذ بلغت نسبة الأرجحية (OR = 1.92, $p < 0.05$). ويعني ذلك أن احتمال تبني تصور الهوية الوطنية الواحدة يرتفع بنحو 92% لدى هذه الفئة، وهو ما يدعم الفرضية الثالثة المتعلقة بوجود أثر إيجابي للمستوى التعليمي في تعزيز هذه الهوية. ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن التعليم العالي يسهم في توسيع آفاق الأفراد المعرفية، ويعزز القيم المدنية والانتماء إلى جماعة سياسية أوسع، على نحو يتجاوز الهويات الفرعية الضيقة.

● الانتماء إلى الطائفة العلوية

تبيّن النتائج أن الأفراد المنتمين إلى الطائفة العلوية تقلل احتمالات تبنيهم تصور الهوية الوطنية الجامعة مقارنة بالسنة (الفئة المرجعية)؛ إذ بلغت نسبة الأرجحية (OR = 0.598, $p < 0.05$). ويعني ذلك انخفاض الاحتمال بنحو 40%، وهو ما يدعم الفرضية السابعة التي تفترض أنه توجد فروق في إدراك الهوية الوطنية باختلاف الانتماء

المتغير	الفئات	احتمال الاندماج (%)
الإقليم الجغرافي	المحافظات الكبرى	53
	الساحل	64
	شمال شرق سورية	57
	الجنوب السوري	48
	إدلب	48
الفئات العمرية	18-29	53.5
	30-44	52.6
	45-59	56.4
	+60	52.3
	تعليم أساسي أو أقل	53.4
المستوى التعليمي	تعليم ثانوي	53.1
	تعليم جامعي	56.0
	دراسات عليا	68.5
	المحافظات الكبرى	55
الطائفة × الإقليم (السنة)	الساحل	65
	شمال شرق سورية	59
	الجنوب السوري	50
	إدلب	50
	المحافظات الكبرى	42
الطائفة × الإقليم (العلويين)	الساحل	53
	شمال شرق سورية	46
	الجنوب السوري	37
	إدلب	37
	المحافظات الكبرى	55

المصدر: المرجع نفسه.

أ. الاحتمالات بحسب الطائفة

تشير نتائج الاحتمالات المتوقعة المستخرجة من نموذج الانحدار اللوجستي إلى تفاوت ملحوظ في تصورات الاندماج الوطني بين المكونات الطائفية في المجتمع السوري، وهو يظهر أن السنة يسجلون أعلى احتمال نسبي لتبني تصور الهوية الوطنية (55.5%)، مقارنة بالعلويين (43.0%)؛ ما يتسق مع نتائج نموذج الانحدار التي أظهرت انخفاض هذا الاحتمال لدى العلويين. وفي مقابل ذلك، تأتي بقية

● الوضع الاقتصادي

لم تظهر متغيرات الوضع الاقتصادي دلالة إحصائية؛ ما يعني أن الأوضاع الاقتصادية لا تؤثر تأثيراً مباشراً في إدراك الهوية الوطنية ضمن هذا النموذج، وهو أمرٌ يعني عدم صحة الفرضية الرابعة.

● مكان الإقامة

لم يظهر متغير الإقامة (الريف مقابل الحضر) دلالة إحصائية؛ ما يشير إلى أن الفروق بين البيئات الحضرية والريفية ليست حاسمة في تشكيل تصورات الهوية الوطنية. وهذا يعني عدم صحة الفرضية الخامسة.

● التفاعل بين التعليم والوضع الاقتصادي

لم يظهر النموذج أي أثرٍ دالٍ للتفاعل بين التعليم والوضع الاقتصادي؛ ما يعني أن تأثير التعليم في إدراك الهوية الوطنية لا يتغير جوهرياً باختلاف الوضع الاقتصادي. وهذا يعني عدم صحة الفرضية الثامنة.

3. احتمالات متوقعة للاندماج الوطني

لا يقتصر تفسير نتائج نموذج الانحدار اللوجستي على نسب الأرجحية، بل يتطلب ترجمتها إلى مؤشرات أكثر وضوحاً من حيث الدلالة الاجتماعية. وفي هذا الإطار، تُستخدم الاحتمالات المتوقعة Predicted Probabilities لتقدير احتمال تبني الهوية الوطنية عند تغيير قيمة متغير معين، مع تثبيت بقية المتغيرات عند قيم محددة، وهو ما يتيح الانتقال من تفسير معاملات مجردة إلى عرض فروق وقابلة للملاحظة بين الفئات. وتكتسب هذه المقاربة أهمية خاصة في هذه الدراسة، نظراً إلى تداخل العوامل الطائفية والجغرافية والديموغرافية، فضلاً عن وجود تأثيرات تفاعلية، وهذا يجعل الاحتمالات المتوقعة أداة أكثر قدرة على إبراز الكيفية التي يتشكل بها إدراك الهوية الوطنية عبر السياقات المختلفة.

الجدول (4)

احتمالات متوقعة لتصور وجود هوية وطنية واحدة بحسب المتغيرات

المتغير	الفئات	احتمال الاندماج (%)
الطائفة	السنة	55.5
	العلويين	43.0
	الدروز	49.1
	طوائف أخرى	52.2

هـ. الاحتمالات بحسب التفاعل بين الطائفة والإقليم

لتفسير سبب ارتفاع احتمال تبني تصور الهوية الوطنية في منطقة الساحل، جرت إضافة تفاعل بين الطائفة والإقليم الجغرافي؛ من أجل تحديد إذا ما كان هذا الارتفاع مرتبطاً بجماعة طائفية بعينها. وتُظهر النتائج أن احتمال تبني السنة في الساحل لهذا التصور يبلغ 65%، وهو أعلى بعشر نقاط مئوية مقارنة بالمحافظات الكبرى (55%) التي يشكلون فيها الأغلبية. ويمكن تفسير هذا الارتفاع في ضوء تأثير السياق الجغرافي؛ إذ إن وجودهم ضمن بيئة طائفية مختلفة دفعهم إلى تبني خطاب وطني أكثر شمولاً، يعكس سعيًا إلى إبراز انتمائهم في توجهه للتخلص من إرث النظام السابق. وعلى غرار ذلك، تُظهر النتائج أن احتمال تبني العلويين في منطقة الساحل لتصور الهوية الوطنية يبلغ 53%، مقارنة بـ 42% في المحافظات الكبرى؛ ما يدل على أن تبنيهم الاندماج الوطني يأتي في سياق عدم تميزهم من سائر فئات الشعب، إضافة إلى الأسباب التي أوردناها سابقًا.

4. مناقشة النتائج

تكشف نتائج النموذج الكمي، عند قراءتها في ضوء الإطار النظري المعتمد، أن الهوية الوطنية في سورية ما بعد النزاع تعمل بوصفها بناءً سياسيًا - اجتماعيًا متحولًا، ولا تعمل بوصفها متغيرًا ديموغرافيًا بسيطًا، يتشكل ضمن تفاعل معقد بين السياق، والخبرة، وبنية الدولة. فعلى الرغم من دلالة النموذج إحصائيًا، فإن انخفاض قيمة اختبار F يشير إلى محدودية القدرة على تفسير المتغيرات المدروسة، وهو ما يعكس أن جزءًا مهمًا من تشكّل الهوية الوطنية يقع خارج المتغيرات التقليدية، ويرتبط بعوامل أعمق غير مرصودة، تتصل بتجارب الأفراد مع العنف، وأتمات الحكم، وإعادة تعريف العلاقة مع الدولة.

وينسجم هذا الاستنتاج مع مقاربة أندرسون، التي ترى الهوية الوطنية بوصفها "جماعة متخيلة"؛ أي بناءً رمزيًا يركز على تصورات مشتركة، تتأثر بوسائل المعرفة والسياق التاريخي. وتُظهر نتائج الدراسة أن هذا التخيّل أعيد تشكيله خلال الحرب التي عصفت بالبلاد؛ إذ لا تزال فئات واسعة تبني تصور الهوية الوطنية، لكنه تبنّى بدرجات متفاوتة ومشروطة بالسياق. وهذا يعني أن "الجماعة المتخيلة" السورية دخلت مرحلة إعادة تفاوض في حدودها ومعناها، وهو ما يفسر استمرارها بوصفها مفهومًا حاضرًا في الوعي، على الرغم من التباين في تبنيها فعليًا. غير أن النتائج لا تقتصر على مقارنة أندرسون، بل تنسجم أيضًا مع تصور بروباكر، الذي يحذر من التعامل مع الهوية بوصفها كيانًا ثابتًا، ويدعو إلى فهمها بوصفها عملية تصنيف سياقية. فالتباينات التي كشفتها النتائج، خاصة على

الطوائف ضمن مستويات وسطية، وهو أمرٌ يشير إلى أن الانقسام ليس حادًا على نحو ثنائي، بل إنه يتوزع عبر طيف من المواقف.

ب. الاحتمالات بحسب الإقليم الجغرافي

تظهر نتائج الاحتمالات المتوقعة تفاوتًا جغرافيًا ملحوظًا في تصورات الاندماج الوطني في المجتمع السوري؛ إذ يسجل إقليم الساحل أعلى احتمال متوقع للاعتقاد متمثل في وجود اندماج وطني بنسبة تقارب 64%، يليه شمال شرق سورية بنسبة تقارب 57%، ثم المحافظات الكبرى بنسبة تقارب 53%، في حين تنخفض هذه النسبة في الجنوب وإدلب إلى نحو 48% لكل منهما. وتشير هذه النتائج إلى أن للسياق الجغرافي دورًا مهمًا في تشكيل تصورات الهوية الوطنية؛ إذ تميز المناطق التي عانت آثار الصراع إلى تسجيل مستويات أدنى من هذا التصور. وفي هذا السياق، تبرز إدلب على نحو خاص.

ج. الاحتمالات بحسب الفئات العمرية

تشير نتائج الاحتمالات المتوقعة إلى أن الفروق بين الفئات العمرية في تصورات الاندماج الوطني محدودة نسبيًا؛ إذ يبلغ الاحتمال المتوقع للاعتقاد المتمثل في وجود اندماج وطني نحو 53.5% لدى الفئة العمرية (18-29 عامًا)، و52.6% لدى الفئة (30-44 عامًا)، و56.4% لدى الفئة (45-59 عامًا)، و52.3% لدى الفئة العمرية (60 عامًا فأكثر). ويشير ذلك إلى أن العمر لا يمثل عاملاً حاسمًا في تشكيل تصورات الاندماج الوطني في المجتمع السوري، وهو ما قد يعكس طبيعة التجربة الاجتماعية والسياسية المشتركة التي مرت بها مختلف الأجيال خلال سنوات الصراع.

د. الاحتمالات بحسب المستوى التعليمي

تشير نتائج الاحتمالات المتوقعة إلى علاقة إيجابية بين المستوى التعليمي وتصورات الاندماج الوطني، وإن كانت هذه العلاقة تظهر على نحو أوضح عند المستويات التعليمية العليا؛ إذ يبلغ الاحتمال المتوقع للاعتقاد متمثل في وجود اندماج وطني نحو 53.4% لدى الأفراد ذوي التعليم الأساسي أو الأقل، و53.1% لدى ذوي التعليم الثانوي، و56.0% لدى الحاصلين على تعليم جامعي. غير أن هذا الاحتمال يرتفع على نحو ملحوظ لدى الأفراد الحاصلين على دراسات عليا ليصل إلى نحو 68.5%. وتشير هذه النتائج إلى أن التعليم العالي قد يرتبط بتصورات أكثر إيجابية للاندماج الوطني، وربما كان ذلك نتيجة لارتفاع مستويات الانكشاف المعرفي والمؤسسي لدى هذه الفئة، وما يرتبط به من تبني لقيم مدنية أكثر اتساعًا تتجاوز الانتماءات الفرعية.

حكم وخبرات عُنف متباينة. فارتفاع احتمال تبني الهوية الوطنية في الساحل، سواء كان ذلك لدى السنة أو العلويين، يشير إلى أن بعض السياقات قد تدفع نحو تبني خطاب أكثر اندماجاً، وإن اختلفت دوافعه بين الجماعات. وهذا يتسق مع أدبيات ما بعد النزاع التي ترى أن العنف قد يحفز، في بعض الحالات، على إعادة تعريف الانتماء ضمن إطار أوسع.

يمكن القول إن نتائج الدراسة تدعم تصور الهوية الوطنية بوصفها عملية تفاوض مستمرة، وأنها ليست بنية ثابتة. فهي لا تختفي في سياق النزاع، ولا تعود تلقائياً بعد انتهائه، بل يُعاد تشكيلها ضمن شروط تتعلق بالأمن، والعدالة، والعلاقة مع الدولة. ومن ثم، فإن التباين في إدراك هذه الهوية في سورية لا يعكس تعددية ثقافية بقدر ما يعكس تبايناً في الخبرات السياسية والاجتماعية، وهو ما يؤكد ضرورة تحليل الهوية في ضوء السياق، بدلاً من تحليلها على أنها متغير مستقل قائم بذاته.

خاتمة

كشفت هذه الدراسة، من خلال الربط بين الإطار النظري والتحليل الكمي، أن الهوية الوطنية في سورية ما بعد النزاع هي نتاج علاقة مركبة بين الأفراد والدولة والسياسي - المكاني، وأنه لا يمكن فهمها بوصفها انعكاساً مباشراً للخصائص الديموغرافية أو الاجتماعية. فقد أظهرت النتائج أن المتغيرات التقليدية، مثل العمر والجنس والوضع الاقتصادي، لا تفسر على نحو كافٍ مسألة التباين في إدراك الهوية الوطنية، في حين برزت أهمية التعليم العالي والتفاعلات السياقية، ولا سيما بين الطائفة والإقليم، بوصفها محددات أكثر تأثيراً.

يتسق ذلك مع مقاربة أندرسون التي ترى الهوية الوطنية في سورية، على الرغم من الحرب، بناءً متخيلًا يمكن إعادة تشكيله ضمن شروط جديدة. وتؤكد النتائج، أيضاً، طرح بروباكر المتمثل في أنها عملية تصنيف سياقية؛ إذ أظهرت التباينات داخل الجماعات نفسها، لا سيما لدى العلويين، أن الانتماء الجماعاتي لا ينتج موقفاً موحدًا، بل يتشكل ضمن الخبرات الجغرافية والسياسية المتباينة. أما مقاربة بشار، فتبين أن استقرار الهوية الوطنية يظل مشروطاً بوجود دولة قادرة على تجسيد المساواة والاعتراف، وهو ما تفتقده السياقات التي تشهد إعادة تسييس للهويات الفرعية.

وبناءً على ذلك، فإن الهوية الوطنية في سورية هي عملية تفاوض مستمر تتشكل في تقاطع بين التجربة الفردية وبنية الدولة؛ بمعنى أنها ليست بنية مستقرة يمكن استجلاء أبعادها كلها عبر متغيرات

مستوى الطائفة والإقليم والتفاعل بينهما، تشير بوضوح إلى أن الهوية الوطنية تُفهم باعتبارها تموضعاً يتغير بحسب السياق، وأنها ليست خاصية ثابتة في الأفراد. ويتجلى ذلك في التفاوت داخل الجماعة الواحدة، كما هو الشأن في حالة العلويين؛ إذ يختلف إدراك هذه الهوية بين الساحل (53%) والمحافظات الكبرى (42%)، وهو أمر يدل على أن الانتماء الطائفي لا ينتج أثراً موحدًا، بل يُعاد تشكيله ضمن سياقات جغرافية - سياسية متباينة.

وفي هذا الإطار، تبدو النتائج الإمبريقية متسقة مع فرضية أن الهوية تُفعل أو تُهمش وفقاً للظروف، وأنها ليست تعبيراً عن انتماء جوهري ثابت. فالفروق المحدودة نسبياً بين السنة عبر الأقاليم، مقابل التباين الحاد لدى العلويين، تشير إلى أن بعض الجماعات تعيش الهوية الوطنية بوصفها إطاراً أكثر استقراراً، بينما تعيشها جماعات أخرى بوصفها خياراً سياقياً يتغير بحسب الخبرة السياسية والأمنية. وهذا يعزز القراءة التي ترى أن هذه الهوية في سورية من قبيل "التصنيف السياسي" أكثر من كونها قراءة معبرة عن رابطة اجتماعية مستقرة.

أما في ضوء أطروحة بشار، فإن النتائج تكتسب دلالة إضافية فيما يتصل بالعلاقة بين الهوية الوطنية وبنية الدولة؛ إذ تشير محدودية أثر المتغيرات الاقتصادية والديموغرافية، مقابل بروز أثر التعليم، ولا سيما التعليم العالي، والتفاعلات السياقية، إلى أن الهوية الوطنية لا تُختزل في الخصائص الفردية، بل ترتبط بمدى تحقق شروط المواطنة والمساواة في الإطار المؤسسي. فارتفاع احتمال تبني هذه الهوية لدى ذوي الدراسات العليا يمكن تفسيره في ضوء قدرتهم الموسعة على تبني تصور مدني للانتماء، يتجاوز الهويات الأولية، وهو ما يتسق مع طرحه الذي يربط الهوية الوطنية بتجربة مواطنة قائمة على الوعي والاندماج السياسي، لا على الانتماء الثقافي وحده.

وفي مقابل ذلك، تُظهر النتائج المتعلقة بالطائفة والتفاعل الجغرافي أن غياب هذا الإطار المؤسسي المستقر يؤدي إلى إعادة تسييس الانتماءات الأولية، بوصفها بدائل سياقية، وليست جوهراً ثقافياً. فالتباين بين العلويين في الساحل وخارجه، وكذلك اختلاف أمهات إدراك الهوية بين الأقاليم، يعكس ما يشير إليه بشار من أن الهوية ليست تفسيراً للصراع، بل نتيجة لاختلال الدولة. ومن ثم، فإن ضعف القدرة على تفسير النموذج لا يُعد قصوراً منهجياً بقدر ما يعكس طبيعة الظاهرة المدروسة؛ إذ تتشكل الهوية ضمن ديناميات سياسية وتاريخية يصعب اختزالها في متغيرات كمية مباشرة.

وتكشف نتائج الاحتمالات المتوقعة عن أهمية السياق المكاني في إعادة تشكيل الهوية، على نحو يدعم الفرضية القائلة إن الجغرافيا في سورية ما بعد النزاع هي فضاء سياسي - اجتماعي يعكس أمهات

المراجع

العربية

أندرسن، بندكت. **الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها**. ترجمة ثائر ديب. تقديم عزمي بشارة. ط 2. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

باكير، محمود. **هندسة "الهوية الوطنية"... سورية المستقبل**. سلسلة قضايا. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025.

بشارة، عزمي. "تأملات في مسألة الهوية". تبين. العدد 41 (صيف 2022).

الزغبى، زيدون. "الهوية الوطنية في الدساتير السورية: ظروف النشأة وانعكاساتها في الدساتير السورية". قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية. العددان 19-20 (تموز/ يوليو 2022).
في: <https://acr.ps/1L9F2Bo>

الزغير، خلود. **سورية الدولة والهوية: قراءة حول مفاهيم الأمة والقومية والدولة الوطنية في الوعي السياسي السوري (1946-1963)**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

عرودي، بدر الدين. "الهوية الوطنية السورية بين الإشكالية والالتباس: التاريخ والواقع والمستقبل". أبحاث اجتماعية. مركز حرمون للدراسات المعاصرة. 2020. في: <https://acr.ps/1L9F2DI>

غليون، برهان. **نظام الطائفية: من الدولة إلى القبيلة**. ط 2. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

"المركز العربي يعلن نتائج استطلاع المؤشر العربي في سورية". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2025/8/31
في: <https://acr.ps/1L9F2lj>

هوبزبوم، إريك جيه. **الشعوب والقوميات منذ عام 1780: المنهج والخرافة والحقيقة**. ترجمة مصطفى إبراهيم علي حجاج. أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة؛ دار الكتب الوطنية، 2013.

الأجنبية

Allport, Gordon W. *The Nature of Prejudice*. Cambridge, MA: Addison-Wesley Publishing, 1954.

كمية. ومن هنا، فإن إعادة بناء هذه الهوية تتطلب إعادة بناء الدولة نفسها بوصفها إطاراً مؤسسياً جامعاً يضمن المساواة والعدالة، ويحوّلها من تصور متخيل متنازع عليه إلى خبرة اجتماعية يومية معيشة.

- Hurtado, Sylvia. "Linking Diversity with the Educational and Civic Missions of Higher Education." *The Review of Higher Education*. vol. 30, no. 2 (2007).
- Jennings, M. Kent & Richard G. Niemi. "Continuity and Change in Political Orientations: A Longitudinal Study of Two Generations." *American Political Science Review*. vol. 69, no. 4 (1975).
- Jetten, Jolanda et al. "Consequences of Economic Inequality for the Social and Political Vitality of Society: A Social Identity Analysis." *Political Psychology*. vol. 42 (2021).
- Kalyvas, Stathis N. "The Ontology of 'Political Violence': Action and Identity in Civil Wars." *Perspectives on Politics*. vol. 1, no. 3 (2003).
- Mickelson, Roslyn Arlin & Mokubung Nkomo. "Integrated Schooling, Life Course Outcomes, and Social Cohesion in Multiethnic Democratic Societies." *Review of Research in Education*. vol. 36, no. 1 (2012).
- Paasi, Anssi. "Region and Place: Regional Identity in Question." *Progress in Human Geography*. vol. 27, no. 4 (2003).
- Reeskens, Tim & Matthew Wright. "Nationalism and the Cohesive Society: A Multilevel Analysis of the Interplay among Diversity, National Identity, and Social Capital Across 27 European Societies." *Comparative Political Studies*. vol. 46, no. 2 (2013).
- Smith, Anthony D. *National Identity*. Reno: University of Nevada Press, 1991.
- _____. *The Ethnic Origins of Nations*. Oxford: Basil Blackwell, 1986.
- Stewart, Frances (ed.). *Horizontal Inequalities and Conflict: Understanding Group Violence in Multiethnic Societies*. Kofi Annan (foreword). London: Palgrave Macmillan UK, 2008.
- Bar-Tal, Daniel, Aurel Harrison Diamond & Meytal Nasie. "Political Socialization of Young Children in Intractable Conflicts: Conception and Evidence." *International Journal of Behavioral Development*. vol. 41, no. 3 (2017).
- Ben Shitrit, Lihi, Julia Elad-Strenger & Sivan Hirsch-Hoefer. "Gender Differences in Support for Direct and Indirect Political Aggression in the Context of Protracted Conflict." *Journal of Peace Research*. vol. 54, no. 6 (2017).
- Brubaker, Rogers. *Ethnicity without Groups*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004.
- Cockburn, Cynthia. "War and Security, Women and Gender: An Overview of the Issues." *Gender & Development*. vol. 21, no. 3 (2013).
- Cox, Fletcher D. & Timothy D. Sisk (eds.). *Peacebuilding in Deeply Divided Societies: Toward Social Cohesion?* Cham: Springer International Publishing, 2017.
- Fiedler, Charlotte & Christopher Rohles. "Social Cohesion after Armed Conflict: A literature Review." *Discussion Paper*. no. 7/2021. German Development Institute. 2021.
- Friedman, Yaron. "The Enigma of the Number of 'Alawis in Syria: 11% Indeed?" *British Journal of Middle Eastern Studies*. vol. 53, no. 1 (2026).
- Gellner, Ernest. *Nations and Nationalism*. Oxford: Blackwell, 1983.
- Haddad, Fanar. "Sectarian Identity and National Identity in the Middle East." *Nations and Nationalism*. vol. 26, no. 1 (2020).
- Hinnebusch, Raymond. "Identity and State Formation in Multi-sectarian Societies: Between Nationalism and Sectarianism in Syria." *Nations and Nationalism*. vol. 26, no. 1 (2020).

Syria Education Sector Analysis: The Effects of the Crisis on Education in Areas Controlled by the Government of Syria, 2010-2015. Damascus: UNICEF Syria, 2016.
at: <https://acr.ps/hBy2sYf>

Tayyab, Muhammad, Shahid Ahmad Afridi & Maria Hamid. "Sectarian Divide as a Cause of Protracted Conflict: A Case of Syria (2011-18)." *Liberal Arts and Social Sciences International Journal (LASSIJ)*. vol. 4, no. 2 (2020).

Wessel, Terje. "Does Diversity in Urban Space Enhance Intergroup Contact and Tolerance?" *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*. vol. 91, no. 1 (2009).

Whitt, Sam. "Ethnic Trust, Minority Status, and Public Goods in Post-conflict Societies." *Journal of Peace Research*. vol. 58, no. 6 (2021).

Wickes, Rebecca et al. "Ethnic Diversity and Its Impact on Community Social Cohesion and Neighborly Exchange." *Journal of Urban Affairs*. vol. 36, no. 1 (2014).

Wooldridge, Jeffrey M. *Introductory Econometrics: A Modern Approach*. 8th ed. Boston: Cengage, 2025.

حيان دحان | Haian Dukhan*

رهف الدغلي | Rahaf Aldoughli**

سوسيولوجيا انهيار نظام الأسد: الطائفة العلوية وتفكك العقد الاجتماعي (2011-2024)

The Sociology of the Assad Regime's Collapse: The Alawite Community and the Erosion of the Social Contract (2011-2024)

تتناول هذه الدراسة التحولات التي شهدتها العلاقة بين نظام الأسد والطائفة العلوية خلال الحرب السورية، وتبحث في كيفية انتقالها من علاقة قائمة على الحماية والولاء إلى أخرى مثقلة بالاستنزاف والخذلان والانقسام الداخلي. وتنطلق من فرضية مفادها أن الطائفة العلوية لم تكن كتلة اجتماعية متجانسة، وأن اصطفاً قطاعاً واسعاً منها خلف النظام خلال السنوات الأولى من الحرب ارتبط بتداخل توظيف النظام للخوف الوجودي مع مخاوف فعلية نتجت من تصاعد العنف والخطاب الطائفي. وتعتمد الدراسة منهجاً كيفياً تأويلياً، يستند إلى مقابلات مع مشاركين من منطقة الساحل السوري، وإلى قراءة تحليلية للأدبيات ذات الصلة. وتحتاج بأن طول أمد الحرب، وارتفاع الخسائر البشرية، وتدهور الأوضاع المعيشية، وصعود اقتصاد الحرب، عوامل أدت مجتمعة إلى تآكل العقد السلطوي الضمني بين النظام وقاعدته العلوية. وتخلص إلى أن هذا التآكل لا يفسر سقوط النظام وحده، لكنه يكشف بُعداً داخلياً مهماً من مسار الانهيار؛ إذ تحولت الطائفية من أداة للتعبئة والضبط إلى عبء سياسي واجتماعي محدود القدرة على إنتاج الولاء.

كلمات مفتاحية: سورية، نظام الأسد، الطائفة العلوية، العقد السلطوي الضمني، الطائفية السياسية، اقتصاد الحرب.

This study traces the shift in the relationship between the Assad regime and the Alawite community during the Syrian war from one structured around protection and loyalty to one marked by exhaustion, disillusionment, and internal fragmentation. It argues that the Alawite community was never a homogeneous social bloc, and that the early alignment of broad Alawite segments with the regime can be attributed to the intersection between the regime's instrumentalization of existential fear and anxieties produced by escalating violence and sectarian rhetoric. The study adopts an interpretive qualitative approach based on interviews with participants from Syria's coastal region, alongside a critical reading of relevant literature. It argues that the prolonged war, increased human losses, the decline in living conditions, and the emergence of war-economy networks gradually eroded the implicit authoritarian bargain between the regime and its Alawite base. It concludes that while this erosion alone does not explain the fall of the regime, it reveals an important internal dimension of the collapse, as sectarianism transformed from a tool of mobilization and control into a political and social burden increasingly unable to reproduce loyalty.

Keywords: Syria, Assad Regime, Alawite Community, Implicit Authoritarian Contract, Political Sectarianism, War Economy.

* محاضر في السياسة والعلاقات الدولية في جامعة تيسايد بالمملكة المتحدة، وزميل في مركز الدراسات السورية بجامعة سانت أندروز.
Lecturer in Politics and International Relations at Teesside University in the United Kingdom, and a Fellow at the Centre for Syrian Studies at the University of St Andrews.
Email: dukhan.sy@gmail.com

** أستاذة العلوم السياسية في جامعة لان كاستر بالمملكة المتحدة.
Professor of Political Science at Lancaster University in the United Kingdom.
Email: r.aldoughli@lancaster.ac.uk

مقدمة

المعيشية، واتساع الفجوة بين القواعد الاجتماعية الفقيرة والنخب المرتبطة باقتصاد الحرب ومراكز النفوذ. ولا تهدف الدراسة، في هذا الإطار، إلى تقديم تفسير أحادي لسقوط النظام، أو اختزال الحرب السورية في بعدها الطائفي، بل إلى إظهار إسهام التفكك التدريجي في العلاقة بين النظام وإحدى ركائزه الاجتماعية الأساسية في إضعافه من الداخل، وتحول الطائفية من أداة للتعنت والضبط إلى عبء سياسي واجتماعي فقد تدريجيًا قدرته على إنتاج الولاء.

وتعتمد الدراسة منهجًا كافيًا تأويليًا لفهم التحولات التي طرأت على العلاقة بين نظام الأسد والطائفة العلوية خلال الحرب السورية، وانعكاسها على تماسك إحدى أهم القواعد الاجتماعية التي استند إليها النظام تاريخيًا. ومن هذا المنطلق، تستند إلى عشر مقابلات أجريت عن بُعد مع مشاركين من خلفيات اجتماعية ومهنية مختلفة في اللاذقية وطرطوس وجبلة، إلى جانب قراءة تحليلية للأدبيات ذات الصلة بالعلاقة بين السلطة وقاعدتها الاجتماعية في الأنظمة السلطوية. ويهدف الجمع بين المقابلات والمصادر الثانوية إلى بناء قراءة تأويلية تربط بين الخبرة المعيشية والأطر السوسيولوجية والسياسية الأوسع.

ولا تدعي الدراسة أن هذه المقابلات تمثل جميع أبناء الطائفة العلوية أو تختزل مواقفهم في اتجاه واحد، بل تستخدمها بوصفها مادة كفية تساعد على تتبع أخطاء متكررة في اللغة والتجربة والتقييم الذاتي للعلاقة مع النظام. لذلك، جرى التعامل مع الشهادات بوصفها مدخلًا لفهم التفاوتات والانقسامات داخل البيئة العلوية، لا مرآة كاملة لها. وقد فرض إجراء المقابلات عن بُعد حدودًا منهجية، تتعلق بإمكان التوسع في العينة أو التحقق المباشر من بعض التفاصيل الميدانية، إلا أن هذا الخيار كان مناسبًا بالنظر إلى حساسية الموضوع وصعوبة الوصول الآمن إلى المشاركين في السياق السوري⁽¹⁾.

وجرت معالجة المقابلات اعتمادًا على التحليل الموضوعي لاستخراج الأنماط الدلالية الرئيسة التي تكررت في الشهادات، ولا سيما ما يتعلق بمعاني الحماية والخوف والولاء والإرهاق والانقسام الداخلي. وأتاح هذا الأسلوب تتبع التحول من خطاب يقوم على الحماية والالتزام إلى خطاب يتزايد فيه الامتناع والتشكيك والانسحاب الرمزي من سردية النظام. واستفادت الدراسة من الأدبيات المتعلقة بالبحث الكيفي في تصميم أدوات المقابلة وتنظيم المادة وتحليلها، ولا سيما ما طرحه ألان برايمان Alan Bryman بشأن بناء البحث الكيفي، وما

تناقش هذه الدراسة التحولات التي شهدتها العلاقة بين نظام الأسد والطائفة العلوية خلال الحرب السورية، وتبحث في الكيفية التي أسهم بها تآكل هذه العلاقة في إضعاف إحدى أهم القواعد الاجتماعية التي استند إليها النظام تاريخيًا، وصولًا إلى سقوطه في كانون الأول/ديسمبر 2024. وتنطلق من سؤالين رئيسين: كيف أعادت الحرب السورية تشكيل العلاقة بين النظام والطائفة العلوية؟ وكيف أسهم هذا التحول في تقويض تماسك النظام وإضعاف قدرته على الاستمرار؟ ولا تفترض الدراسة أن سقوط النظام يمكن تفسيره بهذا العامل وحده، بل تحتاج بأن التحولات داخل البيئة العلوية تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم جانب مهم من مسار الانهيار، إلى جانب عوامل داخلية وخارجية أخرى، من بينها التحولات الاقتصادية والعسكرية، والتدخلات الإقليمية والدولية، وتبدل موازين القوة خلال سنوات الحرب.

وتعتمد الدراسة مقارنة سوسيولوجية، تركز على العلاقة بين السلطة وقاعدتها الاجتماعية. لكنها لا تستخدم مفهوم العقد الاجتماعي بالمعنى الكلاسيكي، الذي يشير إلى العلاقة بين الدولة والمجتمع عمومًا، بل توظفه بصفة أكثر تحديدًا للإشارة إلى ترتيب سياسي ضمني، نشأ بين النظام وجماعة اجتماعية بعينها، قوامه توفير الحماية والامتيازات والتمثيل الرمزي في مقابل الولاء السياسي والعسكري. وبهذا المعنى، لا يُقصد عقد اجتماعي وطني جامع، بل علاقة تاريخية غير متكافئة بين سلطة سلطوية وقاعدة اجتماعية رأت في استمرار هذه السلطة ضمانًا لأمنها ومكانتها في بنية الدولة. وتنطلق الدراسة أيضًا من افتراض أن الطائفة العلوية لم تكن كتلة اجتماعية متجانسة ذات موقف واحد، بل فضاء اجتماعيًا شهد تمايزات داخلية على أسس طبقية ومناطقية وسياسية. وقد عمقت الحرب هذه التفاوتات، وأنتجت مستويات متزايدة من التوتر بين النخب المرتبطة بالسلطة والفئات التي تحملت العبء الأكبر من الاستنزاف البشري والاقتصادي.

ومع اندلاع الثورة السورية عام 2011، أعاد النظام تفعيل خطاب الخوف الوجودي لتعبئة هذه القاعدة الاجتماعية، وصوّر الصراع بوصفه تهديدًا مباشرًا للأقليات في سورية، ولا سيما الأقلية العلوية. غير أن الدراسة تميز بين توظيف النظام للخوف من جهة، ووجود مخاوف فعلية ارتبطت بتصاعد العنف، واتساع الخطاب الطائفي، وتزايد حضور الفصائل المسلحة ذات النهج الإقصائي من جهة أخرى. ومن ثم، يفهم تماسك جزء من البيئة العلوية خلف النظام في السنوات الأولى من الحرب أيضًا، بوصفه استجابة لمأزق وجودي معقد، فرضته ظروف الحرب. لكن هذا الترتيب بدأ يتآكل تدريجيًا مع طول أمد الصراع، وتصاعد الخسائر البشرية، وتدهور الأوضاع

1 حفاظًا على سرية هويات المشاركين في المقابلات وسلامتهم، استخدمنا أسماء مستعارة في جميع الإحالات إلى المقابلات، وحذفنا أي معلومات قد تؤدي إلى الكشف عن هوياتهم. ونذكر تواريخ المقابلات بالشهر والسنة؛ إذ أجريت عن بُعد في آب/أغسطس 2024. وقد أبلغ المشاركون مسبقًا بأهداف البحث وطبيعة استخدام المقابلات، ووافقوا على اقتباس إفاداتهم في الدراسة شرط عدم الكشف عن هوياتهم.

إلى السلطة بعد انقلاب 8 آذار/ مارس 1963، بدأت فئات من الضباط العلويين تحتل مواقع متقدمة داخل الجيش وأجهزة الدولة، مستفيدة من تلاقي عوامل اجتماعية ومؤسسية وسياسية في تلك المرحلة. ومع ذلك، لا ينبغي اختزال هذا المسار في تفسير طائفي صرف؛ لأن صعود العلويين داخل مؤسسات الدولة لم يكن نتيجة هوية طائفية مجردة، بل جاء أيضًا في سياق تحولات أوسع شملت تراجع النخب التقليدية، وصعود الشرائح الريفية، واتساع دور الجيش في الحياة السياسية. وحينما استولى حافظ الأسد على السلطة عام 1970، دخلت العلاقة بين الدولة والطائفة مرحلة جديدة؛ إذ أصبحت شخصيات وشبكات علوية تحتل مواقع مؤثرة داخل الأجهزة الأمنية والعسكرية. غير أن ذلك لا يعني أن الطائفة كلها تحولت إلى طبقة حاكمة أو أنها استفادت بالتساوي من هذا الصعود. فحكم الأسد الأب (1970-2000) قام على شبكة سلطوية ضيقة تركزت حول العائلة والدوائر الأمنية والولاءات الشخصية، وكان للعلويين داخلها حضور وازن، لكنه لم يُلغِ التفاوتات الداخلية الحادة بين نخبة نافذة وغالبية بقيت في مواقع اجتماعية أقل استفادة من السلطة⁽⁴⁾.

وعند انتقال السلطة إلى بشار الأسد عام 2000، ورث نظامًا سلطويًا يستند إلى هذه الشبكات الأمنية والزبونية، لكنه واجه في الوقت نفسه تراجعًا في فعالية الخطاب البعثي التقليدي، وتزايدًا في وزن المحسوبية والروابط غير الرسمية في إدارة الحكم. وقد عمّق الانفتاح الاقتصادي غير المتكافئ، واتساع شبكات الفساد، وصعود فئات مرتبطة مباشرة بالعائلة الحاكمة، التفاوتات داخل البيئة العلوية نفسها؛ إذ اقتصرست الاستفادة من القرب إلى مراكز النفوذ على شرائح محدودة، في حين استمرت فئات أوسع في مواجهة الفقر والبطالة والتهمة. ومن هنا، لم تكن العلاقة بين النظام والطائفة، قبيل اندلاع الثورة السورية عام 2011، علاقة تطابق كامل، بل علاقة مرّبة جمعت بين الشعور بأن النظام يوفر قدرًا من الحماية والتمثيل، من جهة، وإدراك متزايد لدى بعض أبناء الطائفة بأنهم يدفعون تكلفة بقاء سلطة لا توزع الموارد والنفوذ بصورة عادلة، من جهة أخرى. وقد مثل هذا التناقض أحد الشروط البنيوية التي تعمقت لاحقًا مع اندلاع الثورة واتساع نطاق الحرب، حينما بدأت العلاقة بين النظام وقاعدته الاجتماعية العلوية تتعرض لتصدعات متزايدة تحت ضغط الاستنزاف العسكري والاقتصادي والسياسي⁽⁵⁾.

يقدمه ديفيد سيلفرمان David Silverman في التعامل مع البيانات التفسيرية وتحويلها إلى تحليل منظم.

أولاً: خلفية تاريخية

تعود جذور العلاقة المعقدة بين الطائفة العلوية والدولة السورية إلى تاريخ طويل من التهميش الاجتماعي والسياسي في العهد العثماني، حينما نُظر إلى العلويين بوصفهم جماعة مذهبية تقع خارج المذهب الإسلامي السائد، وتعرّضوا تبعًا لذلك لأشكال متعددة من العزل والوصم والإقصاء. وأسهم هذا التهميش، إلى جانب العزلة الجغرافية في جبال الساحل السوري، في ترسيخ شعور تاريخي بالهشاشة والارتياح في العلاقة مع المركزين السياسي والاجتماعي في المدن الكبرى⁽²⁾. ولم يكن التهميش دينيًا أو رمزيًا فحسب، بل اقترن أيضًا بظروف اقتصادية قاسية وضعف الاندماج في شبكات التجارة والنفوذ والإدارة؛ ما جعل قطاعات واسعة من العلويين تعيش طويلاً على هامش الدولة والمجتمع المدني. ومع فرض الانتداب الفرنسي على سورية (1920-1946)، شهد موقع الطائفة العلوية تحولاً مهماً؛ إذ سعت سلطات الانتداب إلى إدارة التعدد السوري من خلال سياسات التفكيك وإعادة الضبط، وكان من بينها إنشاء كيان إداري خاص بالعلويين، وتشجيع أنبائهم على الانخراط في القوات الخاصة والمؤسسات العسكرية المحلية. وقد أتاح ذلك فرصاً غير مسبقة للتقدم الاجتماعي والحضور داخل أجهزة السلطة، لكنه لم يؤدِّ إلى دمج العلويين دمجًا متكافئًا في الدولة الحديثة، بقدر ما أعاد صياغة علاقتهم بها من خلال موقع وظيفي ارتبط بالحماية والسلطة المركزية أكثر من ارتباطه بالمواطنة الكاملة⁽³⁾.

بعد استقلال سورية وجلاء القوات الفرنسية عنها عام 1946، لم يتغير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للغالبية العظمى من العلويين بصورة جذرية؛ إذ بقيت فئات واسعة منهم ضمن الشرائح الريفية الفقيرة، غير أن المؤسسة العسكرية استمرت بوصفها قناة رئيسة للحراك الاجتماعي والسياسي. ومع توالي الانقلابات العسكرية في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته، ثم وصول حزب البعث العربي الاشتراكي

2 تورشتين شيوتر وورن، العلويون: الخوف والمقاومة؛ كيف بنى العلويون هويتهم الجماعية في سورية؟، ترجمة ماهر الجندي، مراجعة فادي كحلوس (إسطنبول: مركز حرمون للدراسات المعاصرة؛ دار ميسلون للطباعة والنشر والتوزيع، 2018)، ص 14-15.

3 ينظر:

Max Weiss, "Community, Sect, Nation: Colonial and Social Scientific Discourses on the Alawis in Syria during the Mandate and Early Independence Periods," in: Michael Kerr & Craig Larkin (eds.), *The Alawis of Syria: War, Faith and Politics in the Levant* (Oxford: Oxford University Press, 2015), pp. 63-78; Aslam Farouk-Alli, "The Genesis of Syria's Alawi Community," in: Kerr & Larkin (eds.), pp. 27-48.

4 Raymond Hinnebusch, *Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant* (Boulder: Westview Press, 1990), pp. 160-163.

5 Aron Lund, *The Ghosts of Hama: The Bitter Legacy of Syria's Failed 1979-1982 Revolution* (Stockholm: Swedish International Liberal Centre, June 2011), pp. 14-15, 18-19, 33-36.

ثانيًا: العقد السلطوي الضمني والطائفية السياسية: مدخل نظري

وعلى المستوى السوسيولوجي، تستفيد الدراسة من مفهوم الهيمنة الرمزية لفهم الكيفية التي نجح بها النظام في جعل استمراره يبدو، لدى علويين كثر، شرطاً لأمن الجماعة وبقائها. فلم يكتفِ باستخدام أدوات القسر المباشر، بل عمل أيضاً على تشكيل إدراك سياسي واجتماعي يربط بين السلطة والحماية، من جهة، وبين انهيار النظام والانكشاف الوجودي⁽⁹⁾، من جهة أخرى. غير أن هذا الامتثال لم يكن ناتجاً من الخداع الرمزي وحده، بل ارتبط كذلك بتجربة حرب فعلية اتسمت بالعنف الطائفي، وصعود الخطابات الإقصائية، وتزايد المخاوف من البدائل المسلحة⁽¹⁰⁾. ومن ثم، لا يفهم ولاء قطاعات من البيئة العلوية للنظام في السنوات الأولى من الحرب بوصفه ثمرة تعبئة سياسية أو هيمنة رمزية فحسب، بل أيضاً بوصفه استجابة لمأزق وجودي معقد فرضته ظروف الحرب. وفي المقابل، يمكن فهم تآكل هذه العلاقة لاحقاً من خلال تراجع فعالية الحماية، وانكشاف حدود الطائفية بوصفها أداة للتعبئة، واهتزاز السيطرة الرمزية حين لم يعد الخطاب الرسمي قادراً على الانسجام مع التجربة المعيشة لأبناء الطائفة خلال سنوات الصراع.

ثالثاً: التحولات داخل الطائفة أثناء الحرب (2011-2014)

1. الخوف الوجودي وبناء التعبئة الأولى

منذ اندلاع الثورة السورية، في آذار/ مارس 2011، لجأ النظام إلى تعبئة قاعدته الاجتماعية الأساسية، أي الطائفة العلوية، من خلال خطاب يقوم على الخوف الوجودي. فقد سعى، منذ الأيام الأولى، لتصوير الاحتجاجات الشعبية التي انطلقت من درعا وحمص وريف دمشق بوصفها مؤامرة تستهدف الأقليات، وفي مقدمتها العلويون، لا حركة تطالب بالإصلاح⁽¹¹⁾. واستعاد هذا الخطاب سردية تاريخية راسخة في الوعي الجمعي العلوي، مفادها أن الجماعة محاطة دائماً بالأعداء، وأن وجودها مرتبط ببقاء الدولة التي يهيمن أبنائها على بعض مفاصلها. وفي الإعلام الرسمي، تكررت الإشارات إلى "الفتنة الطائفية" و"الخطر السلفي"، في محاولة لربط الثورة بمشاريع خارجية تسعى

تعتمد الدراسة مفهوم العقد السلطوي الضمني بوصفه مدخلاً تحليلياً لفهم العلاقة بين نظام الأسد والطائفة العلوية. ولا يقصد به العقد الاجتماعي بمعناه الكلاسيكي، الذي يفترض علاقة عامة بين الدولة والمجتمع ككل، بل ترتيب سياسي غير صريح نشأ بين سلطة سلطوية وقاعدة اجتماعية محددة، وقام على تبادل الحماية والتمثيل والاقتراب من مراكز الدولة في مقابل الولاء السياسي والعسكري. وبهذا المعنى، لا تفهم العلاقة بين النظام والطائفة بوصفها اندماجاً كاملاً أو تطابقاً سياسياً مطلقاً، بل علاقة تاريخية غير متكافئة تشكلت في سياق شروط اجتماعية وسياسية محددة، وأعيد إنتاجها عبر مؤسسات الأمن والجيش والرموز السياسية. ويساعد هذا المدخل على فهم الكيفية التي بنت بها السلطة شرعيتها داخل هذه البيئة، لا من خلال المشاركة السياسية أو المواطنة المتساوية، بل عبر وعود الحماية وإدارة الامتيازات والخوف، ضمن سياق سوري اتسم بضعف الاندماج الوطني وتكرار أنماط الحكم السلطوي⁽⁶⁾.

وانطلاقاً من ذلك، لا تتعامل الدراسة مع الطائفية بوصفها هوية ثابتة أو عصبية مغلقة، بل أداة سياسية ارتبطت ببنية السلطة وطريقتها في إدارة المجتمع. فعندما تعجز الدولة عن إنتاج رابطة وطنية جامعة، أو تلجأ إلى إعادة تنظيم المجالين السياسي والاجتماعي على أسس ما دون وطنية، تتحول الطائفة إلى مورد للتعبئة والضبط وإعادة توزيع المواقع والموارد⁽⁷⁾. وفي الحالة السورية، وعلى الرغم من أن النظام تبنى خطاباً قومياً وعلمانياً، أعاد تفعيل الانتماء الطائفي بوصفه مورداً سياسياً في لحظات التهديد، وربط استمراره في الحكم بمعاني الحماية والبقاء داخل المخيال السياسي لقطاعات من أبناء الطائفة العلوية. غير أن ذلك لا يعني أن الطائفة كانت كتلة متجانسة أو أن جميع أبنائها استفادوا من النظام على نحو متساوٍ؛ إذ ظلت العلاقة بين السلطة وهذه البيئة الاجتماعية مشروطة بتفاوتات داخلية على أسس طبقية ومناطقية وسياسية. ومن هنا تبرز ضرورة التمييز بين الطائفة بوصفها جماعة اجتماعية متنوعة، والطائفية بوصفها أسلوباً في الحكم والتعبئة⁽⁸⁾.

6 Hinnebusch, pp. 313-316.

7 Azmi Bishara, *Sectarianism without Sects* (London: Hurst & Company, 2021), p. 207;

وللاطلاع على طبعة عربية مبكرة، ينظر: عزمي بشارة، *الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة*، ط 2 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018).

8 برهان غليون، *المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات*، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013 [1979])، ص 14.

9 Lisa Wedeen, *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria* (Chicago: University of Chicago Press, 1999), p. 6.

10 Fanar Haddad, *Understanding Sectarianism: Sunni-Shi'a Relations in the Modern Arab World* (London: Hurst & Company, 2020), p. 7.

11 فراس أبو هلال، "الطائفية والثورة السورية المجيدة"، *الجزيرة نت*، 2013/6/28، شوهد في 2026/7/27، في: <https://acr.ps/hBy2stM>

هذا النوع من التعبئة، على الرغم من فعاليته في المدى القصير، زرع منذ بدايته بذور الإنهاك والشك. فعندما يُبنى الولاء على الخوف، يصبح الخوف نفسه مصدرًا للانقسام. ومع استمرار الاقتتال خلال عامي 2012 و2013، بدأ بعض العلويين يشككون في صدقية الخطاب الرسمي، ولا سيما بعدما أدركوا أن الحرب تتسع وتتجاوز حدود "الدفاع عن قراهم". ويقول أحد المشاركين في المقابلات، من جبهة، إن "الناس في البداية صدّقوا أن هناك خطرًا على الطائفة، لكنهم بعد عامين بدؤوا يتساءلون: لماذا لا يموت غير أولادنا؟"⁽¹⁶⁾. ويعكس هذا التساؤل المبكر بداية وعي متزايد بأن الخوف الذي استخدمه النظام لتوحيدهم أصبح عبئًا يفرقهم داخليًا. ومن ثم، لا يفهم الاصطفاف خلف النظام في المرحلة الأولى من الحرب بوصفه نتيجة للتعبئة الدعائية فحسب، بل أيضًا بوصفه استجابة لمأزق وجودي معقد فرضته ظروف الحرب نفسها.

2. عسكرة الطائفة وتحوّل الولاء إلى التزام قسري

أدت حالة الخوف التي أشاعها النظام منذ عام 2011 إلى تحويل الطائفة العلوية من قاعدة اجتماعية داعمة إلى خزان بشري للحرب. ومع اتساع رقعة المواجهات المسلحة بين النظام والثوار عام 2012، شرع النظام في عسكرة الجماعة العلوية من خلال سياسات تجنيد إلزامية وأخرى طوعية موجهة. وفي الوقت الذي كانت فيه قطاعات من السوريين تعلن انشقاقها عن الجيش، كانت القرى العلوية تتحول تدريجيًا إلى معسكرات للتجنيد. وقد أعاد هذا التحول إنتاج علاقة جديدة بين الدولة والطائفة، لم تعد قائمة على الثقة أو الولاء الطوعي، بل على التزام قسري فرضته الضرورة والخوف. ويمكن فهم هذا التحول أيضًا في ضوء الأدبيات التي ترى أن الطائفية السياسية لا تعكس انتماءً اجتماعيًا سابقًا على السياسة، بل تنشأ عندما تكتسب الهويات الاجتماعية معنى سياسيًا مباشرًا في الصراع على السلطة والدولة⁽¹⁷⁾.

وتذكر شهادات ميدانية من مناطق الساحل أن مشاهد الجنازات العسكرية كانت جزءًا من الحياة اليومية بين عامي 2012 و2014. ويقول أحد سكان القرداحة: "في كل أسبوع، كنا نودع شابًا أو اثنين، ولم يعد هناك بيت بلا شهيد أو جريح"⁽¹⁸⁾. وتختزل هذه الجملة مدى تغلغل الحرب في البنية الاجتماعية للطائفة؛ إذ لم تعد المشاركة

لتفكيك سورية على أساس طائفي⁽¹²⁾. ومن خلال هذا التأطير، حوّل النظام الخوف إلى أداة للتعبئة السياسية، ضمن استمرارية طويلة في استخدام الطائفية آلية للحكم.

وقد وجد هذا الخطاب صدى قويًا لدى قطاعات واسعة من الجماعة العلوية، رأت في التحركات الاحتجاجية تهديدًا مباشرًا لمكانتها المكتسبة، منذ سبعينيات القرن العشرين. وأعيد تنشيط ذاكرة العزلة التاريخية، الممتدة من العهد العثماني إلى بدايات الاستقلال، لتصبح جزءًا من عملية التعبئة النفسية والسياسية⁽¹³⁾. ويقول أحد المشاركين في المقابلات، من اللاذقية، إن "كثيرين شعروا أن سقوط النظام يعني عودتنا إلى الجبال"، في إشارة رمزية إلى الخوف من فقدان المكانة التي وفرها لهم نظام الحكم القائم⁽¹⁴⁾. وبذلك تحولت الذاكرة الجمعية إلى مورد سياسي وظفه النظام لتجديد شرعيته المتآكلة. وأسهمت خبرات الحرب والعنف الطائفي في ترسيخ تصورات جماعية، ربطت بين الاستقرار واستمرار السلطة من جهة، وبين التغيير السياسي واحتمالات الانكشاف الأمني من جهة أخرى⁽¹⁵⁾. ومع ذلك، لا يمكن اختزال فعالية هذا الخطاب في التلاعب السلطوي وحده؛ إذ إن تصاعد العنف، وظهور خطابات دينية إقصائية، وتزايد حضور جماعات مسلحة حمل بعضها نزعات انتقامية، عوامل منحت هذا الخوف أساسًا واقعيًا لدى قطاعات من العلويين، وإن عمل النظام على تضخيمه وتوجيهه سياسيًا.

واستُخدم هذا الخطاب أيضًا لتبرير تصاعد القمع منذ الأشهر الأولى للثورة؛ فجرى التعامل مع كل احتجاج بوصفه تهديدًا وجوديًا، ووُصف كل معارض بأنه عميل أو إرهابي. وهكذا اندمج مفهومًا "الأمن الوطني" و"حماية الطائفة" في خطاب واحد، هدفه حشد الدعم الداخلي ومنح أجهزة الأمن تفويضًا مفتوحًا باستخدام العنف. ووفقًا للمشاركين الذين أجريت معهم المقابلات، نُظمت لقاءات محلية في القرى العلوية لحث الشباب على الانضمام إلى الجيش أو اللجان الشعبية "للدفاع عن الوطن"، غير أن الرسالة الفعلية كانت أوضح: "إذا سقط النظام، سنُذبح جميعًا". وقد كثفت هذه العبارة التي تكررت على ألسنة شيوخ موالين، المنطق الذي حكم التعبئة الأولى؛ فقد أُلغيت الحدود بين بقاء النظام وبقاء الجماعة. غير أن

12 ياسر نديم سعيد، "مقاربة ثنائية (سني-علوي) في الثورة السورية: كيف وصلنا إلى المجازر الحالية؟"، الجمهورية، 2012/6/15، شوهد في 2026/7/27، <https://acr.ps/hBy2su6>

13 ميخائيل سعد، "أسئلة طائفية وإجابات طائفية"، زمان الوصل، 2013/9/24، شوهد في 2026/7/27، <https://acr.ps/hBy2sKH>

14 المشاركون سامر (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/أغسطس 2024.

15 Haddad, p. 5.

16 المشاركون رامي (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/أغسطس 2024.

17 Bishara, p. 206.

18 المشاركون نادر (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/أغسطس 2024.

الانتماء أكثر من كونه تعبيراً عن القناعة، حتى أصبح الولاء أداءً اجتماعياً وسياسياً يصعب الانسحاب منه من دون ثمن باهظ.

وبمرور الوقت، أخذت الحرب تلتهم جيل الشباب في القرى العلوية، وبدأت الأسرة الواحدة تفقد أكثر من ابن خلال فترات قصيرة. وقد ولد هذا النزيف البشري شعوراً جماعياً بالخذلان؛ فقد شعر كثير من الأهالي بأن النظام يستنزف أبناءهم من دون هدف واضح⁽²³⁾. ولخص أحد المعلمين في طرطوس هذا المزاج بقوله: "لم نعد نقاتل من أجل الأسد أو سورية، بل نقاتل لأننا لا نعرف طريقاً آخر"⁽²⁴⁾. وتعكس هذه العبارة جوهر التحول من الولاء الطوعي إلى الولاء القسري الناتج من انسداد الأفق. ومع غياب أي تصور لنهاية الحرب، تحول القتال إلى طقس اجتماعي مفروض، مثل الخدمة الإجبارية أو دفع الضرائب. وأصبح الناس يقاتلون لأنهم لا يملكون خياراً بديلاً.

ولم تكن عسكرة الطائفة في تلك المرحلة نتيجة طبيعية للحرب، بل سياسة متعمدة هدفت إلى ربط مصير المجتمع العلوي بمصير النظام. فحين يوجد في كل بيت جندي أو قتيل، تصبح الجماعة بأكملها رهينة استمرار القتال. وهكذا، رسخ النظام شبكة من التبعية القسرية يصعب تفكيكها، لكنه زرع في الوقت نفسه بذور الشك والمرارة التي ستظهر لاحقاً في صورة نقد داخلي متنامٍ. فالمجتمع الذي يعيش في حرب دائمة يفقد تدريجياً قدرته على التمييز بين الحماية والاستغلال، وبين التضحية والعبث، وهي الحالة التي ستشكل نواة التحولات الأعمق في السنوات التالية.

3. الانقسام الاجتماعي والاقتصادي داخل البيئة العلوية

مع تصاعد الحرب بين عامي 2012 و2014، لم تعد الطائفة العلوية تبدو كتلة متماسكة كما بدت في بدايتها، بل أخذت تظهر داخلها انقسامات طبقية ومناطقية واضحة، كشفت التفاوت العميق بين من استفاد من الحرب ومن دفع ثمنها. فعلى الرغم من أن النظام صور نفسه بوصفه حامياً للطائفة جمعاء، فإن سياساته الاقتصادية والعسكرية خلال تلك الفترة عمقت الشرخ بين علويي المدن وعلويي القرى الجبلية، وبين النخب الاقتصادية الجديدة والفئات الفقيرة التي تحمّلت العبء الأكبر من القتال. ولا يمكن فهم هذا الشرخ بوصفه نتيجة عرضية للحرب فحسب، بل امتداداً لبنية سلطوية قامت، كما يوضح باسل حداد، على شبكات انتقائية من الرعاية والمحسوبية؛

في القتال قراراً فردياً، بل غدت قدراً جماعياً. وقد وفر النظام بذلك وسيلة فعالة لتأمين استمرار المعارك، لكنه عمق، في الوقت نفسه، تبعية المجتمع له. فالشاب الذي يُستدعى إلى الجبهة لا يستطيع الرض من دون أن يُتهم بالخيانة أو الجبن، والأسرة التي تفقد ابنها لا تملك إلا أن ترفع صور الأسد انقاءً للمساءلة. وهكذا، لم يعد الانتماء إلى النظام خياراً سياسياً، بل أصبح حالة من الإكراه الاجتماعي يحكمها الخوف من العقاب أو النبذ. ومن هذا المنظور، لا تبدو عسكرة الطائفة نتيجة للتنوع الأهلي في ذاته، بل نتاجاً لبنية سياسية أضعفت المواطنة المتساوية، وربطت الحماية بالامتثال، وأعادت تنظيم الخوف والولاء على أسس طائفية⁽¹⁹⁾.

ومع تزايد أعداد القتلى، تحولت الجنازات نفسها إلى فضاءات للنقد المكبوت. فبحسب روايات ميدانية، بدأت بعض الأمهات في اللاذقية وجبله يرفضن ترديد الشعارات الرسمية أثناء التشييع، ويصرخن في وجه مسؤولي الحزب والجيش بعبارات مثل: "أعيدوا أبناءنا قبل أن نتحدثوا عن الوطن"⁽²⁰⁾. ويشير هذا التحول في الخطاب العاطفي، من الصبر إلى الغضب، إلى بداية تصدع العلاقة بين الدولة والجماعة العلوية؛ إذ لم تعد رمزية "الشهيد" قادرة على احتواء الألم أو إعادة إنتاج المعاني التي استند إليها خطاب الحرب. فكلما ارتفعت التكلفة البشرية للصراع، تراجعت قدرة السرديات القائمة على الحماية والبقاء على تبرير استمرار التضحيات، وبدأت الأسس الرمزية التي دعمت الولاء للنظام تهتز داخل بعض الأوساط الاجتماعية التي شكلت إحدى ركائز دعمه. وقد استند هذا الولاء، في جانب منه، إلى إدراك متزايد بأن سقوط النظام قد يفضي إلى تهديد الجماعة نفسها، وهو ما عزز تماسك العلاقة بين النظام وقواعده الاجتماعية خلال سنوات الحرب الأولى⁽²¹⁾. وتجلت عسكرة الطائفة في إنشاء الميليشيات المحلية المعروفة باسم قوات الدفاع الوطني في نهاية عام 2012، التي اعتمدت على نحو شبه كامل على أبناء منطقة الساحل. وعلى الرغم من أن النظام قدّمها بوصفها قوة تطوعية لحماية الأحياء، فإنها مثلت وسيلة للسيطرة على المجتمع أكثر مما كانت وسيلة دفاعية؛ إذ دمجت الولاء الشخصي مع الانتماء الطائفي، وجعلت المشاركة العسكرية معياراً للانتماء والالتزام. ويقول أحد المشاركين فيها خلال مقابلة ميدانية: "لم نكن نحمل السلاح لنقاتل المعارضة فقط، بل لنثبت ولاءنا"⁽²²⁾. ويكشف هذا التصريح أن الانخراط في الميليشيا كان وسيلة لإثبات

19 غليون، ص 107.

20 المشاركة لنا (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/ أغسطس 2024.

21 Michael Makara, "Rethinking Military Behaviour during the Arab Spring," *Defense & Security Analysis*, vol. 32, no. 3 (2016), pp. 214-215, 219-220.

22 المشارك فادي (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/ أغسطس 2024.

23 عمر أبو خليل، "عشرات القتلى من القرداحة في معارك إدلب"، الجزيرة نت، 2015/3/31، شوهده في 2026/7/27، في: <https://acr.ps/hBy2sKn>

24 المشارك هيثم (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/ أغسطس 2024.

واتخاذ القرار. وتروي إحدى النساء من ريف اللاذقية، في مقابلة مع الباحثين، أنها أصبحت "الأب والأم معاً"، فهي تزرع الأرض، وتربي الأطفال، وتدير شؤون المنزل في غياب الزوج والأبناء. ولم يكن هذا التغيير ظرفاً مؤقتاً فحسب، بل غيّر أيضاً طبيعة الأدوار داخل الأسرة العلوية، وأنتج نوعاً من الوعي الاجتماعي الجديد بين النساء اللواتي بدأن يشككن في خطاب النظام الذي يحتفي بـ "أمهات الشهداء" من دون أن يوفر لهن الحد الأدنى من الدعم.

وفي المدن، كانت الحرب فرصة لبعضهم لتوسيع مصالحهم الاقتصادية بغطاء من الأجهزة الأمنية. فقد أعيد توزيع الثروة بطريقة عززت ارتباط بعض رجال الأعمال بمراكز القرار العسكري، وجعلتهم شركاء في منظومة الفساد الجديدة. ومع غياب الرقابة واحتكار السوق، ظهرت شبكات احتكار مرتبطة بعائلات نافذة داخل النظام، تنتمي غالبيتها إلى الطائفة نفسها. غير أن هذا التداخل بين الانتماء الطائفي والسلطة الاقتصادية لا يعني أن الطائفة تحولت إلى طبقة واحدة مستفيدة، بل أوجد ما تصفه سهام الأتاسي، في تحليلها لدور النخبة الاقتصادية السورية، بموقع تصبح فيه النخب الاقتصادية جزءاً من بنية الصراع نفسه، لا فئة تستفيد منه من الخارج⁽²⁸⁾. ومن هنا، لم تكن التشققات داخل البيئة العلوية نتيجة جانبية للحرب، بل كانت انعكاساً أيضاً لطريقة اشتغال اقتصاد الحرب ذاته، الذي أعاد إنتاج اللامساواة داخل القاعدة الاجتماعية للنظام بدلاً من تخفيفها. وقد أسهمت هذه التفاوتات في إضعاف الشعور الجماعي الذي استند إليه النظام في تعبئة الطائفة في بداية الحرب؛ فبينما كانت القرى تقدّم أبناءها للقتال، كانت النخبة تستثمر في الأسواق والمشاريع العقارية. ومع مرور الوقت، أدرك كثير من العلويين أن معركتهم لم تعد من أجل البقاء، بل في سبيل فئة محددة تسيطر على مقدرات البلاد باسمهم. ولم يكن هذا الإدراك قد تحوّل بعد إلى معارضة علنية، لكنه أسس لما سيتبلور لاحقاً من نقد داخلي ورفض رمزي، عبّرت عنه شعارات مثل "أولادنا يموتون لتعيش السلطة". وهكذا، لم تشهد الأعوام 2012-2014 عسكرة الطائفة فحسب، بل شهدت أيضاً بداية تشكّل انقسامات طبقية داخلها، ستعيد لاحقاً تعريف علاقتها بالنظام.

4. بدايات النقد الداخلي والتحول في الوعي الجمعي

مع اقتراب عام 2014، بدأت الطائفة العلوية تشهد تحولاً ملحوظاً في وعيها الجمعي تجاه النظام، نتيجة التراكم الطويل للخسائر البشرية،

إذ لم يكن القرب من النظام يعني توزيعاً متكافئاً للمكاسب، حتى داخل البيئات الاجتماعية الأقرب إليه، بل إعادة إنتاج غير متكافئة للامتيازات عبر الوسطاء والشبكات المرتبطة بمراكز النفوذ⁽²⁵⁾.

وفي مدن الساحل الكبرى، مثل اللاذقية وطرطوس، استفادت طبقة صغيرة من رجال الأعمال المرتبطين بالأجهزة الأمنية من اقتصاد الحرب؛ إذ حصلت على امتيازات في مجالات التهريب وتجارة الوقود والمواد الغذائية. ومع فرض العقوبات الدولية على النظام، تحوّلت هذه الطبقة إلى وسيط مالي أساسي يضمن استمرار تدفق الموارد إلى أجهزة الدولة. أمّا في القرى الجبلية، فكانت الصورة مختلفة تماماً؛ فقد تدهورت الزراعة، وتراجعت فرص العمل، وأصبح الفقر والبطالة جزءاً من الحياة اليومية. ويقول أحد المشاركين في المقابلات، من ريف طرطوس، إن "القرية لم يعد فيها سوى النساء والأطفال، أما الرجال فإما في الجبهات أو في القبور"⁽²⁶⁾. وتختصر هذه العبارة المأساة الاجتماعية التي عاشتها القرى العلوية، حيث باتت الحرب عبئاً يتركز على فئات محددة، في حين راکمت فئات أخرى الثروة والنفوذ. وبذلك، لم تؤدّ الحرب إلى توحيد البيئة العلوية اجتماعياً، بل عمّقت ما يمكن قراءته، مع جهاد يازجي، بوصفه منطق اقتصاد حرب أعاد توزيع الموارد والفرص على نحو عزز قوة الوسطاء والمستفيدين المرتبطين بالنظام، في حين تركت الفئات التي دفعت الثمن البشري الأكبر في موقع أشد هشاشة اقتصادياً واجتماعياً⁽²⁷⁾.

وأجّج هذا التفاوت شعوراً بالمرارة داخل الطائفة نفسها، وبدأت تظهر في الأحاديث اليومية لغة جديدة تميز بين "علويي السلطة" و"العلويين الفقراء". وبحسب المشاركين الذين أجريت معهم المقابلات، شاع في تلك الفترة وصف أبناء الضباط الكبار بأنهم "أولاد القصور"، في إشارة إلى الرفاهية التي حظوا بها، في مقابل المعاناة التي كان الجنود البسطاء يرحون تحتها. وتكررت على ألسنة الأهالي عبارة "أولادنا يقاتلون وأولادهم يسافرون"، وهي تعبر عن إدراك متزايد بأن النظام لم يعد يمثلهم، بل يستخدمهم. وكان هذا الوعي الطبقي داخل الطائفة جديداً على الخطاب السياسي السوري؛ إذ روج النظام دائماً لمبدأ "المساواة في دولة البعث"، لكن الحرب كشفت زيف هذا الشعار، وأظهرت أن الولاء للنظام لا يضمن العدالة. وفرضت الحرب تحولات في البنية العائلية والاجتماعية؛ فغياب الرجال عن القرى ووفاتهم بأعداد كبيرة جعل النساء يتحملن أدواراً جديدة في الإعالة

25 Bassam Haddad, *Business Networks in Syria: The Political Economy of Authoritarian Resilience* (Stanford: Stanford University Press, 2012), p. 76.

26 المشاركون مروان (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/ أغسطس 2024.

27 Jihad Yazigi, "Syria's War Economy," European Council on Foreign Relations, 7/4/2014, accessed on 28/7/2026, at: <https://acr.ps/hBy2ssO>

28 Siham Alatassi, "The Role of the Syrian Business Elite in the Syrian Conflict: A Class Narrative," *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 49, no. 3 (2022), pp. 443-445, accessed on 28/7/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sJp>

وتكشف هذه الحالة أن الانتقاد لم يعد يقتصر على الهمس أو التذمر في الفضاءات الخاصة، بل بدأ يظهر أحياناً في صورة مواجهة صريحة وشديدة اللهجة من داخل البيئة العلوية نفسها، وإن ظل هذا النوع من الخطاب استثنائياً ومحفوظاً بالمخاطر. وتُظهر هذه التحولات في الخطاب الاجتماعي، على محدوديتها، بداية تفكك العلاقة الرمزية التي ربطت بين الطائفة والنظام عقوداً من الزمن.

وفي المقابل، حاول النظام مواجهة هذه الموجة من النقد الصامت بمزيد من التهيب والرقابة. فازدادت الاعتقالات داخل البيئة الموالية نفسها، وشملت شخصيات كانت تُعدّ من "أنصار الدولة"، لكنها عبّرت عن امتعاضها من الفساد أو سوء إدارة المعارك⁽³³⁾. ويشير أحد المشاركين في المقابلات إلى أن "الخوف لم يعد من المعارضة، بل من المخابرات"⁽³⁴⁾، وهي عبارة تختصر التحول الأهم في المزاج العام؛ إذ لم يعد التهديد خارجياً، بل أصبح داخلياً. وقد تحوّل النظام من حامٍ للجماعة إلى مصدرٍ لرهبتها، ما أدى إلى شرخ نفسي عميق في العلاقة معه. وكما يشير فخر حداد، لا تحمل الهويات الطائفية معنى سياسياً ثابتاً، بل تتغير دلالاتها تبعاً للسياقين السياسي والاجتماعي. وفي الحالة السورية، أسهمت التكلفة المتزايدة للحرب في إعادة تشكيل الطريقة التي نظر بها بعض أبناء الطائفة العلوية إلى علاقتهم بالنظام ودوره بوصفه ضامناً للحماية⁽³⁵⁾.

ولم يصل هذا التحول في المزاج العلوي خلال السنوات الأولى من الحرب إلى مستوى التمرد، لكنه شكّل البنية التحتية للانفصال المعنوي عن النظام. فمع تراكم الوعي بالخذلان، لم يعد الولاء فعلاً نابغاً من القناعة، بل من العجز والخوف من البديل. ومع ذلك، كان هذا الولاء القسري في طريقه إلى التفكك؛ لأن الطاعة التي لا تستند إلى إيمان سياسي حقيقي لا يمكن أن تدوم طويلاً. وهكذا، مثلت نهاية عام 2014 نقطة تحول حقيقية في علاقة الطائفة بالنظام؛ فلم يكن الانفصال قد تحقق بعد، لكنه أصبح ممكناً من الناحيتين النفسية والأخلاقية، ما مهّد لاحقاً لصعود أصوات معارضة من داخل البيئة العلوية نفسها.

رابعاً: إعادة تشكيل العلاقة مع النظام (2015-2024)

ابتداءً من عام 2015، أخذت العلاقة بين الطائفة العلوية والنظام مساراً مختلفاً؛ فلم تعد قائمة على معادلة "حامٍ وجماعة محمية"،

والتدهور الاقتصادي، والانقسام الداخلي الذي خلّفته الحرب. فبعد ثلاث سنوات من الاقتتال المتواصل، لم تعد الخطابات الرسمية عن "الصمود" و"التضحية" تلقى الصدى نفسه الذي حظيت به في بدايات الحرب. وفي القرى الساحلية، حيث ارتفعت أعداد القتلى إلى مستويات غير مسبقة، تحوّل الحزن إلى تساؤل صامت عن جدوى الحرب واستمرار الولاء. ويقول أحد المشاركين في المقابلات، من ريف اللاذقية، إن "الأمهات توقفن عن البكاء في الجنازات، لأن الدموع لم تعد تكفي. كل ما نريده هو أن تنتهي الحرب"⁽²⁹⁾. وتكشف هذه العبارة أن الخوف الذي استخدمه النظام أداةً للتعبئة بدأ يفقد فعاليته، وأن التعبئة التي قامت على حماية الجماعة تحولت إلى حالة من الإنهاك الجماعي.

وفي المدن الكبرى، مثل اللاذقية وطرطوس، بدأ يتشكّل بين الشباب المتعلمين خطاب رمادي لا يعبر عن معارضة صريحة، لكنه ينطوي على نقد ضمني للنظام. فقد انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي صفحات يديرها علويون، تتحدث عن الفساد والمحسوبيات وسوء معاملة الجنود، وتستخدم لغة تمزج بين الولاء الوطني والاحتجاج الأخلاقي⁽³⁰⁾. ويعكس هذا الخطاب، الذي يجمع بين الانتماء والخذلان، بداية وعي جديد يتجاوز الثنائية التقليدية بين "الموالي" و"المعارض"، ويشير إلى تشكّل مساحة رمادية للانتماء السياسي، يمكن عدّها البذرة الأولى لما تسميه ليزا ويدين "الطاعة الساخطة"، أي الطاعة التي تستمر في مظهرها الخارجي، لكنها محمّلة بالرفض الداخلي⁽³¹⁾.

وبرز في هذه الفترة أيضاً تحوّل في اللغة الروحية والاجتماعية داخل أوساط الطائفة العلوية. فبعد أن كانت المرجعيات الدينية تتجنب الخوض في الشأن العام، بدأت بعض الشخصيات الروحية والاجتماعية تتحدث عن مسؤولية النظام تجاه أبناء الطائفة، وعن الحاجة إلى إعادة تعريف مفهوم "الوطنية" بما يتجاوز التضحية والموت. ومن الأمثلة اللافتة على النقد العلوي العلني للنظام الخطاب الصريح الذي هاجم فيه أحد الأكاديميين في جامعة تشرين حافظ الأسد وبشار الأسد، وانتقد تقديسهما في أوساط البيئة الموالية، ما جعله يوصّف بين بعض الموالين بأنه "علوي خائن" أو "مجنون"⁽³²⁾.

29 المشاركة ليلي (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/ أغسطس 2024.

30 جاء في أحد المنشورات على منصة فيسبوك: "نحن مع الدولة، لكن الدولة ليست معنا" (لم تعد الصفحة موجودة عند كتابة هذه الدراسة).

31 Wedeen, p. 6.

32 محمد مهيب أحمد، "علوي خائن أم 'مجنون'؟.. دكتور جامعة تشرين الذي حوّل الموالين والمعارضين ومقتطفات من آرائه"، زمان الوصل، 14 كانون الأول/ ديسمبر 2018، شوهده في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2t1i>

33 Samer Abbas, "No Homeland, No Future: Alawite Youth as the Backbone of the Assad Regime," Arab Reform Initiative, 4/8/2020.

34 المشار كريمة (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/ أغسطس 2024.

35 Haddad, Understanding Sectarianism, p. 8.

وتكتف، إلى جانب ذلك، التهرب من الخدمات الإلزامية والاحتياطية في الفترة 2014-2016، واتخذ بُعداً اجتماعياً علنياً⁽⁴¹⁾. وتشير شهادات ميدانية إلى أن "أي شاب يستطيع التهرب يفعل ذلك"، وأن العائلات باتت تخفي أبناءها بعدما كان الرفض يُعدّ خيانة مؤكدة. ولا يدل هذا التحول على السأم من الحرب فحسب، بل أيضاً على انهيار الواجب الجماعي الذي صاغ هوية قتالية في السنوات الأولى. وهنا انتقل الولاء من قناعة قيمية إلى سلوك تجنّبي تحدده حسابات التكلفة والمنفعة؛ فالقتال لم يعد من أجل "المجموع"، بل مخاطرة فردية في حرب بلا أفق. ويقول أحد المشاركين في المقابلات: "لم نعد نقاتل من أجل الأسد أو سورية، نقاتل لأننا لا نعرف طريقاً آخر"⁽⁴²⁾، وهي عبارة تلخص تحوّل الانضباط إلى عجز مقنّن، والطاعة إلى عادة قسرية بلا أفق سياسي.

وتعمّق الانقسام الطبقي داخل البيئة العلوية بصورة فجّة منذ عام 2016، مع صعود اقتصاد الحرب. وأخذ الحديث اليومي يميز بين "علويّ القصور" و"علويّ القرى"، وتكرر شعار "أولادنا يموتون وأولادهم يسافرون". ويصف مشاركون في المقابلات ريف الساحل بأنه بات بلا رجال: "إما الجبهات أو القبور"⁽⁴³⁾، في حين توسعت شبكات الاحتكار والتهريب والاستيراد في أيدي القلة المرتبطة بالأجهزة الأمنية⁽⁴⁴⁾. وقد هدم هذا التناقض الأساس الأخلاقي لشعار "التضحية المشتركة"، إذ حوّل المشترك الطائفي إلى تفاوت طبقي صارخ. وتبرز نبرة مريّة تجاه الدائرة الاقتصادية الأقرب إلى رأس الهرم: "الطماطم التي تخرج من طرطوس إلى العراق تُباع بأربعين ألفاً [...] من يستفيد؟ أسماء الأسد؟ لماذا لا توزع جزءاً من هذه المليارات؟"⁽⁴⁵⁾. ويعني انتقال السخط من "الفاستين" المجهولين إلى أسماء محددة بعينها أن النقد بات يسمّي المسؤولين عن الخلل، لا البنى وحدها. ويتقاطع ذلك مع ما يلاحظه ديفيد كين بشأن قدرة الحروب على خلق مصالح اقتصادية جديدة لفئات محددة، بما يجعل استمرار الصراع وإدارته مرتبطين أحياناً بإعادة توزيع الموارد والامتيازات أكثر من ارتباطهما بالأهداف المعلنة للحرب⁽⁴⁶⁾.

وشكّلت قضية رامي مخلوف لحظة مفصلية في كسر يقين قديم بشأن "حرمة البيت الداخلي". وقد تمثّلت في الصراع الذي اندلع، منذ عامي

بل تحولت إلى شبكة متوترة من التبادلات القسرية والمقايضات القصيرة الأجل، في سياق إنهاك اجتماعي واقتصادي متراكم. وعلى المستوى الوجداني، انتقل شعور كثيرين من الاقتران القدري بالدولة إلى الإحساس بأنهم وقود لمعادلة سياسية لا تمنحهم في المقابل سوى الاستنزاف⁽³⁶⁾. وتكرر في المقابلات لغة الخذلان بدلاً من الامتنان؛ إذ يقول أحد المشاركين: "كنا نعامل كالأبناء. واليوم، صرنا طرفاً من الأطراف، نُستدعى عند الحاجة ونُنسى لحظة دفع الفاتورة"⁽³⁷⁾. وهنا، لم يعد الخوف من "الخارج" محور الطاعة، بل الخوف من الانهيار الداخلي وتكلفة الاصطدام بالأجهزة، بما ينتج طاعة ذات مظهر عام، ورفضاً مكتوماً في الدوائر الخاصة.

وبرزت الجنازات وبيوت العزاء، منذ عام 2015، بوصفها مسرحاً مكشوقاً لاهتزاز الرموز التي قام عليها خطاب الحرب⁽³⁸⁾. فقد انتهت مرحلة تجميل الموت بلاغة الشهادة، وحلّت محلّها أصوات الأمهات الغاضبات، ورجال يتهمسون بأن التضحية فقدت معناها. وتوثق مقابلات من منطقة الساحل تعليمات صادرة عن الأجهزة الأمنية تمنع البكاء العلني، وتحثّ على ترديد شعارات وطنية؛ غير أن الواقع أخذ يخرج عن النص: "كانوا يطلبون منا أن نقول: فداء للوطن، لكن النساء صرن يصرخن: 'أعيدوا أبناءنا أولاً'"⁽³⁹⁾. ويكتسب هذا الشرح الرمزي أهمية بالغة، لأن السيطرة الرمزية كانت إحدى عرى العقد غير الصريح بين النظام والطائفة. وما إن تحول الجنازة إلى مساحة اعتراض بدلاً من أن تكون طقس ولاء، حتى تغدو وظيفة الموت أداة تعبئة عاجزة عن إنتاج المعنى، وتتداعى معها سردية "المعركة المصرية" التي تكررت طويلاً. وفي هذا السياق، يشير محمد كاركوش إلى أن طقوس الحداد والجنازات الجماعية لا تقتصر على التعبير عن الفقد، بل تؤدي دوراً سياسياً في إعادة إنتاج الشرعية، وترسيخ الهوية الجماعية، وإضفاء معنى على التضحية. وعندما تفقد هذه الطقوس قدرتها على أداء هذه الوظيفة، تصبح أكثر قابلية للتحويل من أدوات للتعبئة والضبط الرمزي إلى فضاءات تكشف حدود الخطاب الرسمي وتراجع قدرته على احتواء الخسارة⁽⁴⁰⁾.

41 "الانهيار من الداخل.. لماذا يهرب العلويون من جيش الأسد؟"، الجزيرة نت، ترجمة فرح عصام، 2018/6/20، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2scR>

42 المشاركون هيثم.

43 المشاركون مروان.

44 رشيد حوراني، "الطائفة العلوية في سوريا: التمرد الكامن والزيف الصامت"، دراسة استراتيجية، المؤسسة السورية للدراسات وأبحاث الرأي العام، 2018/6/22، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2t0Y>

45 المشاركة ليلى.

46 David Keen, *The Economic Functions of Violence in Civil Wars* (London: Routledge, 2005), p. 11.

36 بدر الدين عرودي، "في سورية... غضب الأقليات ضد الأسد"، المركز العربي لدراسات سوريا المعاصرة، 2023/4/18، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2sJJ>

37 المشاركون جلال (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/أغسطس 2024.

38 عمر أبو خليل، "خسائر العلويين في سورية وموقفهم من الأسد"، ملفات المركز، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، 2015/4/4، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2t0k>

39 المشاركة ليلى.

40 Muhammed Karakuş, "The Weaponization of Grief: How States and Non-State Armed Actors Use Mourning for Political Ends," *Akademik MATBUAT*, vol. 9, no. 1 (2025), pp. 40-61.

خامساً: الحركات الاحتجاجية الجديدة (2022-2024)

مع دخول الحرب عامها العاشر، بدأت تبرز مظاهر جديدة من الاحتجاج العلني والامتعاض الشعبي في المناطق ذات الغالبية العلوية، ولا سيما في مدن الساحل السوري. ولم تكن هذه التحركات واسعة أو منظمة، لكنها حملت دلالات رمزية عميقة، لأنها خرجت من داخل البيئة التي شكّلت تاريخياً العمود الفقري للنظام⁽⁵¹⁾. وجاءت هذه الموجات الاحتجاجية ردّاً على الانهيار الاقتصادي الشامل، وتدهور الخدمات الأساسية، واستمرار غياب أي أفق سياسي، بعد سنوات من الخطابات الرسمية التي وعدت بالنصر والاستقرار. ويقول أحد سكان اللاذقية في هذا السياق: "الناس هنا لم تعد تخاف كما في الماضي، صارت تقول بصوت عالٍ إن الدولة لم تعد تهتم بنا"⁽⁵²⁾. وتشهد هذه العبارة بانتقال واضح من الولاء القائم على الخوف إلى شعور متزايد بالخذلان تجاه السلطة. وفي ضوء ما يطرحه تيمور كوران بشأن "تزوير التفضيلات"، يمكن فهم هذا التحول بوصفه تراجعاً تدريجياً في استعداد الأفراد لإخفاء مواقفهم الحقيقية والتظاهر بالولاء العلني. فمع تآكل الثقة بقدرة الدولة على توفير الحماية والرفاه، أخذت المسافة تتسع بين الخطاب الرسمي والتصورات الخاصة للأفراد؛ وهو ما أتاح ظهور أشكال أشد صراحة من النقد والامتعاض داخل البيئة التي كانت تُعدّ تقليدياً من أكثر البيئات دعماً للنظام⁽⁵³⁾.

وفي صيف عام 2023، شهدت مدن الساحل السوري احتجاجات محدودة طالبت بتحسين الأوضاع المعيشية وخفض الأسعار⁽⁵⁴⁾. ولم تكن هذه التحركات مسمّسة بوضوح، لكنها شكّلت أول تعبير جماعي علني عن السخط داخل القاعدة الاجتماعية للنظام منذ بداية الحرب. فقد خرجت مجموعات صغيرة من المواطنين في اللاذقية وطرطوس، غالبيتهم من الموظفين وذوي القتلى في المعارك، رافعين شعارات تطالب بـ "العدالة" و"الكرامة". وعلى الرغم من أن هذه الشعارات بدت معيشية في ظاهرها، فإنها حملت مضموناً سياسياً ضمنياً، لأنها نقلت المسؤولية عن الانهيار إلى الدولة نفسها، بدلاً من "الأعداء الخارجيين" الذين لطالما حملهم النظام المسؤولية. ويقول أحد المشاركين: "كنا نقول إن العقوبات هي السبب. والآن،

2019 و2020، داخل الدائرة الضيقة للنظام السوري، بين مخلوف، ابن خال بشار الأسد، ومؤسسات الدولة السورية، بعدما عُدّ الرجل الاقتصادي الأقوى في البلاد على مدى عقدين تقريباً. ولم يُقرأ الأمر بوصفه صراعاً مالياً فحسب، بل نقضاً لأعراف القرابة السياسية التي مثلت طويلاً ضماناً لطبقة من أبناء الطائفة داخل منظومة الحكم. ويقول أحد المشاركين: "ما فعله النظام مع مخلوف صدمة [...] لقد شعر الناس أن الدولة بدأت تأكل أبناءها"⁽⁴⁷⁾. ويتجاوز أثر تلك اللحظة شخص مخلوف؛ إذ رسّخت لدى شرائح واسعة الاعتقاد بأن الانتماء الطائفي لا يوفر الحماية حين يتقاطع مع مصالح الحلقة الأضعف، وهو ما أضعف نهائياً سرديّة "مصرنا واحد". وهكذا، لم تعد "الطائفة" شعاراً مانعاً للانقسام، بل غطاءً يُستدعى عند الحاجة، وتُزال أقمعته عند صدام المصالح. ويمكن قراءة هذه اللحظة بوصفها مؤشراً على اهتزاز شبكات الرعاية والولاء التي تربط المركز بأبعاده؛ إذ تقوم هذه الشبكات على تبادل الحماية والمنافع والثقة بين الراعي وأتباعه. وعندما يتراجع اليقين باستمرار هذه الحماية، تضعف قدرتها على ضمان التماسك والولاء داخل البنية السلطوية⁽⁴⁸⁾.

وفي عمق الحقل الأمني، تُظهر المقابلات تحولاً في بوصلة الخوف من المعارضة إلى الأجهزة نفسها. فالبعبارة القاطعة "الخوف لم يعد من المعارضة، بل من المخبرات" ليست انطباعاً، بل توصيف دقيق لانتقال مركز التهديد من "الخارج" أو "الآخر" إلى قلب الدولة. وحين تصبح البيوت العلوية نفسها هدفاً للتفتيش والاعتقال بسبب منشور أو تدمر في جنازة، تتفكك الشرعية الوقائية التي طالما ادعتها السلطة. وعندما يصحّح أحد المشاركين: "نجلس بيننا فنسبّ بشار، فإذا دخل غريب من طائفة أخرى دافعنا عنه فوراً"⁽⁴⁹⁾، نكون أمام ازدواجية سياسية صريحة: عداً خاص للنظام يقابله دفاع علني عنه اتقاءً لبديل مخيف أو تجنباً لتهمة "خيانة الجماعة". ويعبّر هذا النمط من الطاعة المتوترة عما يصفه جيمس سكوت بالامتثال المحسوب؛ إذ يُبدي الأفراد ولاءً علنياً لا يعكس بالضرورة قناعاتهم الخاصة، بل يهدف إلى تجنب العقاب أو درء المخاطر الاجتماعية والسياسية. وفي هذا السياق، لا يلغي الامتثال الرفض، بل يتعايش معه في صورة خطابين متوازيين: أحدهما خاص يعبّر عن التذمر والنقد، وآخر علني يُظهر التماهي مع الجماعة أو السلطة عند الحاجة⁽⁵⁰⁾.

51 "شعارات مناهضة للأسد على جدران مناطق نفوذه باللاذقية وطرطوس"، قناة العربية، فيسبوك، 2020، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2sts>

52 المشاركون سامر.

53 Timur Kuran, *Private Truths, Public Lies: The Social Consequences of Preference Falsification* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1995), p. 3.

54 "ما دلالات الاحتجاجات في مناطق الساحل السوري ومناطق الطائفة العلوية؟"، قناة الحرة، يوتيوب، 2023/8/24، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2t0E>

47 المشاركون كريم.

48 Junyan Jiang, "Making Bureaucracy Work: Patronage Networks, Performance Incentives, and Economic Development in China," *American Journal of Political Science*, vol. 62, no. 4 (2018), pp. 982-999.

49 المشاركون جلال.

50 James C. Scott, *Weapons of the Weak: Everyday Forms of Peasant Resistance* (New Haven: Yale University Press, 1985), p. 284.

الفقر والعزلة. وقد اكتسبت هذه الأصوات، وإن بقيت محدودة العدد، أهمية رمزية لأنها خرجت من داخل الجماعة التي طالما احتكر النظام الحديث باسمها. فبعد عقود من تطابق الطائفة مع السلطة، بدأ التمايز بينهما يتضح في الخطاب العام، وإن ظل في إطار محتشم ومحسوب. وقد لخص أحد المشاركين في المقابلات هذا التحول بقوله: "نحن لا نريد إسقاط النظام، نريد فقط أن يعاملنا بوصفنا أناساً عاديين، لا أداة"⁽⁵⁹⁾. وتمثل هذه المراجعات العلنية ما تصفه الأدبيات بظاهرة "انشقاق النخب الرمزي"، أي اللحظة التي يبدأ فيها الخطاب الثقافي داخل الجماعة المتحالفة مع السلطة في تفكيك شرعيتها من الداخل⁽⁶⁰⁾.

وفي حين تجاهلت وسائل الإعلام الرسمية معظم الاحتجاجات، لجأت الأجهزة الأمنية إلى اعتقال عدد محدود من الناشطين، ثم أفرجت عنهم بعد أيام مع تحذيرات بعدم تكرارها. ويبدو أن النظام كان يدرك حساسية التعامل مع مناطقه القاعدية؛ إذ يمكن أن يفسر القمع المفرط في الساحل بوصفه علامة ضعف، لا قوة. لذلك، فضل استخدام الرقابة الهادئة والاحتواء التدريجي بدلاً من المواجهة المفتوحة. غير أن هذا السلوك نفسه كشف حدود قوته؛ إذ بات يعتمد على ضبط الغضب، لا على استعادة الولاء، وعلى منع التفكك، لا على إعادة التعبئة. وتدل هذه التطورات على أن الشرعية التي قامت على الخوف والحماية فقدت فعاليتها. فالعلويون الذين انخرطوا في هذه الاحتجاجات لم يفعلوا ذلك بدافع أيديولوجي أو رغبة في إسقاط النظام، بل نتيجة شعور متزايد بأن الدولة لم تعد تعبّر عنهم أو تحميهم. وقد عبّر أحد الأهالي عن ذلك بقوله: "لم نعد نصدق أن مصيرنا مرتبط بمصير بشار الأسد. لقد تعبنا"⁽⁶¹⁾. وتختزل هذه العبارة، على الرغم من بساطتها، مساراً كاملاً من التحول في علاقة الطائفة بالدولة، من تطابق وجودي إلى انفصال واقعي أساسه الفقر والإرهاق واليأس.

وهكذا، يمكن القول إن الحركات الاحتجاجية الجديدة، مهما كان نطاقها محدوداً، مثلت النتيجة الطبيعية لتآكل العقد السلطوي الضمني الذي حكم علاقة النظام بقاعدته العلوية منذ سبعينيات القرن العشرين. فهي لم تطرح بديلاً سياسياً أو مشروعاً أيديولوجياً، لكنها كسرت جدار الصمت الذي كان يمنح النظام شرعية داخلية. ولم يعد إبداء الولاء أمراً بديهياً، بل أصبح موضع تساؤل ومراجعة

بتنا نعرف أن السبب هو الفساد"⁽⁵⁵⁾. وتلخص هذه العبارة تحولاً رمزياً في الوعي الجمعي من خطاب التبرير إلى خطاب المساءلة، مما يكسر احتكار الدولة لتفسير الأزمات.

ولم تقتصر مظاهر الرفض على الشارع، بل امتدت إلى الفضاءين الاجتماعي والرقمي، حيث برزت لهجة انتقادية غير مسبوقة في أحاديث الناس ومنشوراتهم. وانتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي عبارات ساخرة من أداء الحكومة ومن "الخطابات الفارغة" التي تتحدث عن الصمود، وأصبح تداول النكات السياسية عن المسؤولين أمراً مألوفاً في اللاذقية وطرطوس⁽⁵⁶⁾. ويمثل هذا التغير في اللغة اليومية، في حد ذاته، شكلاً من أشكال المقاومة الرمزية؛ إذ لم يعد الخوف من الأجهزة الأمنية يمنع الناس من التعبير عن امتعاضهم علناً. وفي هذا السياق، أشار أحد الشبان إلى أن "الناس لم يعودوا يهملون، بل يتحدثون في المقاهي عن الفساد كأنهم يتحدثون عن الطقس"⁽⁵⁷⁾. إنها لغة عادية لاحتجاج غير عادي، تكشف تآكلاً تدريجياً في هيبة السلطة داخل مجال كان مغلقاً تماماً أمام النقد.

وفي الوقت نفسه، برزت مبادرات محلية محدودة ذات طابع مدني وإنساني في بعض قرى الساحل، هدفت إلى مساندة الأسر الفقيرة والجرحى والنازحين، وغالباً ما نُظمت من دون إشراف رسمي أو تمويل حكومي⁽⁵⁸⁾. وتشير هذه الأنشطة، وإن بدت بعيدة عن السياسة، إلى تحول في طبيعة الفاعلية الاجتماعية داخل المجتمع العلوي، من الاعتماد على الدولة إلى إعادة بناء شبكات تضامن أفقية خارج إطارها. فبعد أن كانت الدولة المرجعية الأساسية للرعاية والمساعدة، أصبحت عاجزة عن أداء هذا الدور، وبدأ الناس يعتمدون على أنفسهم في تدبير شؤونهم اليومية. وتُظهر مثل هذه التحركات أن إعادة إنتاج المعنى الجمعي لم تعد تمر عبر النظام، بل من خلال المبادرات الذاتية، وهو ما يعمق تآكل شرعيته الرمزية.

وعلى الصعيد السياسي، عبّر عدد من المثقفين والناشطين العلويين عن مواقف نقدية علنية تجاه النظام، سواء عبر وسائل الإعلام أو على صفحاتهم الشخصية في وسائل التواصل الاجتماعي. واستخدم بعضهم لغة رمزية تتحدث عن "الكرامة المهذورة" و"الدماء التي ذهبت سدى"، في إشارة إلى تضحيات الحرب التي لم تثمر سوى

55 المشارك رامي.

56 أورينت نت، "تضامن مع صحفي انتقد بشار الأسد.. رحلة الناشط العلوي يونس سليمان تنتهي بالمشفى"، أورينت نت، 2022/3/2، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2sK3>

57 المشارك نادر (اسم مستعار)، مقابلة عن بعد، آب/أغسطس 2024.

58 ميرفت عوف، "عاصفة في عرين الأسد.. هل يلفظ العلويون نظام بشار؟"، الجزيرة نت، 2023/8/30، شوهد في 2026/7/28، في: <https://acr.ps/hBy2sdb>

59 المشارك فادي.

60 Guillermo O'Donnell & Philippe C. Schmitter, *Transitions from Authoritarian Rule: Tentative Conclusions about Uncertain Democracies* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1986), p. 37.

61 المشارك مروان.

إحدى أهم ركائزها الاجتماعية⁽⁶⁴⁾. ومع تفكك هذا العقد، لم يكن سقوط النظام في كانون الأول / ديسمبر 2024 حدثاً مفاجئاً بل نتيجة منطقية لانحلال الروابط التي ربطته بقاعدته الاجتماعية. ويمكن إجمال أهم الاستنتاجات المستخلصة من الدراسة في النقاط الآتية:

1. يبرز من خلال التحليل أن الشرعية في الأنظمة السلطوية ليست ثابتة، بل تقوم على توازن متبدل بين الحماية المادية والإقناع الرمزي. وقد استخدم النظام أدوات متعددة لتثبيت هذا التوازن، من بينها خطاب الخوف من الآخر الطائفي، وآلة التعبئة العسكرية، وشبكات الرعاية الاقتصادية. غير أن هذه الأدوات فقدت فعاليتها عندما لم يعد النظام قادراً على ضمان الحد الأدنى من الأمن الاقتصادي والاجتماعي، أو إنتاج معنى سياسي لتضحيات الحرب. فمع تضاؤل قدرة الدولة على الوفاء بوعودها، تراجع الإيمان بفعالية "الحماية"، وتحوّل الخوف من الخارج إلى خوف من الداخل، أي من أجهزة الدولة نفسها. ويتجلى هنا ما أشار إليه بيير بورديو بشأن هشاشة الهيمنة الرمزية عندما تفقد التصنيفات والمعاني التي تنتجها السلطة قدرتها على نيل القبول والاعتراف الاجتماعي؛ فتراجع فعاليتها بوصفها أدوات لتنظيم الإدراك وتفسير الواقع⁽⁶⁵⁾. وقد انكشفت فجوة واسعة بين اللغة الرسمية التي تتحدث عن "الصمود" والواقع المعيش.

2. يوضح التحليل أن الطائفية لم تعد أداة تعبئة فعالة، بل تحولت إلى عبء سياسي متزايد. فعلى الرغم من أن النظام بنى منظومته على فكرة الدفاع عن الأقليات في مواجهة الأغلبية، فإن استمرار الحرب والعقوبات والانقسام الطائفي داخل الطائفة العلوية أضعف منطق "المصير المشترك". وعندما تركزت المكاسب الاقتصادية والسياسية في أيدي نخبة ضيقة من المحيطين بالعائلة الحاكمة، فقدت الهوية الطائفية قدرتها على العمل عاملاً للتوحيد. وهكذا، تحوّل الانتماء من رابطة تضامن إلى ساحة للتفاوت والانقسام الداخلي، وهو ما ينسجم مع ما يذهب إليه فر حداد من أن أهمية الهويات الطائفية ومعانيها

في الحياة اليومية. ومع نهاية عام 2024، كانت الطائفة التي بُنيت عليها قاعدة النظام الاجتماعية قد تحولت إلى جماعة مرهقة تبحث عن البقاء، لا عن الدفاع عن السلطة، في حين غدت الاحتجاجات، على محدوديتها، تعبيراً عن انفصال رمزي كامل بين الدولة وقاعدتها الاجتماعية.

ومع ذلك، لم تتحول المعارضة العلوية إلى تنظيم سياسي واضح لأسباب بنيوية متشابكة، أبرزها سيف الأجهزة المسلط عليها، والانسداد الجغرافي أمام الهجرة الآمنة، والمخيل الانتقامي الذي تغذيه حكايات الأعوام 2011-2013. ويلخص أحد المشاركين في المقابلات هذا المأزق بقوله: "إذا كنت سنيّاً معارضاً، تستطيع أن تهرب شمالاً [...] أما العلوي المعارض، فأين يذهب؟"⁽⁶²⁾. لذلك، ظل سقف الفعل، في معظم الحالات، عند حدود الاحتجاج الرمزي، والانسحاب من المشاركة القتالية، والتعبير الرقمي، والتهمك على السلطة. غير أن تراكم هذه الأفعال الجزئية أنتج تآكلاً مستمراً في رصيد الشرعية، وتفكيكاً هادئاً للعقد السلطوي القديم، في ما يمكن اعتباره تجلياً لمرحلة "اللامقاومة المنظمة"، التي تقدّمها الأدبيات بوصفها نمطاً من الاعتراض الصامت حين تفقد السلطة قدرتها على التعبئة من دون أن تواجه مقاومة صريحة⁽⁶³⁾.

استنتاجات

تكشف دراسة التحولات التي شهدتها الطائفة العلوية في الفترة 2011-2024 مساراً تدريجياً لانحلال أكثر العقود الاجتماعية تماسكاً في الشرق الأوسط المعاصر. فعلى مدى نصف قرن، حافظ النظام السوري على قدر مهم من شرعيته داخل هذه الطائفة عبر معادلة غير صريحة، قامت على توفير الحماية والأمن والاستقرار في مقابل الولاء السياسي. ويمكن النظر إلى هذه العلاقة بوصفها شكلاً من أشكال العقد السلطوي الضمني؛ إذ ارتبط القبول باستمرار النظام في قدرته على توفير الأمن والاستقرار والحماية الاجتماعية، أكثر من ارتباطه بالمشاركة السياسية أو التمثيل الديمقراطي. ومع تراجع قدرة الدولة على الوفاء بهذه الوظائف خلال سنوات الحرب، وارتفاع التكلفة البشرية والاقتصادية التي تحمّلها قطاعات واسعة من المجتمع، بدأت الأسس التي قام عليها هذا العقد تفقد فعاليتها تدريجياً. وظهرت، تبعاً لذلك، أشكال متزايدة من التذمر والاحتجاج وإعادة النظر في العلاقة بين السلطة والبيئة التي شكّلت تاريخياً

64 Michel Camau, "Changements politiques et problématique du changement," in: Michel Camau (ed.) *Changements politiques au Maghreb* (Paris: Éditions du CNRS, 1991), p. 9.

65 Pierre Bourdieu, *Language and Symbolic Power* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991), p. 170.

62 المشاركون كريمة.

63 Scott, p. 4.

الجماعة إطاراً لتبرير الحرب، عمقت السياسات الاقتصادية غير المتكافئة الفجوة بين علويّ الريف، الذين قدّموا القسم الأكبر من التضحيات، وعلويّ المدن والنخب الاقتصادية، الذين راكموا الثروة عبر شبكات المحسوبية والتهريب. وأعاد هذا الانقسام تعريف الانتماء، من رابطة طائفية إلى وعي طبقي جديد يتساءل عن عدالة النظام نفسه. ومع أن هذا الوعي لم يتحول إلى حركة سياسية متماسكة، فإنه نزع من النظام إحدى أهم ركائز خطابه، وهي فكرة "المساواة الثورية". وقد جعل الفشل في توزيع الخسائر والمكاسب على نحو متوازن النظام يبدو، حتى في نظر حاضنته، سلطة تحتكر الأمل والربح معاً.

6. تبرز التحركات المدنية والاحتجاجية، بين عامي 2022 و2024، دليلاً على تحوّل الخضوع السلبي إلى فعل رمزي من المقاومة. ولم تكن هذه الحركات تطالب بإسقاط النظام، بل سعت لاستعادة معنى السياسة من خارج مؤسسات الدولة. فهي تمثّل ما يمكن وصفه، بلغة تشارلز تيلي وسيدني تارو، بـ "التحول من الاحتجاج الكامن إلى الاحتجاج العلني"؛ إذ يتحول الغضب المتراكم إلى سلوك جمعي محدود، لكنه كافٍ لكسر احتكار الدولة للفضاء العام⁽⁶⁹⁾.

7. تؤكد هذه التحولات أن سقوط النظام لم يكن نتيجة حتمية للصراع العسكري أو الضغط الخارجي، بل نتاجاً لانهيار التوازن الداخلي بين الدولة وقاعدتها الاجتماعية. فالنظام لم يسقط عندما فقد السيطرة الميدانية على بعض المناطق فحسب، بل عندما فقد السيطرة الرمزية على مجتمعه الحاضن. وتبرهن هذه النتيجة على أن القوة المادية وحدها لا تكفي لضمان البقاء في الأنظمة السلطوية، وأن البقاء مشروط بقدرة السلطة على تجديد عقدها الاجتماعي عبر مؤسسات قادرة على توزيع المنافع وإعادة إنتاج القبول⁽⁷⁰⁾.

وبهذا المعنى، تُظهر نتائج الدراسة أن التحول الأعظم الذي قاد إلى انهيار النظام لم يكن في ميزان القوى العسكري وحده، بل في بنية العلاقة بين الحاكم والطائفة التي شكلت عموده الاجتماعي. ومع انقسامها داخلياً وتآكل قدرتها على إنتاج الولاء الجمعي، فقد النظام غطاءه الاجتماعي والرمزي معاً. ومن ثم، لم تكن نهاية حكم الأسد انهياراً مفاجئاً لبنية صلبة، بل تتويجاً لمسار طويل من التآكل

السياسية ليست ثابتة، بل تتبدل تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية التي تعمل ضمنها⁽⁶⁶⁾.

3. تؤكد التجربة السورية أن الاعتماد المفرط على العنف لا يكفي للحفاظ على الشرعية على المدى الطويل. فمع استمرار الحرب وتزايد الخسائر البشرية، لم يعد الخطاب القائم على الصمود والتضحية قادراً على تعويض التدهور الاقتصادي والاجتماعي الذي أصاب البيئات الحاضنة للنظام. ومع مرور الوقت، بدأت قطاعات من أبناء الطائفة العلوية تقارن بين حجم التضحيات التي قدمتها والمكاسب الفعلية التي تحققت لها، وهو ما أضعف قدرة النظام على إضفاء معنى على تلك التضحيات. وبهذا المعنى، لا تُقاس الشرعية بقدرة الدولة على فرض السيطرة أو تحقيق الانتصارات العسكرية فحسب، بل أيضاً بقدرتها على الحفاظ على منظومة القيم والوعود التي تبرر سلطتها في نظر مؤيديها. وعندما يتسع الفارق بين الخطاب الرسمي والواقع المعيش، تتآكل الأسس الرمزية للشرعية تدريجياً⁽⁶⁷⁾.

4. تشير التحولات التي شهدتها البيئة العلوية خلال سنوات الحرب إلى حدود فعالية الخوف بوصفه أداة للحكم. ففي المراحل الأولى من الصراع، أسهمت المخاوف من التهديدات الأمنية ومن مستقبل الجماعة في تعزيز التماسك خلف النظام. غير أن استمرار الحرب وتزايد التكلفة البشرية والاقتصادية أوجدا مساحات متنامية للتشكيك في الخطاب الرسمي. ولم يُعبّر عن هذا التشكيك دائماً بصورة علنية، بل ظهر غالباً في الأحاديث الخاصة، والشبكات الاجتماعية المحلية، والانتقادات غير المباشرة. ويمكن فهم هذه الديناميات في ضوء تمييز جيمس سكوت بين "النص العلني"، الذي يُظهر الامتثال أمام السلطة، و"النص الخفي"، الذي يتضمن أشكالا من النقد والرفض المتداولة بعيداً عن رقابتها. ومن هذا المنظور، لا يعني استمرار مظاهر الولاء العلني بالضرورة استمرار القناعة بالنظام، بل قد يخفي تآكلاً تدريجياً في الثقة بشرعيته⁽⁶⁸⁾.

5. يُظهر التحليل أن التفكك الطبقي داخل الطائفة العلوية أدى دوراً حاسماً في تقويض شرعية النظام. فبينما وُظفت هوية

66 Fanar Haddad, *Sectarianism in Iraq: Antagonistic Visions of Unity* (London: Hurst & Company, 2011), p. 25.

67 Claire McLoughlin, "Public Services as Carriers of Ideas That (De-) Legitimise the State: The Illustrative Case of Free Education in Sri Lanka," *World Development*, vol. 173 (2024).

68 James C. Scott, *Domination and the Arts of Resistance: Hidden Transcripts* (New Haven: Yale University Press, 1990), p. 19.

69 Charles Tilly & Sidney Tarrow, *Contentious Politics* (Oxford: Oxford University Press, 2015), p. 7.

70 Margaret Levi, *Consent, Dissent, and Patriotism* (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), p. 20.

المراجع

العربية

- أبو خليل، عمر. "خسائر العلويين في سورية وموقفهم من الأسد".
ملفات المركز. مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية
والاستراتيجية. 2015/4/4. في: <https://acr.ps/hBy2t0k>
بشارة، عزمي. الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة. ط 2. الدوحة/
بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
حوراني، رشيد. "الطائفة العلوية في سوريا: التمرد الكامن
والنزيف الصامت". دراسة استراتيجيّة. المؤسسة
السورية للدراسات وأبحاث الرأي العام. 2018/6/22.
في: <https://acr.ps/hBy2t0Y>
غليون، برهان. المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. ط 3. الدوحة/
بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013 [1979].
وورن، تورشتين شيوتر. العلويون: الخوف والمقاومة؛ كيف بنى
العلويون هويتهم الجماعية في سورية؟. ترجمة ماهر الجنيدي،
مراجعة فادي كحلوس. إسطنبول: مركز حرمون للدراسات
المعاصرة؛ دار ميسلون للطباعة والنشر والتوزيع، 2018.

الأجنبية

- Abbas, Samer. "No Homeland, No Future: Alawite Youth as the Backbone of the Assad Regime." *Arab Reform Initiative*. 4/8/2020.
Alatassi, Siham. "The Role of the Syrian Business Elite in the Syrian Conflict: A Class Narrative." *British Journal of Middle Eastern Studies*. vol. 49, no. 3 (2022). at: <https://acr.ps/hBy2sJp>
Bishara, Azmi. *Sectarianism without Sects*. London: Hurst & Company, 2021.
Bourdieu, Pierre. *Language and Symbolic Power*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991.
Camau, Michel (ed.) *Changements politiques au Maghreb*. Paris: Éditions du CNRS, 1991.
Haddad, Bassam. *Business Networks in Syria: The Political Economy of Authoritarian Resilience*. Stanford: Stanford University Press, 2012.

الداخلي، تحوّل فيه الخوف إلى سخط، والولاء إلى طاعة شكلية، والطائفة من حامية للسلطة إلى شاهدة على أفولها.

وتبيّن الدراسة أن العلاقة بين نظام الأسد والطائفة العلوية شهدت، خلال سنوات الحرب السورية، تحوّلًا تدريجيًا من علاقة قائمة على الحماية والولاء إلى أخرى مثقلة بالاستنزاف والخذلان والانقسام الداخلي. فقد نجح النظام، في المراحل الأولى من الصراع، في تعبئة قطاعات واسعة من البيئة العلوية عبر خطاب الخوف الوجودي، وربط بقاء الجماعة ببقاء السلطة. غير أن استمرار الحرب، وتصاعد الخسائر البشرية، وتدهور الأوضاع المعيشية، واتساع الفجوة بين النخب المرتبطة بمراكز النفوذ والفئات التي دفعت التكلفة الأكبر، عوامل أضعفت مجتمعةً الأسس التي قام عليها هذا العقد السلطوي الضمني. وبدلاً من أن تبقى الطائفة فضاءً متماسكاً لإعادة إنتاج الولاء، أصبحت ساحة تتراكم فيها مشاعر السخط والتعب والاعتراض الصامت، قبل أن تتخذ، في مراحل لاحقة، أشكالاً أكثر علنية في النقد والاحتجاج.

ومن هذا المنظور، لا تقترح الدراسة أن سقوط النظام في كانون الأول/ديسمبر 2024 يمكن تفسيره بهذا العامل وحده، بل تجادل بأن تآكل العلاقة بين السلطة وإحدى أهم قواعدها الاجتماعية يكشف بُعداً جوهرياً من أبعاد الانهيار. فالأنظمة السلطوية لا تستمر بالعنف وحده، بل بقدرتها أيضاً على الحفاظ على حدٍّ أدنى من التماسك الاجتماعي والشرعية الرمزية داخل البيئات التي تستند إليها. وعندما يفقد خطاب الحماية قدرته على الإقناع، وتتحول الطائفة من رصيد داعم إلى فضاء منهك ومنقسم، تصبح السيطرة أشد هشاشة مهما استمرت أدوات القسر. وبذلك، تُظهر الحالة السورية أن انهيار النظام لم يكن حدثاً مفاجئاً أو نتيجة حصريّة للتحوّلات العسكرية والإقليمية، بل تتويجاً لمسار طويل من التآكل الداخلي أصاب العلاقة بين الحاكم وقاعدته الاجتماعية، وأفقد السلطة قدرتها على إعادة إنتاج الولاء الذي شكّل أحد أهم شروط بقائها عقوداً طويلة.

- Case of Free Education in Sri Lanka." *World Development*. vol. 173 (2024).
- O'Donnell, Guillermo & Philippe C. Schmitter. *Transitions from Authoritarian Rule: Tentative Conclusions about Uncertain Democracies*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1986.
- Scott, James C. *Weapons of the Weak: Everyday Forms of Peasant Resistance*. New Haven: Yale University Press, 1985.
- _____. *Domination and the Arts of Resistance: Hidden Transcripts*. New Haven: Yale University Press, 1990.
- Tilly, Charles & Sidney Tarrow. *Contentious Politics*. Oxford: Oxford University Press, 2015.
- Wedeen, Lisa. *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria*. Chicago: University of Chicago Press, 1999.
- Yazigi, Jihad. "Syria's War Economy." European Council on Foreign Relations. 7/4/2014. at: <https://acr.ps/hBy2ssO>
- Haddad, Fanar. *Sectarianism in Iraq: Antagonistic Visions of Unity*. London: Hurst & Company, 2011.
- _____. *Understanding Sectarianism: Sunni-Shi'a Relations in the Modern Arab World*. London: Hurst & Company, 2020.
- Hinnebusch, Raymond. *Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant*. Boulder: Westview Press, 1990.
- Jiang, Junyan, Jiang. "Making Bureaucracy Work: Patronage Networks, Performance Incentives, and Economic Development in China." *American Journal of Political Science*. vol. 62, no. 4 (2018).
- Karakuş, Muhammed. "The Weaponization of Grief: How States and Non-State Armed Actors Use Mourning for Political Ends." *Akademik MATBUAT*. vol. 9, no. 1 (2025).
- Keen, David. *The Economic Functions of Violence in Civil Wars*. London: Routledge, 2005.
- Kerr, Michael & Craig Larkin (eds.). *The Alawis of Syria: War, Faith and Politics in the Levant*. Oxford: Oxford University Press, 2015.
- Kuran, Timur. *Private Truths, Public Lies: The Social Consequences of Preference Falsification*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1995.
- Levi, Margaret. *Consent, Dissent, and Patriotism*. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.
- Lund, Aron. *The Ghosts of Hama: The Bitter Legacy of Syria's Failed 1979-1982 Revolution*. Stockholm: Swedish International Liberal Centre, June 2011.
- Makara, Michael. "Rethinking Military Behaviour during the Arab Spring." *Defense & Security Analysis*. vol. 32, no. 3 (2016).
- McLoughlin, Claire. "Public Services as Carriers of Ideas That (De-)Legitimise the State: The Illustrative

عزام القصير | Azzam Al Kassir*

إعادة تشكيل السلطة في سورية ما بعد الأسد: مقاربة نيوباتريمونية Reshaping Power in Post-Assad Syria: A Neopatrimonial Approach

تبحث هذه الدراسة في إعادة تشكيل السلطة في سورية ما بعد الأسد من منظور نيوباتريموني، وتتساءل: أكانت السياسات والإصلاحات المؤسسية التي اعتمدها القيادة الجديدة تمثل قطيعة جوهرية مع الحكم الشخصاني والزيائني، أم أنها تمثل إعادة ضبط للحكم السلطوي ضمن إطار أيديولوجي وتنظيمي جديد؟ تحلل الدراسة المراسيم الرئاسية، والخطاب الرسمي، والتعيينات في مواقع النخبة، وإعادة هيكلة المؤسسات الأمنية والإدارية والاقتصادية والدينية خلال الفترة كانون الأول/ديسمبر 2024- آذار/مارس 2026. وتجادل بأن النظام الناشئ يجمع بين التحديث البيروقراطي والإشراف الشخصاني؛ إذ تظهر المؤسسات الجديدة صورة من الشرعية القانونية والإصلاح والحكومة التكنوقراطية، في حين تبدو السلطة الفعلية متمركزة حول هيئات مرتبطة بمؤسسة الرئاسة، ووسطاء موثوق بهم، وشبكات عائلية، ونخب سابقة من هيئة تحرير الشام وفترة حكم إدلب. وتبين الدراسة أيضاً أن الاعتدال الاستراتيجي والإصلاح المؤسسي لا يشكلان دليلاً على التحول الديمقراطي بقدر ما يعملان بوصفهما من آليات تكيف السلطة النيوباتريمونية، وإضفاء الشرعية عليها وترسيخها. وعلى الرغم من أن هذه الصيغة قد توفر قدرًا من التماسك والمرونة الإدارية على المدى القصير، فإنها تنطوي على مخاطر إضعاف الاستقلال المؤسسي، والحكومة القائمة على الجدارة، والإدماج السياسي والمشاركة.

كلمات مفتاحية: النيوباتريمونية، سورية، ما بعد الأسد، هيئة تحرير الشام، الانتقال السياسي، الزبونية، الحكم الشخصاني.

This article examines the reconfiguration of power in post-Assad Syria through the lens of neo-patrimonialism. It asks whether the policies, appointments, and institutional reforms adopted by the new leadership mark a substantive departure from personalist and clientelist rule, or a recalibration of authoritarian governance within a new ideological and organizational framework. Drawing on a theory-guided qualitative analysis of presidential decrees, official discourse, elite appointments, and institutional restructuring between December 2024 and March 2026, it argues that the emerging order combines bureaucratic expansion with personalized control. While new institutions project legality, reform, and technocratic governance, effective authority remains concentrated in presidency-linked bodies, trusted intermediaries, familial networks, and former HTS/Idlib elites. Strategic moderation and institutional reform thus function less as evidence of democratization than as mechanisms for adapting, legitimizing, and consolidating neo-patrimonial authority. Although this configuration may provide short-term cohesion and administrative flexibility, it risks constraining institutional autonomy, meritocratic governance, and durable political inclusion.



Keywords: Neopatrimonialism, Syria, Post-Assad Syria, Hay'at Tahrir al-Sham (HTS), Political Transition, Clientelism, Personalistic Rule.

* أكاديمي وباحث متخصص في شؤون الحركات الإسلامية وسياسات الشرق الأوسط.

مقدمة

الحكم النيوباتريموني⁽⁴⁾ التي ميزت الدولة السورية عقوداً؟ ويتفرع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات المتعلقة بآليات اختيار النخب السياسية والإدارية، وحدود التداخل بين المؤسسات الرسمية وشبكات النفوذ غير الرسمية، ومدى انعكاس ذلك في كل من الخطاب الرسمي والممارسة المؤسسية. ويركز التحليل على عدد من الثنائيات التي يمكن ملاحظتها في المرحلة الانتقالية، مثل العلاقة بين السلطة الرسمية وغير الرسمية، والتوازن بين معايير الكفاءة والاعتبارات السياسية في التعيينات، والفجوة المحتملة بين الخطاب الإصلاحي والممارسة الإدارية، بوصفها مؤشرات تساعد في فهم طبيعة النظام السياسي قيد التشكل.

ولا تنطلق هذه الدراسة من افتراض مسبق يقول إن سورية تشهد انتقالاً ديمقراطياً أو عودةً إلى أنماط الحكم السلطوي، بل تختبر فرضية مفادها أن المرحلة الراهنة قد تتسم بما يمكن وصفه بـ "المأسسة المزدوجة"؛ أي تعايش مؤسسات رسمية يجري العمل على بنائها مع شبكات نفوذ غير رسمية تستمر في التأثير في عملية صنع القرار بدرجات متفاوتة. ومن هذا المنظور، تسعى الدراسة لتقييم مدى استقلالية المؤسسات الناشئة، وطبيعة العلاقة بينها وبين مراكز النفوذ السياسية، وإن كانت الإصلاحات الجارية تؤسس لتحول مؤسسي مستدام أو تعكس أنماطاً هجينة من الحكم تجمع بين البناء المؤسسي واستمرار بعض الممارسات غير الرسمية.

من الناحية النظرية، تشتبك الدراسة مع أدبيات النيوباتريمونية Neo-patrimonialism والنظم الهجينة لفهم هذه التطورات بوصفها جزءاً من مسار من الاستمرارية، ولا تمثل قطيعة جذرية معها⁽⁵⁾. فالنيوباتريمونية، في هذا السياق، تشير إلى نمط دينامي من التكيف يزدهر في المراحل الانتقالية، حيث تكون المؤسسات ضعيفة والشرعية موضع نزاع. ومن خلال دراسة التعيينات والسياسات

لم يؤد سقوط نظام بشار الأسد، في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، إلى تبلور نموذج سياسي يمكن تصنيفه بصورة واضحة ضمن مسارات الانتقال الديمقراطي أو إعادة إنتاج السلطوية. فما يزال النظام السياسي السوري في طور التشكل، في ظل قيادة الرئيس أحمد الشرع، وسط جهود لإعادة بناء مؤسسات الدولة وإعادة تنظيم العلاقة بين السلطة التنفيذية والأجهزة الإدارية والأمنية. وفي هذا السياق، تسعى هذه الدراسة لتحليل طبيعة النظام السياسي الناشئ، واستكشاف إن كانت الترتيبات المؤسسية والإدارية التي اعتمدتها القيادة الجديدة تمثل تحولاً عن أنماط الحكم السابقة، أو أنها تعكس استمرار بعض خصائصها ضمن أطر تنظيمية ومؤسسية مختلفة.

يعكس النظام السياسي الآخذ في التبلور، والمتأثر بشبكات النفوذ المحيطة بهيئة تحرير الشام، مساراً من إعادة المركزية السياسية مقترناً بلغة الإصلاح وإعادة الإعمار. وتبدو تعهدات الشرع بحماية حقوق جميع السوريين، وبناء حكومة "قائمة على المؤسسات"، في تناقض واضح مع البنى والآليات التي يجري تشييدها في الواقع⁽¹⁾. فالإعلان الدستوري الصادر في آذار/ مارس 2025، مثلاً، لم يوزع السلطة، بل ركّز الصلاحيات التنفيذية بوضوح في يد الرئاسة. فالرئيس يعيّن الأعضاء السبعة في المحكمة الدستورية العليا، ويرأس مجلس الأمن الوطني الذي يحدد هو تركيبته، ويحتفظ بصلاحيات منفردة في إعلان حالة الطوارئ، من دون رقابة برلمانية أو قضائية حقيقية وفعالة⁽²⁾. وتعزز تركيبة النخبة الحاكمة هذا التمرکز البنوي؛ إذ ما زالت شبكات مرتبطة بهيئة تحرير الشام تهيمن على مفاصل الحكم والقرار. أضف إلى ذلك أن عملية تأسيس أول برلمان بعد سقوط نظام الأسد جرت عبر لجان محلية معيّنة؛ ما منح الرئيس تأثيراً حاسماً في تشكيل البرلمان، ورسخ السلطة السياسية بيد الرئاسة بدلاً من مشاركتها⁽³⁾.

تناقش هذه الدراسة سؤالاً رئيساً مفاده: إلى أي حدّ تمثل السياسات والإصلاحات المؤسسية في مرحلة ما بعد الأسد قطيعة مع أنماط

4 إن استخدام "نيوباتريموني" بهذه الصيغة نابع من كون الترجمات العربية المتوافرة، من قبيل "زبونية" أو "زبائنية" أو "زبائنية محدثة" أو "عصبوية"، لا تعبر سوى عن جانب من جوانب الظاهرة، في حين أن المقصود هو تداخل المؤسسات والبنى وآليات الحكم الرسمية مع شبكات الولاء والعلاقات الشخصية غير الرسمية. أمّا السابقة "نيو"، فتشير بالتحديد إلى إعادة إنتاج النمط الباتريموني ضمن إطار الدولة الحديثة، لا العودة إلى أشكال الباتريمونية التقليدية السابقة التي يُعتبر ماكس فيبر أبرز علماء الاجتماع السياسي الذين شرحوها وشرحوها.

5 ينظر:

Michael Bratton & Nicolas van de Walle, *Democratic Experiments in Africa: Regime Transitions in Comparative Perspective* (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), pp. 63–68; Gero Erdmann & Ulf Engel, "Neopatrimonialism Revisited: Beyond a Catch-All Concept," *Working Paper no. 16*, German Institute of Global and Area Studies (2006); Steven Levitsky & Lucan A. Way, *Competitive Authoritarianism: Hybrid Regimes after the Cold War* (New York: Cambridge University Press, 2010).

1 Ahmed al-Sharaa, "Syrian Rebel HTS Leader Says Goal Is to 'Overthrow' Assad Regime," *CNN*, 6/12/2024, accessed on 14/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sOY>

2 Human Rights Watch, "Syria: Constitutional Declaration Risks Endangering Rights," *Human Rights Watch website*, 25/3/2025, accessed on 14/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2t5z>

3 Patricia Karam, "Prospects for Syria's Democratization Under Ahmed al-Sharaa," *Arab Center Washington DC website*, 21/11/2025, accessed on 15/3/2026, at: <https://acr.ps/hBy2si6>

الترتيب السياسي، مثل توازي مسارات التحديث المؤسسي الشكلي والسيطرة المشخصة غير الرسمية. والغاية هي بناء قراءة نظرية مسندة بأدلة قابلة للتتبع، تفسر كيف يعاد إنتاج النيوباتريمونية عبر السياسات الرسمية والممارسات غير الرسمية في سياق انتقالي.

تتقدم الدراسة في ثلاثة اتجاهات رئيسة. تبدأ أولاً بمراجعة أدبيات النيوباتريمونية والنظم الهجينة والمأسسة الصورية، واضعة التجربة السورية ضمن الدراسات المقارنة المتعلقة بالحكم في مراحل ما بعد النزاع. ثم تنتقل إلى دراسة المرحلة المباشرة التي أعقبت سقوط الأسد، عبر عرض السياسات والتعيينات والتحولات الخطائية التي تحدد مقارنة القيادة الجديدة لإعادة الإعمار وبناء السلطة. أما القسم الأخير فيجمع بين الرصد والتحليل النقدي، متتبعةً الكيفية التي تعيد بها الشبكات غير الرسمية والقيود الأيديولوجية والتعددية المضبوطة تشكيل الدولة، ومستعرضةً دلالات هذه العمليات وانعكاساتها المحتملة على المستقبل السياسي السوري. وتعود الخاتمة إلى السؤال المركزي، متأملة الشروط التي قد يتطور في ظلها هذا النظام الهجين الناشئ، أو يترسخ، أو يتفكك.

أولاً: فترة ما بعد الأسد من منظور نيوباتريمووني

يحتاج النظام قيد التشكل، في سورية بعد الأسد، إلى أدوات تحليلية قادرة على التقاط الاستمرارية والتحول معاً. فقد خرج هذا النظام من انهيار نظام سلطوي طويل الأمد، لكنه لا يبدو قابلاً للفهم الكامل من خلال التصنيفات التقليدية للانتقال السياسي، مثل الديمقراطية، أو النظم الهجينة، أو إعادة الإعمار بعد النزاع. فهذه التصنيفات لا تكفي للإحاطة بنظام يستخدم لغة الإصلاح والمشاركة وحكم القانون، بينما تبدو سياساته العملية كأنها تعيد إنتاج منطق الحكم الشخصاني.

يوفر مفهوم النيوباتريمونية مدخلاً مفيداً لتحليل هذه المفارقة. يشير المفهوم إلى نظم تتعايش فيها البنى المؤسسية الرسمية مع أشكال مشخصة من السلطة، بل تخضع لها في كثير من الأحيان. وضمن تركيبة كهذه، لا تعمل الأطر البيروقراطية والقانونية على ضبط أداء السلطة التنفيذية ومراقبته بقدر ما تمنحها مظهرًا من الشرعية⁽⁷⁾. ويساعد هذا المفهوم على فهم كيف يمكن أن لا يمثل الحكم المتشكّل

الاقتصادية وإعادة هيكلة الأجهزة الأمنية والإدارية منذ أواخر عام 2024، تبين الدراسة كيف يجري نسج الشبكات الشخصية والولاءات التنظيمية والأيديولوجية ضمن عملية إعادة بناء الدولة، بما يفضي إلى مركّب هجين يجمع بين الشكل البيروقراطي والجوهر الباتريمويني.

تجدر الإشارة هنا إلى أن التعيينات القائمة على الولاء، والتعددية المضبوطة والمتحكم فيها، قد تسهم في حفظ التماسك على المدى القصير، لكنها تنطوي على مخاطر جدية تهدد استقرار الكيان السياسي على المدى الأبعد. ففي النظم الشخصانية، كما تلاحظ باربرا غيديس، يعتمد الوصول إلى المنصب وما يرافقه من مكافآت مادية على تقدير الحاكم، بحيث "تسود أهواء الحاكم" على أي اعتبارات مؤسسية للاختيار أو المساءلة⁽⁶⁾. فتقديم الولاء على الكفاءة يعوّق ترسيخ القواعد العامة ونشوء جهاز بيروقراطي محترف وحوكمة قائمة على الاستحقاق. وتكون النتيجة توازنًا هشًا يحافظ على النظام عبر المحسوبية والدمج Co-optation، على حساب التمكين والتأهيل والمأسسة.

منهجيًا، تعتمد هذه الدراسة مقارنة دراسة الحالة الكيفية لتحليل إعادة تشكيل السلطة في سورية ما بعد الأسد. ونظرًا إلى الأمانة الشديدة التي يتسم بها السياق الانتقالي، تستند الدراسة إلى منهجية تجمع بين الآليات الكيفية التالية: تحليل الوثائق، وتحليل الخطاب، ورسم خرائط النخب والتعيينات. أولاً، تفحص الدراسة التطورات المؤسسية الرسمية من خلال المصادر الحكومية، بما في ذلك المراسيم الرئاسية والتصريحات الحكومية وإجراءات إعادة الهيكلة التنظيمية. ثانيًا، تقدم تحليلًا خطائياً لعدد من التصريحات والخطب والمقابلات الإعلامية الصادرة عن شخصيات أساسية في النخبة السياسية الصاعدة. وقد ركزت عملية الترميز على مؤشرات متكررة، من بينها: المركزية، والصلاحيات الرئاسية، والتغيير المؤسسي، وتدوير النخب الحاكمة، والقرباة العائلية، واستخدام لغة إصلاحية أو تكنوقراطية. ثالثًا، تحلل الدراسة أنماط التعيين والسلطة غير الرسمية استناداً إلى سجلات متاحة للعموم، بغرض تتبع مسارات شخصيات نخبوية مختارة تكشف تعييناتها في المؤسسات العسكرية والاقتصادية والإدارية عن أنماط من الثقة القائمة على العلاقات الشخصية، ومن تدوير النخب داخل النظام الانتقالي. وتغطي المادة المدروسة الفترة كانون الأول / ديسمبر 2024 - آذار / مارس 2026.

ولا يجري التعامل مع هذه المصادر بمعزل بعضها عن بعض؛ إذ يمضي التحليل من خلال مقابلة الادعاءات الخطائية بالهيكلية المؤسسية وبأنماط توزيع السلطة. ويتيح ذلك تحديد الصبغ المتكررة من

7 Gero Erdmann & Ulf Engel, "Neopatrimonialism Reconsidered: Critical Review and Elaboration of an Elusive Concept," *Commonwealth & Comparative Politics*, vol. 45, no. 1 (2007), p. 105.

6 Barbara Geddes, "Authoritarian Breakdown," *Working Paper*, Department of Political Science, University of California (January 2004), pp. 4-5.

على شبكات غير رسمية من الزبونية وتوزيع الموارد لضمان ولاء النخب⁽¹⁰⁾. وهكذا تعمل سلطة الحاكم في مستويين متوازيين: مستوى المؤسسات الرسمية، ومستوى الشبكات غير الرسمية التي تمتد داخل الدولة والمجتمع. ولا تلغى المؤسسات بالضرورة؛ بل قد تبقى وتتوسع، ما دامت تخدم مصالح شخصية أو فئوية ولا تتحول إلى قيود حقيقية على السلطة.

تكمُن أهمية النيوباتريمونية في أنها تلتقط مفارقة مركزية في السلطويات الحديثة، تتمثل في وجود شكل بيروقراطي حديث إلى جانب جوهر شخصاني. وتوفر أيضاً مفردات مناسبة لدراسة أنظمة تبدو إصلاحية أو تكنوقراطية وتحليلها، لكنها في الواقع محكومة بمنطق الولاء والمكافأة وتبادل المنفعة. ففي هذه النظم، لا تعمل البرلمانات والانتخابات والحكومات بالضرورة بصفاتها لتنظيم التشريع وممارسة الحكم والمساءلة، بل بصفاتها آليات لتنظيم التنافس داخل النخبة، وتوزيع الموارد والامتيازات، وإدارة تصورات العموم عبر الإيحاء بالاستجابة واحتواء التذمر⁽¹¹⁾.

2. النيوباتريمونية والدولة العربية

اكتسب مفهوم الباتريمونية والنيوباتريمونية في الأدبيات العربية ملامح خاصة، ارتبطت بتجربة تشكّل الدولة في العالم العربي. فقد ربط باحثون عرب، مثل خلدون النقيب وأشرف عثمان، استمرار الحكم الشخصاني بإرث الاستعمار، والاقتصادات الريعية، والسياسات الأهلية، والطائفية⁽¹²⁾. وقد سعى النقيب، من خلال مفهوم الدولة التسلطية وعلاقات العصبية، لتفسير الطريقة التي ربطت عبرها أنظمة عربية كثيرة بين المركز البيروقراطية ومنطق القرابة والطائفة. أما عثمان، في دراسته عن الدولة النيوباتريمونية في المشرق العربي، فقد أعاد توظيف النموذج الفييري في السياق العربي، معتبراً أن الدولة النيوباتريمونية تتحدث بلغة البيروقراطية الحديثة، لكنها تعمل عبر شبكات غير رسمية قائمة على الولاء والزبونية⁽¹³⁾.

في سورية قطيعة فعلية وتامة مع السلطوية، بل إعادة تشكيل لها. ففي هذه الصيغة الجديدة، يجري توظيف مفردات القانون والتكنوقراطية والاعتدال من أجل إعادة إنتاج أنماط مشخصة من السيطرة وتثبيتها ضمن ترتيبات مؤسسية جديدة.

1. من الباتريمونية إلى النيوباتريمونية

لا تزال نظرية ماكس فيبر في أنماط السلطة مدخلاً أساسياً لفهم استمرار الهيمنة المشخصة في السياسة الحديثة، فهو يرى أن الباتريمونية تمثّل تمطّاً فرعياً من السلطة التقليدية؛ إذ يقوم الخضوع على الولاء الشخصي للحاكم بدلاً من الالتزام بقواعد وأعراف مجردة وغير شخصية⁽⁸⁾. في هذا النمط، تصبح أسرة الحاكم، أو دائرته الخاصة، نواة الحكم. وتبدو الإدارة امتداداً لإرادته الشخصية، ويضعف التمييز بين الملكية العامة والملكية الخاصة. ومن خلال سيطرة الحاكم على التعيينات والموارد، يتحول المنصب العام إلى ما يشبه الملكية التي يمنحها الحاكم أو يسحبها بوصفها منحة أو مكافأة. وهكذا يصبح الحكم شبكة من الولاءات الشخصية، تقوم على الزبونية والالتزامات المتبادلة. وفي مثل هذا النظام، تضيق قدرة المؤسسات على التطور المستقل؛ لأن الولاء السياسي يتقدم باستمرار على القواعد والإجراءات الموضوعية.

أعاد باحثون كثر قراءة مفهوم فيبر في النصف الثاني من القرن العشرين، في ضوء التحولات التي شهدتها مجتمعات ما بعد الاستعمار والدول النامية. وقد لاحظ باحثون، مثل صامويل آيزنشتات وجان فرانسوا ميدارد وكريستوفر كلافام، أن كثيراً من الدول الجديدة جمعت بين مؤسسات بيروقراطية رسمية وممارسات غير رسمية تقوم على الزبونية والحكم الشخصي⁽⁹⁾. ومن هذه الازدواجية نشأ مفهوم النيوباتريمونية، الذي يشير إلى نمط هجين من الحكم تتعايش فيه الهياكل البيروقراطية الحديثة مع ممارسات باتريمونية. وبحسب كل من ميكائيل براتون ونيكولاس فان دي وال، وجيرو إردمان وأولف إنغل، وأندري بانك وتوماس ريختر، تحافظ النظم النيوباتريمونية على واجهة قانونية وبيروقراطية، لكنها تعتمد في الوقت نفسه

10 Bratton & van de Walle, pp. 63-68; Erdmann & Engel; Andre Bank & Thomas Richter, "Neopatrimonialism in the Middle East and North Africa: Overview, Critique and Alternative Conceptualization," *Working Paper*, German Institute of Global and Area Studies, (2010).

11 Steven Heydemann, "Upgrading Authoritarianism in the Arab World," *Saban Center Analysis Paper*, no. 13 (2007), pp. 10-15.

12 خلدون حسن النقيب، *المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف* (لندن: روتليدج، 1991).

13 أشرف عثمان، "الدولة النيوباتريمونية في المشرق العربي: في المنطق العسوي وإعادة إنتاج الطائفية"، *عمران*، مج 3، العدد 11 (شتاء 2015)، ص 39-62.

8 Max Weber, *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*, Guenther Roth & Claus Wittich (eds.) (Berkeley: University of California Press, 1978), pp. 231-234.

9 Shmuel N. Eisenstadt, *Traditional Patrimonialism and Modern Neopatrimonialism* (Beverly Hills, CA: Sage Publications, 1973); Jean-François Médard, "The Underdeveloped State in Tropical Africa: Political Clientelism or Neopatrimonialism?" in: Christopher Clapham (ed.), *Private Patronage and Public Power: Political Clientelism in the Modern State* (London: Frances Pinter, 1982), pp. 92-162; Christopher Clapham, *Third World Politics: An Introduction* (Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1985).

المعنى، لا يدل بالضرورة على تطور أيديولوجي عضوي أو حقيقي، بل قد يكون استراتيجية محسوبة للبقاء وترسيخ السلطة⁽¹⁷⁾. وهو يعكس قدرة الفاعلين السياسيين على تعديل خطابهم وسلوكهم استجابة للقيود والفرص المتغيرة، مع الحفاظ على البنى العميقة للسلطة.

في سورية ما بعد النزاع، تقدم القيادة الخارجية من تجربة هيئة تحرير الشام مثالاً واضحاً على ذلك. فهي تواجه مجتمعاً مفككاً، وتحتاج إلى شرعية داخلية وخارجية في الوقت نفسه؛ لذلك تستخدم لغة الإشراف والإصلاح، لتقديم حكمها بوصفه قطيعة مع ممارسات الإكراه التي ميزت عهد الأسد. لكن تحت سطح الاعتدال هذا، يستمر منطق شخصاني عميق في إدارة السلطة، حيث ترتبط التعيينات والموارد والوصول إلى القرار بشبكات الولاء والتفاهات غير الرسمية.

وفي هذا السياق، يعمل الاعتدال الاستراتيجي بصفته آليةً خطائية من آليات النيوباتريمونية، فهو يسمح للحكام بتبني خطاب الحوكمة العقلانية، وفي الوقت نفسه، تحييد التحديات والمنافسين من داخل النظام وخارجه. وغالباً ما يهدف هذا الاعتدال المحسوب في اللغة والسياسة إلى إضفاء الشرعية على مؤسسة السلطة، لا إلى ديمقريتها. ومن ثم، فهو لا يشير بالضرورة إلى الابتعاد عن الممارسات الباتريمونية، بل إلى تحديثها عبر إدخال الولاء الشخصي في لغة بناء الدولة والأداء السياسي.

ومن هذه الزاوية، يجسد النظام السوري الناشئ قدرة الحكم النيوباتريموني على التكيف بعد الانتفاضات العربية. فالنظم التي صمدت أو عادت إلى الظهور بعد الثورات وموجات الاضطراب في المنطقة لم تفكك الحكم الشخصاني، بل تبدو كأنها تعيد تغليفه في أطر معتدلة ومدنية في ظاهرها. وتبين الحالة السورية كيف يمكن أن يعمل الاعتدال والإصلاح المؤسسي بصفتهما لغة سياسية لمرحلة ما بعد الثورة، تجمع بين الوعد بالتغيير وترسيخ المركزية.

ثانياً: من إدلبي إلى المسرح الوطني: طريق هيئة تحرير الشام إلى السلطة

يمثل الانهيار السريع لنظام الأسد نقطة تحول كبرى في الحياة السياسية السورية؛ ففي 8 كانون الأول / ديسمبر 2024، دخلت قوات المعارضة بقيادة هيئة تحرير الشام دمشق، مُنهيّة أكثر من خمسة عقود من حكم آل الأسد. كان هذا الحدث مفاجئاً ومتوقعاً

تلتقي هذه التحليلات عند فكرة مهمة مفادها أن المنطق الباتريموني في العالم العربي ليس بقايا من زمن ما قبل الحداثة فحسب، بل هو أيضاً نتيجة بنيوية لأمّاط معيّنة من بناء الدولة الحديثة. فقد استبدلت جمهوريات ما بعد الاستقلال، في مصر وسورية والعراق، الوصاية الاستعمارية بسلطوية تستند إلى القرابة والمنطقة والطائفة والولاء. ووفرت الموارد الناتجة من النفط أو المعونات الخارجية أو السيطرة العسكرية أساساً مادياً لهذه الشبكات. وحتى حينما جاءت موجات لاحقة من اللبلة الاقتصادية والإصلاحات السياسية، فإنها لم تكسر هذا النمط، بل أعادت تشكيله من خلال إدخال نخب جديدة في بنى وشبكات الولاء الشخصي نفسها. وبذلك، حدثت الدولة العربية شكلها البيروقراطي، من دون أن تنجز تحديثاً سياسياً حقيقياً. فقد اكتسبت شكلاً مؤسسياً سورياً، لكنها ظلت شبه خاوية من مضامين المواطنة والمساءلة والحكم الرشيد⁽¹⁴⁾.

وقد دفع استمرار هذه النظم باحثين كثيرًا إلى إدراج النيوباتريمونية ضمن نقاش أوسع بشأن السلطوية الهجينة والمأسسة السورية. فالنظم المعاصرة في المنطقة تقدم غالباً مزيجاً من التعددية المضبوطة والإصلاح الإجرائي، مع الحفاظ على السلطة المشخصة تحت غطاء قانوني⁽¹⁵⁾؛ إذ تُعقد الانتخابات، وتُعدّل الحكومات، وتُشكّل لجان الإصلاح، لكن هذه الآليات تعيد في المقام الأول تدوير النخب ولا تفتح الباب أمام مساءلة حقيقية أو فرص أوسع للحراك الاجتماعي. وفي هذه الحالة، لا تستند شرعية الحاكم إلى الإكراه وحده، بل إلى أداء قانوني يوحى بالإشراك والانفتاح. ويؤدي تعايش السلطة غير الرسمية مع المؤسسات الرسمية إلى إنتاج مظهر من الحكم العقلاني، يخفي استمرار علاقات التبعية الهرمية⁽¹⁶⁾.

3. الاعتدال الاستراتيجي آلية لترسيخ النيوباتريمونية

ضمن هذا الإطار النظري، قد يكون مفهوم الاعتدال الاستراتيجي Strategic Moderation، الذي طورته في أبحاث سابقة عن القصيدة وتأثير الجناح الراديكالي، أن يقدم إضافة تفسيرية. فالاعتدال، بهذا

14 Nazih Ayubi, *Over-Stating the Arab State: Politics and Society in the Middle East* (London: I.B. Tauris, 1995), pp. 328-345; Raymond Hinnebusch, *Syria: Revolution from Above* (London: Routledge, 2001), pp. 7-11.

15 Levitsky & Way, pp. 5-6.

16 Oliver Schlumberger, "Arab Authoritarianism: Debating the Dynamics and Durability of Nondemocratic regimes," in: Oliver Schlumberger (ed.), *Debating Arab Authoritarianism* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2007), pp. 1-8; Steven Heydemann, "Syria and the Future of Authoritarianism," *Journal of Democracy*, vol. 24, no. 4 (2013), pp. 59-73.

17 Azzam Al Kassir, "'Intentionality' in Radical Flank Effects: Reflections on Al-Nusra Front's Discourse of Moderation between 2012-2017," *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 52, no. 4 (2025), pp.954-974.

كثرت تنافسوا على ملء الفراغ الأمني والإداري. ووسط هذا المشهد، تميزت جبهة النصرة، التي أعلن عن تأسيسها رسميًا في كانون الثاني/يناير 2012، بانضباطها العمليتي، وقماتها الأيديولوجية، وقدرتها على الوصول إلى شبكات الدعم الجهادي العابرة للحدود.

بين مطلع عام 2013 ومنتصف عام 2016، عملت جبهة النصرة بوصفها الفرع الرسمي الوحيد للقاعدة في سورية. وقد استفادت من هذا الارتباط لتعزيز قدراتها، وجذب المقاتلين، ومواجهة تهديد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش". وقد منحها هذا الوضع بعض الشرعية الأيديولوجية داخل الأوساط الجهادية، وفتح أمامها شبكات تمويل وخبرة ومقاتلين عابرين للحدود. لكنه جعلها، في الوقت نفسه، عرضة لضغوط متزايدة من الداخل والخارج⁽²⁰⁾.

في عامي 2016 و2017، دخلت الجماعة مرحلة من إعادة التسمية وإعادة التوقيع التنظيمي. فقد أعلن عن جبهة فتح الشام في منتصف عام 2016، ثم تشكلت هيئة تحرير الشام في كانون الثاني/يناير 2017. وقد مثل ذلك محاولة لإعادة وضع الحركة داخل المجال الثوري السوري، لا بوصفها فرعًا جهاديًا عابرًا للحدود، بل بوصفها فاعلاً سورياً محلياً⁽²¹⁾. وقد عكس هذا التحول ضغوطاً خارجية متزايدة، وعكس، أيضاً، قلق مجتمعات محلية من تكلفة الارتباط بالقاعدة، وطموح قيادة الهيئة إلى تجاوز حدود الإطار الجهادي الضيق.

تحت قيادة أبي محمد الجولاني (الاسم الحركي الذي عُرف به الشرع حينها)، بدأت الهيئة تقدم نفسها فاعلاً ثورياً محلياً قادراً على مقاومة النظام، وقدّمت نموذجاً قابلاً للحكم في المناطق الخاضعة لسيطرتها. ولم يكن هذا التحول تغييراً في الاسم أو الخطاب فحسب، بل كان أيضاً جزءاً من محاولة أوسع لإعادة بناء الموقع السياسي والتنظيمي للحركة.

وفي الفترة الممتدة بين تشكيل الهيئة والأشهر التي سبقت حملة ردع العدوان، طوّرت الهيئة نموذج حكم جمع بين الإشارات الأيديولوجية وبناء الدولة على نحو براغماتي. وكان من أبرز تطورات هذه المرحلة إنشاء

أيضاً؛ فهو مفاجئ بسبب سرعة انهيار سيطرة النظام، ومتوقعاً بالنظر إلى طول أمد الحرب، وتفكك قاعدة النظام، واستنزاف موارده، وتراجع الدعم الخارجي الذي اعتمد عليه، إضافة إلى تغيرات أوسع في السياق الإقليمي.

1. هيئة تحرير الشام: من التمرد إلى السلطة الفعلية

تعود جذور هيئة تحرير الشام إلى تشكيلات مسلحة سابقة ظهرت خلال الحرب السورية، وفي مقدمتها جبهة النصرة، التي كانت فرع القاعدة في سورية بين عامي 2013 و2016، إلى جانب فصائل إسلامية أخرى. وقد تأسست الهيئة رسميًا في 28 كانون الثاني/يناير 2017، من خلال اندماج عدة مجموعات مسلحة. وسعت منذ ذلك الوقت لترسيخ هيمنة التيار الإسلامي المسلح في إدلب والمناطق المحيطة بها. خلال السنوات اللاحقة، طورت الهيئة استراتيجية مزدوجة جمعت بين الفعالية العسكرية والحكم المحلي. فقد قضت على مجموعات منافسة، وشددت قبضتها على إدلب، وبنّت مؤسسات شبه دولية تحت مظلة "حكومة الإنقاذ". ويشير عدد من الباحثين إلى أن الهيئة ابتعدت تدريجيًا عن النزعة الجهادية العابرة للحدود، واتجهت نحو صيغة أكثر محلية وبراغمية من الحكم الإسلامي، تركز على سورية وسياقها الداخلي⁽¹⁸⁾.

بحلول أواخر عام 2023 وخلال عام 2024، كانت هيئة تحرير الشام قد أصبحت الفاعل المعارض الأشد تنظيمًا وفعالية؛ إذ لم تكن تملك قاعدة جغرافية متماسكة وإدارة محلية فاعلة في الشمال الغربي فحسب، بل امتلكت أيضًا القدرة العسكرية، والتحالفات، وأدوات التفاوض اللازمة لتنسيق حملة "ردع العدوان"، وهي الهجوم المشترك الذي أسقط قوات النظام خلال أحد عشر يومًا فقط⁽¹⁹⁾. وهذا التطور مهم لفهم المرحلة الانتقالية اللاحقة؛ فالهيئة لم تعد فصيلة مسلحة، بل أصبحت أيضًا فاعلاً شبه دولتي قادراً على بناء التحالفات، وعقد التفاهات، واستشراف ملامح النظام في مرحلة ما بعد الأسد.

ولا يمكن فهم صعود هيئة تحرير الشام من دون وضعه في سياق التحولات السياسية والاجتماعية الأوسع التي شهدتها سورية والمنطقة خلال العقد الأخيرين. فقد أدى انهيار سلطة الدولة في أجزاء واسعة من البلاد بعد عام 2011 إلى فتح المجال أمام فاعلين مسلحين

18 للاستزادة، ينظر: عزام القصر، "استراتيجيات البقاء لدى 'هيئة تحرير الشام': ثلاثية الإدارة والعسكرة والخطاب"، المركز العربي لدراسات سورية المعاصرة، 2023/9/18.

19 Huzeir E. Dzulhisham, "Explaining the Collapse of Syria's Assad Regime," *RSIS Commentary*, no. 193/2024, 13/12/2024, accessed on 4/8/2026, at: <https://acr.ps/hBybGld>

20 بين مطلع عام 2013 ومنتصف عام 2016، استفادت جبهة النصرة من موقعها بوصفها الفرع السوري لتنظيم القاعدة لتعزيز صفوفها ومواردها. فقد عيّنت القيادة المركزية للقاعدة، بقيادة أيمن الظواهري، جبهة النصرة، رسميًا، فرعًا لها بعد انفصالها عن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام؛ ما منحها شرعية أيديولوجية وإمكانية الوصول إلى تمويل جهادي عابر للحدود، ومقاتلين أجانب، وخبرات تنظيمية. وقد مكّن هذا الارتباط جبهة النصرة من خوض الحرب على عدة جبهات، بما في ذلك ضد قوات الأسد، وتنظيم داعش، وفصائل من الجيش السوري الحر. ينظر: عقيل حسين، "الجولاني والتيار السلفي: حين تتحول المظلومية إلى وجهة نظر"، المبدن، 2020/6/24، شوهد في 2026/9/1، <https://acr.ps/hBy9aWi> في:

21 Aymenn J. al-Tamimi, "From Jabhat al-Nusra to Hay'at Tahrir al-Sham: Evolution, Approach and Future," Konrad Adenauer Stiftung (2018).

الشخصية، وإعادة الهيكلة السريعة ستكون من السمات الحاسمة في الأشهر الأولى من تشكل النظام الجديد⁽²²⁾.

تحركت القيادة الجديدة، مباشرة بعد سقوط الأسد، لتثبيت السلطة وتقديم صورة عن إصلاحات وطنية. وجرى تفكيك ما تبقى من البنى الرسمية للنظام القديم، وأُجِلَّت محلها أجهزة أمنية ووحدات عسكرية نخوية، أو دُمجت في بنى جديدة. وفي أواخر آذار/ مارس، تشكلت حكومة جديدة لإدارة المرحلة الانتقالية، وشغلت شخصيات مرتبطة بالهيئة معظم المناصب العليا فيها⁽²³⁾. وسبق ذلك عقد جولة سريعة من الحوار الوطني، قُدمت في الخطاب العام بوصفها شاملة وقائمة على إشراك الجميع، لكن مشاركة قوى المعارضة والأقليات والمجتمع المدني ظلت محدودة عملياً⁽²⁴⁾.

نُظر إلى الأشهر الثلاثة الأولى بعد سقوط النظام على أنها مرحلة سلسلة نسبياً، على الرغم من أن علامات التحديات الأعمق كانت تتراكم تحت السطح. غير أن موجة التفاؤل التي عمّت سورية في تلك المرحلة توقفت فجأة مع وقوع مجازر في مناطق الساحل ذات الغالبية العلوية في آذار/ مارس 2025. فقد جاءت المشاهد والشهادات الصادمة من تلك المناطق لتناقض بوضوح الصورة التي سعت قيادة الشرع لتقدمها عن ضبط النفس والحكم المسؤول. وأظهر التصاعد المفاجئ للعنف الطائفي أن الأجهزة الأمنية والعسكرية الجديدة إما كانت متراخية، أو عاجزة بدرجة خطيرة⁽²⁵⁾.

ثم ازداد الوضع سوءاً مع طريقة تعامل القيادة الجديدة مع أزمة السويداء في تموز/ يوليو، حينما شنت قوات أمنية ومجموعات مسلحة حليفة لها هجوماً دامياً في مناطق جنوبية تقطنها غالبية درزية⁽²⁶⁾. وفشلت الحملة العسكرية في تحقيق أهدافها، وفتحت شرخاً عميقاً سيحتاج إلى وقت طويل لمعالجته. وقد عمقت هذه الإخفاقات الأمنية القلق العمومي، وكشفت حدود قدرة السلطات الجديدة على التصرف بصفتها حكماً محايداً في مجتمع مفكك ومثقل بالجراح.

22 ينظر مثلاً:

Feras Dalatey & Timour Azhari, "Syria Is Secretly Reshaping Its Economy. The President's Brother Is in Charge," *Reuters Investigations*, 24/7/2025, accessed on 4/8/2026, at: <https://acr.ps/hBybGOP>

23 "Syrian President al-Sharaa Unveils Transitional Government," *Al Jazeera English*, 30/3/2025, accessed on 4/8/2026, at: <https://acr.ps/hBybGu6>

24 ثائر المحمد، "مؤتمر الحوار الوطني السوري ... محطات بارزة من البداية إلى النهاية"، *تلفزيون سوريا*، 2025/2/25، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybH7r>

25 "لجنة الأمم المتحدة بشأن سوريا تخلص إلى أن أعمال العنف التي وقعت في الساحل في آذار/ مارس كانت منهجية وواسعة النطاق"، مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، 2025/8/12، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBy9aWX>

26 عبد الله البشير، "خبراء أمميون يطالبون بحاسبة المتورطين في أعمال العنف في السويداء"، *العربي الجديد*، 2024/8/20، شوهد في: <https://acr.ps/hBybHe3>

"حكومة الإنقاذ السورية"، التي عملت بوصفها إطاراً بيروقراطياً لإدارة الخدمات العامة، والشؤون البلدية، والإدارة المدنية في مناطق سيطرة الهيئة. وعلى الرغم من أن حكومة الإنقاذ بدت من الناحية الشكلية منفصلة عن البنية العسكرية للهيئة، فإنها عملت ضمن حدود رسمتها قيادة التنظيم بصورة غير معلنة. فظل القرار الحقيقي مركزاً في الدائرة الضيقة المحيطة بالجولاني، وفي الأجهزة الأمنية، ولا سيما جهاز الأمن العام الذي مارس رقابة فعلية على النشاط القضائي والإداري والاقتصادي.

وتشكلت المؤسسات القضائية بطريقة مشابهة؛ فقد اعتمدت الهيئة إطاراً شرعياً معدلاً، لكنها لم تلتزم بالصلابة التي ميزت نماذج سلفية جهادية سابقة. وبدلاً من ذلك، أدخلت عناصر من الأعراف المحلية والتحكيم الأهلي؛ ما أتاح أشكالا من تسوية النزاعات كانت مألوفة لدى المجتمعات المحلية. وقد ساعد هذا التطبيق المرن للشرعية في تخفيف المقاومة الشعبية، وعزز ادعاء الهيئة بأنها تقدم بديلاً مستقراً للفوضى التي سادت مناطق أخرى خاضعة لفصائل معارضة.

ووسّعت الهيئة قوات الشرطة والأمن، وأنشأت بنى تعمل بصفتها أجهزة إنفاذ شبيهة بأجهزة الدولة. وانخرطت في نشاط دبلوماسي محدود، ولا سيما مع تركيا، بما عزز صورتها بوصفها الفاعل الوحيد في الشمال الغربي القادر على توفير قدر من الاستقرار. لكن هذه البنى المؤسسية أخفت وراءها نظاماً شديداً المركزة، يقوم على شبكات ولاء غير رسمية، وسلطة شخصية، وإدارة أمنية للاعتراض. وبحلول عشية حملة ردع العدوان، كانت الهيئة قد بنت نظاماً إدارياً يشبه، في مظهره الخارجي، نظام الحكم المدني، لكنه ظل في جوهره متسقاً مع متطلبات حركة عسكرية هرمية.

2. هيئة تحرير الشام والانتقال إلى سورية ما بعد الأسد

عندما انهار نظام الأسد، ملأت هيئة تحرير الشام والقوى المتحالفة معها الفراغ الذي خلفه. غير أن الانتقال لم يكن سلساً ومباشراً، بل جرى عبر مراحل. فبعد سقوط النظام مباشرة، تحركت قيادة الهيئة بقيادة الشرع، بسرعة، لترسيخ سيطرتها. وخلال أسابيع، أعلنت ترتيبات انتقالية، وأقصيت البنى البرلمانية والبعثية القديمة، وبدأ مسار إعلان دستوري جديد. وفي 13 آذار/ مارس 2025، وقّع إعلان دستوري مؤقت حدد مرحلة انتقالية مدتها خمس سنوات.

وفي الخطاب العام، شددت الهيئة والقيادة الجديدة على إعادة الإعمار، واستعادة الحياة المدنية، وإشراك الجميع. وقد بدا ذلك إشارة إلى الابتعاد عن خطاب سنوات الحرب وعن اللغة الفصائلية المحضة. لكن تطورات المرحلة بيّنت أن شبكات الولاء، والتعيينات

أنهكته حرب طويلة جمعت بين عناصر الحرب الأهلية، والحرب بالوكالة، والاحتجاجات الشعبية. وقد خلفت هذه السنوات الطويلة دولة منهكة وهشة من الناحية البنيوية. لذلك، ليس من الواقعي توقع أن تتمكن أي حكومة من تحقيق استقرار سريع أو ازدهار اقتصادي في ظل هذه الظروف. ومع ذلك، يمكن رصد مجموعة من المؤشرات التي تكشف اتجاه القيادة الانتقالية وأولوياتها. ويحلل القسم التالي هذه المؤشرات، ويناقش دلالاتها السياسية الأوسع.

ثالثاً: المنطق النيوباتريموني في الممارسة

يبدى نظام ما بعد الأسد سمات أساسية من التكيف النيوباتريموني، أكثر مما يعبر عن قطيعة كاملة مع الحكم الشخصي. ففي المركز، توجد رئاسة محاطة بشبكة ضيقة من الشخصيات الموثوقة، تتوسط الوصول إلى القرار والموارد والحماية. وقد أُعيد تشكيل الوزارات والمجالس والهيئات الرقابية وغيرها من المؤسسات الرسمية بصلاحيات جديدة ولغة سياسية حديثة. غير أن فعالية هذه المؤسسات تبقى مرتبطة، إلى حد بعيد، بدرجة قربها من دائرة الحكم. وتنتج من ذلك تبعية مؤسسية واضحة. فالمؤسسات الرسمية تبدو، من الخارج، عقلانية ومتخصصة، لكنها تعمل عملياً تحت رقابة مشخصة. وتتحول الرئاسة إلى نقطة التقاء أساسية، حيث تجتمع السياسات والتعيينات والموارد المالية.

يمكن رصد هذا النمط في خمسة مجالات رئيسة: المركز المؤسسية عبر المراسيم الرئاسية وتدوير نخب قادمة من شبكات الهيئة وإدلب داخل مؤسسات الدولة، ومركز النفوذ العائلي حول الرئاسة، وتنسيق العمل السياسي والإعلامي عبر وسطاء موثوقين، ودمج السلطة الدينية في بنى صاغتها الرئاسة أو أشرفت عليها.

تتمثل إحدى السمات البارزة للنظام الناشئ في نمط من المأسسة المزدوجة، فهناك مجال رسمي ومقنن، تمثله مؤسسات الدولة وهيئاتها، وبجانبه مجال غير رسمي مواز، يتحرك عبر وسطاء ومبعوثين ومستشارين وروابط أمنية. وتقدم مؤسسات الواجهة صورة قانونية من خلال اللغة الدستورية، وأجهزة الرقابة، والخطط الاستراتيجية، والتواصل المستمر مع الجمهور. أما الشبكات الخلفية، فتتولى إدارة تدفق الأشخاص، والتراخيص، وتخصيص الأراضي والأصول، وعقود المشتريات، والاستثناءات الأمنية.

وفي الواجهة، توجد طبقة تكنوقراطية واضحة. فهناك وزراء ومحافظون وإداريون كبار يملكون خبرات إدارية، ويجري ترفيعهم في المجالات

وإلى جانب هذا التدهور السريع في المشهد الأمني، أثارت سياسات اقتصادية وسياسية عدة أسئلة إضافية بشأن اتجاه المرحلة الانتقالية. فعلى الرغم من أن قيادة الشرع ركزت كثيراً على المصالحة الوطنية، وأعلنت عفوًا عن بعض العاملين السابقين في مؤسسات النظام، ووجهت رسائل انتقائية إلى شخصيات من خلفيات علوية ومسيحية وكردية، فإن هذه الإشارات لم تتحول إلى تقاسم فعلي للسلطة أو مشاركة سياسية أوسع. فقد ظلت المناصب الأساسية ومراكز القرار مركزة بدرجة كبيرة في أيدي أشخاص مرتبطين مباشرة بالهيئة أو قريبين من قيادتها العليا.

وعلى الرغم من إعلان حل هيئة تحرير الشام رسمياً في كانون الثاني/يناير 2025، فقد واصلت شبكاتها وتحالفاتها التأثير في النظام السياسي الناشئ، سواء في التعيينات الرسمية أو في ترتيبات النفوذ غير الرسمية. وتكشف الأدوار البارزة التي تولتها أقارب الرئيس عن هذا النمط بوضوح، وقد أثارت قلقاً عاماً في بلد ما زال يحمل ذاكرة ثقيلة من الحكم العائلي في عهد الأسد.

وبالتوازي مع البنى البيروقراطية الرسمية، أنشئت مكاتب ومؤسسات جديدة مرتبطة مباشرة بالرئاسة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الصندوق السيادي، الذي أنشئ بموجب المرسوم الرئاسي رقم 113 لعام 2025، بوصفه مؤسسة جديدة مرتبطة بالرئيس⁽²⁷⁾. ومن الأمثلة الأخرى تعيين ماهر الشرع، شقيق الرئيس، أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية في 5 نيسان/أبريل 2025⁽²⁸⁾، خلفاً لأبي إبراهيم، عبد الرحمن سلامة، وهو شخصية نافذة من مرحلة إدلب⁽²⁹⁾. وفي تموز/يوليو 2025، كشف تحقيق لوكالة رويترز عن دور استراتيجي مهم لأخ الرئيس الأكبر سنًا، حازم الشرع، الذي أشير إلى إنه يشرف على اللجنة المكلفة بإعادة هيكلة الاقتصاد السوري والتفاوض مع رجال أعمال مرتبطين بعهد الأسد⁽³⁰⁾.

تُعزز هذه التطورات الانطباع بأن الشبكات العائلية والتعيينات القائمة على الولاء بدأت تتحول إلى ملامح أساسية في النظام الناشئ، على الرغم من أن الخطاب الرسمي الذي يؤكد الإصلاح والمساءلة. وقد جرى ذلك كله في بيئة جيوسياسية شديدة التعقد، وفي بلد

27 "المرسوم رقم 113 لعام 2025: إحداث الصندوق السيادي"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/6/24، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybGAI>

28 جلتار العلي، "تعيين ماهر الشرع أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية السورية: المبررات والمخاوف"، العربي الجديد، 2025/4/7، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybH1r>

29 "من هو عبد الرحمن سلامة، رجل الشرع؟"، عنب بلدي، 2025/4/5، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHsa>

30 Feras Dalatey & Timour Azhari, "Syria Is Secretly Reshaping Its Economy. The President's Brother Is in Charge," Reuters Investigations, 24/7/2025, at: <https://acr.ps/hBybGOP>

تهدف هذه الازدواجية المؤسسية إلى حل ثلاث مشكلات: السرعة، وإمكانية الإنكار، والانضباط. فالقنوات غير الرسمية تتجاوز بطء البيروقراطية، وتسمح بتمرير قرارات تتعلق بالاستثمار، أو التعيينات، أو التعامل مع التهديدات بسرعة أكبر. وتتيح إبقاء الصفقات الحساسة أو غير الشعبية، سواء مع عسكريين سابقين أو رجال أعمال كبار أو أطراف خارجية، بعيداً عن المسار الورقي الرسمي. وفي الوقت نفسه، يتعلم المسؤولون أن التقدم في مواقع الدولة لا يعتمد على الأداء وحده، بل على الولاء والعلاقات أيضاً. وبذلك يتحقق الانضباط السياسي من دون حاجة دائمة إلى الإكراه المباشر. وتبعث هذه الهرمية رسالة واضحة إلى الجهاز البيروقراطي والجمهور الأوسع مفادها أن القواعد الرسمية قائمة، لكنها مشروطة، وتظل في النهاية خاضعة للتقدير السياسي. ويحدث ذلك في وقت يستمر فيه الخطاب الرسمي في التأكيد على حكم القانون والمؤسسات.

تظهر هذه الديناميات في الخطاب السياسي، وتظهر كذلك في البنية المؤسسية التي تتشكل عبر المراسيم الرئاسية، والتعيينات الحساسة، وإعادة هيكلة الحكم. ومن أوضح مظاهر إعادة التشكيل النيوباتريهوني في سورية ما بعد الأسد تكاثر الهيئات والمجالس وأجسام الحوكمة الجديدة التي تركز الوظائف الاستراتيجية حول الرئاسة، إما مباشرة عبر الارتباط المؤسسي بها، أو بصورة غير مباشرة عبر صلاحيات التعيين الرئاسية (ينظر الشكل 2).

الشكل (2)

نماذج من هيئات ومجالس مرتبطة بالرئاسة أنشئت أو أعيد تنظيمها في سورية بين آذار / مارس 2025 وآذار / مارس 2026



المصدر: المرجع نفسه.

التي تبدو فيها الكفاءة ضرورية أمام الجمهور، مثل المالية، والتخطيط، والصحة، والخدمات، وغيرها من القطاعات التي يلمس الناس أداؤها مباشرة. لكن خلف هذه الواجهة، توجد بنية أشد حسماً. فمفاتيح السلطة الاستراتيجية، مثل الدفاع والأمن والاستخبارات والطاقة والصناديق السيادية وهيئات إعادة الإعمار والاتصالات وإيرادات المعابر، تظل في يد شخصيات موثوقة وحلفاء قدامى. في هذا المجال، لا تكون الألقاب الرسمية هي الأهم، بل القرب من مركز القرار. وتتكاثر المواقع الاستشارية حول الرئاسة، وتصبح في بعض الأحيان أشد تأثيراً من المناصب الوزارية، لأنها تعمل حلقات وصل بين القصر، والأجهزة الأمنية، والشبكات المالية التي يستند إليها النظام الجديد.

الشكل (1)

طبقات النظام النيوباتريهوني الناشئ



المصدر: من إعداد الباحث.

تشير التجارب المقارنة لنظم مشابهة إلى أن هذا النوع من البنية يحمي نفسه عادة عبر التدوير والتركيب. ويعني ذلك الجمع بين مناصب رسمية ومهام غير معلنة، أو نقل الشخصيات أفقياً بين مواقع مختلفة بدلاً من ترفيعها عمودياً بصورة واضحة. والغاية هي منع ظهور مراكز قوة مستقلة. فعندما تحتاج السلطة إلى شخصيات قوية أو مثيرة للجدل لأسباب عملية، فإنها غالباً ما تحيطها بنواب أو مستشارين يملكون رصيماً عمومياً أو نفوذاً أو قرباً من دائرة القرار. والمنطق الكامن وراء ذلك بسيط ومعروف في أدبيات النيوباتريهونية: "الكفاءة مفيدة، لكن التبعية والاحتواء ضروريان".

مستقلة تخضع لإشراف رئاسي مباشر، لتحل محل المؤسسات السابقة التي كانت تندرج ضمن وزارة النقل. ومنح المرسوم رئيس الهيئة رتبة وزير وصلاحيات مالية وإدارية واسعة، بما في ذلك القدرة على تأسيس شركات فرعية وعقد شراكات⁽³⁵⁾. وبالتوازي، أنشأ المرسوم رقم 214 الشركة السورية القابضة للطيران، بما فصل، بصورة أكبر، بين الوظائف التشغيلية والرقابية وبين الرقابة الوزارية التقليدية⁽³⁶⁾.

امتد المنطق نفسه ليشمل إدارة الحدود والجمارك. فقد أنشأ المرسوم رقم 244 لعام 2025 الهيئة العامة للمنافذ والجمارك، بوصفها هيئة مستقلة ماليًا وإداريًا ومرتبطة مباشرة بالرئاسة⁽³⁷⁾. وجمعت هذه الهيئة تحت مظلتها إدارة الجمارك، والموانئ، والنقل البحري، والمعابر الحدودية، والمناطق الحرة. ووضعت على رأسها شخصية يعيّننها الرئيس وتحظى برتبة وزير. ومنح المرسوم الهيئة صلاحيات إشرافية وتنظيمية واسعة، تشمل تنسيق الخدمات اللوجستية، وجمع الإيرادات، وآليات التفتيش الداخلي.

استمر هذا المسار في عام 2026 مع إنشاء الهيئة العامة للإمداد والتموين بموجب المرسوم رقم 63 لعام 2026⁽³⁸⁾. فقد ركزت هذه الهيئة المشتريات الحكومية الواسعة النطاق، وجعلت من نفسها البوابة الأساسية لعقود الشراء الحكومية التي تتجاوز حدودًا مالية محددة. وبدلاً من أن تدير الوزارات عمليات الشراء بصورة مستقلة، أصبحت المشتريات الكبرى أكثر تركيزًا داخل مؤسسة واحدة مرتبطة بالرئاسة، وتُعَيّن قيادتها بمرسوم رئاسي. وبهذا نُقلت مساحات واسعة من الإنفاق والتعاقد الحكومي من قنوات بيروقراطية متفرقة إلى بنى تنفيذية مركزية.

يمكن ملاحظة الاتجاه نحو المركزية أيضًا في المجالين الدستوري والقضائي. فقد حلّ الإعلان الدستوري الصادر في آذار/ مارس 2025 المحكمة الدستورية العليا، ونص على إنشاء محكمة جديدة تتكون من سبعة أعضاء يعيّنهم الرئيس مباشرة⁽³⁹⁾. وعلى الرغم من أن

بين آذار/ مارس 2025 وآذار/ مارس 2026، أعادت سلسلة من المراسيم الرئاسية تنظيم قطاعات واسعة من الدولة. فقد نُقلت وظائف التخطيط والاستثمار واللوجستيات والمشتريات والرقابة إلى هيئات جديدة أو معاد تشكيلها، تعمل خارج الأطر الوزارية التقليدية. وعلى الرغم من تقديم هذه المؤسسات بلغة الإصلاح الإداري والكفاءة والتنسيق والحوكمة الحديثة، فإن أثرها التراكمي كان تعزيز السلطة داخل بنى رئاسية شديدة المركزية.

وقد ظهر مثال مبكر على ذلك في أيار/ مايو 2025، مع إنشاء هيئة التخطيط والإحصاء بموجب المرسوم رقم 18 لعام 2025. فقد حوّل المرسوم هيئة التخطيط والتعاون الدولي السابقة إلى هيئة جديدة مرتبطة بالأمانة العامة لرئاسة الجمهورية، في حين نُقلت وظائف التعاون الدولي إلى وزارة الخارجية⁽³¹⁾. وأُخضع المكتب المركزي للإحصاء للهيئة الجديدة، وبذلك تركز إنتاج البيانات الرسمية والتخطيط العام داخل مؤسسة واحدة مرتبطة بالرئاسة. عمليًا، جمع هذا الترتيب بين إنتاج المعرفة الرسمية ورسم السياسات العامة تحت إشراف تنفيذي مباشر.

وتعمقت هذه العملية في تموز/ يوليو 2025 عبر حزمة من المراسيم الاقتصادية التي أعادت تشكيل بنية الحوكمة الاقتصادية بصورة واسعة. فقد أنشأ المرسوم رقم 113 الصندوق السيادي، باعتباره مؤسسة مستقلة ماليًا وإداريًا تتولى إدارة الاستثمارات الاستراتيجية وأصول الدولة⁽³²⁾. ورفع المرسوم رقم 114 موقع هيئة الاستثمار السورية، وحولها إلى هيئة مرتبطة بالرئاسة ذات صلاحيات واسعة في تراخيص الاستثمار وتخصيص الأراضي⁽³³⁾. وأنشأ المرسوم رقم 115 المجلس الأعلى للتنمية الاقتصادية، برئاسة رئيس الجمهورية⁽³⁴⁾.

ركزت هذه الإجراءات، مجتمعة، قرارات الاستثمار والتنمية الكبرى في إطار تنفيذي ضيق يعلو على الوزارات القطاعية. وحتى في الحالات التي احتفظت فيها الوزارات بتمثيل رسمي، حدّت صلاحيات التعيين الرئاسية وآليات الرقابة المركزية من استقلالية هذه المؤسسات.

وظهر النمط نفسه في قطاعي النقل واللوجستيات. فقد أنشأ المرسوم رقم 213 لعام 2025 هيئة الطيران المدني بوصفها هيئة

35 "المرسوم رقم 213 لعام 2025: إحداث الهيئة العامة للطيران المدني والنقل الجوي وتنظيم مهامها وصلاحياتها"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/10/7، شوهد في 2026/8/4، <https://acr.ps/hBybGQk> في:

36 "المرسوم رقم 214 لعام 2025: إحداث الشركة السورية القابضة للطيران"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/10/7، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHh3>

37 "المرسوم رقم 244 لعام 2025: إحداث الهيئة العامة للمنافذ والجمارك وتحديد مهامها وصلاحياتها"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/11/12، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybGDI> في:

38 "المرسوم رقم 63 لعام 2026: إحداث الهيئة العامة للإمداد والتموين"، صفحة الإخبارية السورية، فيسبوك، 2026/3/15، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybH4r>

39 "المادة 47، نص الإعلان الدستوري لسوريا 2025"، الجزيرة نت، 2025/3/14، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHva>

31 "المرسوم رقم 18 لعام 2025: إعادة تسمية هيئة التخطيط والتعاون الدولي باسم هيئة التخطيط والإحصاء"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/5/17، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHfy>

32 "المرسوم رقم 113 لعام 2025: إحداث الصندوق السيادي"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/6/24، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybGCd>

33 "المرسوم رقم 114 لعام 2025: تعديل بعض مواد قانون الاستثمار"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/6/24، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybH2W>

34 "المرسوم رقم 115 لعام 2025: إحداث المجلس الأعلى للتنمية الاقتصادية"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/6/24، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHtF>

الرئيس. وازدادت أهمية المنصب في ظل غياب بنية تقليدية لرئاسة الوزراء بعد إعادة تنظيم السلطة التنفيذية دستورياً؛ ما أتاح للأمانة العامة للرئاسة أن تؤدي أدواراً تنسيقية أوسع بين مؤسسات الدولة. لم يكن ماهر الشرع الحالة الوحيدة؛ فقد أشارت تقارير وتحقيقات صحافية إلى تنامي دور شقيق الرئيس، حازم الشرع، في المجال الاقتصادي، على الرغم من عدم وجود منصب حكومي رفيع معلن له⁽⁴²⁾. وبحسب تحقيق لوكالة رويترز، نُشر في تموز/ يوليو 2025، كان حازم الشرع منخرطاً، بحسب ما ورد في التقرير، في الإشراف على جوانب من إعادة هيكلة الاقتصاد السوري، ومرتبطاً بلجان نافذة تتولى التفاوض مع رجال الأعمال، وإدارة أصول مصادرة، وصوغ سياسات الاستثمار. صحيح أن كثيراً من هذه الادعاءات يستند إلى مصادر غير رسمية لا إلى إفصاح حكومي واضح، لكن تكرارها في أكثر من مصدر يعزز الانطباع بأن القرارات الاقتصادية المهمة باتت تتركز في دائرة ضيقة مرتبطة شخصياً بالرئاسة.

من منظور نيوباتريمني، تكمن أهمية هذه التطورات في أن القرب العائلي يبدو أنه يتحول إلى آلية للثقة السياسية وتماسك السلطة التنفيذية. فتركز النفوذ الإداري والاقتصادي الاستراتيجي في شبكات قرابية يذكر بأنماط أوسع عرفتها نظم سلطوية كثيرة، حيث يصبح القرب الشخصي والعائلي وسيلة لتأمين القرار وحماية مركز السلطة. ظهرت المركزة أيضاً من خلال بنى وزارية واستشارية قريبة من الرئاسة، وسُعت النفوذ التنفيذي إلى إدارة النشاط السياسي والمجتمع المدني والخطاب العام. وقد برز دور مهم في هذا السياق حول وزارة الخارجية، بقيادة أسعد الشيباني، وهو من الشخصيات القريبة من الرئيس منذ مرحلة إدلب. فإلى جانب وظائفها الدبلوماسية التقليدية، ارتبطت الوزارة بشبكة أوسع من آليات التنسيق السياسي، امتدت أنشطتها إلى الإدارة الداخلية وتنظيم المجال العمومي.

يعكس إنشاء الأمانة العامة للشؤون السياسية تحت مظلة وزارة الخارجية، في آذار/ مارس 2025، هذه الدينامية⁽⁴³⁾. فعلى الرغم من تقديمها رسمياً بوصفها جهازاً تنسيقياً للمرحلة الانتقالية، توحى أنشطتها بأنها تجاوزت نطاق العمل الخارجي التقليدي. فمن خلال فروعها في المحافظات ومكاتبها المرتبطة بها، شاركت في الإشراف على النشاط السياسي، والتنسيق مع منظمات المجتمع المدني، ومتابعة

الإعلان قدم هذه التعيينات بلغة النزاهة والكفاءة والخبرة، فإنه حصر تشكيل أعلى هيئة رقابة دستورية في البلاد داخل السلطة الرئاسية نفسها. وفي غياب آلية مستقلة للتعيين، سواء برلمانية أو قضائية، عزز هذا الإجراء النمط الأوسع الذي يربط مؤسسات الرقابة الاستراتيجية بالاختصاص التنفيذي والنفوذ الرئاسي.

ورافقت إعادة الهيكلة المؤسسية عملية تدوير لشخصيات موثوقة من زمن الحرب وتعيينهم في مواقع حساسة في الدولة. ومن الأمثلة البارزة على ذلك تعيين قتيبة بدوي رئيساً للهيئة العامة للمنافذ والجمارك برتبة وزير، بعد إنشاء الهيئة في أواخر عام 2025⁽⁴⁰⁾. وقبل توليه هذا المنصب، كان بدوي، المعروف أيضاً باسمه الحركي "أبو حمزة بنش" أو "المغيرة بنش"، مقرباً من جبهة النصرة ثم هيئة تحرير الشام، حيث شغل أدواراً إدارية واقتصادية، من بينها إدارة معبر باب الهوى وإدارة الحدود في إدلب. ويكشف انتقاله من بنى الحكم الفصائلي إلى إحدى أهم المؤسسات الاقتصادية والحدودية في البلاد كيف يجري إدخال شبكات الثقة التي تشكلت زمن الحرب إلى جهاز الدولة الناشئ.

يمكن ملاحظة نمط مشابه في مسار عبد الرحمن سلامة، المعروف باسم "أبو إبراهيم"، فقد انتقل بعد سقوط نظام الأسد بين مواقع إدارية وسياسية حساسة. وكان سلامة قد تولى سابقاً مسؤوليات إدارية داخل هيئة تحرير الشام وأدواراً في إدارة الاقتصاد في إدلب، قبل أن يصبح أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية، ثم نائباً لمحافظة حلب، وبعد ذلك محافظاً للرقعة.

وتكشف هذه التعيينات جانباً مهماً من الحكم النيوباتريمني في المرحلة الانتقالية. فلا يبدو أن ممارسة السيطرة تجري عبر المؤسسات الرسمية وحدها، بل أيضاً عبر وضع شخصيات موثوقة سياسياً في مفاصل إدارية ولوجستية شديدة الأهمية. وبهذا تزداد أهمية الولاء، والقرب الشخصي، والمعرفة السابقة، إلى جانب الكفاءة أو الموقع الرسمي.

امتد الاعتماد على الشبكات الموثوقة أيضاً إلى دائرة القرب العائلي. ومن أبرز الأمثلة على ذلك تعيين ماهر الشرع، أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية في نيسان/ أبريل 2025⁽⁴¹⁾. وقد ركز الخطاب الرسمي على خلفيته المهنية في الإدارة الصحية، لكن التعيين عكس مسعى لتكثيف وظائف تنسيقية حساسة داخل الدائرة العائلية المباشرة

42 Feras Dalatey & Timour Azhari, "Syria Is Secretly Reshaping Its Economy. The President's Brother Is in Charge," *Reuters Investigations*, 24/7/2025, accessed on 4/8/2026, at: <https://cutt.ly/MtV7i9BW>

43 حسام جزماتي، "ما هي الأمانة العامة للشؤون السياسية في سورية؟"، *الجمهورية*، 2025/4/8، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybGFd>

40 "المرسوم رقم 264 لعام 2025: تعيين قتيبة أحمد بدوي رئيساً للهيئة العامة للمنافذ والجمارك"، مؤسسة الذاكرة السورية، 2025/11/23، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybGRP>

41 فيصل الإمام، "ماهر الشرع أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية السورية"، *العربي الجديد*، 2025/4/5، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHiy>

وتنظيمها عبر شبكات دينية موثوقة. وبلغت النيوباتريمونية، يمثل ذلك آلية إضافية لإدماج اختصاصات ومجالات نفوذ، كان يمكن أن تكون مستقلة نسبياً، في بنى رقابة وتنسيق تشكّل الرئاسة مركزها.

يكشف الخطاب الرسمي المحيط بالمجلس أيضاً فهم القيادة الجديدة للشؤون الدينية، بوصفها مجالاً استراتيجياً من مجالات الحكم. ففي حفل الإعلان، شدد الرئيس الشرع على الحاجة إلى ضبط الخطاب الديني المعتدل والحفاظ على التماسك الاجتماعي ومنع الانقسام والصراع. وبهذه اللغة، جرى تقديم إدارة الدين بوصفها جزءاً من مشروع بناء الدولة؛ إذ تتداخل الشرعية الدينية والنظام الاجتماعي والسلطة السياسية تحت إشراف تنفيذي مباشر.

ثمّة خيط آخر من الاستمرارية يبدو أنه نجا من التحول السياسي، وهو آليات الثقة والوصول والفرص التي تهرّ عبر القنوات غير الرسمية. فالممارسة المعروفة محلياً باسم "الواسطة"، بما تعنيه من تركية شخصية ووساطة عبر العلاقات، لم تختف مع الانتقال من مرحلة التمرد إلى مرحلة الحكم، بل تكيّفت مع السياق الجديد. وتعمل هذه الأشكال من الترشيح غير المباشر على إعادة إنتاج دوائر الألفة، وحفظ شبكات الثقة، وتقليل المخاطر المتصورة عند إدخال شخصيات جديدة إلى مواقع حساسة.

خلال حكم هيئة تحرير الشام في إدلب، عملت هذه الآليات العلائقية إلى جانب الإجراءات الرسمية، وكانت تحدد في كثير من الأحيان من يُعدّ موثوقاً، أو قابلاً للترقية، أو ملائماً لتولي أدوار مهمة. وكانت الكفاءة الفنية والالتزام الأيديولوجي عاملين مهمين، لكنهما نادراً ما تقدّما على الثقة التي تمنحها التوصية الشخصية. ويبدو أن هذا المنطق لا يزال حاضراً في المرحلة الانتقالية؛ فحتى بعد حلّ هيئة تحرير الشام رسمياً، لا تزال المسارات الشخصية التي تُمنح عبرها الثقة وتُفوّض السلطة تعكس ممارسات اجتماعية وتنظيمية قديمة. ويساعد فهم حالات الاستمرارية هذه على توضيح الكيفية التي تظل بها الوساطة غير الرسمية جزءاً من صنع القرار السياسي، حتى في إطار خطاب يركز على الإصلاح المؤسسي.

على مستوى الخطاب السياسي، لا يبدو الاعتدال في خطاب القيادة الجديدة تفصيلاً ثانوياً، بل أداة سياسية مهمة. فاختيار عبارات مثل "الانتقال من عقلية الثورة إلى عقلية الدولة" يؤدي عدة وظائف⁽⁴⁸⁾؛ فهو يخفف التحفظات الخارجية، ويطمئن فئات داخلية حذرة، مثل الأقليات والمهنيين ومن ظلوا على الحياد خلال الحرب. وتسعى هذه

بعض الفعاليات والجمعيات العامة، وإدارة جوانب من إعادة ترتيب المجال السياسي بعد البعث⁽⁴⁴⁾. وعلى الرغم من عدم وضوح مستقبل هذه المؤسسة ودورها على المدى الطويل، فإنها تعكس ميلاً واضحاً إلى فرض رقابة مركزية على المجالين السياسي والمدني.

وقد ظهر مثال آخر قريب من ذلك، تمثل في تعيين أحمد موفق زيدان مستشاراً إعلامياً لرئاسة الجمهورية في آب/ أغسطس 2025⁽⁴⁵⁾. لم يكن هذا الموقع مدمجاً ضمن إطار وزاري أو إداري واضح، لكنه عملياً ركز الإشراف على إدارة الإعلام وصياغة السردية العامة في آلية استشارية مرتبطة بالرئاسة. وزيدان صحافي من إدلب، حافظ على قرب من دوائر هيئة تحرير الشام خلال مرحلة إدلب، وعُرف منذ سنوات طويلة بتغطيته للحركات الإسلامية والجهادية في أفغانستان وباكستان. وجاء تعيينه منسجماً مع اتجاه أوسع يضع وظائف حساسة، مثل الاستراتيجية الإعلامية، وصوغ الرسائل العامة، والتواصل الدولي، في أيدي شخصيات موثوقة تعمل داخل شبكات رئاسية مرنة، لا داخل قنوات مؤسسية مستقرة.

امتدت تلك الاستراتيجية إلى إدارة السلطة الدينية. ففي آذار/ مارس 2025، أصدر الرئيس الشرع مرسوماً بإنشاء المجلس الأعلى للإفتاء، وأعاد منصب مفتي الجمهورية، مع تعيين الشيخ أسامة الرفاعي رئيساً للمجلس⁽⁴⁶⁾. وأُنيط بالمجلس الجديد إصدار الفتاوى في القضايا العامة الكبرى، والإشراف على مكاتب الإفتاء في المحافظات، وتعيين المفتين واللجان الدينية، وتوجيه الخطاب الديني العام في البلاد⁽⁴⁷⁾. وعلى الرغم من تقديم المجلس رسمياً بوصفه آلية جماعية تهدف إلى تعزيز الاعتدال ومنع الفرقة والتشتت، فإن بنيته وضعت السلطة الدينية بوضوح داخل إطار صاغته الرئاسة، ولا سيما أن أعضاء المجلس عُيّنوا بقرار رئاسي.

إلى جانب ذلك، عكست تركيبة المجلس إدماج شخصيات دينية مرتبطة بمرحلة إدلب السابقة. فمن بين أعضائه شخصيات مثل عبد الرحيم عطون ومظهر الويس، وكلاهما ينتمي إلى دوائر هيئة تحرير الشام، قبل أن يصبح الويس لاحقاً وزيراً للعدل. في المجمل، تشير طريقة إنشاء المجلس إلى محاولة لمركزة السلطة الدينية

44 زينة شهلا، "نشاط ممنوع بأمر الأمانة العامة للشؤون السياسية"، الجمهورية، 2026/1/16، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybH5W>

45 "رسمياً: تعيين أحمد موفق زيدان مستشاراً إعلامياً للرئاسة السورية"، المدن، 2025/8/18، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHwF>

46 "الشرع يعين الشيخ أسامة الرفاعي مفتياً عاماً لسورية"، الجزيرة نت، 2025/3/29، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybGTk>

47 أحمد جاسم الحسين، "هل يعبر مجلس الإفتاء الأعلى الجديد عن واقع سوريا الديني؟"، تلفزيون سوريا، 2025/3/31، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybHk3>

48 ينظر على سبيل المثال: "أحمد الشرع: يجب التحول من عقلية الثورة إلى عقلية الدولة لقيادة سوريا"، تلفزيون سوريا، 2024/12/14، شوهد في 2026/8/4، في: <https://acr.ps/hBybGGI>

والتنسيقية ذات الطابع الفضفاض. والنتيجة التراكمية هي نشوء بنية حكم تتوسع فيها المؤسسات وتتجدد فيها الأشكال البيروقراطية، بينما يظل النفوذ الفعلي متركزاً حول دائرة ضيقة من الشخصيات التي تثق بها الرئاسة.

لا يخلو هذا النمط النيوباتريمويني من تكلفة باهظة. وكما سبقت الإشارة، قد يحقق قدرًا من التماسك والمرونة على المدى القصير، لكنه ينتج نقاط ضعف تتراكم مع الوقت. فحين تصبح الوساطة غير الرسمية الطريق الأساسي لحل النزاعات والوصول إلى خدمات الدولة، تضعف المبادرة. ويتعلم المسؤولون انتظار الإشارة بدلًا من تفعيل صلاحياتهم الرسمية وتفسير القواعد والعمل بموجبها. وهذا يحد من روح المبادرة، وقد يتحول في أوقات الأزمات إلى شلل إداري، حين يتردد المسؤولون في المستويات الدنيا والوسطى في التصرف من دون غطاء واضح من الأعلى.

على المستوى الاقتصادي، تستند وعود إعادة الإعمار إلى فرضية استمرار تدفق المساعدات والاستثمارات وتزايد الانفتاح والتعاون الدولي. لكن أي صدمات خارجية، مثل تشديد العقوبات، أو تراجع حماسة المانحين، أو تجدد الأزمات الإقليمية، أو تقلبات في أسواق الطاقة، يمكن أن تتسبب في مشكلات مالية صعبة. وحين تتراجع الموارد الربعية، قد تتحول الشبكات التي تثبت النظام في الأوقات العادية إلى مصادر محتملة للتذمر، وربما التمرد. فالحلفاء والوكلاء، الذين كانوا يتمتعون بالحماية والامتيازات، قد يبحثون عن رعاة بدلاء أو منصات أخرى للتعبير عن مصالحهم، في حال خسروا امتيازاتهم.

قد تمنح التعددية المضبوطة والاعتدال في الخطاب النظام وقتًا إضافيًا، لكن الفجوة قد تتسع بين الوعود الرسمية بالمواطنة المتساوية والتحديث المؤسسي من جهة، والتجربة الفعلية القائمة على الإدماج المشروط والعدالة الانتقائية من جهة أخرى. ويبدو هذا الخطر أكبر لدى المهنيين والشباب والمجتمعات الطرفية. فإذا بقيت طرائق الارتقاء على أساس الكفاءة محدودة، واستمر التعامل مع الحقوق والتراخيص بوصفها منحة وامتيازات، فمن المرجح أن يتراكم الإحباط تحت سطح الاستقرار الظاهري.

في المحصلة، يمكن أن توفر المؤسسة الشكلية، والتعيينات القائمة على الولاء والانفتاح الخطابي المحسوب، قدرًا من التماسك والاستقرار على المدى القصير، لكنها لا تكفي لبناء قواعد عامة مستقرة، أو استقلال وظيفي، أو مسارات ترقٍ وظيفي قائمة على الجدارة والاستحقاق. ولا يمكن أن ينتقل هذا النمط بالبلد إلى استقرار مستدام، إلا إذا اتخذت القيادة خيارات واضحة تنقل السلطة التقديرية المرتبطة بالأهواء إلى قواعد قابلة للتطبيق، وتحول الوساطة الشخصية إلى حوكمة منتظمة وآليات شفافة يمكن معرفتها وتوقع مخرجاتها.

الخيارات الخطابية إلى تضيق أدوات القمع الظاهرة، عبر استبدال القسر العشوائي بخطاب يطلب الامتثال من خلال مفردات مثل الحوار الوطني، والوطنية، وإعادة الإعمار، والمصالحة، والعفو.

لكن لهذا الاعتدال حدودًا أيديولوجية واضحة؛ فالمفردات التي تنقل السلطة من الأشخاص إلى القواعد، مثل "التداول الديمقراطي"، و"التنافس الحزبي"، و"قضاء مستقل يملك حق المراجعة الملزمة"، إما غائبة بوضوح أو مخففة إلى حد بعيد. ومن الالف، مثلاً، أن الشرع تجنّب استخدام كلمة "الديمقراطية" في خطابه منذ سقوط نظام الأسد. وي طرح هذا سؤالاً أساسيًا: إذا لم تكن البلاد تتجه نحو الديمقراطية، فما النظام السياسي الذي يجري تأسيسه؟ تكشف هذه المسألة حدود التعددية والانفتاح التي تبدو القيادة مستعدة لقبولها. وفي الوقت نفسه، يظهر بين حين وآخر، بموازاة الخطاب الرسمي، خطاب شبه رسمي يصدر عن مؤثرين وشخصيات موالية. وهو خطاب أشد حزمًا وإقصائية وهرمية، ويذكر الجمهور بأن مسائل الانفتاح والاعتدال والإشراك تبقى مشروطة وعرضة للتراجع عنها.

في الممارسة، يسير التحديث المؤسسي جنبًا إلى جنب مع آليات تُبقي السلطة مشخصة؛ فالإصلاح يُقدّم بلغة المهنية والتنسيق وتحسين الخدمات، لكن البنية الأساسية تظل قائمة على رقابة غير رسمية. وسواء تعلق الأمر بالأمن، أو الإدارة الاقتصادية، أو الشؤون القانونية، فإن الإجراءات الرسمية تُطبّق على نحو انتقائي؛ إذ تمرّ القضايا الروتينية عبر قنوات مقننة، أما التعيينات الاستراتيجية والقرارات المفصلية فتمرّ عبر وسطاء موثوقين وتفويضات خاصة.

وما يلفت النظر هنا هو تكرار النمط نفسه؛ إذ تُرّم المؤسسات الرسمية لإيصال رسالة عن التجديد المؤسسي، لكن استقلالياتها تُخفّف عبر طبقات من الإشراف، وأدوار استشارية متداخلة، واعتماد مستمر على بوابات شخصية للوصول والحماية والموافقة. وقد توسع بعض مبادرات اللامركزية المحدودة والإصلاحات التنظيمية مساحة الشرعية الظاهرة، لكن مفاتيح السلطة الفعلية تظل معزولة داخل شبكات علاقات قادرة على تجاوز الإجراءات الرسمية أو توجيهها أو تعليقها عند الحاجة. وقد تمنح هذه الآلية قدرًا من المرونة والاستجابة في المدى القصير، لكنها قد ترسخ ترابعية تجعل أداء المؤسسات مرتبطًا بالقرب والخطوة، بما يعزز ويرسخ المنطق النيوباتريمويني.

تشير هذه الأمثلة وغيرها، إلى أن المركزة في سورية ما بعد الأسد لا تحدث عبر إخضاع المؤسسات مباشرة للرئاسة فحسب. ففي بعض الحالات، تتركز السلطة عبر هيئات جديدة مرتبطة بالرئاسة. وفي حالات أخرى، يحدث ذلك عبر صلاحيات التعيين الرئاسية، أو الشخصيات الوسيطة الموثوقة، أو القرب العائلي، أو البنى الاستشارية

خاتمة

تقف سورية اليوم عند لحظة تأسيسية، يعاد فيها التفاوض على المؤسسات السياسية والقواعد العامة والتوقعات المجتمعية. وتقدم تجربة إدلب دروساً مزدوجة، فهي توفر خبرة إدارية يمكن الاستفادة منها، لكنها تقدم أيضاً تحذيراً واضحاً من مخاطر الهيمنة غير الرسمية والمركزة المفرطة. ويعتمد المسار المقبل على الخيارات التي ستخضعها القيادة الانتقالية الحالية، وهو ما سيحدد إن كان نظام ما بعد الأسد سيتطور نحو صيغة أكثر إشراكاً وانفتاحاً ومأسسة، أم ينزلق مجدداً إلى نمط راسخ من الحكم النيوباتريموني. لذلك، يبقى التحدي الحقيقي هو مدى قدرة النخبة الصاعدة على الخروج من عباءة الشبكات التي أوصلتها إلى السلطة.

سعت هذه الدراسة لفحص ما تكشفه تجربة هيئة تحرير الشام في إدلب عن مشروع الحكم الذي بدأ يتشكل بعد انهيار نظام الأسد. وتشير الأدلة إلى أن سنوات الحكم في شمال غربي سورية أنتجت لدى الهيئة تجربة حكم جمعت بين قبضة أمنية قوية وبنية إدارية قادرة على تقديم الخدمات الأساسية، لكنها منتظمة نسبياً. وقد وفر هذا النموذج قدراً من الاستقرار على المدى القصير، لكنه ظل مركزياً وضيّقاً، يعتمد بدرجة كبيرة على السلطة الشخصية، وشبكات الولاء، والقنوات غير الرسمية التي عملت بالتوازي مع البيروقراطية الرسمية.

لم تختفِ هذه الآليات مع حل هيئة تحرير الشام في كانون الثاني/ يناير 2025؛ فعلى الرغم من أن التنظيم لم يعد قائماً بصفته كياناً رسمياً، فإن عدداً كبيراً من شخصياته البارزة باتت تشكل العمود الفقري للنخبة الحاكمة الجديدة. أضف إلى ذلك أن الروابط الشخصية، وأساليب التنسيق، وشبكات الظل التي تشكلت خلال سنوات حكم إدلب صمدت خلال المرحلة الانتقالية، وما زالت تؤثر في صنع القرار، غالباً من خلف الستار. ولا يعني استمرار الأشخاص والنفوذ غير الرسمي أن مستقبل النظام السياسي محسوم سلفاً، لكنه يحدد الإطار والمناخ الذي ستجري داخله أي محاولة جادة للإصلاح المؤسسي.

ومن هنا يمكن تلخيص النتيجة الأساسية لهذه الدراسة في نقطتين رئيسيتين: أولاً، تمنح تجربة الحكم السابقة في إدلب القيادة الجديدة قدراً من الثقة والخبرة الإدارية، لكنها تحمل معها أيضاً قيوداً بنيوية وأيديولوجية قد لا تلائم حكم بلد شديد التنوع اجتماعياً ومناطقياً. ثانياً، يهدد استمرار شبكات الولاء غير الرسمية بإعاقة نشوء سلطة شفافة، وشاملة، ولا مركزية. فنموذج حكم صُمم لمنطقة متجانسة نسبياً لا يمكن نقله إلى سورية كلها من دون تعديلات عميقة.

إن النظام السياسي، الذي يعترف بتنوع البيئات الاجتماعية والثقافية في مناطق مثل السويداء والساحل والشمال الشرقي، سيكون أقدر على بناء تعاون مستدام من نظام يتشكل أساساً عبر شبكة واحدة موروثة من نخب هيئة تحرير الشام السابقة. ثم إن إفراح المجال لأشكال محلية من السلطة والمشاركة المجتمعية يمكن أن يساعد في تخفيف الانتقال بعيداً عن الولاءات غير الرسمية التي طبعت مراحل الحكم السابقة. وعلى منوال ذلك، يمكن أن يشير توسيع القنوات، التي تشارك من خلالها المجموعات المختلفة في صنع السياسات وترتيبات الأمن، إلى تحوّل تدريجي نحو عقد اجتماعي وسياسي أكثر شمولاً، يبنى على الخبرات والهويات التي شكّلت القيادة الحالية، من دون أن ينكرها بصفة مفاجئة أو كاملة.

المراجع

العربية

Clapham, Christopher. (ed.). *Private Patronage and Public Power: Political Clientelism in the Modern State*. London: Frances Pinter, 1982.

Dzulhisham, Huzeir E. "Explaining the Collapse of Syria's Assad Regime." *RSIS Commentary*. no. 193/2024. 13/12/2024. at: <https://acr.ps/hBybGId>

Eisenstadt, Shmuel N. *Traditional Patrimonialism and Modern Neopatrimonialism*. Beverly Hills, CA: Sage Publications, 1973.

Erdmann, Gero & Ulf Engel. "Neopatrimonialism Revisited: Beyond a Catch-All Concept." *Working Paper no. 16*. German Institute of Global and Area Studies (2006).

_____. "Neopatrimonialism Reconsidered: Critical Review and Elaboration of an Elusive Concept." *Commonwealth & Comparative Politics*. vol. 45, no. 1 (2007).

Geddes, Barbara. "Authoritarian Breakdown." *Working Paper*. Department of Political Science, University of California (January 2004).

Heydemann, Steven. "Upgrading Authoritarianism in the Arab World." *Saban Center Analysis Paper*. no. 13 (2007).

_____. "Syria and the Future of Authoritarianism." *Journal of Democracy*. vol. 24, no. 4 (2013).

Hinnebusch, Raymond. *Syria: Revolution from Above*. London: Routledge, 2001.

Human Rights Watch. "Syria: Constitutional Declaration Risks Endangering Rights." 25/3/2025. at: <https://acr.ps/hBy2t5z>

Karam, Patricia. "Prospects for Syria's Democratization Under Ahmed al-Sharaa." Arab Center Washington DC. 21/11/2025. at: <https://acr.ps/hBy2si6>

عثمان، أشرف. "الدولة النيوباتريمونيالية في المشرق العربي: في المنطق العصوي وإعادة إنتاج الطائفية". عمران. مج 3، العدد 11 (شتاء 2015).

القصير، عزام. "استراتيجيات البقاء لدى 'هيئة تحرير الشام': ثلاثية الإدارة والعسكرة والخطاب". المركز العربي لدراسات سورية المعاصرة. 2023/9/18.

النقيب، خلدون حسن. *المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف*. لندن: روتليدج، 1991.

الأجنبية

Al Kassir, Azzam. "'Intentionality' in Radical Flank Effects: Reflections on Al-Nusra Front's Discourse of Moderation between 2012–2017." *British Journal of Middle Eastern Studies*. vol. 52, no. 4 (2025).

al-Tamimi, Aymenn J. "From Jabhat al-Nusra to Hay 'at Tahrir al-Sham: Evolution, Approach and Future." Konrad Adenauer Stiftung (2018).

Ayubi, Nazih. *Over-Stating the Arab State: Politics and Society in the Middle East*. London: I.B. Tauris, 1995.

Bank, Andre & Thomas Richter. "Neopatrimonialism in the Middle East and North Africa: Overview, Critique and Alternative Conceptualization." *Working Paper*. German Institute of Global and Area Studies (2010).

Bratton, Michael & Nicolas van de Walle. *Democratic Experiments in Africa: Regime Transitions in Comparative Perspective*. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

Clapham, Christopher. *Third World Politics: An Introduction*. Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1985.

Levitsky, Steven & Lucan A. Way. *Competitive Authoritarianism: Hybrid Regimes after the Cold War*. New York: Cambridge University Press, 2010.

Schlumberger, Oliver (ed.). *Debating Arab Authoritarianism*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2007.

Weber, Max. *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*, Guenther Roth & Claus Wittich (eds.). Berkeley: University of California Press, 1978.

رجا بهلول

التوجهات الانفعالية والثقافة السياسية



صدر حديثاً

تأليف: رجا بهلول

التوجهات الانفعالية والثقافة السياسية

يتناول الكتاب الوشائج التي تربط بين ما اصطلح على تسميته في النقاشات الحديثة "التوجهات الانفعالية" (المشاعر والعواطف والانفعالات والحالات الوجدانية الأخرى) من جهة، والثقافة السياسية من جهة أخرى. وينظر إلى التوجهات الانفعالية بوصفها مكوناً جوهرياً من مكونات الثقافة السياسية وحياة المجتمع السياسي، على الرغم من أن هذا المكون كان دوماً موضع شك من منطلقات تُفيد أن الحياة السياسية ينبغي أن تكون مجالاً للحسابات العقلانية الباردة، وأن الانفعالات والمشاعر تحيد بنا عن جادة الصواب. لذا يسعى إلى تحقيق عدة غايات؛ تتمثل أولاً في الدفاع عن وجهة نظر تقول إن في الانفعالات جانباً إدراكياً – عقلانياً، وإن في هذا ما يتعارض مع القول بأنها مشاعر "صماء" تجتاحنا فتُفقدنا زمام السيطرة على أنفسنا. أما الثانية فتتمثل في توفير الدعم للقول بأن العواطف والانفعالات والتفضيلات تقبع في أعماق مفاهيمنا السياسية والأخلاقية والقيمية، وأن المعتقدات والممارسات السياسية كثيراً ما تعبر عن توجهات انفعالية، قوية كانت أم ضعيفة، جلية أم مستترة. أما الأخيرة فهي مناقشة الكتاب دور الانفعالات في بلورة الدوافع للفعل (السياسي منه وغير السياسي)، مُعتبراً أن الإنسان المجرد تماقاً من الانفعالات ليس أكثر من آلة حساب عقلاني قد تفكر من دون أن تقوى على الفعل بسبب غياب الدوافع. ويتوقف مطوّلاً للحديث عن دور الانفعالات في الثقافة السياسية الديمقراطية، وعن العلاقة السببية بين التوجهات الانفعالية والنظام السياسي.



مراجعات الكتب

Book Reviews

سمير العبد الله | Samir Alabdullah*

مراجعة كتاب
"العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح"

Book Review

The Last Ten Years in Syria: The Dialectic of Stagnation and Reform

” عنوان الكتاب: العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح.

المؤلف: محمد جمال باروت.

سنة النشر: 2012.

الناشر: الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

عدد الصفحات: 464 صفحة.

* باحث أول في المركز العربي لدراسات سورية المعاصرة.

Senior Researcher at the Arab Center for Contemporary Syria Studies.

Email: samir.alabdullah@damascusinstitute.org

مقدمة

صدر كتاب محمد جمال باروت **العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح** عام 2012، وذلك في وقت كانت فيه الثورة السورية لا تزال في مرحلتها الأولى، ولم تكن مسارات العسكرية والتدويل والتدخلات الإقليمية والدولية قد اتضحت بعد. وتأتي أهميته من أنه لم يتعامل مع اندلاع الاحتجاجات في آذار/ مارس 2011 بوصفه حدثاً مفاجئاً أو امتداداً لموجة الثورات العربية، بل أعادها إلى التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها سورية، في أثناء العقد الأول من حكم بشار الأسد. وبذلك، حاول تقديم تفسير تاريخي واجتماعي للثورة، بدلاً من الاكتفاء بسرد وقائعها أو تحليل شعاراتها ومواقف أطرافها.

بدأ المؤلف العمل على الكتاب في أواخر عام 2010، بوصفه بحثاً في تاريخ سورية خلال العقد الأخير، قبل أن تدفعه الاحتجاجات إلى توسيع نطاقه وإضافة خمسة فصول تتناول تطوراتها حتى نهاية تموز/ يوليو 2011. ولهذا يتكون الكتاب من مستويين متداخلين: يبحث الأول في السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي سبقت الثورة، ولا سيما الانتقال نحو اقتصاد السوق الاجتماعي، وصعود رجال الأعمال الجدد، واتساع التفاوت بين المناطق والفئات الاجتماعية، بينما يتابع الثاني مراحل تشكل الحركة الاحتجاجية وانتقالها من مطالب محلية محدودة إلى أزمة سياسية وطنية. وقد منح هذا البناء الكتاب ميزة مهمة؛ إذ ربط بين مقدمات الحدث البعيدة المدى وتفصيله اليومية، لكنه جعله في الوقت نفسه أسير المرحلة التي كُتب خلالها، حينما كانت اتجاهات الثورة ونتائجها لا تزال غير محسومة.

بُنيت فكرة الكتاب المركزية على أن الإصلاح الاقتصادي الذي شهدته سورية في أثناء ذلك العقد لم يؤدّ إلى إصلاح مؤسسي أو سياسي مواز، وإنما أسهم في إعادة إنتاج النظام التسلسلي بصيغة جديدة. فقد تراجع دور الدولة الاجتماعي، وجرى تحرير أجزاء من الاقتصاد، لكن ذلك لم يؤدّ إلى نشوء سوق تنافسية أو قطاع خاص مستقل، بل ساعد على صعود شبكات اقتصادية مرتبطة بالسلطة، في مقابل تراجع أوضاع فئات اجتماعية ومناطق جغرافية واسعة. ومن هنا، صاغ المؤلف مفهوم "النظام التسلسلي المتلبرل اقتصادياً" (ص 14، 137-153) لتفسير التناقض بين حركة الاقتصاد وجمود السياسة، وربط بين هذا التناقض وتزايد الفقر والبطالة والتهميش وضعف قدرة الدولة على استيعاب المطالب الاجتماعية.

ويكتسب الكتاب أهمية متجددة، بعد سقوط نظام الأسد في كانون الأول/ ديسمبر 2024؛ إذ صار من الممكن إعادة اختبار أطروحاته

في ضوء المسار السوري اللاحق. ولا تهدف هذه القراءة الاستعادية إلى مطالبة الكتاب بتفسير تطورات لم تكن قد وقعت عند تأليفه، بل إنها تستهدف تحديد القوة التفسيرية لمفاهيمه، وبيان ما نجح في تشخيصه من أسباب الثورة، وما بقي خارج نطاق تحليله. ومن هذا المنطلق، توازن المراجعة بين الاعتراف بقيمة الكتاب التأسيسية واختبار حدوده المنهجية والتفسيرية.

أولاً: أطروحة الكتاب ومنهجه وموقعه في الأدبيات

ينطلق باروت في كتابه من أطروحة مركزية، مفادها أن الثورة السورية لم تكن نتيجة الجمود السياسي وحده، ولا حصيلة مباشرة للأزمة الاقتصادية أو موجة الثورات العربية، بل جاءت نتيجة التناقض المتراكم بين التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة نسبياً خلال العقد الأول من حكم بشار الأسد واستمرار الانغلاق السياسي والمؤسسي. فقد شهدت سورية في تلك المرحلة انتقالاً تدريجياً نحو اقتصاد السوق الاجتماعي، وتوسعاً في دور القطاع الخاص، وتحريراً لبعض الأسعار والقطاعات، من دون أن يقترن ذلك بإصلاح مؤسسي أو سياسي يضمن المنافسة والشفافية والمساءلة. وبدلاً من أن يؤدي الانفتاح الاقتصادي إلى بناء سوق مستقلة عن السلطة، أسهم في إعادة توزيع الموارد والفرص داخل البنية التسلطية نفسها، وفي إعادة تشكيل التحالفات الاجتماعية والاقتصادية التي استند إليها النظام.

ويصوغ المؤلف هذه العلاقة استناداً إلى مفهوم "النظام التسلسلي المتلبرل اقتصادياً"، الذي يقدمه بوصفه المفهوم المفتاحي لفهم تاريخ العلاقة بين التنمية والسياسة في سورية خلال العقد السابق للثورة (ص 14). ويشير المفهوم إلى نظام يتبنى بعض آليات السوق والانفتاح الاقتصادي، لكنه يحافظ على احتكار المجال السياسي، ويمنع استقلال الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين، ويُبقي الوصول إلى الموارد والفرص مرتبطاً بالقرب من مراكز القرار. وفي هذا النموذج، لا تنسحب الدولة من الاقتصاد كلياً، بل تتراجع عن بعض وظائفها الاجتماعية والتنموية، في الوقت الذي تحتفظ فيه بقدرتها على منح التراخيص والامتيازات والعقود وتحديد الفاعلين القادرين على دخول القطاعات الأكثر ربحية. ويناقش المؤلف الأبعاد النظرية والتطبيقية لهذا النمط، ضمن تحليله لما يسميه "مأزق النظم التسلطية المتلبرلة"، مميّزاً بين التحرير الاقتصادي والتحول الديمقراطي، ومبيّناً أن الأول قد يتحول إلى أداة لإعادة إنتاج التسلط بدلاً من تقويضه (ص 137-152).

موضحاً دور الفئات الريفية والطبقات الوسطى الجديدة في تثبيت النظام⁽²⁾. أمّا فولكر بيرثس، فقد تناول الاقتصاد السياسي السوري في عهد حافظ الأسد، والعلاقة بين الدولة والقطاع الخاص والتحولات التدريجية في السياسات الاقتصادية⁽³⁾. وركز ستيفن هايدمان على المؤسسات والتحالفات الاجتماعية وآليات إعادة إنتاج التسلطية⁽⁴⁾، في حين حلل بسام حداد شبكات العلاقات غير الرسمية التي ربطت السلطة برجال الأعمال، وكيفية إسهامها في حماية النظام وعرقلة بناء اقتصاد سوق تنافسي⁽⁵⁾.

ومع ذلك، يمنح الكتاب الاقتصاد السياسي والتفاوت التنموي وزناً تفسيرياً أكبر من الوزن الذي يمنحه لبنية الدولة الأمنية والعسكرية وآليات اتخاذ القرار داخلها. فهو يوضح أثر القمع في توسيع الاحتجاج، لكنه لا يقدم تحليلاً مؤسسياً مماثلاً للعلاقة بين الرئاسة والجيش والأجهزة الأمنية والحزب. ولا يفسر على نحو كافٍ مراكز القوة التي حسمت خيارات الإصلاح الاقتصادي والأمني. ومن ثم، ينجح الكتاب، إلى حدٍّ أبعد مدى، في تفسير تشكّل القابلية للثورة وانتشار الاحتجاجات في الأطراف، لكنه يترك أسئلة غير محسومة بشأن قدرة النواة الأمنية والعسكرية على التماسك، والكيفية التي انتقل بها النظام من محاولة الاحتواء المحدود إلى استخدام القوة العسكرية الواسعة. وهذه الحدود لا تقلل من قيمة الكتاب التأسيسية، لكنها تحدد المجال الذي تحتاج فيه أطروحاته إلى الاستكمال من خلال الأدبيات اللاحقة المتعلقة ببنية الدولة الأمنية والعسكرية والتدويل واقتصاد الحرب.

ثانياً: الإصلاح الاقتصادي وإعادة تشكيل تحالفات النظام الاجتماعية

يفتح باروت تحليله للعقد الأول من حكم الأسد بتشخيص "التركة الحرجة" التي واجهت السلطة الجديدة عند انتقال الرئاسة عام 2000؛ فقد كان الاقتصاد السوري يعاني تباطؤ النمو، وانخفاض

منهجياً، يعتمد الكتاب مقارنة تاريخية - اجتماعية، تتقاطع مع الاقتصاد السياسي وتحليل السياسات العامة، ويجمع بين مستويين متداخلين: تحليل التحولات البنوية التي شهدتها الاقتصاد والمجتمع السوريان في أثناء العقد الأول من حكم الأسد، والرصد الزمني لتطور الحركة الاحتجاجية حتى نهاية تموز/ يوليو 2011. ويتيح ذلك للمؤلف الانتقال من دراسة المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية إلى تحليل الكيفية التي تحولت من خلالها آثار السياسات العامة إلى مظالم محلية ثم إلى حركة احتجاجية وطنية. إضافة إلى ذلك، يجمع الكتاب بين البيانات الكمية المتعلقة بالنمو والفقر والبطالة والاستثمارات والتفاوت المناطقي من جهة، والمعطيات النوعية المستمدة من متابعة الاحتجاجات وخطابات السلطة وشهادات الناشطين والتغطيات الصحافية من جهة أخرى.

وقد استند المؤلف إلى طيف متنوع من المصادر، شمل الإحصاءات والتقارير الحكومية والدراسات الاقتصادية والاجتماعية والصحافة الرسمية والمستقلة والمواد التي أنتجها الناشطون والمعارضة، إلى جانب المتابعة المباشرة لتطور الأحداث. وأتاح هذا التنوع توثيق تفاصيل مهمة عن الأشهر الأولى للثورة، مثل تسلسل الاحتجاجات وتحول الشعارات وأسماء أيام الجمعة وتفاوت استجابة المناطق. لكنه أوجد في الوقت نفسه تفاوتاً في درجة صدقية المصادر وإمكان التحقق منها؛ فالصحافة الرسمية كانت جزءاً من خطاب السلطة، في حين كانت الصفحات المعارضة ومقاطع الفيديو والمواد التي ينتجها الناشطون جزءاً من عملية التعبئة السياسية والإعلامية، وحالت القيود المفروضة على الصحفيين والباحثين، أيضاً، دون التحقق الميداني المستقل من عدد من الوقائع، ولا سيما أعداد الضحايا وتفاصيل المواجهات ومسؤولية الأطراف عنها. ولذلك، تتجاوز في الفصول المتعلقة بالثورة وقائع تؤكد ما مصادر متعددة مع روايات يصعب التحقق منها بطريقة مستقلة، من دون أن يضع المؤلف دائماً فاصلاً منهجياً واضحاً بين النوعين.

ويمكن تحديد موقع الكتاب في الأدبيات، من خلال مقارنته بالدراسات التي تناولت تشكّل الدولة السورية وبناء النظام التسلطي وتحولات علاقته بالمجتمع والاقتصاد. فقد ركز حنا بطاطو على أصول البعث الاجتماعية وصعود أبناء الأرياف إلى الجيش ومؤسسات الدولة، محللاً التحولات التي طرأت على البنية الطبقيّة والاجتماعية السورية⁽¹⁾. ودرس ريموند هينبوش عملية بناء السلطة التسلطية وقدرتها على الجمع بين الحزب والجيش والبيروقراطية والتحالفات الاجتماعية،

2 Raymond Hinnebusch, *Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party, and Peasant* (Boulder, CO: Westview Press, 1990), pp. 156-200, 224-269.

3 Volker Perthes, *The Political Economy of Syria under Asad* (London: I.B. Tauris, 1995), pp. 156-160.

4 ستيفن هايدمان، *التسلطية في سورية: صراع المجتمع والدولة*، ترجمة عباس عباس (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2011)، ص 53-66.

5 Bassam Haddad, *Business Networks in Syria: The Political Economy of Authoritarian Resilience* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2012), pp. 84-118.

1 حنا بطاطو، *فلاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفين الأقل شأنًا وسياساتهم*، ترجمة عبد الله فاضل ورائد النقشبندى (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 261-327.

ويحلل المؤلف إحدى أبرز نتائج هذا المسار من الناحيتين الاجتماعية والسياسية، من خلال صعود رجال الأعمال الجدد، الذين تشكّلوا في ظل سياسات الانفتاح وارتبط توسع نشاطهم بعلاقات متفاوتة القوة مع مراكز القرار. ويستخدم تعبير "المئة الكبار" للإشارة إلى النواة الأقوى نفوذاً داخل هذه الطبقة، لا بوصفه إحصاءً دقيقاً لمئة رجل أعمال، بل وصفاً لشريحة محدودة استطاعت الجمع بين الثروة والنفوذ السياسي والوصول إلى الفرص التي أتاحها عملية التحرير الاقتصادي (ص 53-66). وقد مرت إعادة تشكيل هذه الشريحة بمراحل ارتبطت بتحول العلاقة بين الدولة ورأس المال، وانتقالها من علاقة مبنية على الحذر المتبادل والتدخل المباشر إلى شركات اقتصادية أكثر تعقيداً بين المسؤولين ورجال الأعمال والشركات القابضة.

مثلت الشركات القابضة الكبرى إحدى الأدوات الرئيسة في تشكّل هذا التحالف الجديد؛ فقد سمحت بجمع رؤوس أموال كبيرة والدخول في قطاعات العقارات والمصارف والتأمين والسياحة والاتصالات، وربطت بين رجال الأعمال السوريين ورأس المال الخليجي والأجنبي (ص 66-72، 84-87). لكن هذه الشركات لم تعمل في "ملعب منبسط" تتساوى فيه فرص المستثمرين؛ إذ ظل الحصول على التراخيص والأراضي والعقود والتمويل مرتبطاً بدرجات متفاوتة بالقرب من السلطة. ولهذا، انتقل الاقتصاد، وفقاً لتحليل المؤلف، من احتكار الدولة المباشر لقطاعات الإنتاج إلى نمط من "المنافسة الاحتكارية"، أو احتكار القلة، الذي تتحكم فيه مجموعة محدودة من الفاعلين القادرين على النفاذ إلى القرار والموارد (ص 73-83).

وتكمن أهمية هذا التحليل في نقض الافتراض القائل إن توسع القطاع الخاص يؤدي تلقائياً إلى المطالبة بالديمقراطية وسيادة القانون؛ فقد ارتبط صعود كبار رجال الأعمال في سورية بعلاقاتهم مع الدولة، ولم تتشكل مصالحهم باستقلال عن النظام. ولذلك، لم يتحولوا إلى قوة اجتماعية تطالب بالشفافية أو المنافسة أو توسيع المشاركة السياسية؛ لأن جزءاً مهماً من قدرتهم على التراكم كان يعتمد على استمرار قواعد النفاذ الانتقائي إلى الموارد. ويتقاطع تحليل باروت، في هذا السياق، مع تحليل بسام حداد لشبكات الأعمال في سورية، الذي أظهر كيف سمحت العلاقات غير الرسمية بين المسؤولين ورجال الأعمال في تحقيق مصالح متبادلة، لكنها عرقلت الإصلاح المؤسسي، وأنتجت استثمارات قصيرة الأجل وضعيفة القيمة التنموية⁽⁶⁾. ويختلف باروت عن حداد في شدة تركيزه على انعكاس هذه الشبكات في التفاوت الاجتماعي والمناطقى، وعلى علاقتها بتشكّل البيئة السابقة للثورة.

الإنتاجية، وتضخم الجهاز البيروقراطي، وتراجع قدرة القطاع العام على توليد فرص العمل، بالتزامن مع ارتفاع معدلات البطالة وتزايد الضغوط السكانية. ولم تكن هذه المشكلات منفصلة عن السياق الإقليمي؛ إذ واجهت سورية خلال السنوات التالية احتلال العراق، وتصاعد الضغوط الأميركية، وانسحاب قواتها من لبنان، وما رافق ذلك من تضيق سياسي واقتصادي وتراجع في قدرتها على جذب الاستثمارات الخارجية (ص 24-32). وبذلك لم تكن الحاجة إلى الإصلاح موضع خلافٍ جديٍّ داخل مؤسسات الدولة، بقدر ما تمحور الخلاف حول طبيعته وأولوياته والفئات التي ستتحمل تكلفته أو تستفيد من عوائده.

يُميّز المؤلف، في هذا السياق، بين ثلاثة اتجاهات رئيسة داخل دوائر صنع السياسات الاقتصادية: 1. "التصحيحيون" الذين مالوا إلى إصلاح تدريجي يحافظ على الدور المركزي بالنسبة إلى القطاع العام، 2. "التحريريون" الذين دعوا إلى توسيع دور السوق وتسريع الانفتاح على رأس المال الخاص، 3. "التنمويون" الذين حاولوا الجمع بين آليات السوق واستمرار دور الدولة الاجتماعي والاستثماري. ويكشف النقاش بين هذه الاتجاهات أن الإصلاح الاقتصادي لم يكن مسألة فنية أو تكنوقراطية، بل كان صراعاً على إعادة توزيع الموارد والنفوذ وتحديد الفاعلين الاجتماعيين الصاعدين والأقليات داخل النظام (ص 34-49). وانتهى هذا الصراع إلى غلبة الاتجاه التحريري، ولا سيما مع إقرار الخطة الخمسية العاشرة واعتماد مفهوم "اقتصاد السوق الاجتماعي" إطاراً معلنًا للسياسات الاقتصادية الجديدة (ص 49-52).

من حيث المبدأ كان مفهوم اقتصاد السوق الاجتماعي يفترض الجمع بين تشجيع المبادرة الخاصة والحفاظ على وظائف الدولة التنموية والاجتماعية، لكن التطبيق السوري كما يبين المؤلف اختزل الإصلاح المؤسسي في التحرير الاقتصادي، وتعامل مع توسيع دور القطاع الخاص وجذب الاستثمارات بوصفهما هدفين قائمين بذاتهما، من دون بناء المؤسسات القانونية والرقابية اللازمة لتنظيم السوق وضمان المنافسة. فقد جرى تحرير بعض الأسعار، وتوسيع الاستيراد، والسماح للمصارف وشركات التأمين الخاصة، وفتح قطاعات الاتصالات والعقارات والسياحة أمام الاستثمار، في حين ظلّ القضاء ضعيفاً، واستمرت قواعد النفاذ إلى الأسواق والعقود والتراخيص مرتبطة بالعلاقات مع مراكز القرار. ومن ثم، لم ينشأ اقتصاد سوق تنافسي، بل صيغة هجينة جمعت بين آليات السوق واستمرار السلطة في توزيع الامتيازات بطريقة انتقائية.

اتجه جانب مهم من الاستثمارات الجديدة إلى الأنشطة التجارية والخدمية والعقارية والسياحية والمالية الأعلى ربحية، في حين ظلت الزراعة والصناعة والقطاعات الإنتاجية أقل قدرة على جذب رأس المال، ولم ينجح النمو، أيضاً، في توليد فرص عمل تتناسب مع الزيادة السكانية وأعداد الداخلين الجدد إلى سوق العمل، وهو ما أبقى البطالة مرتفعة، ولا سيما بين الشباب والمتعلمين (ص 89-116).

ويبين المؤلف أن سياسات الاستثمار لم تكن محايدة في آثارها الاجتماعية؛ فقد ساعد تركّزها القطاعي والجغرافي على توسيع الفجوة بين المراكز الاقتصادية الرئيسة والمناطق الطرفية، وتركزت نسبة كبيرة من المشروعات والاستثمارات في دمشق وريفها وحلب وبعض المدن الكبرى، بينما حصلت المحافظات الشرقية والجنوبية والأرياف البعيدة على نصيب أقل. ولم يقتصر الاختلال على حجم الاستثمارات، بل شمل نوعية الخدمات والبنية التحتية وفرص التعليم والعمل وقدرة السكان على الوصول إلى مؤسسات الدولة، ونتيجة ذلك تزامن ارتفاع بعض مؤشرات النمو مع استمرار الفقر وسوء توزيع الدخل والبطالة وتراجع قدرة قطاعات واسعة على الاستفادة من التحولات الاقتصادية (ص 110-116).

وتبرز هنا إحدى أهم نقاط قوة الكتاب؛ إذ لا يقدم الفقر تفسيراً آلياً للاحتجاج، فثمة مناطق فقيرة لم تشهد حراكاً واسعاً، ثم إن المشاركين في الاحتجاجات لم يكونوا جميعاً من الفئات الأشد فقراً، ولذلك يميز المؤلف بين الفقر المطلق والحرمان النسبي. فالإحساس بالتهميش، لا ينشأ من مستوى الدخل وحده، بل من مقارنة الأفراد أو الجماعات أوضاعهم بتوقعاتهم وبأوضاع الفئات الأخرى. وقد جعلت أنماط الاستهلاك والثراء الجديدة، وصعود رجال الأعمال المقربين من السلطة، الفوارق الاجتماعية أشد وضوحاً، في وقت عجز فيه عدد كبير من الشباب المتعلمين عن الحصول على عمل مناسب أو تأسيس حياة مستقرة. وبذلك تحول النمو غير المتكافئ إلى مصدر توتر، بدلاً من أن يكون أساساً لتجديد شرعية النظام.

وتصل حجة الكتاب إلى أشد صورها وضوحاً في الفصل الثامن، الذي يحلل "الأطراف والمركز"، بوصفهما شكلاً من أشكال الاستقطاب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. ويبدأ المؤلف برسم خريطة انتشار الاحتجاجات أفقيّاً، ملاحظاً أنها انطلقت أساساً في المدن المتوسطة والصغيرة والبلدات والأرياف والأحياء المهمشة المحيطة بالمدن الكبرى، في حين ظلّ مركزاً دمشق وحلب أكثر هدوءاً خلال الأشهر الأولى. ويربط هذا التفاوت باختلال توزيع الاستثمارات والخدمات وفرص العمل والنفوذ السياسي، وبضعف قدرة سكان المناطق الطرفية على الوصول إلى مؤسسات القرار والتأثير فيها (ص 293-308).

ومع ذلك، يحتاج مفهوم "المئة الكبار" إلى ضبط إجرائي أكبر؛ فالكتاب لا يقدّم معايير محددة وثابتة لإدراج الأفراد والشركات ضمن هذه الفئة، ولا يرسم خريطة متكاملة لشبكات الملكية والشراكات والعلاقات العائلية والسياسية التي تجمع أعضائها، ولا يقدّم كذلك بيانات منتظمة تسمح بالمقارنة بين حجم استثماراتهم أو حصصهم السوقية أو مواقعهم في مجالس إدارة الشركات. ويصعب، بناءً على المادة المقدمة، التمييز بدقة بين رجل الأعمال المرتبط مباشرة بالسلطة، والمستثمر المستفيد من سياساتها، والفاعل الاقتصادي الذي يمتلك نفوذاً مستقلاً نسبياً. ولا تلغي هذه الحدود قيمة المفهوم التفسيرية، لكنها تقلل من إمكان تحويله إلى أداة قابلة للقياس والمقارنة.

وعلى الرغم من هذه الحدود، ينجح باروت في توضيح أن المشكلة لم تكن في الانتقال إلى السوق في حد ذاته، بل في الطريقة السلطوية التي أُدير بها هذا الانتقال. فقد تحررت أجزاء من الاقتصاد قبل بناء القضاء والرقابة والمؤسسات التمثيلية، وتراجع دور الدولة الاجتماعي من دون إنشاء شبكة حماية بديلة، وتوسع القطاع الخاص في ظل قواعد غير متكافئة للنفاذ إلى الفرص. ومن هنا، لم ينتج الإصلاح اقتصاداً أكثر استقلالاً وكفاءة، بل أعاد تشكيل النظام التسلسلي وتحالفاته، وهو ما أسهم في اتساع الفجوة بين المستفيدين من الانفتاح والفئات والمناطق التي تحملت تكلفته.

ثالثاً: من التفاوت التنموي إلى "ثورة الأطراف على المركز"

ينتقل باروت من تحليل سياسات الإصلاح وإعادة تشكيل طبقة رجال الأعمال إلى دراسة النتائج الاجتماعية والمجالية التي ترتبت عليها، ويكتف حجتة في عنوان الفصل الثالث: "نمو أكثر، تنمية أقل: أين تساقطت ثمار النمو؟" (ص 89). ويبنى هذا العنوان على التمييز بين ارتفاع مؤشرات النشاط الاقتصادي الكمية وتحقق التنمية بمعناها الاجتماعي والإنساني؛ فزيادة الناتج المحلي، أو حجم الاستثمارات، لا تعني بالضرورة اتساع فرص العمل، أو انخفاض الفقر، أو تحسن الخدمات، ولا سيما عندما تتركز عوائد النمو في قطاعات ومناطق وفئات محددة.

وينطلق المؤلف من مفهوم التنمية الإنسانية الذي لا يقيس التقدم بزيادة الدخل وحدها، بل بمدى تحسن قدرات السكان وفرصهم في التعليم والعمل والصحة والسكن والحماية الاجتماعية. ومن هذا المنظور، لم تكمن المشكلة في انخفاض النمو الاقتصادي فحسب، بل في طبيعة القطاعات التي قادته وطريقة توزيع عوائده؛ فقد

تركيبًا، تبدأ بتحرير اقتصادي انتقائي، يليه تراجع في وظائف الدولة الاجتماعية واتساع في التفاوت المجالي، ثم شعور متزايد بالحرمان وضعف في قنوات التمثيل، قبل أن تتدخل الممارسة الأمنية لتحوّل القابلية الكامنة إلى احتجاج جماعي. ومن هنا، تتمثل قيمة تحليله في توضيح أن الثورة لم تكن انفجارًا مفاجئًا، بل نتيجة تفاعل طويل بين السياسات الاقتصادية وبنية السلطة وخبرات المجتمعات المحلية.

رابعًا: من الاحتجاج المحلي إلى العسكرة وإخفاق التسوية التاريخية

يركز المؤلف على أحداث درعا، بوصفها اللحظة التي تحولت فيها مطلومية محلية إلى احتجاج جماعي واسع، فلم تكن حادثة اعتقال الأطفال بسبب كتابتهم شعارات مناهضة للنظام على الجدران كافية في حدّ ذاتها لتفسير اندلاع الاحتجاج، بل اكتسبت دلالتها من الطريقة المهينة التي تعاملت بها الأجهزة الأمنية مع أسرهم ووجهاء المنطقة. وقد عكست عبارة "مذلون مهانون" (ص 182)، التي يستخدمها المؤلف في توصيف هذه اللحظة، مركزية الكرامة في تفسير انتقال المجتمع المحلي من المطالبة بالإفراج عن الأطفال إلى الاعتراض على ممارسات السلطة نفسها (ص 180-184). إضافة إلى ذلك، جاءت الحادثة في بيئة سابقة اتسمت بتراجع الزراعة والبطالة وضعف الخدمات وتعسف المسؤولين المحليين، وأسهمت الروابط العائلية والعشائرية في تحويل الاعتداء على أفراد محددين إلى قضية تخص الجماعة المحلية كلها.

وأدى اقتحام الجامع العمري واستخدام القوة وسقوط الضحايا إلى نقل الاحتجاج إلى مستوى جديد؛ فقد أنتج القتل جنازات واسعة تحولت كذلك إلى تظاهرات، ثم أدى قمعه إلى مزيد من الضحايا، لتتشكّل دائرة متصاعدة من الفعل ورد الفعل. ومن هنا، لم يكن القمع استجابة أمنية هدفها إنهاء الاحتجاجات فحسب، بل أصبح أيضًا أحد العوامل التي وسّعتها ودفعته فئات جديدة إلى المشاركة فيها. ويتوقف هذا الأثر، كما يظهر من خلال تحليل المؤلف، على وجود شبكات تضامن قادرة على نقل المطلومية من المستوى الفردي إلى الجماعي، وعلى وجود مناسبات ورموز، مثل الجنازات وأيام الجمعة، تستطيع تحويل الغضب إلى فعل سياسي متكرر (ص 184-192).

ويولي المؤلف خطابَ بشار الأسد، في 30 آذار/ مارس 2011، الذي كان يُنتظر منه تقديم استجابة سياسية للأزمة، أهميةً خاصة، إلا أن الخطاب تبنى بدرجة كبيرة رواية المؤامرة، ولم يعترف بأسباب الاحتجاج الداخلية أو بحجم التحول الذي وقع. ويصف المؤلف أثره بـ "صدمة الثلاثين من آذار"، لأنه وسع الفجوة بين توقعات قطاعات

وفي ضوء ذلك، يصوغ المؤلف مفهوم "ثورة الأطراف على المركز"، لتفسير خريطة الاحتجاج في مرحلتها الأولى (ص 309-329)؛ فالمناطق الطرفية لم تكن أشد فقرًا فحسب، بل كانت أكثر تعرّضًا لتعسف المسؤولين المحليين وأضعف قدرة على إيصال مطالبها عبر المؤسسات الرسمية. وحينما اندلعت الاحتجاجات، تفاعلت المظالم الاقتصادية والتنموية مع الإهانة الأمنية والروابط العائلية والعشائرية والذاكرة المحلية، فتحوّلت وقائع محدودة إلى تعبئة جماعية. ومن هنا، لا يفسر التفاوت التنموي الثورة بطريقة مباشرة، بل يفسر البيئة التي جعلت بعض المناطق أكثر قابلية لتحويل الحوادث المحلية إلى احتجاجات واسعة.

وتظهر هذه الآلية في حالة درعا، حيث جاءت حادثة اعتقال الأطفال وطريقة التعامل المهينة مع أسرهم ووجهاء المنطقة، في بيئة تعاني تراكم مشكلات تتعلق بالزراعة والبطالة والخدمات والفساد وتعسف السلطات المحلية. وأسهمت الروابط العائلية والعشائرية في توسيع دائرة التضامن، فلم يُفهم الاعتداء بوصفه انتهاكًا لحقوق أفراد منفصلين، بل بوصفه مساسًا بكرامة الجماعة المحلية كلها. ويتقاطع هذا التحليل مع دراسة رينود ليندرز لشبكات التعبئة في درعا، التي أبرزت دور الروابط الاجتماعية الكثيفة وخبرات التعاون السابقة في تحويل المطلومية إلى فعل جماعي منظم⁽⁷⁾.

لكن المفهوم يواجه في الوقت نفسه عددًا من الحدود. فمن جهة أولى، ليست جميع المناطق الطرفية قد احتجت بالدرجة نفسها، كما لم يكن جميع سكان المدن الكبرى مستفيدين من النظام الاقتصادي. ومن جهة ثانية، قد يمتلك بعض وجهاء المناطق الطرفية علاقات قوية بمراكز السلطة، بينما يعيش سكان أحياء قريبة من دمشق بعيدًا عن مؤسساتها وفرصها. ومن جهة ثالثة، لا يوضح التفاوت التنموي وحده السبب في اختلاف مستويات التعبئة بين مناطق متقاربة في معدلات الفقر والبطالة والخدمات. ولذلك، كان من الممكن تعزيز حجة الكتاب بعقد مقارنة منهجية بين حالات متشابهة اقتصاديًا ومختلفة احتجاجيًا، من أجل تحديد أثر متغيرات أخرى مثل كثافة الحضور الأمني، وقوة شبكات التضامن، والذاكرة السياسية، وتركيب النخب المحلية، وأنماط العلاقة السابقة مع الدولة.

وعلى الرغم من هذه الملاحظات، ينجح باروت في تجاوز التفسيرات التي تختزل الثورة في الفقر، أو في أثر وسائل التواصل الاجتماعي، أو في انتقال عدوى الربيع العربي؛ فهو يقدم سلسلة سببية أكثر

7 Reinoud Leenders, "Collective Action and Mobilization in Dara'a: An Anatomy of the Onset of Syria's Popular Uprising," *Mobilization: An International Quarterly*, vol. 17, no. 4 (December 2012), pp. 419-434.

مسألة أساسية؛ لأن الانتقال إلى العمليات العسكرية لم يكن توسعاً تلقائياً في القمع فحسب، بل كان أيضاً خياراً سياسياً ومؤسسياً أسهم في تحديد مسار الصراع. وقد بينت دراسات لاحقة عن منظومة العنف في سورية أن الممارسة الأمنية لم تكن أداة لحماية النظام فحسب، بل كانت كذلك جزءاً من طريقة إنتاج السلطة وعلاقتها بالمجتمع⁽⁹⁾، وهو ما يساعد على تفسير صعوبة الانتقال من الحل الأمني إلى التفاوض السياسي.

غير أن "التسوية التاريخية" (ص 394-400) ظلت أقرب إلى أفق معياري من كونها سيناريو سياسياً قابلاً للتنفيذ؛ فالكتاب لا يحدد بدقة أطراف التسوية، ولا موازين القوى التي يمكن أن تدفع السلطة إلى تقديم تنازلات جوهرية، ولا الجهة القادرة على تمثيل المحتجين وإلزامهم بنتائج التفاوض. ولا يوضح الكتاب الضمانات المؤسسية اللازمة لتنفيذ التسوية في ظل استمرار القمع وانعدام الثقة، ولا يعالج التناقض بين الدعوة إلى التفاوض واستمرار استخدام القوة لإعادة الوضع إلى ما كان عليه؛ ومن ثم ينجح المؤلف في بيان ضرورة التسوية الوطنية، لكنه لا يقدم تحليلاً كافياً لشروط إمكانها.

خامساً: قيمة الكتاب التفسيرية وحدوده في ضوء المسار السوري اللاحق

تتطلب إعادة قراءة كتاب العقد الأخير في تاريخ سورية، بعد مرور أكثر من عقد على صدوره، التمييز بين مستويين: قدرة الكتاب على تفسير الشروط التي أنتجت الثورة وانتشار احتجاجاتها الأولى، وقدرته على تفسير المسار الذي اتخذته الأزمة لاحقاً، بما شمله من عسكرية وتدويل وصعودٍ للفاعلين المسلحين، فضلاً عن اقتصادات الحرب. ولا تهدف هذه القراءة إلى مطالبة المؤلف بتفسير أحداث لم تكن قد وقعت عند إنجاز الكتاب، بل تهدف إلى اختبار القوة التفسيرية لمفاهيمه في ضوء المسار السوري اللاحق، وتحديد ما أثبتت التطورات صلاحيته وما كشفت عن محدوديته.

وتكشف هذه المقارنة أن تفسير الثورات لا يكتمل بتحليل غط الاقتصاد أو مستوى الفقر ودرجة التسلط؛ فالعوامل التي تفسر نشوء قابلية للاحتجاج ليست بالضرورة هي العوامل نفسها التي تحدد مآلاته، ويؤدي الاقتصاد السياسي دوراً مهماً في تفسير تآكل قاعدة النظام الاجتماعية وتصاعد المظالم. لكن بنية الدولة، وعلاقات

كانت لا تزال تراهن على إمكان الإصلاح من داخل النظام وبين إصرار السلطة على معالجة الأزمة من منظور أمني (ص 204-216). ولم يكن أثر الخطاب ناتجاً من مضمونه وحده، بل من انهيار التوقعات التي أحاطت به؛ إذ عزز الاقتناع بأن استخدام القوة ليس تجاوزاً مؤقتاً يمكن تصحيحه، بل إنه تعبير عن طبيعة النظام وآليات عمله.

ومع انتقال السلطة من الاحتواء الأمني المحدود إلى تنفيذ عمليات عسكرية واسعة، بدأت الأزمة تدخل طوراً مختلفاً. ويرصد المؤلف العمليات التي شهدتها درعا وتلكلخ وجسر الشغور وجبل الزاوية وحماة وحمص، وما رافقها من حصار واعتقالات وسقوط ضحايا وموجات نزوح (ص 249-292). ولم تعد الدولة تواجه تظاهرات متفرقة بأدوات الشرطة والأمن فحسب، بل استخدمت وحدات عسكرية في اقتحام المدن وملاحقة المحتجين وفرض السيطرة على المجال المحلي. وأسهم ذلك في إضعاف فرص الحل السياسي، وتوسيع الخوف، وتعزيز الاعتقاد لدى قطاعات متزايدة أن الاحتجاج السلمي غير قادر وحده على حماية المشاركين فيه. ويتقاطع هذا الاستنتاج مع تحليل عزمي بشار، الذي تعامل مع انتقال الثورة إلى العمل المسلح، بوصفه نتيجة لمسار تراكمي ارتبط بتصاعد القمع، وانسداد إمكانات الحل السياسي، وتزايد الانشقاقات العسكرية. قبل أن يتطور العمل المسلح في ظل ضعف التنسيق والتنظيم⁽⁸⁾.

ويرصد الكتاب بدايات الانتقال الأولى نحو حمل السلاح، لكنه لا يقدمها بوصفها قراراً مركزياً أو تحولاً شاملاً خلال الفترة التي يشملها. فقد ظهرت حالات محدودة من المقاومة المحلية والانشقاق العسكري ومحاولات حماية المتظاهرين، ولا سيما في المناطق التي تعرضت لعمليات واسعة. ويشير ذلك إلى أن القمع والعمليات العسكرية كانا من أهم العوامل التي دفعت قطاعات من الحركة الاحتجاجية إلى حمل السلاح، من دون اختزال العسكرية في عامل واحد أو إغفال أثر الانشقاقات العسكرية والديناميات المحلية وتراجع فرص التسوية السياسية، ثم إن حمل السلاح لم يكن آنذاك استراتيجية موحدة للحركة، بل كان استجابات محلية متفرقة سبقت ظهور التشكيلات العسكرية المنظمة.

وتتمثل إحدى نقاط الضعف في هذا الجزء في محدودية التحليل المؤسسي لقرار استخدام الجيش؛ فالكتاب يرصد العمليات العسكرية وآثارها، لكنه لا يوضح بالتفصيل العلاقة بين القيادة السياسية والجيش والأجهزة الأمنية، ولا يحدد مراكز اتخاذ القرار أو مدى وجود خلافات داخل مؤسسات الدولة بشأن إدارة الأزمة. وهذه

9 Salwa Ismail, *The Rule of Violence: Subjectivity, Memory and Government in Syria* (Cambridge: Cambridge University Press, 2018), pp. 30-64.

8 عزمي بشار، سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص 189-222.

إلى ساحة صراع إقليمي ودولي. وقد بين كريستوفر فيليبس أن هذه التدخلات لم تكن استجابات لمسار داخلي فحسب، بل أعادت تشكيل الفاعلين المحليين وخياراتهم وقدرتهم على الاستمرار أيضاً⁽¹¹⁾.

وعلى الرغم من هذه الحدود، تظل علاقة الأطراف بالمركز من أكثر أفكار الكتاب راهنيةً بعد سقوط نظام الأسد في كانون الأول / ديسمبر 2024. فقد خرجت المناطق السورية من الحرب بخبرات سياسية وأمنية واقتصادية مختلفة، وبدرجات متفاوتة من الارتباط بالحكومة المركزية أو القوى المحلية والخارجية، وأنتجت سنوات الصراع، أيضاً، سلطات أمر واقع وشبكات اقتصادية ومؤسسات محلية متباينة، ولذلك لا تكفي إعادة توحيد الهياكل الرسمية لإعادة بناء الدولة، بل يتطلب الأمر معالجة أسباب التهميش وضعف التمثيل وتفاوت الخدمات والموارد التي شخصها باروت قبل الثورة.

ومن هنا، لا تقتصر أهمية الكتاب على تفسير أسباب الثورة، بل تمتد إلى التحذير من إعادة إنتاج شروطها البنيوية؛ فالنمو الاقتصادي لن يعزز الاستقرار إذا لم ينعكس في فرص العمل والخدمات والحماية الاجتماعية، والانفتاح الاقتصادي لن يؤدي إلى التنمية إذا ظل الوصول إلى الموارد مرتبطاً بالنفوذ السياسي، وتوحيد مؤسسات الدولة لن يحقق الاندماج الوطني إذا لم يقترن بتمثيل محلي عادل وتوزيع متوازن للموارد. وبهذا المعنى، يقدم الكتاب إطاراً لفهم الماضي واختبار سياسات المرحلة الانتقالية، حتى إن كانت مفاهيمه تحتاج إلى الاستكمال بتحليل بنية العنف والتدخلات الخارجية واقتصاد الحرب. وفي هذا المجال، يمثل كتاب بشاره استكمالاً زمنياً وتحليلياً لعمل باروت؛ إذ تابع تطور الثورة خلال عامين إضافيين، وركز بطريقة أوسع على تفاعل القمع والعسكرة والانقسامات السياسية والتدخلات الإقليمية والدولية في تشكيل مسار الصراع⁽¹²⁾.

خاتمة

يمثل كتاب العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح محاولة مبكرة لتفسير التحولات التي أدت إلى الثورة السورية. وتكمن أهميته في أنه لم يتعامل مع احتجاجات عام 2011، بوصفها حدثاً مفاجئاً أو امتداداً لموجة الثورات العربية، بل أعادها إلى التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها سورية خلال العقد الأول من حكم بشار الأسد. ومن خلال الجمع بين الاقتصاد السياسي

الولاء داخل الجيش والأجهزة الأمنية، وقدرة مؤسسات الحكم على الانقسام أو التفاوض، تحدد إلى حد بعيد إن كانت الأزمة ستقود إلى انتقال سياسي، أو قمع واسع، أو حرب ممتدة. ويتقاطع استنتاج المؤلف في هذا المجال مع تحليل ريموند هينبوش، الذي ربط اندلاع الثورة بتراجع تحالفات النظام الريفية والشعبوية وصعود رأسمالية المحاسيب⁽¹⁰⁾، لكنه منح بنية النظام واستجابته القمعية وزناً أكبر في تفسير انتقال المطالب الإصلاحية إلى محاولة ثورية.

أثبت المسار السوري اللاحق قوة عدد من استنتاجات المؤلف، فقد كان تشخيصه لتراجع العقد الاجتماعي، واتساع التفاوت التنموي، وتهميش المناطق الطرفية، وصعود شبكات رجال الأعمال المرتبطة بالسلطة، من أكثر عناصر الكتاب قدرة على تفسير البيئة السابقة للثورة. وأثبتت التطورات أهمية ملاحظته المتعلقة بدور القمع في توسيع الاحتجاج؛ إذ لم يؤد استخدام القوة إلى استعادة الاستقرار، بل أسهم في رفع سقف المطالب وتوسيع الانخراط المحلي وإضعاف فرص التسوية، وكان تحذيره من مخاطر التمزق الأهلي والتدخل الخارجي سابقاً زمنياً، أيضاً، لظهور هذه المخاطر بصورتها الواسعة خلال السنوات اللاحقة.

غير أن الكتاب يبدو أكثر نجاحاً في تفسير تشكّل القابلية للثورة وانتشار احتجاجاتها الأولى من تفسير انتقالها إلى صراع مسلح ومدول. ويتمثل القيد الأول في محدودية تحليل بنية الدولة الأمنية والعسكرية، فقد تناول المؤلف أثر القمع والعمليات العسكرية في المحتجين، لكنه لم يدرس بالعمق نفسه شبكات الولاء داخل الجيش والأجهزة الأمنية، أو علاقة التشكيلات العسكرية بمراكز السلطة، أو الآليات المؤسسية التي حافظت على تماسك النواة الصلبة بالنسبة إلى النظام. وقد أظهر المسار اللاحق أن قدرة هذه النواة على الاستمرار، واعتمادها على تشكيلات ذات ولاء مرتفع، كانا عامليّن حاسمين في منع حدوث انقسام مؤسسي مشابه للحالتين المصرية أو التونسية.

أما القيد الثاني، فيتعلق بالعوامل الإقليمية والدولية، فقد أُلّف الكتاب في وقت كانت فيه هذه العوامل لا تزال محدودة نسبياً، ولم تكن طبيعة التنافس الإقليمي والدولي في سورية قد اتضحت، لكنّ التدخلات الخارجية أصبحت لاحقاً متغيراً أساسياً في تحديد موازين القوة وإطالة أمد الصراع ومنع حسمه الداخلي. وأسهم الدعم الإيراني والروسي للنظام، والانخراط التركي، ودعم دول إقليمية وغربية لفصائل المعارضة، وصعود تنظيمات عابرة للحدود، ثم التدخل العسكري المباشر لقوى متعددة، في تحويل الأزمة من ثورة داخلية

11 Christopher Phillips, *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East* (New Haven, CT: Yale University Press, 2016), pp. 105-167.

10 Raymond Hinnebusch, "Syria: From 'Authoritarian Upgrading' to Revolution?" *International Affairs*, vol. 88, no. 1 (January 2012), pp. 95-113.

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

بطاطو، حنا. فلاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم. ترجمة عبد الله فاضل ورائد النقشبندى. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

هايدمان، ستيفن. التسليطة في سورية: صراع المجتمع والدولة. ترجمة عباس عباس. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2011.

الأجنبية

Haddad, Bassam. *Business Networks in Syria: The Political Economy of Authoritarian Resilience*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2012.

Hinnebusch, Raymond. *Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party, and Peasant*. Boulder, CO: Westview Press, 1990.

_____. "Syria: From 'Authoritarian Upgrading' to Revolution?" *International Affairs*. vol. 88, no. 1 (January 2012).

Ismail, Salwa. *The Rule of Violence: Subjectivity, Memory and Government in Syria*. Cambridge: Cambridge University Press, 2018.

Leenders, Reinoud. "Collective Action and Mobilization in Dar'a: An Anatomy of the Onset of Syria's Popular Uprising." *Mobilization: An International Quarterly*. vol. 17, no. 4 (December 2012).

Perthes, Volker. *The Political Economy of Syria under Asad*. London: I.B. Tauris, 1995.

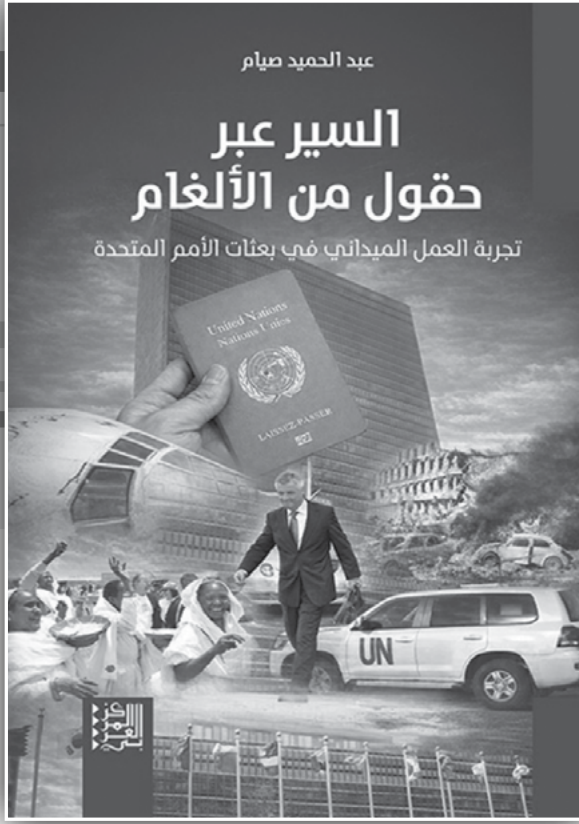
Phillips, Christopher. *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East*. New Haven, CT: Yale University Press, 2016.

والتحليل التاريخي ورصد الاحتجاجات في أشهرها الأولى، قدم باروت تفسيرًا يتجاوز السرد الحديث، ويربط بين السياسات العامة وتغيّر التحالفات الاجتماعية والتفاوت المناطقي وتراجع قدرة الدولة على استيعاب المطالب.

لكن الكتاب يظل أكثر نجاحًا في تفسير تشكّل القابلية للثورة وانتشار احتجاجاتها الأولى من تفسير انتقالها إلى حرب مسلحة ومدوّلة. فقد منح الاقتصاد السياسي والتفاوت التنموي وزنًا أكبر من بنية الدولة الأمنية والعسكرية، ولم تكن التدخلات الإقليمية والدولية، أو التنظيمات المسلحة، أو اقتصاد الحرب، قد تبلورت عند إنجازه. وظلّت بعض مفاهيمه، ولا سيما "المئة الكبار" و"الأطراف والمركز" و"التسوية التاريخية"، في حاجة إلى ضبط إجرائي يسمح باختبارها في دراسات مقارنة.

لا تقلل هذه الحدود من قيمة الكتاب العلمية، بل تحدد نطاقه التاريخي والتفسيري، فهو يظل مرجعًا أساسيًا لفهم العقد السابق للثورة ولتوثيق مرحلتها التأسيسية، و"أرضية" يمكن استكمالها بالأدبيات اللاحقة المتعلقة ببنية العنف والعسكرة والتدويل واقتصاد الحرب. ويكتسب راهنية متجددة بعد سقوط نظام الأسد؛ لأن المشكلات التي شخصها، مثل التفاوت المناطقي، وضعف المؤسسات، وتركيز الموارد، وشبكات المصالح، لا تختفي تلقائيًا بتغير السلطة.

وتظلّ الرسالة الأهم في الكتاب أن الإصلاح الاقتصادي لا ينتج الاستقرار ما لم يقترن بإصلاح مؤسسي وسياسي، وأن النمو لا يتحول إلى تنمية ما لم ينعكس في فرص العمل والخدمات والحماية الاجتماعية وتوزيع الموارد المتوازن بطرائق متوازنة. ومن ثم، فإن بناء الدولة السورية في المرحلة الانتقالية، يتطلب تجنب إعادة إنتاج اللبلة الانتقائية وشبكات الامتياز، وربط إعادة الإعمار بسيادة القانون والرقابة والتمثيل المحلي والتنمية المتوازنة. وبذلك، لا يقدّم الكتاب تفسيرًا لاندلاع الثورة فحسب، بل يوفر أيضًا تحذيرًا من إعادة إنتاج شروطها البنيوية في صورة جديدة.



صدر حديثاً

تأليف: عبد الحميد صيام

السير عبر حقول الألغام: تجربة العمل الميداني في بعثات الأمم المتحدة

يضم الكتاب صفحات من سيرة الكاتب المهنية وملاحظاته وانطباعاته خلال عمله الميداني في ست بعثات بتكليف من الأمم المتحدة، ويعرض محطات من تجربته الشخصية والمهنية الممتدة أكثر من ربع قرن. يسجل الكاتب ملاحظاته بشأن أزمات دولية انخرطت فيها الأمم المتحدة وعمل في بعثاتها إما ملحقاً إعلامياً، أو متحدثاً رسمياً، أو أحد أعضاء فريق تحقيق، أو مبعوثاً لإدارة الإعلام، وتحديدًا في قسم الإذاعة والأخبار. ويركّز على الأزمات التي أدرجتها الأمم المتحدة على جدول أعمالها. ويقدم في مطلع كل فصل خلفية عن سياق الأزمة، فينتقل إلى سرد تجربته الميدانية، ثم يختم الفصل بخلاصات وتحليلات مستمدة من التجربة. تقدم فصول الكتاب نماذج متباينة لدور الأمم المتحدة في إدارة النزاعات، من العقوبات الشاملة على العراق، والجزئية على ليبيا، إلى المفاوضات الطويلة الأمد في الصحراء الغربية، فضلًا عن شرعنة استخدام القوة في أفغانستان والعراق (1991)، في مقابل الإحجام عن شرعنة حرب عام 2003 على العراق.

دراسة مترجمة

Translation

جوان شارب | Joanne P. Sharp*

ترجمة سجي طرمان | **Translated by Saja Torman

الجيوبوليتيكا في الهوامش؟

إعادة النظر في جينيات الجيوبوليتيكا النقدية***

Geopolitics at the Margins?

Reconsidering Genealogies of Critical Geopolitics

أصبحت الجيوبوليتيكا النقدية أحد أشد فروع الجغرافيا السياسية حيوية. غير أنها لا تزال، إلى حد بعيد، تمثل نمطاً غربياً في إنتاج المعرفة، ولم تول تقاليد التفكير الأخرى اهتماماً يُذكر. تنخرط هذه الدراسة في تقليد الأفروعمومية، وبوجه خاص في رؤية جوليوس نيريري، مهندس دولة تنزانيا في مرحلة ما بعد الاستعمار، لاستكشاف هذا الإسهام الذي ظل مهملًا في المقاربات النقدية للجيوبوليتيكا. فقد سعت الأفروعمومية إلى بلورة عوالم بديلة لما بعد الاستعمار، في مواجهة الجيوبوليتيكا الثنائية للحرب الباردة والاقتصاد الجيوسياسي للاستعمار الجديد. وأدى تقسيم العمل الأكاديمي إلى إقصاء هذه الأفكار داخل حقل الدراسات الأفريقية، بدلاً من إدراجها في النقاشات الأوسع المتعلقة بتعريف المفاهيم الأساسية في التخصصات الأكاديمية. غير أنه يمكن النظر إلى التفكير القاري لدى نيريري بوصفه مخيالاً جيوسياسياً، يتحدى الإسقاطات المهيمنة للواقعية الجديدة، ولا يزال ينطوي على إسهام مهم يمكن أن يقدمه إلى الجغرافيا السياسية المعاصرة.

كلمات مفتاحية: الجيوبوليتيكا التابعة، الأفروعمومية، الجيوبوليتيكا النقدية، ما بعد الاستعمار.

Critical geopolitics has become one of the most vibrant parts of political geography. However it remains a particularly western way of knowing which has been much less attentive to other traditions of thinking. This paper engages with Pan-Africanism, and specifically the vision of the architect of post-colonial Tanzania, Julius Nyerere, to explore this overlooked contribution to critical engagements with geopolitics. Pan-Africanism sought to forge alternative post-colonial worlds to the binary geopolitics of the Cold War and the geopolitical economy of neo-colonialism. The academic division of labour has meant that these ideas have been consigned to African studies rather than being drawn into wider debates around the definitions of key disciplinary concepts. However Nyerere's continental thinking can be seen as a form of geopolitical imagination that challenges dominant neo-realist projections, and which still has much to offer contemporary political geography.

Keywords: Subaltern Geopolitics, Pan-Africanism, Critical Geopolitics, Postcolonialism.

* أستاذة، كلية العلوم الجغرافية وعلوم الأرض، جامعة غلاسكو.

Professor, School of Geographical and Earth Sciences, University of Glasgow.

** باحثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Researcher at the Arab Centre for Research and Policy Studies. Email: saja.torman@dohainstitute.edu.qa

*** هذا النص ترجمة لدراسة:

Joanne P. Sharp, "Geopolitics at the Margins? Reconsidering Genealogies of Critical Geopolitics," *Political Geography*, vol. 37 (2013), pp. 20-29, accessed on 31/8/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sDD>

مقدمة

"نود، نحن شعب تنجانيقا⁽¹⁾، أن نوقد شمعة ونضعها على قمة جبل كيليمينجارو⁽²⁾، ليسطع نورها ويمتد في الأفق بعيداً خلف تخومنا، فتمنح الأمل حيث خيم اليأس، والمحبة حيث طغت الكراهية، والكرامة حيث لم يكن ثمة شيء سوى الإذلال والمهانة" (الرئيس جوليوس نيريري⁽³⁾ بمناسبة استقلال تنجانيقا، عام 1961).

باتت الجيوبوليتيكا النقدية Critical Geopolitics⁽⁴⁾ أحد أشد مجالات الجغرافيا السياسية حيويةً منذ أن قدّم غريويد أوتوهيل المفهوم أول مرة في أواخر ثمانينيات القرن العشرين. ومنذ الانشغال الأولي بصياغة العلاقات السياسية - الجغرافية العالمية ضمن المجالات الرسمية لإدارة الدولة، خضعت الجيوبوليتيكا النقدية لعدد من المراجعات؛ إذ إنها توسّعت لتتجاوز الانغلاق على ما تشغل به النخب، التي تدير الدولة، إلى تحليل الكيفية التي يجري بها ترسيخ السرديات الجيوسياسية المهيمنة في المجتمع الأوسع، وانتقلت من التركيز على بيانات النخب السياسية (من الذكور) إلى الاهتمام بتجارب السياسة النطاقية Scalar Politics⁽⁵⁾ التي تتجسد لدى طيف متنوع من الأفراد والجماهير.

وعلى الرغم من هذه التطورات، ومع أن ذلك لم يكن الهدف الأصلي⁽⁶⁾، ما تزال الجيوبوليتيكا النقدية تمثّل، إلى حدّ بعيد، نمطاً معرفياً ذا طابع غربي، لم يُولِ التقاليد الأخرى في التفكير في السياسة الدولية، ولا دور الدولة والمواطن، ضمن هذه السرديات، اهتماماً كافياً. ومن هذا المنطلق، أسعى إلى العودة إلى ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، لاستحضار الخطابات والممارسات المرتبطة بالحركة الأفروعمومية⁽⁷⁾، والتي سعت إلى بلورة عوالم ما بعد استعمارية بديلة، في مواجهة الجيوسياسية الثنائية للحرب الباردة، وكذلك البنية الجيوسياسية - الاقتصادية للاستعمار الجديد. وهو ما أشرتُ إليه في أعمال سابقة بمفهوم "الجيوبوليتيكا التابعة" Subaltern Geopolitics⁽⁸⁾. وأناقص، على وجه التحديد، الرؤية الجيوبوليتيكية لمؤسس تنزانيا ما بعد الاستعمار، جوليوس نيريري Julius Nyerere، الذي، كما يشير ما اقتبسته في افتتاحية هذه الدراسة، قدّم تصوراً جيوسائياً قائماً على الأمل وإشراك الجميع، يعترف بالهشاشة المشتركة بين الشعوب بدلاً من السعي إلى إقصاء الاختلاف. لقد أسهمت الجيوسياسية المرتبطة بتقسيم العمل الأكاديمي، كما أوضحها كارل بليتش بحذاقة⁽⁹⁾، في حصر أفكار نيريري ضمن حقل الدراسات الأفريقية، بدلاً من إدماجها في النقاشات الأوسع المتعلقة بتعريف المفاهيم الأساسية في التخصص.

6 قُدِّمت الجيوبوليتيكا النقدية Critical Geopolitics في البداية بوصفها مفهوماً نقدياً على نحو غير قابل للاختزال، وكان يُراد لها أن تكون نقداً للمعرفة، لا شكلاً من أشكال المعرفة في حد ذاتها. غير أن شيوع هذا المصطلح في الآونة الأخيرة، وربما استخدامه أحياناً بصورة غير متفحصة أو غير نقدية، قد جعله، في كثير من الحالات، أقرب إلى حقل فرعي من الجغرافيا السياسية Political Geography.

7 تقوم فكرة الوحدة الأفريقية Pan-Africanism أو الأفروعمومية، كما نعتمدها اصطلاحاً في ترجمة هذا النص، على أن الشعوب المنحدرة من أصول أفريقية تجمعها مصالح مشتركة، وينبغي لها أن تتوحد. وقد اتخذت الوحدة الأفريقية، تاريخياً، في كثير من الأحيان شكل حركة سياسية أو ثقافية، كما ظهرت في صور واتجاهات متعددة. وفي أضيق تجلياتها السياسية، يتصور أنصارها قيام أمة أفريقية موحدة يستطيع أن يعيش فيها جميع أفراد الشتات الأفريقي. ويشير مصطلح الشتات الأفريقي إلى العملية التاريخية الممتدة التي تشتت من خلالها المنحدرون من أصول أفريقية بعيداً عن أوطان أسلافهم إلى مناطق مختلفة من العالم. أما معناها الأكثر عمومية، فتعبر الوحدة الأفريقية عن الشعور بأن الشعوب المنحدرة من أصول أفريقية تشترك في كثير من الروابط والسمات والمصالح، وأن هذا الاشتراك جدير بالاعتراف به، بل الاحتفاء به، ما جعلها تتخذ طابع حركة اجتماعية سياسية، تشمل طيفاً واسعاً من الأفكار والطموحات والتحديات، والرموز والسياقات المحلية والثقافية، لكن جوهرها قضية واقعية واحدة: التحرر والتنمية للشعوب التي تأثرت تأثيراً مشتركاً بتجربة غزو أفريقيا واستعمارها واستغلالها خلال بضعة قرون مضت، وما زالت قضاياها المعاصرة مشتركة بسبب تلك التجربة. فعروة الانتماء الأفروعمومي هي التجربة والأهداف المشتركة، بغض النظر عن أي ميراث ثقافي أو قومي معيّن. (المترجمة)

8 Joanne P. Sharp, "Subaltern Geopolitics: Introduction," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 271-273; Joanne P. Sharp, "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror': Postcolonial Security in Tanzania," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 297-305.

9 Carl E. Pletsch, "The Three Worlds, or the Division of Social Scientific Labor, circa 1950-1975," *Comparative Studies in Society and History*, vol. 23, no. 4 (1981), pp. 565-590.

- 1 تنجانيقا Tanganyika هو الاسم التاريخي لما نعرفه اليوم باسم تنزانيا، التي كانت تُعرف قبل نهاية الحرب العالمية الأولى باسم شرق أفريقيا الألمانية. خضعت للاندثار البريطاني بعد عام 1919 باسم إقليم تنجانيقا، إلى أن نالت الاستقلال عام 1961. وعام 1964، اتحد الإقليم مع زنجبار لتشكل دولة تنزانيا الحديثة، مع تمتع زنجبار بحكم ذاتي موشع. (المترجمة)
- 2 الجبل الأعلى ارتفاعاً في أفريقيا، يقع في شمال شرق تنزانيا قرب حدودها مع كينيا. (المترجمة)
- 3 جوليوس كامباراجي نيريري Julius Kamburage Nyerere (1919-1999)، أول رئيس حكم تنزانيا (1964-1985)، وهو أحد أبرز قادة حركات التحرر الوطني في أفريقيا. يُعرف بتصوره لنسخة أفريقية للاشتراكية، متجذرة في التقاليد الأفريقية، تسمى أوجاما Ujamaa. (المترجمة)
- 4 تتعدد المقابلات العربية لمصطلح Geopolitics، ومنها "الجيوسياسية" و"الجيوبوليتيكا" و"الجيوبوليتكس". ونعتمد في هذه الترجمة مصطلح "الجيوبوليتيكا" عند الإشارة إلى الحقل المعرفي وممارساته، ولا سيما "الجيوبوليتيكا النقدية" Critical Geopolitics، حفاظاً على حمولته الاستعمارية؛ في حين نستخدم نعت "الجيوسياسي" عندما يحيل السياق إلى التصور الكلاسيكي القائم على دراسة أثر الجغرافيا في سلوك الدولة الخارجي وصراعاها مع الدول الأخرى على المجال. ونعتمد هذا التمييز من أجل إبراز الاختلافات المفهومية التي يناقشها المقال، من دون افتراض وجود مقابلين متمايزين على هذا النحو في الأصل الإنكليزي.
- 5 تشير السياسة النطاقية، أو المتعددة النطاقات المكانية، إلى أن السياسة تجري عبر مجموعة متداخلة من النطاقات المكانية: محلية وحضرية وإقليمية/ جهوية ووطنية وعابرة للحدود وعالمية. ويكمن جوهر السياسة النطاقية في أن نطاق السياسة يُبنى/ يُنتج خطابياً، فالفاعلون السياسيون هم الذين يعرّفون ما إذا كانت قضية ما محلية أو وطنية أو عالمية ويعيدون تعريفها. (المترجمة)

وثيق الصلة بهذا المجال أيضًا، إذ إنه يؤكد أن "عملية نزاع الطابع الاستعماري عن حقل العلاقات الدولية لم تكن تبدأ"⁽¹⁵⁾. وعلى نحو أشد تحديدًا، يجادل جيمس تاينر بأن "جغرافياتنا، ولا سيما جغرافياتنا السياسية، لا تزال بعيدة إلى حد بعيد عن المنظرين والنظريات غير الأوروبية. وتعاني مؤلفاتنا حول القومية والهويات، على وجه الخصوص، قصورًا واضحًا في تناول القومية الأفريقية الجامعة/ الأفروعمومية Pan-African Nationalism وغيرها من حركات الشتات الأفريقي"⁽¹⁶⁾.

يرى ديفيد سلاتر⁽¹⁷⁾، مستندًا إلى تأكيد ديبش تشاكرابارتي⁽¹⁸⁾ ضرورة "أقلمة أوروبا" أو "إضفاء الطابع الإقليمي عليها" Provincialising Europe، أي إنه من الضروري تجاوز التصور الذي ينظر إلى العالم الثالث بوصفه فضاءً مفهوميًا فارغًا ينتظر أن يُملأ بالمعرفة الغربية، من جهة، وبوصفه فضاءً يعج بمقاومة الأساليب الغربية وبـ "المعرفة الأصلانية" Indigenous، من جهة أخرى. وينبغي النظر إلى باحثي العالم الثالث بوصفهم منظرين يمتلكون إسهامات نظرية قائمة بذاتها، وليسوا باحثين يقدمون تأملات أو قراءات للظروف المحلية فحسب⁽¹⁹⁾. وعلى الرغم من ادعائها النزعة الكونية، فقد اتجهت التصورات الغربية التقليدية، القائمة على نزعة كوزموبوليتية، إلى تهميش الأشكال الأخرى للروابط والعلاقات العابرة للحدود الوطنية. وفي سياق تطوير هذه الفكرة، يطرح ديفيد فيذرستون⁽²⁰⁾ مفهوم "الكوزموبوليتية التابعة" Subaltern Cosmopolitanism، التي تؤكد تعدد الجغرافيات التي تتشكل من خلالها أماط مختلفة

وأرى أن إسهام نيريري في التفكير الجيوسياسي يُعد ذا أهمية بالغة؛ إذ إن رؤيته القارئة تمثل شكلًا من أشكال الخيال الجيوسياسي الذي يتحدى التصورات النيو-واقعية Neorealist المهيمنة. وعلى الرغم من أن التفاؤل الذي ميّز ذروة حركة الوحدة الأفريقية قد تراجع في ظل برامج التكيف الهيكلي النيوليبرالية، لا تزال هذه الرؤى قادرة على تقديم إسهامات قيمة للجغرافيا السياسية المعاصرة.

أولاً: جينياالوجيات الجيوبوليتيكا النقدية

تتمثل دراسة الجيوبوليتيكا في دراسة الكيفية التي تُشكّل بها القوى المركزية والدول المهيمنة السياسة الدولية مكانيًا Spatialization⁽¹⁰⁾. في افتتاحية نُشرت في مجلة جيوبوليتيكس Geopolitics، عام 2010، يستشهد ماركوس باور بخلاصة بيتر بيرري حول حالة حقل الجغرافيا السياسية قبل ثلاثة وعشرين عامًا، مشيرًا إلى أن هذا التوصيف ما يزال صالحًا إلى حد بعيد لفهم واقع هذا التخصص الفرعي اليوم. فقد رأى بيرري أن "حقل الجغرافيا السياسية الأنكلو-أميريكي يطرح نسخة محدودة وفقيرة من التخصص ويسعى خلفها، متجاهلاً إلى حد بعيد الاهتمامات السياسية لأربعة أخماس البشرية"⁽¹¹⁾.

وعلى الرغم من النظرة العالمية التي تدّعيها الجغرافيا السياسية، فإنها لا تزال، من نواحٍ عديدة، خاضعة لما وصفته جيني روبنسون⁽¹²⁾ بـ "أشكال التنظير المحلية الضيقة". وبطبيعة الحال، توجد مساهمات مهمة في الجغرافيا السياسية صادرة من خارج الغرب⁽¹³⁾، إلا أن نقد فيليب داري⁽¹⁴⁾ للمفاهيم الأساسية في نظرية العلاقات الدولية يظل

15 ينظر:

Arlene B. Tickner, "Seeing IR Differently: Notes from the Third World," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 32, no. 2 (2003), pp. 295-324.

16 James A. Tyner, "Territoriality, Social Justice and Gendered Revolutions in the Speeches of Malcolm X," *Transactions of the Institute of British Geographers*, vol. 29 (2004), p. 343;

ينظر أيضًا:

Ruth Wilson Gilmore, "Forgotten Places and the Seeds of Grassroots Planning," in: Charles R. Hale (ed.), *Engaging Contradictions: Theory, Politics, and Methods of Activist Scholarship* (Berkeley: University of California Press, 2008), pp. 31-61.

17 David Slater, "Post-Colonial Questions for Global Times," *Review of International Political Economy*, vol. 5, no. 4 (1998), pp. 647-678.

18 Dipesh Chakrabarty, "Provincializing Europe: Postcoloniality and the Critique of History," *Cultural Studies*, vol. 6, no. 3 (1992), pp. 337-357.

19 ينظر:

Walter D. Mignolo, "The Geopolitics of Knowledge and the Colonial Difference," *The South Atlantic Quarterly*, vol. 101, no. 1 (2002), pp. 57-96; Pletsch, pp. 565-590.

20 David Featherstone, "The Spatial Politics of the Past Unbound: Transnational Networks and the Making of Political Identities," *Global Networks*, vol. 7, no. 4 (2007), p. 434.

10 Gearóid Ó Tuathail & John Agnew, "Geopolitics and Discourse: Practical Geopolitical Reasoning in American Foreign Policy," *Political Geography*, vol. 11, no. 2 (1992), p. 192.

11 Peter J. Perry, "Editorial Comment: Political Geography Quarterly: A Content (but Discontented) Review," *Political Geography Quarterly*, vol. 6, no. 1 (1987), p. 6; Marcus Power, "Geopolitics and 'Development': An Introduction," *Geopolitics*, vol. 15, no. 3 (2010), p. 433.

12 Jenny Robinson, "Postcolonialising Geography: Tactics and Pitfalls," *Singapore Journal of Tropical Geography*, vol. 24, no. 3 (2003), pp. 273-289.

13 ينظر على سبيل المثال:

James D. Sidaway & David Simon, "Geopolitical Transition and State Formation: The Changing Political Geographies of Angola, Mozambique and Namibia," *Journal of Southern African Studies*, vol. 19, no. 1 (1993), pp. 6-28; David Slater, *Geopolitics and the Post-Colonial: Rethinking North-South Relations* (Oxford: Blackwell, 2004).

14 Phillip Darby, "Pursuing the Political: A Postcolonial Rethinking of International Relations," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 33, no. 1 (2004), p. 6.

الواقع، القوة الدافعة وراءها. ويقدم منظور أيوب مجموعة مختلفة من المبادئ لفهم العلاقات الدولية؛ إذ يوضح أن "التوتر بين المنظور المهيمن والمنظور التابع للنظام الدولي يمكن تلخيصه على النحو الآتي: فبينما يركز الأول على النظام بين الدول والعدالة داخلها، يؤكد الثاني على النظام داخل الدول والعدالة فيما بينها"⁽²⁵⁾.

تُقرّ الواقعية التي يطرحها أيوب بالترايب الوثيق بين السياستين الدولية والداخلية، لكنها تؤكد أن الدولة، على الرغم من أهمية المستويات الأخرى للنشاط السياسي والهوية السياسية، تظلّ الفاعل الأبرز في السياسة العالمية، ومن ثمّ الهدف الذي تسعى مجتمعات العالم الثالث إلى ترسيخه. فهذه المجتمعات، في نهاية المطاف، دخلت مرحلة ما بعد الاستعمار بوصفها دولاً، مهما كانت حدودها مصطنعة أو اعتبارية، واضطرت إلى خوض نضال طويل من أجل الاستقلال. ومن هذا المنطلق، تمثل "الواقعية التابعة" نقداً للواقعية التقليدية التي لا ترى في مسار الأحداث العالمية سوى تجارب القوى الكبرى. وقد ذهب كينيث والتز، أحد أبرز منظري الواقعية، إلى القول إن "الدمارك لا أهمية لها". وتسهم هذه التصورات في تكريس التمرکز الغربي في نظرية العلاقات الدولية، لأنها تحجب السبل المتعددة التي تُصنّع من خلالها السياسة الدولية ويُعاد تشكيلها باستمرار. غير أن البديل لا يتمثل في الادعاء بأن الدمارك أو تنزانيا كتكتسبان أهمية في حد ذاتهما دائماً، بل في مساءلة الأسس الأنطولوجية التي يقوم عليها كثير من نظريات العلاقات الدولية والجيوبوليتيكا. وفي هذا السياق، يرى جون أغنيو أن نظرية العلاقات الدولية ظلت خاضعة لفهم أميركي وأوروبي للدولة والاقتصاد العالمي، ولذلك دعا إلى إيلاء جغرافيا المعرفة في السياسة الدولية اهتماماً أكبر. وفي هذا الصدد، يوضح أغنيو⁽²⁶⁾:

غير أن هذه الجغرافيات ليست غايةً في حد ذاتها؛ فالمقصود هو فهم الأسس الأنطولوجية للمعرفة من منظور لا يمنح الأفضلية لتاريخ معرفي واحد مرتبط بمنطقة معينة من العالم (وهو ما يمثل شكلاً نموذجياً من النسبية)، ولا يفترض تصورات للمعرفة تقوم، ضمناً أو صراحةً، على افتراض عالميتها البديهية (وهو ما يمثل شكلاً نموذجياً من الوضعية).

من الكوزموبوليتية، بما يتيح التركيز على الأشكال المتنوعة للهوية السياسية والفاعلية السياسية التي تتكون عبر هذه الأنماط المختلفة من الكوزموبوليتية". وعلى الرغم من أن عمله يركّز على "أنماط تدفق أشد تعقيداً وأقل انتظاماً"، فإن تصوّره ينطبق أيضاً على تحديات من قبيل الأفروعمومية، التي يرى أنها "تستحضر أنماطاً من النشاط السياسي تحدت الأشكال المهيمنة للعلم، لكنها في الوقت نفسه تجنبت أو عارضت أو تجاوزت الأشكال المحلية المقيدة بحدود مكانية ضيقة"⁽²¹⁾. وتكمن أهمية استعادة هذه الشبكات البديلة للترايب العالمي في أنها تتيح مساءلة حتى أشد أشكال الكوزموبوليتية نقدية؛ ففي هذه التصورات، "تظلّ الـ 'نحن' المتميزة، التي تنصّب نفسها مضيفاً إلى الآخرين، هي الجهة التي توجّه الدعوة إلى تبني الوعي الليبرالي على مستوى كوكبي. وعندما تُطبع الكوزموبوليتية بطابع الكونية وتُقدّم بوصفها قيمة عالمية شاملة، فإنها تتحول هي ذاتها إلى 'خدعة الإله'"⁽²²⁾. إن التحدي يكمن في الاعتراف بالاختلاف من دون اختزاله في سمة غرائبية أو استثنائية.

شهدت نظرية العلاقات الدولية أيضاً نقاشات مماثلة، إذ وُصفت بأنها تعاني بالقدر نفسه صعوبة تجاوز حقل العلاقات الدولية الغربي، على حد تعبير بينار بيلغين⁽²³⁾. ومن بين تحديات الواقعية الكلاسيكية، يبرز مشروع محمد أيوب الرامي إلى تقديم "واقعية تابعة" Subaltern Realism، تسلط الضوء على مركزية سمة التبعية Subalterity في فهم العلاقات الدولية. وفي هذا السياق، يؤكد أيوب أن "التجربة المشتركة بين جميع المجتمعات البشرية هي ما يمثل السمة التي تشكل الغالبية العظمى من أعضاء أي نظام اجتماعي"⁽²⁴⁾. ولا شك في أن الغالبية العظمى من النزاعات العنيفة في مرحلة ما بعد الاستعمار قد وقعت داخل أراضي الدول التابعة، حتى في الحالات التي كانت فيها الدول المهيمنة منخرطة في تلك النزاعات أو كانت، في

21 Ibid., p. 435; David Featherstone, *Solidarity: Hidden Histories and Geographies of Internationalism* (London: Zed Books, 2012);

وينظر أيضاً: Slater, "Post-Colonial Questions for Global Times," pp. 647-678.

22 Tariq Jazeel, "Spatializing Difference beyond Cosmopolitanism: Rethinking Planetary Futures," *Theory, Culture & Society*, vol. 28, no. 5 (2011), p. 84.

23 Pinar Bilgin, "Thinking Past 'Western' IR?" *Third World Quarterly*, vol. 29, no. 1 (2008), pp. 5-23;

ينظر أيضاً:

Xavier Guillaume, "Unveiling the 'International': Process, Identity and Alterity," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 35, no. 3 (2007), pp. 741-759.

24 Mohammed Ayoob, "Inequality and Theorizing in International Relations: The Case for Subaltern Realism," *International Studies Review*, vol. 4, no. 3 (2002), pp. 40-41.

25 Mohammed Ayoob, "Making Sense of Global Tensions: Dominant and Subaltern Conceptions of Order and Justice in the International System," *International Studies*, vol. 47, no. 2-4 (2010), p. 129.

26 John Agnew, "Know-Where: Geographies of Knowledge of World Politics," *International Political Sociology*, vol. 1 (2007), p. 139.

خضم توجه الدراسات النقدية نحو استكشاف الفضاءات "البديلة" للفعل السياسي. وي طرح التأصيل ما بعد الاستعماري للجيوبوليتيكا التابعة تحدياً للمقاربات التي ترفض الدولة والسياسة الرسمية رفضاً مطلقاً؛ إذ يعترف بالأهمية المعيشية والمستمرة لهذه المستويات، وفي الوقت نفسه يبرز كونها بناءات اجتماعية ومكانية. ومن هذا المنطلق، يجسد هذا الطرح حساسية ما بعد استعمارية تتمحور حول مفهوم "الهجنة" Hybridity عند هومي بهابها⁽²⁹⁾، ولا سيما مفهوم "المحاكاة" Mimicry، الذي يتحدد من خلال الاستراتيجية والتقويض والبقاء. فالمحاكاة، وفق هذا الفهم، قد تمثل "أسلوباً لممارسة السياسة العالمية بطريقة تبدو متشابهة"، لكنها في الوقت نفسه 'مختلفة' على نحو غير متوقع⁽³⁰⁾. ولا تعني المحاكاة أن "الآخر" يسعى إلى أن يصبح مطابقاً للذات المهيمنة، كما أنها لا تفترض وجود اختلاف جذري بينهما، بل تعمل على زعزعة هذه الثنائيات وتقويضها. وبهذا المعنى، ترسم المحاكاة مساراً مغايراً لـ "الجيوبوليتيكا المناهضة" Anti-geopolitics، التي تمثل تأكيداً على الاستقلال الدائم عن الدولة، بغض النظر عما يتولى السلطة⁽³¹⁾.

وهكذا، وعلى خلاف الجيوبوليتيكا المناهضة، فإن الجيوبوليتيكا التابعة لا تضع ذواتها السياسية خارج الدولة والمؤسسات المرتبطة بها. وهي تشترك مع "الجيوبوليتيكا التقدمية" Progressive Geopolitics في نزعتها "الطوباوية"⁽³²⁾، لكنها تسعى في الوقت نفسه إلى إبقاء المجال مفتوحاً أمام تعدد الأصوات في تحديد ماهية هذه الطوباويات وما يمكن أن تكون عليه⁽³³⁾. ويعكس هذا التوقع إدراكاً لإمكانية تشكل الهويات السياسية من خلال تمثيلات جغرافية لا تقع بصورة كاملة "داخل" الأطر القائمة أو "خارجها"⁽³⁴⁾. ومن ثم، فإنه يسعى إلى بلورة نموذج للذاتية السياسية يتحدى ذلك النموذج الذي كرّسته الجيوبوليتيكا الغربية المهيمنة، من دون أن يستند إلى فكرة "الغيرية"

وبدلاً من ذلك، يؤكد أغنيو أن "المعرفة تُنتج في سياق تداولها وانتقالها؛ فهي لا تُنتج بصورة كاملة في مكان واحد ثم تُستهلك ببساطة في أماكن أخرى كما هي"⁽²⁷⁾.

ويقدم أيوب، مدرِّكاً هذه التوترات، من خلال مفهوم "الواقعية التابعة"، اقتراحاً يبدو متناقضاً في الوهلة الأولى؛ إذ يجمع بين موقع يتسم بالضعف البنيوي ومنظور مهيمن لرؤية العالم وتنظيمه وترتيبه. وهذه هي التوترات نفسها التي نسعى إلى استحضارها في مفهوم "الجيوبوليتيكا التابعة"، وليس الهدف الاستيلاء على مفهوم "التابع" Subaltern أو الادعاء، في بادئة نظرية كبرى، بتوفير حيز مفهومي جديد له، بل نعمل، من خلال الجمع بين مفهوم "التابع"، بوصفه حضوراً أقصي إلى المراتب الدنيا، و"الجيوبوليتيكا"، بوصفها شكلاً مهيماً من أشكال المعرفة سعى إلى التنظيم والضبط، على تقديم مفهوم يحمل في داخله التوترات والتناقضات نفسها التي انطوى عليها مفهوم "الجيوبوليتيكا النقدية"، وإن كانت هذه التوترات قد توارت عن الأنظار بفعل شيوع المصطلح وانتشاره⁽²⁸⁾. وتهدف الجيوبوليتيكا التابعة إلى إبراز مخيلة جغرافية معقدة ومتشعبة، تدرك أن الفكر الغربي كان دائماً - ولا بد من أن يظل - أشد تأثيراً بما يُقدّم بوصفه "الآخر" مما يُعترف به عادةً. وكما يكشف تاريخ التفاعل والتبادل بين المجتمعات، فإن فكرة وجود "آخر" ثابت وغير متغير ليست سوى بناءً متخيلاً. ومع ذلك، فقد جرى إسكات جانب كبير من أصوات "التابع" في الخطاب العالمي، حيث لا تحظى بالاهتمام إلا قضايا الدول الكبرى. ومن ثم، تمثل الجيوبوليتيكا التابعة محاولةً للكتابة في مواجهة منطلق يسعى دائماً إلى إنتاج "العالمي" أو "الكوني" بوصفه حقيقةً شاملة؛ وذلك من خلال التساؤل عن الكيفية التي كان يمكن أن يبدو عليها العالم لو أقرنا بأن الدمارك مهمة بالفعل، بالعودة إلى المثال الشهير، وأن النساء مهمات، وأن دول عدم الانحياز كانت مهمة خلال الحرب الباردة، وأن التصورات المختلفة للأفروعمومية مهمة أيضاً. وبناء عليه، فإن هذا الطرح لا يدافع عن القيمة الذاتية لأي تصور أو مشروع يعينه، بل يؤكد الحاجة إلى جغرافيا سياسية منفتحة وقادرة على الإنصات إلى تعدد الأصوات والتفاعل معها.

وفي حين أن دراسة المقاومة السياسية ومناهضة ممارسات الدولة تُعدّ أمراً مهماً بلا شك، فإن من الضروري أيضاً الالتفات إلى الصراع المستمر حول دور الدولة، بحيث لا تُهمَل السياسة الرسمية تماماً في

29 Homi K. Bhabha, *The Location of Culture* (London: Routledge, 1994).

30 Bilgin, p. 6.

31 Paul Routledge, "Anti-Geopolitics: Introduction," in: Gearóid Ó Tuathail, Simon Dalby & Paul Routledge (eds.), *The Geopolitics Reader* (London: Routledge, 1998), p. 245. (التشديد في النص الأصلي)

32 Gerry Kearns, "Progressive Geopolitics," *Geography Compass*, vol. 2, no. 5 (2008), pp. 1599-1620.

33 Joanne P. Sharp, "Situating Progressive Geopolitics: Culture, Politics and Language," *Political Geography*, vol. 30, no. 1 (2011), pp. 51-52.

34 Bell Hooks, "Marginality as a Site of Resistance," in: Russell Ferguson, et al. (eds.), *Out There: Marginalization and Contemporary Cultures* (Cambridge, MA: MIT Press, 1990), pp. 341-343.

27 Ibid., pp. 138-148.

28 ينظر أيضاً:

Simon Dalby, "Recontextualising Violence, Power and Nature: The Next Twenty Years of Critical Geopolitics?" *Political Geography*, vol. 29, no. 5 (2010), pp. 280-288.

قادر نيريري تنجانيقا إلى الاستقلال عن بريطانيا عام 1961، ثم تأسست تنزانيا عام 1964، إثر الاتحاد مع زنجبار. وعلى الرغم من أن نيريري كان يُنظر إليه في البداية بوصفه قريباً من الغرب، ولا سيما بريطانيا، بسبب الطابع السلمي لحركة الاستقلال والمكانة الدولية التي حظي بها بوصفه رجل دولة، فإنه كان واضحاً في تأكيده أن تنزانيا ستجنب الانحياز إلى أي من معسكرَي الحرب الباردة. وكان من أبرز الداعين إلى الأفروعمومية وحركة عدم الانحياز. وعام 1967، أصدر الحزب الحاكم "إعلان أروشا" Arusha Declaration، الذي دعا إلى المساواة والاعتماد على الذات، وإحياء القيم الجماعية الأفريقية "التقليدية"، وترسيخ قيم التعليم والعمل الجاد. وبالتوازي مع تحذير فرانز فانون⁽⁴⁰⁾ من "مزالق الوعي القومي"⁽⁴¹⁾ في الدول الأفريقية المستقلة حديثاً، مثل الإعلان موقفاً مناهضاً للنخبة المحلية الصاعدة، المعروفة باسم الوابيني Wabenzi⁽⁴²⁾. ونص على أن تمتلك الدولة وسائل الإنتاج، في حين يتمتع المواطنون بـ "حرية التعبير، وحرية التنقل، وحرية المعتقد الديني، وحرية تكوين الجمعيات". وعلى الرغم من أن الإعلان صيغ من أجل تنزانيا، فإنه اتسم بتوجه يتجاوز حدودها الوطنية؛ إذ أكد أن تنزانيا ستسعى إلى تحرير أفريقيا وتحقيق وحدتها. وقد حافظت البلاد على هذا الالتزام لاحقاً من خلال دورها بوصفها إحدى دول المواجهة الأمامية Front-Line States في النضال ضد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

وقد وضع ذلك تنزانيا في طليعة مشروع الأفروعمومية، بوصفها نموذجاً يَعدُّ بحق، بنمط جديد لتنظيم المجتمع، ومنارةً استقطبت المفكرين والناشطين الراديكاليين من مختلف أنحاء العالم. كما أن تجاوز نيريري الحدود التي فرضها الاستعمار، وتوجّه نحو مخيلة جيوبوليتيكية قارّة، منح أفريقيا إمكانية الحضور وإسعاد صوتها على الساحة العالمية الجديدة. وقد أشار عدد من الباحثين إلى المكانة التي اكتسبتها تنزانيا، ولا سيما بعد إعلان أروشا، في المخيلة الجيوبوليتيكية للوحدة الأفريقية؛ إذ حظيت بـ "جاذبية استثنائية لدى العالم الأسود. [...] فقد جسدت تنزانيا آمالهم وألهمت مخيلتهم بفضل التزامها الراسخ بكرامة الإنسان، بصرف النظر عن لون البشرة"⁽⁴³⁾. ووصفت الناشطة الأميركية

Otherness⁽³⁵⁾، ومن هنا، فإن استخدام مصطلح "التابع" يستند إلى معناه العسكري الأصلي بوصفه "رتبة أدنى"⁽³⁶⁾ A Lower Rank؛ فهو ليس القائد، لكنه في الوقت نفسه ليس خارج الصفوف. وهي قراءة نرى أنها تتقاطع مع طرح أيوب. ويقرّ هذا المنظور بالطبيعة المتشابكة للعلاقات السياسية العالمية، من دون أن ينكر "اختلال توازن علاقات القوة وإعادة إنتاج أنماط التمثيل المُخضعة للهيمنة"⁽³⁷⁾. وتُعدّ إعادة النظر في تجربة تنزانيا في مرحلة ما بعد الاستعمار مثلاً توضيحياً لهذا النمط من الجيوبوليتيكا التابعة.

ثانياً: تنزانيا ما بعد الاستعمار: "جميع البشر إخوتي، وأفريقيا واحدة"⁽³⁸⁾

بين أنقاض الحرب العالمية الثانية، نشأ نظام الحرب الباردة الثنائي القطبية، الذي هدد وجود البشرية. فقد شكّل الاستعداد الدائم لاستخدام الأسلحة النووية، إلى جانب النقاشات المحتدمة حول الفقر واللامساواة والحرية، تهديداً حتى لأولئك الذين لم يعيشوا تحت المظلتين الأميركية أو السوفياتية. [...] وبين هذين المعسكرين الرئيسيين، تجمعت أمم الجنوب الأشد سُفرةً فيما عُرف بالعالم الثالث. [...] ومن خلال الأمم المتحدة، برزت إلى الواجهة قضايا تتجاوز المساواة السياسية؛ إذ تضمّن مشروع العالم الثالث المطالبة بإعادة توزيع موارد العالم، وتحقيق عائد أكثر إنصافاً لقوة عمل شعوبه، والإقرار المشترك بالإرث الإنساني في مجالات العلم والتكنولوجيا والثقافة⁽³⁹⁾.

35 ينظر، على سبيل المثال، المساهمات الواردة في العدد الخاص من مجلة *Geoforum* حول الجيوبوليتيكا التابعة:

Christopher Harker, "Geopolitics and Family in Palestine," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 306-315; Sara Koopman, "Alter-Geopolitics: Other Securities Are Happening," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 274-284; Sharp, "Subaltern Geopolitics: Introduction," pp. 271-273; Sharp, "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror'," pp. 297-305; Ron Smith, "Graduated Incarceration: The Israeli Occupation in Subaltern Geopolitical Perspective," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 316-328; Chih Yuan Woon, "Undoing Violence, Unbounding Precarity: Beyond the Frames of Terror in the Philippines," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 285-296.

36 Peter Childs & R. J. Patrick Williams, *An Introduction to Post-Colonial Theory* (London: Prentice Hall/ Harvester Wheatsheaf, 1997), p. 333.

37 Joanne P. Sharp et al. (eds.), *Entanglements of Power: Geographies of Domination/Resistance* (London: Routledge, 2000); Slater, *Geopolitics and the Post-Colonial*, p. 194.

38 Binadamu wote ni ndugu zangu, na Afrika ni moja عبارة سواحلية تمثّل شعاراً سياسياً وفكرياً ارتبط بنيريري ومشروع تنزانيا ما بعد الاستعمار. (المترجمة)

39 Vijay Prashad, *The Darker Nations: A People's History of the Third World* (New York: The New Press, 2007), pp. xv-xvii.

40 Frantz Fanon, *The Wretched of the Earth*, Constance Farrington (trans.) (New York: Grove Press, 1963).

41 "مزالق الوعي القومي" The Pitfalls of National Consciousness هو عنوان فصل شهير في كتاب فرانز فانون *المُعذبون في الأرض* *The Wretched of the Earth* الصادر عام 1961. في هذا الفصل، يحذر فانون من أن حركات التحرر الوطني قد تنجح في طرد الاستعمار السياسي، لكنها قد تفشل في تحقيق تحرر حقيقي إذا استولت نخبة وطنية جديدة على السلطة وحلّت محل المستعمر من دون تغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية الموروثة عنه. (المترجمة)

42 سُمّوا بهذا الاسم بسبب تفضيلهم سيارات مرسيدس بنز الفاخرة.

43 James N. Kariuki, *Tanzania's Human Revolution* (University Park, PA: The Pennsylvania State University Press, 1979), p. 200.

الإقليمية. ولعل رؤيته لأفريقيا موحدة تمثل أعظم إرثه السياسي. غير أن هذا الإرث لم يجد له مكاناً في حقل الجغرافيا السياسية.

ثالثاً: الجيوبوليتيكا الأفروعمومية عند نيريري

[...] يُبذل كل جهد ممكن لحشر الأحداث الأفريقية في إطار الحرب الباردة أو غيرها من صراعات القوى الكبرى. فالسؤال الرئيس دائماً يكون: "هل هذه الدولة الأفريقية أو تلك موالية للشرق أم للغرب؟". إن هذه الأسئلة [...] تنطوي على خطأ جوهرى عميق، بل على قدر غير مبرر من الخطر! فهي تفترض أن أفريقيا لا تمتلك أفكاراً أو مصالح خاصة بها. وتفترض أن الصراعات الدولية التي كانت قائمة عند نيلنا الاستقلال هي وحدها الصراعات الجديرة بالاعتبار. وهي تقوم على الاعتقاد أن مواقف الدول الأفريقية وسياساتها لا بد من أن تتحدد بالرجوع إلى التقليد الليبرالي الغربي أو إلى النظرية والممارسة الشيوعيتين⁽⁴⁷⁾.

انطوت رؤية نيريري الجيوبوليتيكية على إدراكٍ لحالة الهشاشة المشتركة التي عانتها الدول الجديدة في مرحلة ما بعد الاستعمار؛ إذ إنه رأى أن هذه الهشاشة كانت نتاجاً للنظام الجيوبوليتيكي العسكري الذي أفرزته الحرب الباردة، والنظام الرأسمالي الاستعماري الجديد المهيمن والمتلاعب. ومن هذا المنطلق، دعا إلى تضامن دول العالم الثالث، أو ما وصفه بـ "نقابة الفقراء العمالية" Trade Union of the Poor. وعلى الرغم من إدراكه الواضح أهمية القوة العسكرية في الشؤون الجيوسياسية، وتناوله بعض المفاهيم التقليدية في الخطاب الجيوسياسي، مثل القرب الجغرافي و"حقائق الجغرافيا والتاريخ"، فإنه كان حريصاً على التأكيد أن "الحقيقة الأساسية في هذا الوضع، والسبب الحقيقي لظروفنا العسكرية، يكمن في ضعفنا الاقتصادي". وبينما أسهمت القوة العسكرية الجيوسياسية في رسم معالم عالم الحرب الباردة وتقسيمه، أقر نيريري بأن "القوى الكبرى" قادرة على فرض إرادتها من دون اللجوء إلى القوة العسكرية أصلاً، إذ إنه يقول: "إن التهديد الحقيقي والملح لاستقلال معظم دول

أنجيلا ديفيس تنزانيا، خلال زيارتها للبلاد، بأنها "مصدر إلهام"⁽⁴⁴⁾، في حين ذهب سي. إل. آر. جيمس CLR James، إلى وصف إعلان أروشا بأنها "أرقى مراحل المقاومة التي بلغها السود الناثرون على الإطلاق".

شهدت تنزانيا في السنوات الأولى من مرحلة ما بعد الاستعمار تحسناً ملحوظاً في متوسط العمر المتوقع، ونجحت في تحقيق معدلات شبه شاملة لمحو الأمية، بعد أن كانت نسبة المتعلمين عند الاستقلال لا تتجاوز نحو 15 في المئة. غير أن هذه الإنجازات تحققت إلى حد بعيد بفضل المساعدات الخارجية. وباستثناء الأحداث التي سبقت اتحاد تنجانيقا وزنجبار عام 1964، والتي تمثل حالة خاصة تستحق الوقوف عندها⁽⁴⁵⁾، اتسمت تنزانيا ما بعد الاستعمار بقدر كبير من الاستقرار، ولم تشهد الصراعات القبلية التي سادت عدداً من دول المنطقة. وغادر نيريري والرؤساء الذين خلفوه مناصبهم عند انتهاء ولايتهم الرئاسية، واستمروا، على نحو غير مألوف في سياق المنطقة، في العيش داخل البلاد. ولم تشهد تنزانيا أي حالات اغتيال لرؤساء الجمهوريّة.

غير أن السياسات الاقتصادية التي انتهجها نيريري كانت أقل نجاحاً. وقد أرجع عدد من الباحثين هذا الإخفاق إلى تداخل عاملين رئيسيين: فمن جهة، شهد الاقتصاد العالمي تحولات بنوية عميقة، ومن جهة أخرى، أخفقت تجربة الاشتراكية الجماعية. غير أن تقدير أهمية هذين العاملين يظل مرتبطاً بالموقف الأيديولوجي للباحث. وعلى الرغم من إرث هذا الإخفاق، فقد حظي نيريري - ولا يزال - بمكانة رفيعة في أفريقيا وفي مختلف أنحاء العالم. ويكاد اسمه يقترن دائماً بلقب "مواليمو" Mwalimu، وهي كلمة سواحلية تعني "المعلم"، وتحمل دلالات خاصة ترتبط بالحكمة والخبرة. ويرى كراوفورد يونغ أنه "على الرغم من أن رؤية نيريري لدولة اشتراكية شعبية أخفقت، بأيّ معيار كان، على مستوى السياسات العملية، فإن استقامة مواليمو الأخلاقية حافظت على صورته بوصفه قائداً كاريزمياً كرس نفسه لخدمة الصالح العام"⁽⁴⁶⁾. وبعد اعتزال العمل السياسي في تنزانيا، تولى نيريري رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية Organisation of African Unity ولجنة الجنوب South Commission، وكان يُستعان به للتوسط في النزاعات

44 Ibid., p. 205.

45 ينظر، على سبيل المثال:

Godfrey Mwakikagile, *The Union of Tanganyika and Zanzibar: Product of the Cold War?* (Pretoria: New Africa Press, 2008); Issa G. Shivji, "What is Left of the Left Intellectual at 'the Hill'?" in: Issa G. Shivji (ed.), *Intellectuals at the Hill: Essays and Talks 1969-1993* (Dar es Salaam: Dar es Salaam University Press, 1993), pp. 200-219.

46 Crawford Young, "The End of the Post-Colonial State in Africa? Reflections on Changing African Political Dynamics," *African Affairs*, vol. 103, no. 410 (2004), p. 47.

47 Julius K. Nyerere, "Stability and Change in Africa (1969)," in: Julius K. Nyerere (ed.), *Man and Development* (Nairobi: Oxford University Press, 1974), p. 43.

بعدم الديمقراطية بسبب نظام الحزب الواحد في تنزانيا، بالإشارة إلى أن هوسهم ينصب على ديمقراطية الدول الأخرى، في حين يقبلون بالنظام الدولي بوصفه نظامًا يفتقر كليًا إلى الديمقراطية:

أما على المستوى العالمي، فلا توجد ديمقراطية دولية، ولا يوجد مركز واضح للسلطة تستطيع الشعوب الفقيرة أن توجه إليه احتجاجاتها. فعلى سبيل المثال، عندما ينخفض السعر العالمي للنحاس بنسبة 50 في المئة خلال أسبوع واحد، يهبط دخل زامبيا القومي بصورة حادة، ويحتج عمالها، وربما بعنف. غير أنهم يصبون جام غضبهم على حكومة زامبيا، التي لا تملك أي سلطة في هذا الشأن. فما الذي يمكن العمال فعله غير ذلك؟ إنهم لا يستطيعون التأثير في قرارات ذلك الكيان الغامض المسمى "السوق" الدولية، على الرغم من أن ما خسرت زامبيا الفقيرة قد كسبته بعض الدول الغنية. وهكذا يظل فقراء زامبيا بلا نفوذ في هذه المسألة، كما أن حكومة زامبيا نفسها لا تملك أي نفوذ فيها. [...] إن الدول الغنية والقوية في العالم تدعو الدول الفقيرة إلى تبني الديمقراطية، بل قد تلجأ، عندما يخدم ذلك مصالحها، إلى فرض عقوبات على الدول التي تصنفها على أنها غير ديمقراطية أو منتهكة لحقوق الإنسان. غير أن هذه الدول نفسها، التي تنادي بالديمقراطية على المستوى الوطني، تكافح بلا هوادة ضد أي شكل من أشكال الديمقراطية على المستوى الدولي⁽⁵²⁾.

ويجسد مثال نيريري بصورة مثالية حجة أركيبوغي Archibugi، القائلة إن الديمقراطية على مستوى الدولة لا معنى لها إذا لم توجد، في عالم عالمي بحق؛ ديمقراطية تتجاوز حدود الدول⁽⁵³⁾. وعلاوة على ذلك، فإن الموقع الهامشي في النظام العالمي الذي انطلقت منه جيوبوليتيكا العالم الثالث التابعة أتاح لقادة العالم الثالث إدراكًا واضحًا للكيفية التي تعمل بها السلطة داخل هذا النظام. وعلى الرغم من أن طريق تنزانيا نحو الاستقلال اتسم باللاعنف، فإن نيريري لم ينبذ العنف (كما يتضح من التزامه بتوفير الملاذ لحركات التحرر المناهضة للاستعمار في أفريقيا الجنوبية التي استخدمت أساليب عنيفة). وكان يدرك تمام الإدراك حجم العنف الكامن في النظام العالمي الذي نشأت في إطاره تتجانيقا ثم تنزانيا:

عدم الانحياز لا يأتي من القوة العسكرية، بل من القوة الاقتصادية للدول الكبرى. فالفقر هو الخطر الأكبر الذي يترصد بنا⁽⁴⁸⁾.

تمثل طموح نيريري في تجاوز حالة الفقر هذه من خلال تنمية الاقتصادات الوطنية على نحو لا "يعرضها لخطر الانجذاب إلى فلك إحدى القوى الكبرى أو الأخرى"⁽⁴⁹⁾. وقد استند تأسيس حركة عدم الانحياز، كما استندت فلسفة نيريري للأفروعمومية، إلى تحدٍّ واضح للمبادئ الجيوسياسية الكلاسيكية القائمة على القوة العسكرية. ففي خطاب ألقاه عام 1970، صاغ تصورًا جيوبوليتيكيًا جنوبيًا - جنوبيًا قائمًا على عدم الانحياز، بوصفه بديلًا من "الكتل المتقابلة والمتصارعة" التي ميزت الحرب الباردة. وفي معرض حديثه عن المؤتمر الأول لدول عدم الانحياز عام 1961، أوضح أن:

[...] انعقاد ذلك المؤتمر، وإعلان الدول الأعضاء فيه استقلالها عن أي من المعسكرين، كانا في حد ذاتهما فعلين سياسيين بالغَي الأهمية؛ فقد أعلنت تلك الدول أن رفضها التحالف مع أي من الطرفين لم يكن انحرافًا مؤقتًا تبنته قلّة من الدول، بل كان تطورًا دوليًا جديدًا ومهمًا لم يكن بوسع القوى الكبرى تجاهله. [...] ولم يدع أعضاء المؤتمر امتلاك جيوش كبيرة، كما أن اجتماعهم لم يحدث أي تغيير في "توازن القوى" العسكري. غير أن المؤتمر أعلن وجود حدود لممارسة تلك القوة العسكرية. فقد أوضح أعضاؤه أنهم لن يكونوا أطرافًا راغبة في صراع الحرب الباردة. ومن ثم، فإن اللعبة الخطرة القائمة على التهديد والتهديد المضاد، التي كانت تمارسها القوى الكبرى و"حلفاؤها" أو "الدول التي تدور في فلكها" Satellites، لم تعد تشمل جميع دول العالم⁽⁵⁰⁾.

وتجسد جيوبوليتيكا نيريري التابعة، على نحو واضح، ما ذهب إليه أيوب⁽⁵¹⁾ بشأن الاختلافات بين الدول المهيمنة والدول التابعة؛ إذ نظر نيريري إلى النظام الدولي بوصفه غير خاضع للمساءلة، ولكن ليس أمام الجميع، بل أمام دول أفريقيا والجنوب على وجه الخصوص. وقد كشفت خطاباته أن قوة الغرب الجيوبوليتيكية تقوم على الهيمنة العسكرية والاقتصادية، وهما شكلان من أشكال العنف لم يتردد في تحديهما وانتقادهما. وكثيرًا ما كان يردّ على من اتهموه

48 Julius K. Nyerere, "Developing Tasks of Non-Alignment (1970)," in: Julius K. Nyerere, *Freedom, Non-Alignment and South-South Co-operation* (Oxford: Oxford University Press, 2011), p. 5.

49 Ibid., p. 6.

50 Ibid., p. 2.

51 Ayoob, "Making Sense of Global Tensions," pp. 129-141.

52 Julius K. Nyerere, "Are Universal Social Standards Possible?" *Development in Practice*, vol. 9, no. 5 (1999), pp. 585-586.

53 Joe Painter & Alex Jeffrey, *Political Geography: An Introduction to Space and Power* (London: SAGE, 2009), pp. 90-91.

الأفريقية الحديثة الاستقلال، مؤكداً أن "الأضعف بيننا لا يُنظر إليه إلا بوصفه بيدقاً في صراعات الحرب الباردة"⁽⁵⁶⁾. ومع ذلك، أدرك نيريري ما تنطوي عليه القومية من قدرة على توحيد القبائل والمجموعات الإثنية المتعددة داخل كل دولة أفريقية حديثة الاستقلال، بما يساعد على تجاوز الصراعات على السلطة والموارد، والتوجّه نحو تحقيق الوحدة.

وعند تناول دور الدولة التنزانية ومواطنيها، طرح نيريري تصوراً للقومية يقوم على توحيد سكان تنجانيقا، ثم تنزانيا لاحقاً، على الرغم من اختلافاتهم القبلية والدينية واللغوية والإثنية. وفي هذا السياق، يقول: "في تنزانيا، لم تكن أكثر من مئة جماعة قبلية هي التي فقدت حريتها، بل كانت أمة واحدة هي التي استعادت تلك الحرية"⁽⁵⁷⁾. ولم تكن هذه القومية من ذلك الطراز البرجوازي الأوروبي، بل كانت قومية تتطلع إلى ما يتجاوز حدود الدولة وتنتفح على محيطها:

لقد وجدنا أنفسنا على تماس مع حضارة بالغت في التأكيد على حرية الفرد، ولذلك نواجه إحدى القضايا الكبرى التي تواجه أفريقيا في العالم الحديث. وتتمثل مشكلتنا تحديداً في كيفية الاستفادة من مزايا المجتمع الأوروبي، وهي مزايا نشأت عن تنظيم اجتماعي يقوم على الفرد، مع الحفاظ في الوقت نفسه على البنية الاجتماعية الأفريقية، التي يكون فيها الفرد عضواً في جماعة تقوم على روح الرفقة والتضامن⁽⁵⁸⁾.

وهكذا، مثلت رؤية نيريري شكلاً من "الحدائثة البديلة" Alternative Modernity⁽⁵⁹⁾؛ إذ إنها استمدت عناصرها من مفاهيم تنتمي إلى المجتمع الأفريقي التقليدي، لا سيما فكريّ الاعتماد المتبادل والمجتمع اللاتقي، كما تجلّت في تصوره لـ "أوجاما" Ujamaa⁽⁶⁰⁾، إلى جانب استلهاها مفاهيم من الفكر الغربي الحديث. وعلى الرغم من أن رؤيته كانت تتجه نحو إقامة أفريقيا موحدة، فإنه استند إلى مفهوم القومية لتطوير اللبنة الأساسية للهوية؛ فبدأ أولاً بالهوية التنزانية، ثم

[...] إن السلام في حد ذاته لا يكفي للروح الإنسانية إذا كان يعني غياب الصراع العنيف فحسب؛ [...] فالسلام والعدالة الإنسانية مترابطان، وينبغي أن يظلا مترابطين [...] أما نحن الذين نتمتع بحرية تطوير أنفسنا وأمتنا، فلا يحق لنا أن نطالب المضطهدين وضحايا التمييز والجائعين والملاحقين بأن يذعنوا لأوضاعهم الراهنة. فإذا فعلنا ذلك، فإننا نصبح نحن أنفسنا مضطهدين وقاهرين لهم. إن السلام القائم في ظل استمرار مثل هذه الأوضاع الإنسانية ليس سلاماً آمناً ولا مبرراً⁽⁵⁴⁾.

لم يكن هذا التصور قائماً على عدم الانحياز بوصفه حياداً فحسب، بل رأى نيريري أنه "مثّل، أو ينبغي أن يمثّل، سياسات تقوم على الانخراط في الشؤون العالمية". وقد أدرك أن على القادة الأفارقة السعي إلى تحقيق ذلك كلما أمكن، وأن يتبنّوا نهجاً فاعلاً واستباقياً للحيلولة دون استغلال القوى الخارجية لحالة الضعف التي تعانيها بلدانهم:

إن الوحدة الأفريقية ضرورة للقارة بأسرها ولكل جزء منها. فقد ورثنا، على الصعيد السياسي، حدوداً إما غير واضحة المعالم، وإما قائمة على أسس إثنية وجغرافية تفتقر إلى المنطق، الأمر الذي يجعلها مصدراً خصباً للخلافات. وإذا تركزت هذه الخلافات لتتفاقم، فإنها ستؤدي إلى هدر الموارد الشحيحة في بناء الجيوش الوطنية⁽⁵⁵⁾.

ورأى نيريري أن السبيل إلى تحقيق ذلك يتمثل في توظيف النزعات القومية الأفريقية بوصفها لبنات أساسية في بناء أفريقيا موحدة. فقد كان ينظر إلى المجال الدولي باعتباره فضاء تحكمه الرأسمالية الاستعمارية الجديدة، حيث تهيمن القوة الاقتصادية والعسكرية. وقد رفض هذا المنطق وسعى إلى تغييره من خلال أشكال الترابط والتضامن التي يمكن أن تتيحها الأفروعمومية. ومع حصول البلدان الأفريقية تباعاً على استقلالها عن القوى الأوروبية، أدرك نيريري الخطر الكامن في ضعف كل دولة على حدة، وما قد يتيح ذلك من فرص لتدخل إحدى القوتين العظميين في الحرب الباردة أو كليهما. وقد عبّر عن مخاوفه مما أسماه "التدافع الثاني على أفريقيا" The Second Scramble، حيث يمكن القوى العظمى أن تستخدم نفوذها لإثارة الصراعات بين الدول

56 Julius K. Nyerere, "The Second Scramble (1963)," in: Nyerere (ed.), *Uhuru na Umoja*, p. 205.

57 Nyerere, "Stability and Change in Africa," p. 44.

58 Julius K. Nyerere, *The New York Times Magazine*, 27/3/1960;

مقتبس من:

"Julius Nyerere: Father of the Nation," *Articles and Transcripts News and Events*, 15/6/2005, accessed on 16/4/2013, at: <https://acr.ps/hBxNLDP>

59 ينظر:

Henrietta L. Moore & Todd Sanders (eds.), *Magical Interpretations, Material Realities: Modernity, Witchcraft and the Occult in Postcolonial Africa* (London: Routledge, 2001).

60 أوجاما مفهوم صاغه نيريري ويعني حرفياً "العائلية" أو "روح الأسرة"، ويشير إلى نموذج للاشتراكية الأفريقية يقوم على التضامن والاعتماد المتبادل والمساواة. (المترجمة)

54 Julius K. Nyerere, "A Peaceful New Year (1968)," in: *Man and Development*, pp. 1-2.

55 Julius K. Nyerere, "The Policies and Purposes of Pan-Africanism (1963)," in: Julius K. Nyerere (ed.), *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65* (Dar es Salaam: Oxford University Press, 1967), p. 212.

ودعا نيريري إلى ضرورة أن "تفقد الحدود القائمة أهميتها"، وأن تصبح خطوطاً فاصلة بين وحدات إدارية داخل كيان أكبر فحسب⁽⁶⁵⁾. غير أنه كان يدرك أن تحقيق ذلك يزداد صعوبة يوماً بعد يوم، مع لجوء الدول الأفريقية إلى توظيف رموز القومية ومظاهرها في محاولاتها تجاوز التنافسات القبلية.

إن الحدود التي تفصل بين الدول الأفريقية تفتقر إلى المنطق إلى حد يجعلها، لولا شعورنا بالوحدة، تصبح سبباً للاحتكاك والنزاع. ومع ذلك، ليس أمامنا خيار سوى الانطلاق من الواقع الذي ورثناه عقب التقسيم الاستعماري لأفريقيا. فلا توجد دولة واحدة لا تضم مناطق كان يمكن أن تتبع وحدةً سياسية أخرى لو روعيت أي مبادئ للجغرافيا السياسية، كما أن كثيراً من القبائل تعيش موزعة بين دولتين على الأقل، أو تعود أصولها إلى مناطق أخرى من أفريقيا. ومع ذلك، فإن شرونا في تقديم بعضنا "مطالبات" بأراضي آخرين لن يكون إلا خدمة لأولئك الذين يرغبون في إبقاء أفريقيا ضعيفة، بما يعزز قوتهم النسبية في المستقبل. وقد يقودنا ذلك إلى مفارقة مأساوية عبثية، تتمثل في إنفاق الأموال على التسليح، بينما يموت أبنائنا بسبب غياب الرعاية الطبية أو يهلكون بسبب الجهل⁽⁶⁶⁾.

وكان نيريري يؤكد أن الهدف النهائي لا ينبغي "أن يقل عن إقامة الولايات المتحدة الأفريقية" United States of Africa. وقد بسط هذه الأفكار بمزيد من التفصيل في مقالته "سياسات الوحدة الأفريقية وأهدافها"، المنشورة عام 1963، حيث يقول:

لا توجد سوى طريقة واحدة يمكن أفريقيا من خلالها أن تبقى بمنأى عن الصراعات العالمية التي لا تعنيها، وأن تأمل في مواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الخائفة التي تثقل كاهل شعوبها اليوم. ينبغي أن تفقد الحدود القائمة أهميتها، وتصبح خطوطاً فاصلة بين مناطق إدارية داخل كيان أكبر فحسب. وهذا أمر عاجل وصعب؛ ويزداد صعوبة يوماً بعد يوم، مع سعي الدول الوطنية القائمة إلى محاربة القبلية من خلال بناء القومية. غير أنه لا يزال هناك، في الوقت الراهن، ما يمكن اعتباره نعمَةً منقذة تتمثل في وحدة وجدانية وُلدت خلال نضال الاستقلال، وفي اعتراف عام بضرورة تطويرها سياسياً واقتصادياً⁽⁶⁷⁾.

الهوية الشرق أفريقية. وقد أدرك التحديات التي واجهت بناء الدولة في مرحلة ما بعد الاستعمار، ولا سيما ضرورة تجاوز الانقسامات القبلية والدينية والإثنية التي تجاهلتها عملية التقسيم الإقليمي التي فرضها الاستعمار. ومن ثم، فمع إمكانية الاستفادة من مفهوم بندكت أندرسون حول "الجماعات المتخيلة" Imagined Communities⁽⁶¹⁾ لفهم عملية بناء الدولة التنزانية، فإن هذه العملية كانت تتجه إلى بناء مجتمع منفتح على الخارج، ولم تكن قائمة على تعريف الهوية التنزانية انطلاقاً مما هو خارجها أو مختلف عنها. وقد عمل نيريري بنشاط على تعزيز اللغة السواحلية بوصفها اللغة الوطنية (والإقليمية)، لأنها كانت "لغة واسعة الانتشار ومتزايدة الشعبية، لا ترتبط بأي جماعة قبلية بعينها ولا بالقوة الاستعمارية، وهو ما جعلها رصيذاً مهماً للحركة القومية"⁽⁶²⁾. وكما ذهب بارثا تشاترجي⁽⁶³⁾ في تحليله للهند ما بعد الاستعمار، فقد جسدت القومية التنزانية هذا التناقض، إذ أفرزت "خطاباً" في الوقت الذي تحدى فيه الادعاء الاستعماري بالهيمنة السياسية [...] قبل أيضاً بمرتكزات 'الحداثة' الفكرية نفسها التي قامت عليها الهيمنة الاستعمارية". ومن ثم، كان من المقرر تعبئة فضاءات أوجاما الداخلية من خلال الفضاءات العامة "الحديثة" للحكم والتعبير الوطني.

على الرغم من أن نيريري دعا إلى تبني القومية في أفريقيا بوصفها مرحلة أولى (على خلاف كوامي نكروما Kwame Nkrumah، قائد استقلال غانا، الذي كان يدعو إلى الانتقال مباشرةً من الاستعمار إلى الوحدة الأفريقية)، فإن مشروع بناء الدولة كان يستهدف، في نهاية المطاف، تجاوز الانقسامات القبلية والإثنية التي توقع نيريري أن تمزق أفريقيا بعد الاستقلال. وكان يرى أن القومية الأفريقية، إذا اتخذت مسارها التقليدي، ستقع في قبضة قوى الاستعمار الجديد. ولذلك، كان يؤكد أن القومية الأفريقية ينبغي أن تكون مختلفة:

كما قلت من قبل، إن دور القومية الأفريقية يختلف - أو ينبغي أن يختلف - عن القومية في الماضي. فعلينا أن نجعل من الدول الوطنية الأفريقية أداة لإعادة توحيد أفريقيا. فالقومية الأفريقية لا معنى لها، وتغدو متجاوزةً لزمانها، بل خطرة أيضاً، إذا لم تكن، في الوقت نفسه، جزءاً من مشروع الأفروعمومية⁽⁶⁴⁾.

61 Benedict Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism* (London: Verso, 1983).

62 Graham Mytton, *Mass Communication in Africa* (London: Edward Arnold, 1983), p. 114.

63 Partha Chatterjee, *Nationalist Thought and the Colonial World: A Derivative Discourse?* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986).

64 Julius K. Nyerere, "A United States of Africa (1963)," in: *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65*, p. 194.

65 Nyerere, "The Policies and Purposes of Pan-Africanism," p. 212.

66 Nyerere, "A United States of Africa," p. 189.

67 Nyerere, "The Policies and Purposes of Pan-Africanism," pp. 212-213.

رابعًا: ممارسة الجيوبوليتيكا التابعة

تجسدت تصورات نيريري بشأن المسؤولية تجاه الآخرين في خطابه الجيوبوليتيكي وممارساته على مستويات متعددة، بما عزز تصوره للروابط التي تجمع بين مسؤولية الفرد ومسؤولية الدولة من جهة، والروابط السياسية والأخلاقية الأوسع التي كانت تنزانيا منخرطة فيها، من جهة أخرى. وعلى المستوى القاري، تمثلت هذه المسؤولية في التزام تنزانيا تجاه بقية الشعوب الأفريقية. ومن المعروف أن نيريري عرض تأجيل استقلال تنجانيقا إلى حين حصول كينيا وأوغندا على **الأوهورو Uhuru** (أي الحرية)، لأنه كان يرى أن حرية بلاده ستكون بلا معنى ما دامت شعوب شرق أفريقيا الأخرى لا تزال ترزح تحت الاستعمار. وسارع إلى دعم الحركات التي كانت تناضل ضد نظام الفصل العنصري وحكم الأقلية البيضاء في أفريقيا الجنوبية. وبعد إعلان روديسيا استقلالها من جانب واحد في تشرين الثاني/نوفمبر 1965، أوصت منظمة الوحدة الأفريقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا إذا امتنعت عن إسقاط النظام غير الشرعي بقيادة إيان سميث. وبوصفها، ربما، أهم دولة من دول المواجهة الأمامية في النضال ضد العنصرية والفصل العنصري في أفريقيا الجنوبية، سارعت تنزانيا إلى تنفيذ هذه التوصية، على الرغم من أن ذلك كلفها خسارة قرض من دون فوائد بقيمة 22 مليون دولار كانت قد تفاوضت عليه مع بريطانيا، لكنه لم يكن قد وُقِّع بعد. وفي هذا السياق، "أقر نيريري بأن تجميد هذا القرض أخلّ بتوازن الخطة التنموية الخمسية الأولى لتنزانيا، لكنه أكد، في المقابل، أن بعض المبادئ أهم من المكاسب الاقتصادية القصيرة الأجل"⁽⁶⁸⁾. إضافة إلى ذلك، كان التزامه بمواجهة نظام عيدي أمين في أوغندا أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في تفاقم الأزمة الاقتصادية التي شهدتها تنزانيا في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، وهو ما اضطرها إلى اللجوء إلى صندوق النقد الدولي وقبول شروط برامج التكيف الهيكلي.

وفي الوقت نفسه، فإن اهتمام نيريري بطبيعة القومية جعل نموذج الجيوبوليتيكي مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بأجساد المواطنين التنزانيين وهوياتهم. وكان إدراكه للآثار المتجسدة للاستعمار، وإيمانه بضرورة الرفض الحاسم لهذا النظام، يتردد صداه مع أفكار قانون⁽⁶⁹⁾، وهو ما يتجلى في تأمله البدايات الأولى لاستقلال الدول الأفريقية: "عندما أطلق سراح كوامي نكروما من السجن، أحدث ذلك تحولًا هائلًا.

كنتُ آنذاك في بريطانيا، وكان ذلك واضحًا في الغانين؛ فقد أصبحوا بشراً مختلفين، مختلفين عنّا جميعًا"⁽⁷⁰⁾.

انطلقت الجيوبوليتيكا التابعة عند نيريري من الاعتراف بالحقائق الأنطولوجية التي تفرضها بعض البنى السياسية ومستوياتها، مثل حدود الدول الأفريقية الجديدة وآثار الاقتصاد الدولي، لكنها لم تنظر إلى هذه الحدود بوصفها طبيعية أو حتمية أو مغلقة. فالأمن، في نظره، لا يتحقق من خلال ترسيم الحدود واحتواء مصادر التهديد، بل من خلال التطلع إلى الخارج، والانطلاق من إدراك الظروف المشتركة وحالة الهشاشة التي يفرضها هذا النظام. وتبرز هنا جيوبوليتيكا ذات طابع أخلاقي واضح (وهي استراتيجية للقوة يرى لارسن⁽⁷¹⁾ أن الدول الصغيرة كثيرًا ما تلجأ إليها). وفي هذا الإطار، كان نيريري يدرك تمام الإدراك حدود القوة التي تتيحها له الدولة. ولذلك، فإن ممارسته للسيادة كانت تستند باستمرار إلى استدعاء القوة الأخلاقية، بدلًا من القوة الاقتصادية أو العسكرية، سعيًا لممارسة نفوذ على المستوى العالمي. وترتبط ممارسة السيادة Performance of Sovereignty هذه بالمثل المعيارية للدولة أكثر من ارتباطها بوصف الدولة كما هي؛ فهي "نسبية وتفاوضية - استراتيجية وسيرورة - وليست جوهرية أو مطلقة"⁽⁷²⁾.

وهكذا، استبقت رؤية نيريري الجيوبوليتيكية بشأن الأفرعمومية ما ذهبت إليه جوديث بتلر لاحقًا من ضرورة إعادة تصور "إمكان قيام جماعة سياسية على أساس الانكشاف Vulnerability والفقد"⁽⁷³⁾. وعلى خلاف الكوزموبوليتية الغربية ذات النزعة الكونية، أو ذات الطابع الذكوري، التي "تتبنى الأطر المعيارية للمدالات الديمقراطية الليبرالية، وللذات العاقلة القادرة على الاختيار والتأمل الذاتي، ترى بتلر أن الذات تُعاد صياغتها باستمرار من خلال عمليات جدلية من الاعتراف، داخل شبكات متعددة من علاقات القوة"⁽⁷⁴⁾. وقد جسد تصور نيريري ما بعد الاستعماري هذه العلائقية Relationality ودَوَّتها عبر الحدود المتخيلة والمادية للدولة الوطنية. فقد أدرك

70 Ikaweba Bunting, "The Heart of Africa: Interview with Julius Nyerere on Anti-Colonialism," *New Internationalist*, no. 309 (January-February 1999).

71 Henrik Gutzon Larsen, "Small-State Geopolitics," in: Sami Moiso et al., "Interventions in Nordic Political Geographies," *Political Geography*, vol. 30, no. 5 (2011), pp. 241-249.

72 Philip E. Steinberg & Thomas E. Chapman, "Key West's Conch Republic: Building Sovereignities of Connection," *Political Geography*, vol. 28, no. 5 (2009), p. 284.

73 Judith Butler, *Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence* (London: Verso, 2004); Chakrabarty.

74 Katharyne Mitchell, "Geographies of Identity: The Intimate Cosmopolitan," *Progress in Human Geography*, vol. 31, no. 5 (2007), pp. 706-720.

68 Karioki, p. 193.

69 Frantz Fanon, *Black Skin, White Masks*, Charles Lam Markmann (trans.) (London: Pluto Press, 1986).

تناولتها دراسات أخرى⁽⁷⁸⁾. ومع ذلك، من المهم عدم إضفاء طابع رومانسي على دوره. فقد كان، إلى جانب حزب الاتحاد الوطني الأفريقي التنزاني Tanganyika African National Union, TANU، الذي أصبح لاحقاً حزب الثورة Chama Cha Mapinduzi, CCM⁽⁷⁹⁾، يسعى إلى بناء الاشتراكية على وجه السرعة⁽⁸⁰⁾، إذ لم يكن يرى أن لديه متسعاً من الوقت للمرور بالمراحل التي وصفها الماركسيون وناقشوها، وهو ما يعكسه بوضوح عنوان أحد كتبه، *علينا أن نركض بينما هم يمشون* *We Must Run While They Walk*. وقد شهدت تلك المرحلة ممارسات سلطوية، من بينها الإصرار على ضرورة قيام نظام الحزب الواحد (مع أن المقاعد الانتخابية كانت تخضع دائماً للتنافس)، وسياسات إضفاء الطابع الجماعي على الزراعة Agricultural Collectivisation التي أدت إلى النقل القسري لنسبة كبيرة من سكان الريف في أواخر سبعينيات القرن العشرين⁽⁸¹⁾، فضلاً عن ممارسات أخرى اتسمت باستخدام أساليب صارمة لضمان تنفيذ رؤية القيادة. وكان نيريري يسعى جاهداً إلى تكوين اشتراكيين أفارقة من مجتمع يتألف في معظمه من فلاحين غير متعلمين، ليحولوا رؤيته لأفريقيا ومكانتها في النظام العالمي الحديث. وكان يؤمن بأن التعليم والإعلام اللذين تديرهما الدولة كفيلاً، مع مرور الوقت، بترويض هذه الأفكار في المخيلة الشعبية؛ غير أن المشروع، في بداياته، كان قائماً بطبيعته على التوجيه من أعلى إلى أسفل.

وعلى الرغم من ذلك، احتلت تنزانيا، كما تصوّرنا نيريري، موقعاً محورياً في قلب الأممية ما بعد الاستعمارية Post-colonial Internationalism الأخذة في التشكل. ويرجع ذلك، بطبيعة الحال، إلى أن تشكلت البلاد ما بعد الاستعمار لم يكن ثمرة السياسات الحكومية الرسمية وحدها. فقد برزت بوصفها فاعلاً في النظام العالمي يكتسب دلالة خاصة؛ إذ أصبحت إحدى دول المواجهة الأممية في النضال ضد نظام الفصل العنصري وحكم الأقلية البيضاء في أفريقيا الجنوبية، وأضحت من أبرز الداعمين للوحدة الأفريقية وحركة عدم الانحياز، كما غدت وجهة

"الطوبوغرافيات المزعجة" Disruptive Topographies⁽⁷⁵⁾، التي تنطوي عليها عملية بناء الجماعة السياسية في تنزانيا، وهي جماعة امتدت عبر حدود الدولة، لكنها تأسست على الاعتراف بموقع هذه الحدود في إعادة تشكيل الهويات وإتاحة إمكانات جديدة للترابط. ومن خلال فعل الاعتراف هذا، لا تسبق الذات الآخر، بل يتشكل الاثنان في الوقت نفسه، في سياق يستوعب الهشاشة وعلاقات القوة غير المتكافئة. ومن ثم، وعلى خلاف حركة *الزنوجة Negritude* أو أشكال التضامن الدولي التي تبنتها حركة الفهود السود Panthers Black⁽⁷⁶⁾، فإن الأفروعمومية عند نيريري لم تكن قائمة على العرق؛ فقد كان ينظر إليها باعتبارها مشروعاً يعترف بالقومية، وبوصفها عملية لتجاوز الانقسامات القبلية والإثنية، من دون أن يتعارض ذلك مع الهوية الأفريقية، بل على أنها منظومة من الروابط المفتوحة على الخارج. ولهذا، كان يؤكد مراراً شمولية المواطنة، أولاً في تنجانيقا ثم في تنزانيا، قائلاً، في كانون الثاني/ يناير 1964: "إن الأمر يتعلق، ببساطة، بالصدق وبمحاولة الارتقاء إلى السمعة التي اكتسبناها بوصفنا بلداً يهتم بالمبادئ. وهذا الإجراء لا يتخذ من أجل ذوي البشرة السمراء أو البيضاء، بل من أجل تنجانيقا"⁽⁷⁷⁾.

لا شك في أن نيريري اضطلع بدور مهم في صياغة الجيوبوليتيكا التي حددت موقع تنزانيا وأفريقيا في النظام العالمي الناشئ بعد الاستعمار. وبوصفه شخصية ارتبطت، حتى في نظر كثير من خصومه السياسيين، برؤية أخلاقية عميقة، لم يقتصر تصوّره للنظام الجيوبوليتيكي على وصفه، بل انطوى أيضاً على دعوة من يستمعون إلى خطابه أو يقرؤون كتاباته إلى تبني الذاتية. فإلى جانب تقديمه تصوّراً بديلاً من النظام الجيوسياسي الثنائي الذي ساد خلال الحرب الباردة، طرح ذاتيةً تابعة Subaltern Subjectivity تتحدى الثنائيات التي قامت عليها جيوسياسية الحرب الباردة، والاستعمار، والعرق، والأيدولوجيا السياسية. ولا تهدف هذه الدراسة إلى تقييم سياسات نيريري، فقد

78 ينظر، على سبيل المثال:

Colin Legum & Geoffrey Mmari (eds.), *Mwalimu: The Influence of Nyerere* (Trenton, NJ: Africa World Press, 1995); David A. McDonald & Eunice Njeri Sahle (eds.), *The Legacies of Julius Nyerere: Influences on Development Discourse and Practice in Africa* (Trenton, NJ: Africa World Press, 2002).

79 حزب الاتحاد الوطني الأفريقي في تنجانيقا. وبعد الاتحاد مع زنجبار، أصبح "حزب الاتحاد الوطني الأفريقي التنزاني"، ثم اندمج لاحقاً مع "الحزب الأفرو-شيرازي" الذي كان مقره في زنجبار، ليشكل "تشارما تشا مايندوزي" Chama Cha Mapinduzi (حزب الثورة).

80 Prashad.

81 John Briggs, "Villagisation and the 1974-6 Economic Crisis in Tanzania," *The Journal of Modern African Studies*, vol. 17, no. 4 (1979), pp. 695-702.

75 Cindi Katz, "Vagabond Capitalism and the Necessity of Social Reproduction," *Antipode*, vol. 33, no. 4 (2001), pp. 709-728.

76 ينظر، على سبيل المثال:

James A. Tyner, "Defend the Ghetto: Space and the Urban Politics of the Black Panther Party," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 96, no. 1 (2006), pp. 105-118.

77 Julius K. Nyerere, "Tanganyika Citizenship (1964)," in: *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65*, p. 259.

رؤية زعيمهم نيريري. وفي الوقت نفسه، أصبحت الجامعة منارةً استقطبت المفكرين والناشطين الراديكاليين من مختلف أنحاء العالم. وفي مقابلة أُجريت مع جيوفاني أريغي حول سنواته في جامعة دار السلام، استهل المحاور، ديفيد هارفي، الحديث بقوله إن الجامعة "بدأت كأنها جنة للتفاعلات الفكرية"، فردَّ أريغي قائلاً:

كانت فترةً بالغة الإثارة، فكرياً وسياسياً. وعندما وصلتُ إلى دار السلام عام 1966، لم تكن تنزانيا قد مضى على استقلالها سوى بضع سنوات. وكان نيريري يدعو إلى ما كان يعدّه شكلاً من أشكال الاشتراكية الأفريقية. وقد نجح في الحفاظ على مسافة متساوية من طرفي الانقسام الصيني - السوفياتي، وحافظ على علاقات جيدة جداً مع الدول الإسكندنافية. وأصبحت دار السلام قاعدةً لحركات التحرر الوطني في أفريقيا الجنوبية التي كانت تعمل في المنفى، بما في ذلك الحركات القادمة من المستعمرات البرتغالية، وروديسيا، وجنوب أفريقيا. وخلال السنوات الثلاث التي قضيتها في الجامعة، التقيتُ أشخاصاً من خلفيات متعددة، ناشطين في حركة "القوة السوداء" Black Power في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب باحثين ومفكرين، مثل إيمانويل فالرشتاين Immanuel Wallerstein، وديفيد أبتر David Apter، ووالتر رودني Walter Rodney، وروجر موراي Roger Murray، وسول بيتشوتو Sol Picciotto، وكاثرين هوسكنز Catherine Hoskins، وجيم ميلون Jim Mellon، الذي أصبح لاحقاً أحد مؤسسي منظمة ويذرمن Weathermen، ولويسا باسيريني Luisa Passerini، التي كانت تُجري أبحاثاً حول حركة فريليمو FRELIMO، وآخرين كثيرين، من بينهم، بالطبع، جون سول John Saul⁽⁸³⁾.

شارك الباحثون التنزانيون، إلى جانب الأكاديميين الذين وفدوا إلى جامعة دار السلام من مختلف أنحاء العالم، في نقاشات تناولت الكيفية التي يمكن من خلالها تشييد هذا النظام العالمي الجديد. وقد أكد المفكر البارز والتر رودني أن هذا المشروع ينبغي له أن ينطلق من القواعد الشعبية في المجتمعات الأفريقية، مشدداً على أن "على كل أفريقي مسؤولية أن يفهم هذا النظام ويعمل على إسقاطه"⁽⁸⁴⁾. وشكّلت الجامعة بيئةً فكرية اتسمت بدرجة استثنائية من الحيوية

لعودة الأميركيين من أصول أفريقية، ولا سيما من خلال جامعة دار السلام، التي تحولت إلى مركز للنقاش الفكري بين الأكاديميين والطلبة ذوي التوجهات الراديكالية. وهكذا، تشكلت تنزانيا، بوصفها دولة في النظام العالمي وحضوراً جيوبوليتيكياً، عبر تداخل هذه المستويات جميعها وتشابك العمليات التي صاغتها.

خامساً: المواقع الجيوبوليتيكية

شكل إعلان أروشا، ومكانة تنزانيا بوصفها إحدى دول المواجهة الأمامية في حركة تحرير أفريقيا الجنوبية، ومحاولة نيريري رسم مسار جديد للسياسة والجيوبوليتيكا من خلال التوفيق بين الأبعاد الوطنية والقارية والعالمية، مزيجاً لافتاً. وعلى الرغم من أن ملامح هذا المشروع بدأت تتصدع مع تقدم سبعينيات القرن العشرين، فإن هذه الرؤية ظلت تجتذب أفراداً من مختلف أنحاء العالم حتى ثمانينياته. فقد أصبحت تنزانيا "مغناطيساً يجذب المناهضين للاستعمار والمفكرين من مختلف أنحاء العالم"⁽⁸²⁾. وكان بعض هؤلاء من أعضاء المؤتمر الوطني الأفريقي African National Congress, ANC الفازين من الاضطهاد في أفريقيا الجنوبية، في حين جاء آخرون من أوروبا الشرقية والصين المايوية بوصفهم رفاقاً في النضال، بينما قدم آخرون من الغرب بحثاً عن بديل ممّا كانوا يشهدونه في بلدانهم. ومن المهم أن هذه الوجهة لم تُفهم بوصفها انتقلاً يرتبط بالتنمية أو سعيًا إلى تقديم العون للعالم الثالث أو للدول النامية، بل إن كثيراً من المثقفين الذين انجذبوا إلى تنزانيا رأوا فيها تجسيداً للمستقبل. فقد ساد اعتقاد بأن تحولاً جذرياً في القيادة السياسية والأيدولوجية لم يكن ممكناً فحسب، بل كان وشيكاً أيضاً، وكانت تنزانيا في قلب هذا التحول. ومن ثم، برزت مجموعة من المواقع التي مورست فيها الجيوبوليتيكا التابعة خارج نطاق الجيوبوليتيكا الرسمية للدولة التي صاغها نيريري، وأحياناً في حالة توتر معها. وشملت هذه المواقع معسكرات تدريب حركات المقاومة في أفريقيا الجنوبية، ومجتمعات الأميركيين من أصول أفريقية، والجماعات الأكاديمية الكومبوليتية، ولا سيما في جامعة دار السلام.

كانت جامعة دار السلام، الواقعة في منطقة **مليماني Mlimani**، وهي تلة تبعد نحو عشرة كيلومترات عن وسط أكبر مدن تنزانيا، أحد أبرز المواقع التي احتضنت نقاشات (جيو)سياسية مكثفة في السنوات الأولى من مرحلة ما بعد الاستعمار. فمن خلال البحث والتدريس، انخرط أعضاء هيئة التدريس والطلبة في "التلة" في استكشاف الرؤى الجيوبوليتيكية للدول الأفريقية الجديدة ومناقشتها، ولا سيما

83 Giovanni Arrighi, "The Winding Paths of Capital," Interview by David Harvey, *New Left Review*, no. 56 (March–April 2009), accessed on 25/8/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sP4>

84 Walter Rodney, *How Europe Underdeveloped Africa* (Cape Town: Pambazuka Press, 2012 [1972]), p. 28.

خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بل مواقع يمكن أن تنطلق منها القوى الحقيقية المحركة للتغيير. غير أن هذا التحدي غاب عن السرديات الجيوبوليتيكية لأسباب متعددة⁽⁸⁸⁾، من بينها "إخفاق" كثير من رؤى قادة ما بعد الاستعمار في بناء مجتمعات جديدة على المستوى العملي، إلى جانب الآثار التي خلفتها سياسات التكيف الهيكلي في ثمانينيات القرن العشرين. ومع ذلك، لا يزال هناك كثير مما يمكن تعلّمه من جيوبوليتيكا الكوزموبوليتيات التابعة Geopolitics of Subaltern Cosmopolitanisms، التي تُعدّ الأفروعمومية، بحسب جيلمور "مثالاً راسخاً، ولم يفقد راهنيته بأي حال من الأحوال"⁽⁸⁹⁾.

شهدت الآداب والعلوم الاجتماعية في السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً بأهمية الأدبيات الصادرة من الهوامش. وفيما يتعلق بأفريقيا، يرى أشيل مبمبي أن القارة استُبعدت بصورة منهجية من التنظير الاجتماعي، بحيث إن "إحدى نتائج هذا العمى تتمثل في أن السياسة والاقتصاد في أفريقيا لم يظهر في النظرية الاجتماعية إلّا بوصفهما دليلاً على نقص، في حين تحوّل خطاب العلوم السياسية واقتصاديات التنمية إلى بحث دائم عن أسباب ذلك النقص"⁽⁹⁰⁾. ومن ثم، وكما بيّن بليتش بصورة مقنعة، فإن أفريقيا، في إطار تقسيم العمل الأكاديمي، ظلت تُعامل بوصفها ميداناً لأبحاث التنمية، في حين حظيت باهتمام أقل كثيراً من جانب الحقول المعرفية الأخرى، ولا سيما الجغرافيا السياسية⁽⁹¹⁾.

وفي الوقت نفسه، وُجّهت انتقادات إلى دراسات ما بعد الاستعمار، بوصفها تنظيراً يُنتج من خلف المكاتب Armchair Theorising، ولأن ترسيخ هذا الحقل المعرفي ارتبط، إلى حد بعيد، بانتقال أكاديمي العالم الثالث إلى الإقامة والعمل في بلدان العالم الأول. غير أن الأفروعمومية، إلى جانب أشكال أخرى من الجيوسياسية التابعة التي تبلورت في إطار حركة عدم الانحياز خلال السنوات التي أعقبت الاستقلال، أسهمت في إنتاج صيغ بديلة، متجذرة في الواقع، لإعادة صياغة الفكر والممارسة السياسيين الغربيين. ويؤكد بال أهلواليا⁽⁹²⁾ أن ما بعد البنيوية تعود بجذورها إلى شمال أفريقيا، مشيراً إلى أن

والإلهام للمشاركين فيها. ويرى عدد من الباحثين أن رؤية رودني كانت رؤية استثنائية، ولا سيما لأنه تجرّأ على القول بالإيمان بأن هذا التحول الجذري الهائل يجب أن ينطلق من الأفارقة وغيرهم من الشعوب الواقعة في قاع منظومة الاستغلال والهيمنة⁽⁸⁵⁾. وكما أوضح عيسى شيفجي، الذي كان أحد طلاب رودني وأصبح لاحقاً أحد أبرز الباحثين النقديين في تنزانيا: "لقد كنا نفكر على مستوى عالمي. وكنا نفكر بمنطق الحقب التاريخية Epochs، لا بمنطق الغد، ولا بمنطق السنوات، ولا حتى بمنطق العقود، بل بمنطق الحقب التاريخية"⁽⁸⁶⁾.

استجابت المعرفة التي أنتجت في "التلة" للتحدي الجيوبوليتيكي الذي طرحه نيري. فكما كانت الجيوبوليتيكا التابعة عنده تتحدى الحدود الدولية القائمة، كانت النقاشات الفكرية في الجامعة تتحدى الحدود التقليدية بين التخصصات الأكاديمية. ولذلك، جرى التأكيد على أهمية الدراسات البينية Interdisciplinary Studies، انطلاقاً من قناعة مفادها أن أعضاء الجامعة، سواء كانوا يدرسون القانون أو العلوم الاجتماعية أو العلوم الطبيعية، ينبغي أن يتلقوا تعليماً واسع الأفق وذا نزعة نقدية. وفي هذا السياق، يقول شيفجي:

إن ما ميّز تلك المرحلة، في تقديري، هو الروح النقدية. فلم يكن ثمة شيء يُسلّم به أو يُؤخذ على محمل البدهة؛ بل كان كل شيء موضعاً للنقد والتقييم. وكان المثقف، آنذاك، ينظر إلى نفسه بوصفه نافذاً اجتماعياً، لا باحثاً منشغلاً ببناء مسيرته المهنية، ولا متأملاً أو مفكراً منعزلاً. وإذا أردت أن أوجز روح تلك المرحلة في عبارة واحدة، فهي: "أشكك في كل شيء"، لا بروح المتشكك العدمي، بل بروح الناقد، [...] لا بوصفه فيلسوفاً متأملاً فحسب، بل بوصفه فاعلاً في التاريخ⁽⁸⁷⁾.

استنتاجات

سعت هذه الدراسة إلى إعادة النظر في التدخلات السياسية التي اضطلعت بها تنزانيا، بوصفها دولةً جديدة في مرحلة ما بعد الاستعمار خلال ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، وباعتبارها شكلاً من أشكال الجيوبوليتيكا النقدية. فقد شهدت تلك المرحلة حراكاً سياسياً وفكرياً واسعاً في عدد من البلدان الأفريقية، وكان يُنظر إلى كثير من هذه المجتمعات، لا بوصفها هوامش في عملية إعادة تشكيل العالم

88 أشار محمود ممداني أيضاً إلى أن تغيّر طبيعة الممارسة الأكاديمية في عدد من البلدان الأفريقية، نتيجة لسياسات التكيف الهيكلي، أسهم في الابتعاد عن الممارسة الأكاديمية النقدية في كثير من الأقسام الأكاديمية في شرق أفريقيا. ينظر: Mahmood Mamdani, "The Importance of Research in a University," *Pambazuka News*, no. 526 (April 2011), at: <https://acr.ps/hBy2t5F>

89 Gilmore, p. 34.

90 Achille Mbembe, *On the Postcolony* (Berkeley: University of California Press, 2001).

91 Pletsch, pp. 565-590.

92 Pal Ahluwalia, "Out of Africa: Post-Structuralism's Colonial Roots," *Postcolonial Studies*, vol. 8, no. 2 (2005), pp. 137-154.

85 Vincent Harding, Robert Hill & William Strickland, "Introduction 1981," in: Walter Rodney, *How Europe Underdeveloped Africa* (Cape Town: Pambazuka Press, 2012), p. xvii.

86 Shivji, "What Is Left of the Left Intellectual at 'the Hill'?" p. 204.

87 Ibid., p. 211.

أفريقي حديث، وفي المقابل، تأثر كثير من الأكاديميين الغربيين، وكذلك النقاشات التي حملوها معهم عند عودتهم إلى بلدانهم، بعمق بالتجربة التنزانية، أو أنها خضعت لعملية "تنزنة" في طابعها Tanzanian-ized.

لا تمثل هذه السرديات نماذج للأمية تنطلق "من الأسفل" أو "من الخارج"، بل هي جغرافيات أُعيدَ تشكيلها انطلاقًا من الهوامش، ومن أشخاص تشابكت تجاربهم، بطرائق مختلفة، مع شبكات الهيمنة والمقاومة؛ أشخاص لا يمكن وصفهم بأنهم يقفون في الأسفل أو في الخارج، كما لا يمكن، في الوقت نفسه، اعتبارهم فاعلين أقوى أو مركزيين أو مهمين. ومع ذلك، فإن هذه السرديات تتحدى التصورات السائدة التي تفترض أن التابع يظل دائمًا أسير المكان، وأنه يظل كيانًا خاصًا و"آخر" في مواجهة النظريات الغربية الرحالة Travelling Theories. ومن ثم، فإنها تقدّم نقدًا مهمًا للسرديات المتعلقة بالأمية، والجيوبوليتيكا، والكوزموبوليتية، التي تنظر إلى التابع، وإلى الفعل السياسي المنبثق منه، بوصفهما مقيدين بالمكان⁽⁹⁷⁾. ومن ناحية أخرى، فإن الروابط العابرة للإقليم التي نسجت تنزانيا لا تعود، بطبيعة الحال، إلى الحقبة الاستعمارية الأوروبية وحدها. فكما تشهد على ذلك الإسهامات العربية والهندية والبانتوية في اللغة السواحلية، فإن المنطقة التي تُعرف اليوم بتنزانيا ظلت، منذ قرون، جزءًا من شبكات التجارة والسياسة التي ربطت ثقافات "الساحل السواحلي" في شرق أفريقيا بدول الخليج والهند، إلى جانب الروابط التي نشأت لاحقًا مع ألمانيا وبريطانيا في الحقبة الاستعمارية⁽⁹⁸⁾.

ومن ثم، فإن الدروس المستفادة من تجربة تنزانيا لا ينبغي أن تقتصر أهميتها على المهتمين بالشأن الأفريقي. فلارسن⁽⁹⁹⁾ يؤكد، في دعوته إلى "جيوبوليتيكا للدول الصغيرة"، ضرورة فهم تعددية الرؤى الجيوبوليتيكية، انطلاقًا من حقيقة أن جيوبوليتيكا الدول المختلفة متشابكة ومتراصة بطبيعتها. واستنادًا إلى ما عُرف بـ "فضيحة الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد"، يؤكد لارسن أن الدمارك ليست دولة هامشية، وأن هذه الحادثة أبرزت ذلك بوضوح؛ إذ إنها انتقلت من "صورته الذاتية المعتادة بوصفها نموذجًا للفضيلة في السياسة العالمية، دولة صغيرة ولكنها قوة أخلاقية عظمى، [إلى وضع] أصبح فيه الدماركيون هم أيضًا يطرحون السؤال: 'لماذا يكرهوننا؟'"⁽¹⁰⁰⁾.

عددًا من أبرز مفكرها، مثل لوي ألتوسير وجاك دريدا، وُلدوا في الجزائر "وقضوا فيها سنواتهم التكوينية"، في حين أمضى ميشيل فوكو "فترة مهمة في تونس"⁽⁹³⁾. ويتتبع أهلواليا أثر هذه البيئة في تشكّل الفكر ما بعد النيوي، ويرى أن من الممكن إجراء تحليل مماثل لتأثير السياق التنزاني في مرحلة ما بعد الاستعمار في التكوين الفكري لمفكرين مثل رودني، وجون سول، وجيوفاني أريغي، وتيرنس رينجر⁽⁹⁴⁾. وتتحدى هذه الجينيات الفكرية السرديات ذات المركزية الأوروبية التي تفسر نشأة مختلف أشكال الفكر السياسي الحديث. وفي هذا السياق، يواصل روبي شيليام القول:

تجلى المركزية الأوروبية بأوضح صورها في الافتراض الضمني القائل إننا لسنا في حاجة إلى الانتقال إلى المجال الفكري للعالم غير الغربي، أو إلى مساءلة أرشيفه الفكري، من أجل إعادة التفكير في التجربة الحديثة. فالمسألة لا تقتصر على إضافة المفكر غير الغربي إلى الأرشيف القائم للأكاديمية الغربية، بل إن الانخراط في فكره قد يكون ضروريًا للكشف عن حدود هذه الأكاديمية نفسها، ومن ثم فتح المجال أمام استكشافات أشد عمقًا لكيفية تشكّل النظام العالمي الحديث⁽⁹⁵⁾.

في بلدان مثل تنزانيا، ولا سيما في فضاءات التنظير السياسي النشط، كما كان الحال في جامعة دار السلام خلال سبعينيات القرن العشرين، كان يُنظر إلى "الهوامش"، ولو فترة وجيزة، بوصفها تحمل في طياتها "المركز" المستقبلي. ولذلك، انجذب إلى أفريقيا أشخاص من مختلف أنحاء القارة، فضلًا عن القوتين العظميين الغربية والشرقية. ومن ثم، قدّمت تنزانيا ما بعد الاستعمار، خلال فترة من الزمن، تجسيدًا عمليًا لما وصفه تشاكرابارتي بـ "أقلمة أوروبا" Provincializing Europe⁽⁹⁶⁾، إذ انتقل إليها مفكرون وشخصيات سياسية وفاعلون في حركات المقاومة، من الشمال والجنوب على السواء، للمشاركة في تجربة نيري والتعلم منها. ومن ثم، لم تكن المسألة انتقال المعرفة الغربية إلى تنزانيا وهيمنتها على النقاشات الفكرية فحسب. فقد أعاد نيري صياغة عدد من المفاهيم السياسية الغربية، ولا سيما مفهوم القومية، في محاولة لصوغ مستقبل

93 Robbie Shilliam, "The Enigmatic Figure of the Non-Western Thinker in International Relations," *AntePodium: Online Journal of World Affairs* (2009), accessed on 25/8/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sic>

94 في كلتا الحالتين، يغلب الرجال بصورة طاغية على قائمة الشخصيات، ما يجعل البحث النسوي في تاريخ هذه المرحلة ذا أهمية خاصة.

95 Shilliam.

96 Dipesh Chakrabarty, *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000).

المقصود بذلك نزع المركزية عن أوروبا والتعامل معها بوصفها تجربة تاريخية محدودة بسياقها، لا النموذج الكوني الذي ينبغي أن تقاس عليه تجارب تاريخية أخرى. (المترجمة)

97 Featherstone, *Solidarity*.

98 Abdul Sheriff, *Dhow Cultures of the Indian Ocean: Cosmopolitanism, Commerce and Islam* (London: C. Hurst & Co., 2010).

99 Larsen.

100 Ibid., p. 245.

أوسع إشراكاً يبدو أمراً لا غنى عنه⁽¹⁰⁵⁾. ومن ثم، فإن إعادة النظر في المحاولات التي سعت إلى تخيل مستقبل جيوبوليتيكي جماعي، كتلك التي طرحتها الأفروعمومية، تظل ذات أهمية لا غنى عنها.

ويثير ذلك تساؤلاً حول ما يمكن أن نتعلمه من الظروف التي أتاحت ظهور تلك التدخلات النقدية في تنزانيا ما بعد الاستعمار، والكيفية التي يمكن بها الاستفادة من هذه التجربة في السعي إلى إعادة تهيئة الظروف التي أوجدت ذلك القدر من التفاؤل والأمل. وقد شدّد براشاد على أهمية مثل هذه الرؤى، معبراً في الوقت نفسه عن تشاؤمه - وربما كان تشاؤماً مفراطاً - إزاء مستقبل يفتقر إليها، إذ يقول:

لقد كان أفول العالم الثالث كارثياً، ولا يزال الناس في مختلف أنحاء القارات الثلاث يحملون بعالم أفضل، وينخرط كثير منهم في حركات اجتماعية أو أحزاب سياسية. ولتطلعاتهم صوتٌ محلي، غير أن آمالهم وأحلامهم، خارج ذلك الإطار، تبقى مبهمة⁽¹⁰⁶⁾.

إن تصور العالم الثالث، كما عرضه براشاد، وكما تجلّى في كتابات نيري، وسعى إلى تجسيده من خلال سياساته، وعاشه أولئك الذين درسوا وعملوا في أماكن مثل جامعة دار السلام، يقدم شكلاً من أشكال الذاتية ما بعد الاستعمارية، تُعاد فيه صياغة الذوات من خلال الاعتراف بالهشاشة المشتركة، وبالرغبة المشتركة في تحدي هذا الواقع، بل في تغييره، بدلاً من أن تقوم هذه الذاتية على هوية تتأسس على إقصاء الغيرية.

يرى وايت، في مناقشته للجيوبوليتيكا في غانا في عهد نكروما، أن السردية التي تقوم على ثنائية متعارضة بين حادثة الحرب الباردة والمجتمع الأفريقي الأصلي هي سردية زائفة؛ إذ كانت غانا، في الواقع، "تقع عند تقاطع مسارات متعددة للحدثة"⁽¹⁰⁷⁾، وكانت رؤية نكروما رؤيةً حداثية، غير أن السياق الذي وجد نفسه فيه أتاح له مسارات متعددة للمضي قدماً، ووضع في موقع "التكيف الخلاق"، الذي يصفه غوانكار بأنه "الموضع الذي يصنع فيه شعبٌ ما حادثه بنفسه، بدلاً من أن 'تصنعها' أيدي قوى أجنبية وإمبريالية"⁽¹⁰⁸⁾. وقد مثّلت الرؤية الجيوبوليتيكية البديلة التي طرحتها حركة عدم الانحياز للتنمية إحدى هذه الحداثيات، إذ رفضت، عن وعي، الرؤى المستقبلية الحداثية التي بشرت بها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. كما

وكما أن حالة "الدولة الصغيرة" Small Statehood لا تشير ببساطة إلى موقع جغرافي أو سياسي بعينه، فإن مفهوم "التابع" لا ينبغي له أن يُختزل في أمكنة محددة. بل يمكن فهم التابع بوصفه "يقع، في الوقت نفسه، خارج (أي خارجياً عن) تشكيل اجتماعي ومكاني، وعلى هوامشه (مع بقائه داخله)، وبالمثل، بوصفه منفصلاً عن السلطة، وفي الوقت نفسه نتاجاً لها"⁽¹⁰¹⁾. ويرى لارسن أن القوة التي يمكن الدول الهامشية أن تستند إليها تتمثل في السلطة الأخلاقية، وهي القوة التي طبعت إلى حد بعيد الدور الذي اضطلعت به تنزانيا في مرحلة ما بعد الاستعمار، ولا سيما في عهد نيري. غير أن مبيمي⁽¹⁰²⁾ يوضح أن التحولات التي فرضتها سياسات التكيف الهيكلي أسهمت، تدريجياً، في تقويض سلطة قادة العالم الثالث ذوي الرؤى المستقبلية، مثل نيري، وذلك من خلال تدمير "المركّزات الاقتصادية للسلطة والنظام السياسيين في سبعينيات القرن العشرين، أعقبها انهيار قيمة العملات المحلية في ثمانينياته". كما أن تغلغل الجهات الخارجية في الاقتصادات الوطنية، عبر تقديم المساعدات، والسعي إلى جذب الاستثمارات الدولية، والنفوذ الذي تمارسه المنظمات الدولية الخاضعة لهيمنة الغرب، كلها عوامل أسهمت في تقويض سيادة دول الجنوب، ورسخت في الوقت نفسه محدودية السيادة المتاحة لها⁽¹⁰³⁾. ويذهب أغنيو⁽¹⁰⁴⁾ إلى أن هذه الظاهرة لا تقتصر على دول الجنوب، بل يرى أن كثيراً من الدول باتت تمتلك قدرة أقل كثيراً على التحكم في مساراتها ومصائرهما مما تفترضه النماذج التقليدية للدولة.

ويشير ذلك إلى أن هذه قد تكون اللحظة التي تستدعي، أكثر من أي وقت مضى، مخيلة جيوبوليتيكية أشد طموحاً. فسواء تعلق الأمر بالتحديات التي تفرضها الاقتصادات، والتقنيات، والتهديدات البيولوجية التي لا تعترف بحدود الدول، أو بالجيوبوليتيكا المرتبطة بتغير المناخ في عصر "الأنثروبوسين" Anthropocene، فإن الانتقال من تصور للجيوبوليتيكا يتمحور حول المصالح الفردية للدول إلى رؤية

101 Daniel Clayton, "Subaltern Space," in: John A. Agnew & David N. Livingstone (eds.), *The SAGE Handbook of Geographical Knowledge* (London: SAGE, 2011), p. 247.

102 Achille Mbembe, "Necropolitics," Libby Meintjes (trans.), *Public Culture*, vol. 15, no. 1 (2003), p. 33.

103 Joanne P. Sharp, "Africa's Colonial Present: Development, Violence, and Postcolonial Security," in: Graham Huggan (ed.), *The Oxford Handbook of Postcolonial Studies* (Oxford: Oxford University Press, 2013), pp. 235-252.

104 John Agnew, "Sovereignty Regimes: Territoriality and State Authority in Contemporary World Politics," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 95, no. 2 (2005), pp. 437-461.

105 Simon Dalby, "Environmental Geopolitics in the Twenty-First Century," Paper Presented at the *Rethinking Climate Change, Conflict and Security Conference*, University of Sussex, 18-19/10/2012.

106 Prashad, p. xviii.

107 Evan White, "Kwame Nkrumah: Cold War Modernity, Pan-African Ideology and the Geopolitics of Development," *Geopolitics*, vol. 8, no. 2 (2003), p. 110.

108 Ibid.

المراجع

- Agnew, John. "Sovereignty Regimes: Territoriality and State Authority in Contemporary World Politics." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 95, no. 2 (2005).
- _____. "Know-Where: Geographies of Knowledge of World Politics." *International Political Sociology*. vol. 1 (2007).
- Agnew, John A. & David N. Livingstone (eds.). *The SAGE Handbook of Geographical Knowledge*. London: SAGE, 2011.
- Ahluwalia, Pal. "Out of Africa: Post-Structuralism's Colonial Roots." *Postcolonial Studies*. vol. 8, no. 2 (2005).
- Anderson, Benedict. *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London: Verso, 1983.
- Arrighi, Giovanni. "The Winding Paths of Capital." Interview by David Harvey. *New Left Review*. no. 56 (2009). at: <https://acr.ps/hBy2sP4>
- Ayoob, Mohammed. "Inequality and Theorizing in International Relations: The Case for Subaltern Realism." *International Studies Review*. vol. 4, no. 3 (2002).
- _____. "Making Sense of Global Tensions: Dominant and Subaltern Conceptions of Order and Justice in the International System." *International Studies*. vol. 47, no. 2-4 (2010).
- Bhabha, Homi K. *The Location of Culture*. London: Routledge, 1994.
- Bilgin, Pinar. "Thinking Past 'Western' IR?" *Third World Quarterly*. vol. 29, no. 1 (2008).
- Briggs, John. "Villagisation and the 1974-6 Economic Crisis in Tanzania." *The Journal of Modern African Studies*. vol. 17, no. 4 (1979).

أنها جسدت جيوپوليتيكا أخلاقية تقوم على الترابط، لا على ممارسة السيادة من خلال الإقصاء. وقد تشكّلت الجيوپوليتيكا التنزانية (ولا تزال، في بعض جوانبها، كذلك)⁽¹⁰⁹⁾ بصورة جدلية، انطلاقاً من دور البلاد في تعزيز تصورات متعددة للمستقبل: هوية أفريقية، وعدم الانحياز في سياق الحرب الباردة، ورؤية وحدوية أفريقية، وفضاء يحتضن الفكر الراديكالي والبديل للمفكرين والناشطين من مختلف أنحاء العالم. ويظل العنصر الأهم في هذا كله هو الاعتراف بالهشاشة المشتركة، وبالرغبة في تحدي هذا الواقع، بل في تغييره، بدلاً من تأسيس الهوية على إقصاء الغيرية. وقد أدرك نيري بوضوح هذا الاعتماد المتبادل على المستوى العالمي. ففي خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عقب استقلال تنجانيقا عن بريطانيا، قال: "إنني أهني البريطانيين على اتخاذهم خطوة أخرى نحو استكمال استقلالهم وحرّيتهم؛ لأنني أؤمن بأن أي دولة لا تكون حرة حرة كاملة ما دامت تُبقي شعباً أخرى في حالة من انعدام الحرية"⁽¹¹⁰⁾.

شكر وتقدير

أودّ أن أشكر فيت باخمان Veit Bachmann وزملاءه في معهد الجغرافيا البشرية بجامعة غوته في فرانكفورت، على دعوتهم لي لتقديم هذه الورقة في مؤتمر "إضفاء البعد المكاني على الـ(جيو)سياسي"، الذي نظّمته لجنة الجغرافيا السياسية التابعة للاتحاد الجغرافي الدولي International Geographical Union, IGU، في آب/ أغسطس 2012. وأشكر المناقشين وسائر المشاركين على تفاعلهم مع الورقة. وقد استفادت الورقة أيضاً استفادة كبيرة من مختلف المناقشات مع أعضاء مجموعة أبحاث الجغرافيا البشرية في غلاسكو، ولا سيما جون بريغز John Briggs، وديف فيذرستون Dave Featherstone، ورونان باديسون Ronan Paddison، وإيان شو Ian Shaw، فضلاً عن الملاحظات القيّمة والسخية التي قدّمها جون أغنيو John Agnew، وسامون دالبي Simon Dalby، وسارا كوهمان Sara Koopman، ودورين ماسي Doreen Massey، وأليك مورفي Alec Murphy، وجوليان ستينمانز Julian Stenmanns. وأتقدم بالشكر إلى فيل شتاينبرغ Phil Steinberg، وجيمس سيدواي James Sidaway، ومحرري دورية الجغرافيا السياسية *Political Geography*. وتستند هذه الدراسة إلى بحث أنجز في إطار زمالة منتصف المسار المهني التي مولها مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية (0039-27-RES-070).

109 ينظر:

Sharp, "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror'," pp. 297-305.

110 Julius K. Nyerere, "Independence Address to the United Nations (1961)," in: *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65*, p. 145.

- _____. *Solidarity: Hidden Histories and Geographies of Internationalism*. London: Zed Books, 2012.
- Ferguson, Russell et al. (eds.). *Out There: Marginalization and Contemporary Cultures*. Cambridge, MA: MIT Press, 1990.
- Guillaume, Xavier. "Unveiling the 'International': Process, Identity and Alterity." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 35, no. 3 (2007).
- Hale, Charles R. (ed.). *Engaging Contradictions: Theory, Politics, and Methods of Activist Scholarship*. Berkeley: University of California Press, 2008.
- Harker, Christopher. "Geopolitics and Family in Palestine." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Huggan, Graham (ed.). *The Oxford Handbook of Postcolonial Studies*. Oxford: Oxford University Press, 2013.
- Jazeel, Tariq. "Spatializing Difference beyond Cosmopolitanism: Rethinking Planetary Futures." *Theory, Culture & Society*. vol. 28, no. 5 (2011).
- Kariuki, James N. *Tanzania's Human Revolution*. University Park, PA: The Pennsylvania State University Press, 1979.
- Katz, Cindi. "Vagabond Capitalism and the Necessity of Social Reproduction." *Antipode*. vol. 33, no. 4 (2001).
- Kearns, Gerry. "Progressive Geopolitics." *Geography Compass*. vol. 2, no. 5 (2008).
- Koopman, Sara. "Alter-Geopolitics: Other Securities Are Happening." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Legum, Colin & Geoffrey Mmari (eds.). *Mwalimu: The Influence of Nyerere*. Trenton, NJ: Africa World Press, 1995.
- Mbembe, Achille. *On the Postcolony*. Berkeley: University of California Press, 2001.
- Bunting, Ikaweba. "The Heart of Africa: Interview with Julius Nyerere on Anti-Colonialism." *New Internationalist*. no. 309 (1999).
- Butler, Judith. *Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence*. London: Verso, 2004.
- Chakrabarty, Dipesh. "Provincializing Europe: Postcoloniality and the Critique of History." *Cultural Studies*. vol. 6, no. 3 (1992).
- _____. *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000.
- Chatterjee, Partha. *Nationalist Thought and the Colonial World: A Derivative Discourse?* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986.
- Childs, Peter & R. J. Patrick Williams. *An Introduction to Post-Colonial Theory*. London: Prentice Hall/Harvester Wheatsheaf, 1997.
- Dalby, Simon. "Recontextualising Violence, Power and Nature: The Next Twenty Years of Critical Geopolitics?" *Political Geography*. vol. 29, no. 5 (2010).
- _____. "Environmental Geopolitics in the Twenty-First Century." Paper Presented at the Rethinking Climate Change, Conflict and Security Conference, University of Sussex, 2012.
- Darby, Phillip. "Pursuing the Political: A Postcolonial Rethinking of International Relations." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 33, no. 1 (2004).
- Fanon, Frantz. *The Wretched of the Earth*. Constance Farrington (trans.). New York: Grove Press, 1963.
- _____. *Black Skin, White Masks*. Charles Lam Markmann (trans.). London: Pluto Press, 1986.
- Featherstone, David. "The Spatial Politics of the Past Unbound: Transnational Networks and the Making of Political Identities." *Global Networks*. vol. 7, no. 4 (2007).

- American Foreign Policy." *Political Geography*. vol. 11, no. 2 (1992).
- Ó Tuathail, Gearóid, Simon Dalby & Paul Routledge (eds.). *The Geopolitics Reader*. London: Routledge, 1998.
- Painter, Joe & Alex Jeffrey. *Political Geography: An Introduction to Space and Power*. London: SAGE, 2009.
- Perry, Peter J. "Editorial Comment: Political Geography Quarterly: A Content (but Discontented) Review." *Political Geography Quarterly*. vol. 6, no. 1 (1987).
- Pletsch, Carl E. "The Three Worlds, or the Division of Social Scientific Labor, Circa 1950–1975." *Comparative Studies in Society and History*. vol. 23, no. 4 (1981).
- Power, Marcus. "Geopolitics and 'Development': An Introduction." *Geopolitics*. vol. 15, no. 3 (2010).
- Prashad, Vijay. *The Darker Nations: A People's History of the Third World*. New York: The New Press, 2007.
- Robinson, Jenny. "Postcolonialising Geography: Tactics and Pitfalls." *Singapore Journal of Tropical Geography*. vol. 24, no. 3 (2003).
- Rodney, Walter. *How Europe Underdeveloped Africa*. Cape Town: Pambazuka Press, 2012.
- Sharp, Joanne P. "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror': Postcolonial Security in Tanzania." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- _____. "Situating Progressive Geopolitics: Culture, Politics and Language." *Political Geography*. vol. 30, no. 1 (2011).
- _____. "Subaltern Geopolitics: Introduction." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- _____. "Geopolitics at the Margins? Reconsidering Genealogies of Critical Geopolitics." *Political Geography*. vol. 37 (2013).
- _____. "Necropolitics." Libby Meintjes (trans.). *Public Culture*. vol. 15, no. 1 (2003).
- McDonald, David A. & Eunice Njeri Sahle (eds.). *The Legacies of Julius Nyerere: Influences on Development Discourse and Practice in Africa*. Trenton, NJ: Africa World Press, 2002.
- Mignolo, Walter D. "The Geopolitics of Knowledge and the Colonial Difference." *The South Atlantic Quarterly*. vol. 101, no. 1 (2002).
- Mitchell, Katharyne. "Geographies of Identity: The Intimate Cosmopolitan." *Progress in Human Geography*. vol. 31, no. 5 (2007).
- Moisio, Sami et al. "Interventions in Nordic Political Geographies." *Political Geography*. vol. 30, no. 5 (2011).
- Moore, Henrietta L. & Todd Sanders (eds.). *Magical Interpretations, Material Realities: Modernity, Witchcraft and the Occult in Postcolonial Africa*. London: Routledge, 2001.
- Mwakikagile, Godfrey. *The Union of Tanganyika and Zanzibar: Product of the Cold War?* Pretoria: New Africa Press, 2008.
- Mytton, Graham. *Mass Communication in Africa*. London: Edward Arnold, 1983.
- Nyerere, Julius K. (ed.). *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952–65*. Dar es Salaam: Oxford University Press, 1967.
- _____. (ed.). *Man and Development*. Nairobi: Oxford University Press, 1974.
- _____. "Are Universal Social Standards Possible?" *Development in Practice*. vol. 9, no. 5 (1999).
- _____. *Freedom, Non-Alignment and South-South Cooperation*. Oxford: Oxford University Press, 2011.
- Ó Tuathail, Gearóid & John Agnew. "Geopolitics and Discourse: Practical Geopolitical Reasoning in

- White, Evan. "Kwame Nkrumah: Cold War Modernity, Pan-African Ideology and the Geopolitics of Development." *Geopolitics*. vol. 8, no. 2 (2003).
- Woon, Chih Yuan. "Undoing Violence, Unbounding Precarity: Beyond the Frames of Terror in the Philippines." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Young, Crawford. "The End of the Post-Colonial State in Africa? Reflections on Changing African Political Dynamics." *African Affairs*. vol. 103, no. 410 (2004).
- Sharp, Joanne P. et al. (eds.). *Entanglements of Power: Geographies of Domination/Resistance*. London: Routledge, 2000.
- Sheriff, Abdul. *Dhow Cultures of the Indian Ocean: Cosmopolitanism, Commerce and Islam*. London: C. Hurst & Co., 2010.
- Shivji, Issa G. (ed.). *Intellectuals at the Hill: Essays and Talks 1969-1993*. Dar es Salaam: Dar es Salaam University Press, 1993.
- Sidaway, James D. & David Simon. "Geopolitical Transition and State Formation: The Changing Political Geographies of Angola, Mozambique and Namibia." *Journal of Southern African Studies*. vol. 19, no. 1 (1993).
- Slater, David. "Post-Colonial Questions for Global Times." *Review of International Political Economy*. vol. 5, no. 4 (1998).
- _____. *Geopolitics and the Post-Colonial: Rethinking North-South Relations*. Oxford: Blackwell, 2004.
- Smith, Ron. "Graduated Incarceration: The Israeli Occupation in Subaltern Geopolitical Perspective." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Steinberg, Philip E. & Thomas E. Chapman. "Key West's Conch Republic: Building Sovereignities of Connection." *Political Geography*. vol. 28, no. 5 (2009).
- Tickner, Arlene B. "Seeing IR Differently: Notes from the Third World." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 32, no. 2 (2003).
- Tyner, James A. "Territoriality, Social Justice and Gendered Revolutions in the Speeches of Malcolm X." *Transactions of the Institute of British Geographers*. vol. 29 (2004).
- _____. "'Defend the Ghetto': Space and the Urban Politics of the Black Panther Party." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 96, no. 1 (2006).

التوثيق

Documentation

الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months

” يتضمن هذا التقرير توثيقاً لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي – الإسرائيلي، في المدة 1 تموز/ يوليو – 31 آب/ أغسطس 2026.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.



Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

2026/7/5 تمضي حكومة الاحتلال الإسرائيلي في مخطط، يستهدف فرض السيطرة على 142 موقعاً أثرياً في محافظة الخليل، عبر نقل صلاحيات إدارتها من الجهات العسكرية وسلطة الآثار الإسرائيلية إلى هيئة مدنية تتبع حكومة الاحتلال.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/5)

2026/7/5 وضع رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، حجر الأساس لما يُسمى "مركز التراث" في موقع مطار القدس الدولي التاريخي، ببلدة قلنديا شمال القدس المحتلة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/5)

2026/7/6 حلت الجهات الحكومية في قطاع غزة لجنة الطوارئ الحكومية، في خطوة رسمية تهدف إلى تمهيد الطريق لنقل إدارة الحكم إلى اللجنة الوطنية لإدارة غزة، ضمن ترتيبات انتقال إداري متفق عليها مع القوى الفلسطينية.

(صفحة المكتب الإعلامي الحكومي بغزة على تلغرام، 2026/7/6)

2026/7/6 أقام مستوطنون بؤرة استعمارية رعوية جديدة بالقرب من تجمع معازي جبع البدوي شمال مدينة القدس المحتلة، في إطار التوسع المتسارع للبؤر الرعوية، التي تُعدّ إحدى أبرز أدوات المشروع الاستعماري الإسرائيلي في محافظة القدس، والهادفة إلى فرض السيطرة على الأراضي الفلسطينية، وعزل التجمعات البدوية، وتهئية الظروف لتهجيرها قسراً.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/6)

2026/7/6 أعلنت اللجنة الوطنية لإدارة قطاع غزة عن جاهزيتها الكاملة لتحمل مسؤولياتها الوطنية، فور توافر الإمكانيات والممكنات اللازمة لعملها.

(وكالة معاً الإخبارية، 2026/7/6)

2026/7/6 أقرت الهيئة العامة للكنيست، بالقراءة الأولى، مشروع قانون لإقامة لجنة تحقيق سياسية في هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، والحرب على غزة.

(عرب 48، 2026/7/6)

2026/7/7 اغتالت قوات الاحتلال الإسرائيلي مدير العلاقات العامة في اللجنة المصرية بقطاع غزة، محمد الوحيدي، إثر استهداف مركبة مدنية في مدينة غزة؛ ما أدى إلى استشهاده مع مواطنين آخرين.

(المركز الفلسطيني للإعلام - غزة، 2026/7/7)

2026/7/8 أقر البرلمان الإيرلندي مشروع قانون، يحظر استيراد منتجات المستعمرات الإسرائيلية المقامة على الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/8)

2026/7/1 أقام مستوطنون بؤرة استعمارية جديدة على أراضي بلدة كفر راعي جنوب غرب جنين، بعد تجريف أراض زراعية في منطقة القرين شمال البلدة، ونصب خيمة فيها.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/1)

2026/7/1 أعلن مجلس السلام في قطاع غزة أنه لا مكان لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا) في "غزة الجديدة".

(الجزيرة نت، 2026/7/1)

2026/7/1 صدّق الكنيست الإسرائيلي، بالقراءة الأولى، على مشروع قانون يهدف إلى منع رفع الأذان داخل أراضي عام 1948.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/1)

2026/7/1 وقّعت الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل اتفاقاً لتخصيص أرض لإقامة المقر الدائم للسفارة الأميركية في القدس. وجرّت مراسم التوقيع في وزارة الخارجية الإسرائيلية، بمشاركة السفير الأميركي، مايك هاكابي، ووزير الخارجية الإسرائيلي، جلعون ساعر.

(عرب 48، 2026/7/1)

2026/7/2 صدّق المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر للشؤون الأمنية والسياسية "الكابينت"، على خطة لإقامة 13 مستعمرة جديدة في الضفة الغربية، ضمن ما يُسمى "مجلس بنيامين" الاستعماري.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/2)

2026/7/2 صدّقت الهيئة العامة للكنيست الإسرائيلي، بالقراءة الأولى، على مشروع قانون يوسّع صلاحيات الشرطة الإسرائيلية في إجراء تفتيش عن أسلحة غير مرخصة من دون أمر قضائي، وتحويل أمر مؤقت قائم في هذا الشأن إلى صلاحية دائمة، وذلك بذريعة مكافحة الجريمة والعنف، بصفة تستهدف عملياً المجتمع العربي والبلدات العربية.

(عرب 48، 2026/7/2)

2026/7/2 أقرت وزارة الاقتصاد والصناعة الإسرائيلية تخصيص حصة إضافية لاستقدام 5 آلاف عامل أجنبي لقطاعات التجارة والخدمات، في خطوة تستهدف تقليص اعتماد الاقتصاد الإسرائيلي على العمال الفلسطينيين من الضفة الغربية، واستبدالهم بعمالة أجنبية، في ظل النقص الحاد في الأيدي العاملة منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

(عرب 48، 2026/7/2)

2026/7/5 اقتحم 125 مستوطناً المسجد الأقصى، بحماية مشددة من قوات الاحتلال الإسرائيلي، من جهة باب المغاربة، وأدوا طقوساً تلمودية، ونفذوا جولات استفزازية في باحاته.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/5)

2026/7/15 أعلن وزير الخارجية الإسرائيلي، جدعون ساعر، عن اتفاقه مع نظيره الكولومبي، عمر بولا إسكوبار، على استئناف كامل للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين البلدين، وافتتاح سفارة لكولومبيا في القدس.

(العربي الجديد، 2026/7/15)

2026/7/16 صدّقت الحكومة الإسرائيلية على تخصيص أكثر من مليار شيكل لشق طرق وصول وطرق أمنية، تخدم عشرات المستوطنات الجديدة في الضفة الغربية، بينها مستوطنات تعتزم إقامتها في شمالي الضفة الغربية.

(عرب 48، 2026/7/16)

2026/7/17 أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي أمر وضع يد لأغراض عسكرية، يقضي بالاستيلاء المؤقت على مساحة 16.577 دوماً من أراضي قرية دورا القرع شمال شرق محافظة رام الله والبيرة، بذريعة "الاحتياجات العسكرية"، وذلك حتى نهاية عام 2028.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/17)

2026/7/17 صدّق الكنيست الإسرائيلي على حل نفسه بعد إقرار مشروع قانون تمويل الأحزاب بالقراءتين الثانية والثالثة، والذي تضمن بنداً يقضي بتبكير موعد الانتخابات، بينما تقرر إجراء انتخابات الكنيست المقبلة في 27 تشرين الأول/أكتوبر 2026.

(عرب 48، 2026/7/17)

2026/7/18 أعلنت الحكومة البلجيكية حظر استيراد المنتجات القادمة من المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

(العربي الجديد، 2026/7/18)

2026/7/19 دعت 14 بعثة دبلوماسية، لدى فلسطين، إسرائيل إلى السماح للجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة الأسرى الفلسطينيين في سجونها "بصفة فورية".

(الجزيرة نت، 2026/7/19)

2026/7/20 اقتحم مستوطنون باحات المسجد الأقصى، وأدوا ما يُعرف بـ "السجود الملحمي"، وسط حراسة قوات الاحتلال الإسرائيلي.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/20)

2026/7/20 سلّمت قوات الاحتلال الإسرائيلي إخطارين لشق طرق استعمارية في بلدة سلواد شرق رام الله.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/20)

2026/7/20 رفضت المحكمة العليا الإسرائيلية التدخل في قرار منع مرضى قطاع غزة من الوصول إلى مستشفيات الضفة الغربية والقدس الشرقية المحتلتين، بعد التماس قدمته خمس منظمات حقوقية،

2026/7/8 صدّقت الهيئة العامة للكنيست الإسرائيلي، بالقراءة الأولى، على مشروع قانون يتيح تجميد أموال إضافية للسلطة الفلسطينية، على أن يُعاد المشروع إلى لجنة الخارجية والأمن لاستكمال مداولاته تمهيداً للتصويت عليه بالقراءتين الثانية والثالثة.

(عرب 48، 2026/7/8)

2026/7/13 صدّقت "اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء" التابعة لبلدية الاحتلال الإسرائيلي في القدس على إيداع مخطط إقامة نحو 450 وحدة سكنية استعمارية، في حي "أم ليسون" الفلسطيني بالقدس الشرقية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/13)

2026/7/13 صدّق الكنيست، بالقراءتين الثانية والثالثة، على "قانون أساس: دراسة التوراة"، الذي ينص على اعتبار دراسة التوراة قيمة أساسية في تراث الشعب اليهودي ودولة إسرائيل.

(عرب 48، 2026/7/13)

2026/7/14 أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي، يسرئيل كاتس، عزمه إقامة ثلاث بؤر استيطانية ذات طابع عسكري في شمال قطاع غزة.

(المركز الفلسطيني للإعلام - غزة، 2026/7/14)

2026/7/14 أعلن وزير المالية الإسرائيلي، بتسلئيل سموتريتش، أن مجلس الوزراء الأمني وافق على ميزانية قدرها 1.3 مليار شيكل (434 مليون دولار)، لإنشاء 34 مستوطنة جديدة في الضفة الغربية.

(رويترز، 2026/7/14)

2026/7/14 صدّقت الهيئة العامة للكنيست الإسرائيلي، نهائياً بالقراءتين الثانية والثالثة، على قانون يقضي بتجميد اعتقال طلاب المعاهد الدينية الحريدية المتخرجين من الخدمة العسكرية.

(عرب 48، 2026/7/14)

2026/7/14 اختُتم اليوم الأول من الجولة السادسة للمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية في روما برعاية أميركية، لبحث تنفيذ اتفاق الإطار، ولا سيما إنشاء "مناطق تجريبية" في جنوب لبنان، تنسحب منها القوات الإسرائيلية تدريجياً مقابل انتشار الجيش اللبناني.

(النهار (لبنان)، 2026/7/14)

2026/7/14 أعلن الاتحاد الأوروبي عن تعزيز الدعم الدولي للفلسطينيين، بمبادرة كبرى للتعافي المبكر في غزة وتنسيق دولي أقوى.

(مكتب ممثل الاتحاد الأوروبي (الضفة الغربية وقطاع غزة، الأونروا)، 2026/7/14)

2026/7/15 صدّق المجلس الوزاري السياسي الأمني المصغر في حكومة الاحتلال الإسرائيلي على إقامة مستعمرة جديدة، قرب مستعمرة "صانور" جنوب جنين.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/15)

بنحو 68.7 دوغماً، من بينها شريط أرضي يمتد على طول 5.567 أمتار في أراضي بورين ومادما.

(هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، 2026/7/25)

2026/7/26 أكد الرئيس السوري، أحمد الشرع، أن بلاده تعمل على الوصول إلى اتفاق أمني مع إسرائيل بمشاركة مجموعة من الدول.

(الجزيرة نت، 2026/7/26)

2026/7/27 أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي أمرين عسكريين يستوليان ويعيدان تشكيل السيطرة على ما مجموعه 46.793 دوغماً من أراضي بلدة دير دهبان شرق محافظة رام الله والبيرة، في خطوة تستهدف تعزيز السيطرة العسكرية والاستعمارية على المنطقة وربط الإجراءات الميدانية ضمن مسار جغرافي واحد.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/27)

2026/7/28 توجه وفد حماس المفاوضات إلى القاهرة لاستكمال مباحثات المرحلة الثانية من اتفاق وقف إطلاق النار، ولقاء الوسطاء والفصائل الفلسطينية لبحث تثبيت الاتفاق وتنفيذ التزامات شرم الشيخ والانتقال إلى المرحلة الثانية من خطة دونالد ترمب.

(المركز الفلسطيني للإعلام - غزة، 2026/7/28)

2026/7/28 أصدرت سلطات الاحتلال أربعة أوامر عسكرية، للاستيلاء على أكثر من 22 دوغماً من أراضي بلدي عرابة وقباطية جنوب جنين، بذريعة "الأغراض العسكرية".

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/28)

2026/7/28 أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية أمراً مؤقتاً، جمّدت بموجب القانون الذي يوقف اعتقال طلاب المعاهد الدينية الحريدية المهترئين من الخدمة العسكرية، بينما اختارت الحكومة عدم إرسال ممثل عنها إلى الجلسة التي بحثت الالتماسات المطالبة بإلغاء القانون.

(عرب 48، 2026/7/28)

2026/7/29 واصل مستوطنون، بحماية من قوات الاحتلال الإسرائيلي، توسعة البؤرة الاستعمارية في منطقة "عش غراب" شرق مدينة بيت ساحور في محافظة بيت لحم، بنصب المزيد من البيوت المتنقلة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/29)

2026/7/29 رفضت محكمة الاحتلال الإسرائيلي، 4 التماسات لوقف هدم مدرسة بنات زيف الثانوية شمال يطا في الخليل، علماً أن المدرسة مخطرة منذ عام 2016، كما رفضت المحكمة ثلاثة التماسات أخرى، لوقف هدم ثلاثة مساكن في خربة المفجرة بمسافر يطا.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/29)

طالبت بإعادة فتح الممر الطبي الإنساني، وطلبت من مقدمي الالتماس توجيه المواد التي قدموها إلى دول أخرى.

(عرب 48، 2026/7/20)

2026/7/20 أعلنت وزارة الخارجية الأميركية بدء تنفيذ الترتيبات الأمنية بين إسرائيل ولبنان، بإنشاء "مناطق تجريبية" في ثلاث بلدات جنوبية، ضمن اتفاق ثلاثي بضمانة أميركية.

(الجزيرة نت، 2026/7/20)

2026/7/21 أصدرت قوات الاحتلال الإسرائيلي أمراً عسكرياً، يقضي بوضع اليد على 5 دوغمات و283 متراً مربعاً من أراضي بلدة جبع شمال مدينة القدس المحتلة، بحجة استخدامها لـ "أغراض عسكرية".

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/21)

2026/7/22 اعتمدت لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة للأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، بالتوافق، 4 قرارات خاصة بدولة فلسطين، تتعلق بحالة صون مواقع التراث العالمي الفلسطينية المدرجة على قائمة التراث العالمي المعرض للخطر.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/22)

2026/7/22 أكد رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، خليل الحية، أن أولوية الحركة هي وقف العدوان الإسرائيلي والانسحاب الكامل من غزة، داعياً الوسطاء إلى الضغط على إسرائيل لتنفيذ الاتفاق والانتقال إلى المرحلة التالية.

(المركز الفلسطيني للإعلام - غزة، 2026/7/22)

2026/7/23 اقترح وزير الأمن القومي الإسرائيلي المتطرف، إيتمار بن غفير، برفقة عضو الكنيست، عاميت هليفني، ومئات المستعمرين باحات المسجد الأقصى، تحت حراسة مشددة من قوات الاحتلال، وذلك بالتزامن مع ما يُسمى "ذكرى خراب الهيكل المزعوم".

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/23)

2026/7/23 أعلن وزير الأمن الإسرائيلي، يسرائيل كاتس، ووزير المالية والوزير في وزارة الأمن المسؤول عن ملف الاستيطان، بتسلئيل سموتريتش، الدفع بخطوات استيطانية وهدم مبانٍ فلسطينية في محيط بيت فوريك، شرقي نابلس.

(عرب 48، 2026/7/23)

2026/7/24 وقعت عملية إطلاق نار في منطقة قرب البؤرة الاستيطانية "حفات غلعاد"، قرب قرية تل غرب نابلس.

(عرب 48، 2026/7/24)

2026/7/25 أصدرت سلطات الاحتلال 3 أوامر لاتخاذ وسائل أمنية، تستهدف إزالة الغطاء النباتي واقتلاع أشجار الزيتون من أراضي قرى سالم وبورين ومادما في محافظة نابلس، شملت مساحة فعلية تقدر

2026/7/31 أعلنت إسرائيل أنها لن تنسحب من مواقعها الحالية داخل قطاع غزة، بما يشمل المناطق التي وسعت سيطرتها إليها خلف ما يُعرف بـ "الخط الأصفر"، ما لم تنفذ حماس عملية "حقيقية" لنزع السلاح، في موقف يتنكر بوضوح للصيغة التي طرحتها الحركة لتنفيذ المرحلة الثانية من اتفاق وقف إطلاق النار.

(عرب 48، 2026/7/31)

2026/8/1 دمرت غارة للاحتلال الإسرائيلي مستودع الأدوية والمستلزمات الطبية التابع لمستشفى شهداء الأقصى، في مدينة دير البلح وسط قطاع غزة؛ ما تسبب في أضرار كبيرة في المكان، وألحق أضرارًا بخيام النازحين المحيطة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/1)

2026/8/2 أخطرت قوات الاحتلال الإسرائيلي، بهدم 7 منازل في منطقة "باقوش"، ببلدة نحالين غرب بيت لحم، إضافة إلى منشأة تجارية ومنزلين كانت قد أخطرت بهدمها قبل 3 أيام.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/2)

2026/8/3 وسَّع مستوطنون البؤرة الاستعمارية التي أقاموها على أراضي بلدة بيت إكسا شمال غرب القدس المحتلة، عبر إدخال آليات وجرافات إلى الموقع وتنفيذ أعمال تجريف جديدة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/3)

2026/8/3 قدّمت إسرائيل إلى "مجلس السلام"، اعتراضات على 3 بنود في الاتفاق الذي تبلور مع حركة حماس، تتعلق بمصير الأسلحة التي ستُجمع من الحركة، ودور قطر وتركيا في آلية التحقق، وحرية عمل الجيش الإسرائيلي في المناطق التي ستنتقل إلى مسؤولية قوة الاستقرار الدولية.

(عرب 48، 2026/8/3)

2026/8/5 جمّدت المحكمة العليا الإسرائيلية جميع الأموال التي قررت لجنة المالية في الكنيست الإسرائيلي تحويلها إلى الحريدين ووزارة الاستيطان، باستثناء "تحويل أموال لصالح إنفاق طوارئ مدني".

(عرب 48، 2026/8/5)

2026/8/6 أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي سلسلة أوامر عسكرية جديدة، استهدفت أراضي عدد من بلدات محافظة جنين، شملت أوامر باقتلاع أشجار ونباتات عن مئات الدوّمات، إلى جانب الاستيلاء على أراضٍ في بلدة مركة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/6)

2026/8/8 واصلت آليات الاحتلال الإسرائيلي تجريف المزيد من الدوّمات من أراضي بلدة سنجل شمال رام الله، لمصلحة البؤرة

2026/7/30 شرعت قوات الاحتلال الإسرائيلي في إقامة بؤرة استعمارية جديدة، على أراضي قرية فقوعة شمال شرق جنين، بعد تنفيذ أعمال تجريف وتسوية في أراضي القرية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/30)

2026/7/30 أعلن مجلس السلام الخاص بغزة، أن المحادثات مع الوسطاء في القاهرة "مستمرة وتتقدم"، وأن خريطة الطريق تنص على تفكيك جميع الأسلحة، "الثقيلة والخفيفة، من دون استثناء"، وتدمير الأنفاق والمستودعات ومواقع تصنيع السلاح.

(عرب 48، 2026/7/30)

2026/7/30 عارضت إسرائيل التفاهات بين الوسطاء وحركة حماس، بشأن الانتقال إلى المرحلة الثانية من اتفاق وقف إطلاق النار، مشددة على أن نزع سلاح الحركة، وقطاع غزة كليًا، "شرط مسبق" لأي مسار في هذا السياق.

(عرب 48، 2026/7/30)

2026/7/31 وافقت حركة حماس والفصائل الفلسطينية على مسودة اتفاق بشأن ترتيبات سلاح المقاومة في قطاع غزة، تنص على تنفيذ عملية حصر السلاح وتخزينه بصفة تدريجية ومتسلسلة.

(الجزيرة نت، 2026/7/31)

2026/7/31 أعلن مجلس السلام بغزة والدول الوسيطة مصر وقطر وتركيا والولايات المتحدة عن "أن موافقة حماس على خارطة طريق مفصلة تُعدّ إنجازًا تاريخيًا إذا التزمت حماس رسميًا وللمرة الأولى بخطة قابلة للتنفيذ".

(عرب 48، 2026/7/31)

2026/7/31 أحرقت مستوطنون أراضي زراعية وأشجار زيتون في بلدة بورين جنوب نابلس، وعرقلوا وصول طواقم الدفاع المدني لإخماد الحريق.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/7/31)

2026/7/31 أعلنت اللجنة الوطنية لإدارة غزة ترحيبها بالتقدم المُعلن بشأن خريطة الطريق وفتح مسار نحو الشروع في تنفيذها، مؤكدة جاهزيتها الكاملة لتحمل مسؤولياتها في تولي إدارة القطاع وقيادة جهود إعادة الإعمار.

(الجزيرة نت، 2026/7/31)

2026/7/31 نشر مجلس السلام في غزة بنود خريطة طريق استكمال تنفيذ خطة ترمب، في غزة، ويؤكد أن جميع الأطراف تعيد تأكيد التزامها بالخطة، والتي تشكّل إلى جانب قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2803 (2025)، الإطار الدولي المتفق عليه الذي يوجّه تنفيذ هذه العملية.

(المركز الفلسطيني للإعلام - غزة، 2026/7/31)

2026/8/14 نصب مستوطنون خيمة، وشرعوا في إقامة بؤرة استعمارية على أراضي بلدي سلواد ودير جرير شرق رام الله، بحماية قوات الاحتلال الإسرائيلي.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/14)

2026/8/14 أوعز وزير الدفاع الإسرائيلي، إسرائيل كاتس، إلى الجيش بإعداد خطة لنقل جميع صلاحيات إنفاذ القانون في القضايا المدنية المتعلقة بالمستوطنات والمستوطنين في الضفة الغربية إلى الشرطة الإسرائيلية.

(عرب 48، 2026/8/14)

2026/8/18 أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي أمراً عسكرياً بالاستيلاء على 160 دونماً من أراضي المواطنين، في تجمعي سمره ومكحول بالأغوار الشمالية، لأغراض عسكرية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/18)

2026/8/18 استهدف الطيران الحربي الإسرائيلي مدرج مطار أبو الظهور العسكري في ريف إدلب الشرقي بشمال غربي سورية بـ 8 غارات جوية، وقد دانت دمشق "بأشد العبارات" تلك الغارات وعدتها "عدواناً غير مبرر وانتهاكاً صارخاً لسيادة سوريا ووحدة أراضيها".

(الجزيرة نت، 2026/8/18)

2026/8/23 اجتمع وزير الخارجية السوري، أسعد الشيباني، مع رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي، رومان غوفمان، في الأردن.

(عرب 48، 2026/8/23)

2026/8/23 أوعز وزير الدفاع الإسرائيلي، إسرائيل كاتس، إلى الجيش بتشديد التعامل مع الطائرات الورقية والبالونات والمسيرات القادمة من غزة، مهدداً باغتيالات وهجمات وعمليات إخلاء، على الرغم من تأكيد الجيش أن الطائرات التي عُثر عليها لم تحمل مواد متفجرة أو حارقة.

(عرب 48، 2026/8/23)

2026/8/24 أمهلت إسرائيل "مجلس السلام" ثلاثة أيام لوقف إطلاق الطائرات الورقية من قطاع غزة، مهددة بتوسيع عمليات الاغتيال وإخلاء مناطق سكنية إذا استمرت الظاهرة.

(عرب 48، 2026/8/24)

2026/8/25 أقرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي 18 منطقة نفوذ استيطانية جديدة ومعدلة في الضفة الغربية، تشمل مستوطنات جديدة، وتحويل بؤر استيطانية إلى مستوطنات مستقلة، وتوسيع مناطق نفوذ مستوطنات ومجالس استيطانية قائمة.

(هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، 2026/8/25)

2026/8/25 اقترح وزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، معهد قلنديا التابع للأونروا برفقة قوة عسكرية احتجرت موظفيه، ورفع

الاستعمارية التي أقيمت، والتي تبلغ مساحتها نحو 10 دونمات، ونُصب فيها بيت متنقل "كرفان".

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/8)

2026/8/9 رفض رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، وثيقة "النقاط الـ 15"، في إشارة إلى خريطة الانتقال إلى المرحلة الثانية في قطاع غزة التي طرحها "مجلس السلام"، مشدداً على أن الجيش الإسرائيلي لن ينفذ أي انسحاب من القطاع قبل ما وصفه بـ "نزع حقيقي لسلح حماس"، وأنه سيواصل عملياته في القطاع.

(عرب 48، 2026/8/9)

2026/8/10 صدقت سلطات الاحتلال على نطاق نفوذ بؤرة "جفعات هرثيل"، تمهيداً لتحويلها إلى مستوطنة مستقلة، كما استولت على 2.224 دونماً من أراضي بلدة مرددة في سلفيت بذريعة "الأغراض العسكرية".

(هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، 2026/8/10)

2026/8/10 اعترفت كولومبيا بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان السورية المحتلة.

(العربي الجديد، 2026/8/10)

2026/8/11 جدّدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي قرار إبعاد المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى، الشيخ محمد حسين، عن المسجد الأقصى، مدة ستة أشهر من 10 تشرين الأول/ أكتوبر 2026 إلى 10 كانون الثاني/ يناير 2027.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/11)

2026/8/11 سلّمت قوات الاحتلال الإسرائيلي إخطارات بهدم مدرسة خلة الضبع، وعدد من المساكن والمزارع في مسافر يطا جنوب الخليل.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/11)

2026/8/11 أعلنت لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية تسلمها قراراً بقانون يعدّل قانون الانتخابات العامة، ويلغي تعديل حزيان/ يونيو 2026، ويعيد عدد أعضاء المجلس التشريعي إلى 132 عضواً، مع الإبقاء على تمثيل المرأة بنسبة لا تقل عن 33%، ونسبة حسم 1%، وشرط الالتزام بمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجه وقرارات الشرعية الدولية، وخفض سن الترشح إلى 23 عاماً.

(لجنة الانتخابات المركزية - فلسطين، 2026/8/11)

2026/8/13 أعاد مستوطنون إنشاء مستعمرة "غنيمة" المقامة على أراضي شرق جنين، بعد 21 عاماً من إخلائها ضمن خطة "فك الارتباط" التي أقرها الاحتلال عام 2005، مع انتقال 30 عائلة استيطانية للإقامة فيها بصفة دائمة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/13)

علم الاحتلال في ساحته، في عملية استيلاء استعمارية تمهيداً لاقتلاع المؤسسة الأممية والاستيلاء على أرضها وتحويلها إلى بؤرة استعمارية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/25)

2026/8/26 بدأت بلدية الاحتلال الإسرائيلي أعمالاً داخل معهد قلنديا للتدريب المهني التابع للأونروا شمال القدس، تمهيداً لإنشاء مجمع تعليمي تابع لها، بالتزامن مع استمرار قوات الاحتلال في الاستيلاء على المعهد والانتشار فيه.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/26)

2026/8/26 توغلت قوة إسرائيلية في قرية جملة بريف درعا الغربي، ونفذت عمليات دهم وتفتيش، واعتدت على أحد المدنيين بعد تقييده، قبل أن تنسحب من المنطقة من دون تسجيل اعتقالات.

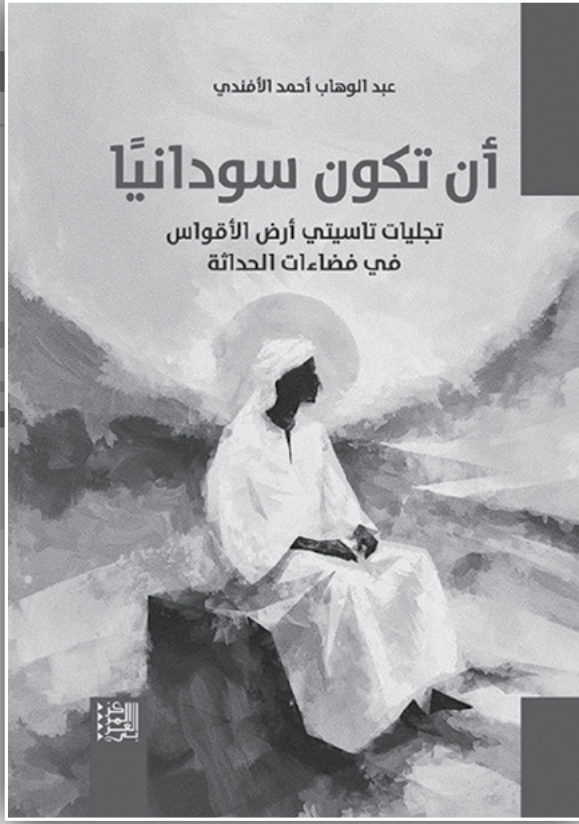
(المركز السوري لحقوق الإنسان، 2026/8/26)

2026/8/26 أعلنت السلطات الأميركية حركة "فلسطين آكشن" البريطانية كياناً "إرهابياً" وفرضت عقوبات عليها.

(الجزيرة نت، 2026/8/26)

2026/8/26 أعلن أصحاب المدارس الخاصة في القدس تعليق الدوام حتى إشعار آخر؛ بسبب عدم تجديد سلطات الاحتلال تصاريح عدد كبير من المعلمين والطواقم المساندة؛ ما حال دون وصولهم إلى المدارس، إضافة إلى مشكلات تتعلق بالجاهزية الصحية والأمنية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2026/8/26)



صدر حديثاً

تأليف: عبد الوهاب الأفندي

أن تكون سودانيًا: تجليات تاسيتي أرض الأقواس في فضاءات الحداثة

يقدم الكتاب معالجة ثورية لقضية الهوية السودانية، التي شغلت الناس في السودان والعالم، ويقترح منظوراً جديداً يعيدها إلى عمق تاريخ السودان الممتد، مع تتبع تجلياتها في السجلات المعاصرة، خاصة في كتابات السودانيين أنفسهم. ويرى أن السودان، في جوهره، كيان نوبي ناطق بالعربية، وأنه نتاج حضارة ضاربة الجذور في أرضه وتاريخه. أما الفرضية التي يسوقها المؤلف ففحواها أن الحضارة السودانية كانت الوحيدة بين الحضارات القديمة التي نجت من اجتياحات خارجية متلاحقة للثقافة والديموغرافيا، وصمدت أمام الغزوات، وتفاعلت على نحو انتقائي مع المؤثرات الخارجية، بدءاً من الفكر الإغريقي إلى المسيحية، ثم الإسلام الذي اعتنقه أهلها، بعد مقاومة عسكرية ناجحة، تبعها اتفاق سلام.

يحتاج الكتاب في أن الهوية السودانية تشكلت دائماً من خلال ديناميات داخلية، ولم تكن نتاج غزو أو إكراه، وهو بذلك يرد السرديات التي تنسب تشكلها إلى أوهام ولدتها الدونية والافتتان بخارج قاهر. كما يستند إلى تحليل تاريخي متعمق، تبعته سبع عشرة سردية رئيسة، لكتاب ومؤرخين وشعراء ومفكرين وشخصيات عامة، شكلت تاريخ السودان من ممالك كوش حتى عصرنا الراهن.

عروض الكتب

Featured Books

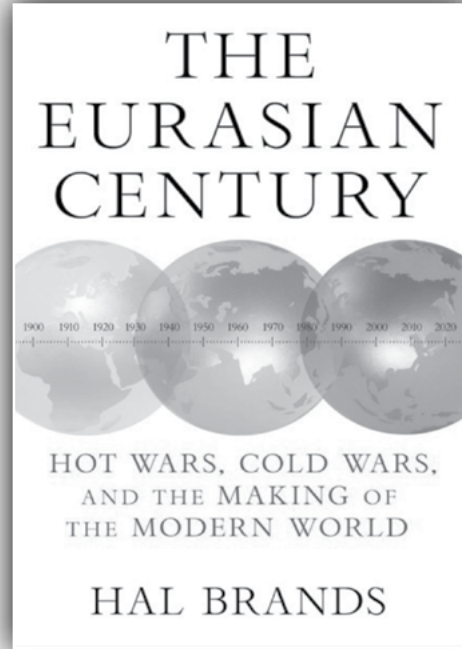
القرن الأوراسي: الحروب
الساخنة، والحروب الباردة،
وصناعة العالم الحديث
*The Eurasian Century:
Hot Wars, Cold Wars, and the
Making of the Modern World*

المؤلف: هال براندز Hal Brands.

الناشر: دار نشر و. و. نورتون.

سنة النشر: 2025.

عدد الصفحات: 320 صفحة.



تكمن أهمية الكتاب في ربطه بين التاريخ والتحليل الجيوسياسي، وتأكيد أنه فهم صراعات الماضي يمثل مدخلاً ضرورياً لتفسير التنافس الدولي الراهن واستشراف مساراته المستقبلية. أما قيمته العلمية فتتمثل في مزجه بين السرد التاريخي المقارن والتحليل الجيوسياسي، وربطه التحولات التاريخية بإطار نظري مستمد من أدبيات الجيوبوليتيكا الكلاسيكية. وعلى الرغم من أن أطروحته تنطلق من منظور واقعي يميل إلى مركزية الصراع وتوازن القوى، فإنها تقدم تفسيراً متماسكاً لاستمرارية التنافس الدولي، وتعيد التأكيد أن الجغرافيا تضع حدود الإمكانيات الاستراتيجية، بينما تحدد الخيارات السياسية والاستراتيجية كيفية التي تتجسد بها هذه الإمكانيات في الواقع.

ينطلق هال براندز في هذا الكتاب من أطروحة مفادها أن النظام الدولي الحديث تشكل عبر "قرن أوراسي" طويل من الصراع على السيطرة على القارة الأوراسية، لا عبر "القرن الأمريكي" وحده. وانطلاقاً من أفكار منظري الجيوسياسية مثل هالفورد ماكيندر ونيكولاس سبايكمان، يرى أن أوراسيا تمثل المركز الجيوسياسي الحاسم في العالم، وأن التنافس على الهيمنة عليها كان المحرك الرئيس للحروب الكبرى خلال القرن العشرين. وفي هذا الإطار، يفسر براندز الحربين العالميتين والحرب الباردة بوصفها مراحل متصلة من صراع بين قوى برية توسعية، مثل ألمانيا والاتحاد السوفياتي، وقوى بحرية، في مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، سعت إلى منع ظهور قوة مهيمنة في أوراسيا والحفاظ على توازن القوى بوصفه أساساً لاستقرار النظام الدولي. ثم ينتقل إلى الحاضر، مجدداً بأن التقارب بين الصين وروسيا وإيران يعكس عودة النمط الجيوسياسي ذاته، حيث تسعى هذه القوى إلى إعادة تشكيل موازين القوة في أوراسيا وتحدي النظام الدولي الذي قاده الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة.

ما الذي أخفق حقًا؟ الغرب وإخفاق الديمقراطية في الشرق الأوسط

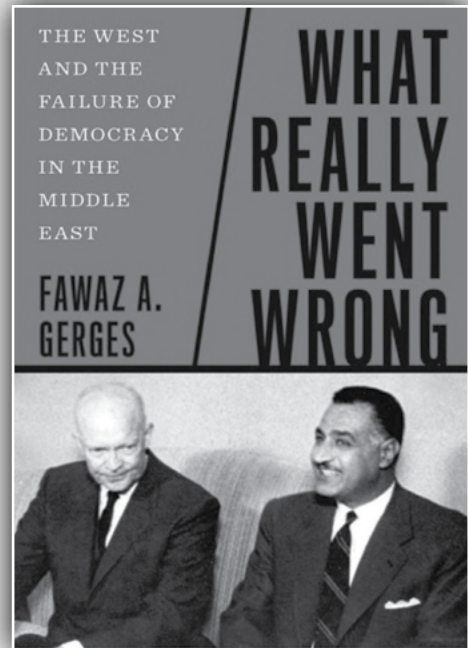
What Really Went Wrong? The West and the Failure of Democracy in the Middle East

المؤلف: فواز جرجس Fawaz Gerges.

الناشر: دار نشر جامعة ييل.

سنة النشر: 2024.

عدد الصفحات: 336 صفحة.



لم تقتصر على الاستجابة لمتطلبات الحرب الباردة، بل أسهمت في ترسيخ أنماط من السلطوية وعدم الاستقرار ما تزال آثارها ممتدة في الشرق الأوسط.

وتكمن أهمية الكتاب في أنه يقدم تفسيرًا تاريخيًا وبنويًا لمسارات التحول السياسي في الشرق الأوسط، يعيد الاعتبار لدور القوى الخارجية في تشكيلها، وي طرح قراءة نقدية للسياسة الأميركية بوصفها أحد العوامل الرئيسة في إعاقة بناء أنظمة سياسية أكثر استقرارًا وتمثيلًا. وبهذا، يقدم الكتاب إسهامًا مهمًا في أدبيات العلاقات الدولية ودراسات الشرق الأوسط، من خلال ربط التحولات الداخلية بالبنى الجيوسياسية والاستراتيجية التي حكمت علاقة الولايات المتحدة بالمنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

ينطلق فواز جرجس في هذا الكتاب من أطروحة مفادها أن تعثر الاستقرار والديمقراطية في الشرق الأوسط لا يعود إلى عوامل ثقافية أو حضارية كامنة، بل إلى السياسات الأميركية التي تشكلت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقامت على دعم الأنظمة السلطوية واحتواء الحركات القومية المستقلة بما يخدم المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأميركية. ومن هذا المنطلق، يعيد المؤلف قراءة تاريخ المنطقة من خلال تحليل محطات مفصلية في إيران ومصر وسورية ولبنان، مبينًا الكيفية التي أسهمت بها اعتبارات الحرب الباردة، والسعي إلى احتواء الشيوعية، وضمان تدفق النفط، والحفاظ على الهيمنة الأميركية، في تشكيل مساراتها السياسية وإضعاف فرص تطورها الديمقراطي.

ويعتمد جرجس في تحليله مقارنة تاريخية مدعومة بمنهج مضاد للوقائع Counterfactual، يتساءل من خلالها عن الكيفية التي كان يمكن أن تتطور بها هذه الدول، والمنطقة عمومًا، لو انتهجت واشنطن سياسة أكثر احترامًا لاستقلالية القرار الوطني وتطلعات الحركات القومية، بدلًا من تبني سياسات التدخل ودعم الأنظمة الاستبدادية. ويخلص إلى أن خيارات السياسة الخارجية الأميركية

محوّات: تاريخ الفكر الدولي من دون رجال

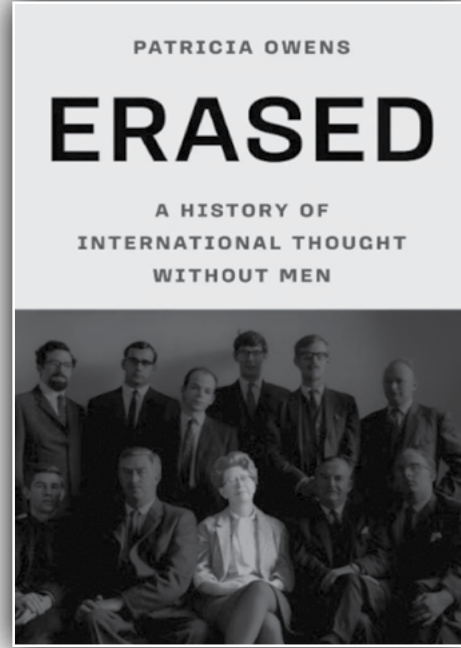
Erased: A History of International Thought Without Men

المؤلف: باتريشيا أوينز Patricia Owens.

الناشر: دار نشر جامعة برنستون.

سنة النشر: 2025.

عدد الصفحات: 432 صفحة.



وتخلص إلى أن نشأة العلاقات الدولية لم تكن مشروعًا معرفيًا محايدًا، بل مشروعًا جنديًا وعرفيًا بامتياز، أخفق، بفعل إقصائه هذه الإسهامات، في استيعاب التعددية الكونية استيعابًا حقيقيًا؛ وأن الاعتراف بهذا الإخفاق التأسيسي، واستعادة تاريخ النساء المحجوب في الحقل، يفتحان أفقًا ممكنًا لتجديده. وتكمن أهمية هذا الكتاب، في حقل العلاقات الدولية تحديدًا، في كونه يقدم مراجعة أركيولوجية نادرة الطموح لذاكرة الحقل التأسيسي، تتجاوز النقد المعياري للتحيز الجندي والعنصري في العلاقات الدولية إلى إعادة كتابة تاريخها الفكري ذاته من موقع نقدي.

تنطلق باتريشيا أوينز في هذا الكتاب من نقد جذري للسردية التأسيسية السائدة في حقل العلاقات الدولية، التي تقدّم نشأة هذا الحقل، في النصف الأول من القرن العشرين، بوصفها مشروعًا فكريًا أنجزته حصراً نخبة من الرجال البيض. وتتمثل إشكالية الكتاب المركزية في مساءلة هذه السردية ذاتها: كيف اعتمد تشكّل العلاقات الدولية، بوصفها حقلاً أكاديميًا مستقلًا في بريطانيا، اعتمادًا جوهريًا على العمل الفكري لنساء باحثات، وعلى خبراتهنّ في قضايا الإمبراطورية والإدارة الاستعمارية والحركات المناهضة للاستعمار والقوى غير الغربية والمنظمات الدولية؟ وكيف جرى، بفعل تضافر بنى مؤسسية أبوية وعنصرية، تهميش إسهاماتهنّ أولاً، ثم تجاهلها ومحوها لاحقًا من الذاكرة التأسيسية للحقل؟

وتستند أوينز، في الإجابة عن هذا السؤال، إلى بحث أرشيفي واسع ومُعمّق، تعيد من خلاله إبراز إسهامات عدد من المفكرات اللواتي أسهمن في تشكيل الحقل من دون أن يُعترف لهنّ بذلك، ومن أمثالهنّ مارجري بيرهام وميرز تيت وأيلين باور وكورال بيل وسوزان ستينج، كاشفة الكيفية التي تشابكت بها العلاقات الحميمة والمؤسسية والسياسية في إنتاج تراتبية معرفية أقصت هؤلاء النساء عن مركز السردية التأسيسية.

حقوق الإنسان وأخطاء الروبوت: أن تكون إنساناً في عصر الذكاء الاصطناعي

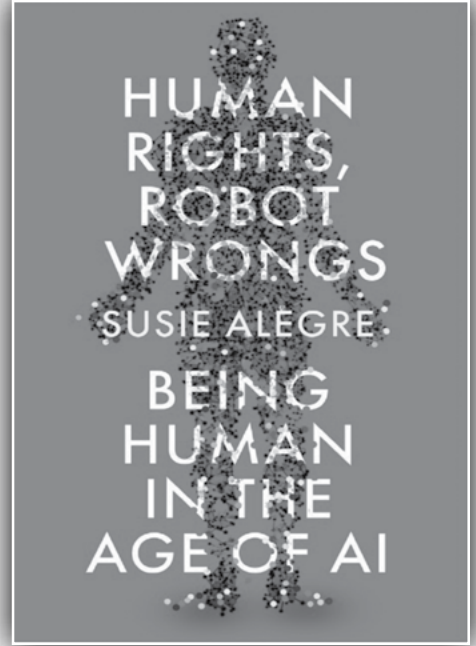
Human Rights, Robot Wrongs: Being Human in the Age of AI

المؤلف: سوزي أليغري Susie Alegre.

الناشر: دار نشر أتلانتيك.

سنة النشر: 2024.

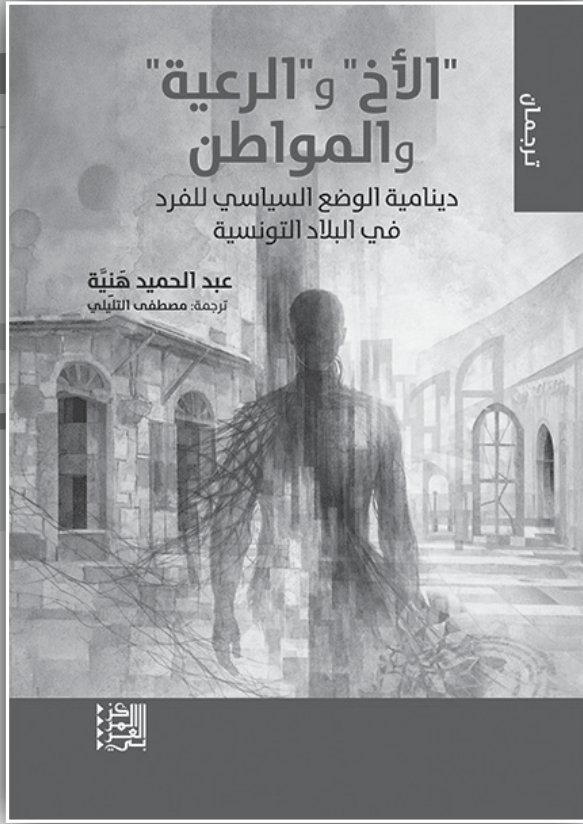
عدد الصفحات: 215 صفحة.



وتجادل المؤلفة بأن الذكاء الاصطناعي لا يحمل في ذاته قيمة أخلاقية أو سياسية؛ فهو أداة تتحدد آثارها وفق الأطر القانونية والمؤسسية التي تحكم استخدامها. ومن ثم، فإن مستقبل العلاقة بين الذكاء الاصطناعي وحقوق الإنسان ليس نتاجاً حتمياً للتقدم التقني، بل هو حصيلة خيارات سياسية وتشريعية ومجتمعية يمكن التأثير فيها وصوغها. ومن هنا تنبع أهمية هذا الكتاب؛ إذ إنه يقدم إسهاماً نوعياً في أدبيات حوكمة الذكاء الاصطناعي، من خلال نقل النقاش من حقل أخلاقيات التكنولوجيا إلى حقل القانون الدولي لحقوق الإنسان، واقتراح الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إطاراً معيارياً ملزماً لتقييم تطبيقات الذكاء الاصطناعي، في مواجهة نماذج الحوكمة الطوعية التي تهيمن عليها الشركات التكنولوجية الكبرى ومصالحها.

تنطلق سوزي أليغري في هذا الكتاب من إشكالية قانونية وفلسفية تتمثل في مدى قدرة المنظومة الدولية لحقوق الإنسان، التي تبلورت عقب الحرب العالمية الثانية وتجسدت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، على مواكبة التحولات العميقة التي يحدثها الذكاء الاصطناعي في بنية السلطة وفي العلاقة بين الفرد والدولة والسوق. ففي عالم يتزايد فيه اعتماد الحكومات والشركات على الخوارزميات في اتخاذ القرارات وإدارة البيانات وتوجيه السلوك الإنساني، تطرح أليغري سؤالاً مركزياً حول مدى قدرة الأطر القانونية القائمة على مواصلة حماية الحقوق والحريات الأساسية في البيئة الرقمية الجديدة.

وتنطلق المؤلفة من فرضية مفادها أن تأثيرات الذكاء الاصطناعي تتجاوز حدود الابتكار التقني لتشمل البنية المعيارية التي يقوم عليها النظام الدولي لحقوق الإنسان. فالذكاء الاصطناعي، في نظرها، لا يهدد الحق في الخصوصية فحسب، بل يمتد أثره إلى طيف واسع من الحقوق الأساسية، بما في ذلك الحق في الحياة، والحق في محاكمة عادلة، وحرية الفكر والتعبير، والحق في عدم التمييز، وذلك في سياق محدودة آليات الرقابة والمساءلة، واتساع الفجوة بين سرعة التطور التكنولوجي وقدرة النظم القانونية على مواكبته.



صدر حديثاً

تأليف: عبد الحميد هنية
ترجمة: مصطفى التليلي

"الأخ" و"الرعية" والمواطن: دينامية الوضع السياسي للفرد في البلاد التونسية

يقدم الكتاب دراسة في معرفة الكيفية والظروف التي مكّنت الفرد في البلاد التونسية من اكتساب (أو عدم/التوصل إلى اكتساب) وضع الرجل/المرأة المستقلّ والحز، أي وضع المواطن، بعد أن عرف الاستعباد. وكيف يعيش الفرد مثل هذه الديناميكية، من جنس الإناث كان أو من جنس الذكور وفي وسط حضري أو ريفي (قبلي/جماعوي)، وكيف يساهم الفاعلون الاجتماعيون أو الفاعلات الاجتماعيات في تشكيل هذه الديناميكية. ويبحث الكتاب في مقولة أن المجتمعات الغربية، هي وحدها، القادرة على إفراز ديناميكية تسمح ببروز الفرد، باعتباره علاقة سياسية، وأن كل صيرورة تفريد في المجتمعات الأخرى لا يمكن أن تكون إلاّ موجهة ومستحدثة من الغرب. ويتناول في هذا السياق كيف كان الأمر بالنسبة إلى سيرة الفرد في البلاد التونسية، والمسار الذي اتخذته، وخصوصيتها فيها.

سياسات عربية هي دورية محكمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، وتحمل الرقم الدولي المعياري ISSN: 2307-1583. صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. تصدر مرة واحدة كل شهرين، ولها هيئة تحرير علمية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. تستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات ذات الصلة بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية كافة.

تُعنى الدورية بنشر الدراسات في مجموعة متنوعة من مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية؛ مثل الفكر السياسي، والنظرية السياسية، والسياسة المقارنة، ودراسات الدولة والنظم والمؤسسات السياسية، ودراسات الرأي العام، والاقتصاد السياسي، والسياسة الدولية، والنظم الإقليمية والدولية، والدراسات الاستراتيجية والأمنية، ودراسات النزاع، والاقتصاد السياسي الدولي، والدبلوماسية والسياسة الخارجية، والقانون الدولي، والحوكمة العالمية. ترحب الدورية بالدراسات النظرية والإمبريقية، وبالأبحاث التي توظف مناهج كيفية أو كمية أو تمزج بينها. وتهتم خاصةً بالتحويلات السياسية، الوطنية والإقليمية، التي يشهدها العالم العربي، وما يتعلق بها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية، إضافة إلى علاقات العالم العربي الدولية.

تعتمد الدورية المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة، وفقاً لما يلي:

— **أولاً:** أن يكون البحث أصيلاً معداً خصيصاً للدورية، وألا يكون قد نشر جزئياً أو كلياً أو نُشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أي جهة أخرى.

— **ثانياً:** أن يرفق البحث بسيرة مختصرة للباحث.

— **ثالثاً:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته.
- الملخص باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (250-300) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية Keywords. ويقدم الملخص إشكالية البحث، وأطروحاته الرئيسة، والمنهجية المتبعة في بحثها، والاستنتاجات التي توصل إليها، وذلك بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة.
- تحديد إشكالية البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق أن كُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد أطروحة البحث والجديد الذي تضيفه إلى المعرفة الأكاديمية في الموضوع، ووضع تصوّر مفهومي وتحديد مؤثراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات، على أن يكون البحث مذيلاً بقائمة ببليوغرافية تتضمن أهم المصادر والمراجع التي استند إليها. وتذكر في القائمة بيانات المراجع بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقاً لنظام الإحالات المرجعية المعتمد في المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).

- لا تنشر الدورية مستلات أو فصولاً من رسائل جامعية أقرّت إلّا على نحو استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في الدورية. وفي هذه الحالة، على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف الدورية واهتماماتها البحثية.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك هوامشه ومراجعته وملحقاته، بين 8000-10000 كلمة. وللدورية أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض الأبحاث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي أُعدّت بها في الأصل بحسب برنامجي إكسل Excel أو وورد Word، ولا تُقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسل صوراً.
- تهتم الدورية بنشر مراجعات نقدية معمقة لأبرز الكتب الصادرة حديثاً في مجالات اختصاصها، بأيّ لغة من اللغات، شرط ألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من خمس سنوات. ويمكن هيئة التحرير، استثناءً، اعتماد مراجعات لكتب أقدم من ذلك إذا رأت فيها قيمة مضافة إلى الدورية. يراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.

— **رابعاً:** يخضع كلّ بحث لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، ويقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصاً دقيقاً في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القراء في المركز العربي. وفي حال تباين تقارير المحكّمين، يحال البحث إلى محكّم مرّجّح ثالث. وتلتزم هيئة تحرير الدورية، في حدود الإمكان، بموافاة الباحث بقرارها بالنشر أو النشر بعد إجراء تعديلات محددة أو الاعتذار عن عدم النشر في فترة لا تتجاوز أربعة أشهر من تاريخ استلام البحث.

— **خامساً:** تلتزم الدورية ميثاقاً أخلاقياً يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم الدورية بجودة خدمات التحرير والتدقيق اللغوي والتحرير العلمي التي تقدّمها للبحث.
- يخضع ترتيب نشر البحوث لمقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع الدورية مكافآت مالية عن الموادّ - من الدراسات ومراجعات الكتب - التي تنشرها؛ مثلما هو متّبع في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى الدورية أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

1. الكتب

- اسم المؤلّف، عنوان الكتاب، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.
- جيمس بيسكاتوري، الإسلام في عالم الدّول القوميّة (بيروت: دار النّهضة، 1986)، ص 116-119.
 - كيت ناش، السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

- ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.
- ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النحو التالي مثلاً: ناش، ص 117.
- أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصراً: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.
- أما في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النحو التالي:
- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.
 - وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة [وآخرون]. مثال:
 - السيد ياسين [وآخرون]، **تحليل مضمون الفكر القومي العربي**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.
 - ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين [وآخرون]، ص 109.
 - أما في قائمة المراجع فيكون كالتالي:
 - ياسين، السيد [وآخرون]. **تحليل مضمون الفكر القومي العربي**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

2. الدوريات

- اسم المؤلف، "عنوان الدراسة أو المقالة"، اسم الدورية، المجلد و/أو رقم العدد (سنة النشر)، رقم الصفحة. مثال:
- محمد حسن، "الأمن القومي العربي"، **إستراتيجيات**، مج 15، العدد 1 (2009)، ص 129.
 - حسن، محمد. "الأمن القومي العربي". **إستراتيجيات**. مج 15، العدد 1 (2009).

3. مقالات الجرائد

- تكتب بالترتيب التالي (تذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:
- السيد ياسين، "من الحادثة إلى ما بعد الحادثة 2"، **الحياة**، 2016/8/21.

4. المنشورات الإلكترونية

- عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها:
- اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، اسم السلسلة (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهده في 2016/8/9، في: <http://www.....>
- ويتعين ذكر الرابط مختصراً بالاعتماد على مختصر الروابط Bitly أو Google Shortner مثل:
- "ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، **الجزيرة نت**، 2012/12/24، شوهده في 2012/12/25، في: <http://bit.ly/2bAw2OB>
 - "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهده في 2016/8/18، في: <http://bit.ly/2b3FLeD>

ملحق 2: أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

1. تعتمد مجلات المركز العربي قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم بالنسبة إلى الباحث والمحكمين على حدٍ سواء، وتحيل كل بحث قابل للتحكيم إلى محكمين معتمدين لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكمين، تُحيل الدورية البحث إلى قارئٍ مرجحٍ آخر.
2. تعتمد دوريات المركز محكمين موثوقين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
3. تعتمد دوريات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير وماراتبه الوظيفية.
4. لا يجوز للمحررين والمحكمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه)، أن يبحثوا الورقة البحثية المقدمة للدورية مع أي شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلف. وينبغي الإبقاء على أي معلومةٍ أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
5. تقدّم الدورية في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فني ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
6. تلتزم الدورية إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
7. تلتزم دوريات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعة والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
8. احترام قاعدة عدم التمييز: يقيم المحررون والمراجعون المادة البحثية بحسب محتواها العلمي، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.
9. قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أي مؤلف من المؤلفين، أو الشركات، أو المؤسسات ذات الصلة بالبحث.
10. تنقيد الدوريات بعدم جواز استخدام أيٍّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال إلى الدورية في بحوثهم الخاصة.
11. النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض الدورية النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمةٍ أو إضافات على البحث، إلا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويباتٍ أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة الدورية إلى الباحث.
12. حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في دورياته العلمية المحكمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًا أو كليًا، سواءً باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
13. تنقيد دوريات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملاً بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
14. المجانية. تلتزم دوريات المركز العربي بمجانبة النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلفين من جميع رسوم النشر.

5. Based on reviewers' reports, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. The journal editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing a high standard of professional copy editing, proof reading, and production quality during the publication process.
8. Non-discrimination principle: Editors and reviewers evaluate submissions solely on their intellectual merit, without discrimination based on race, gender, religion, or the author's political philosophy.
9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or affiliations with any of the authors, companies, or institutions connected to the research.
10. Confidentiality: unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.
11. Final version and revisions: Before publication, the journal sends the author a semi-final edited version of the article in PDF format. At this stage, only corrections or very minor amendments are allowed, within a short time frame specified in the journal's correspondence with the author.
12. Intellectual property and copyright: The ACRPS holds the intellectual property rights for articles published in its peer-reviewed journals. These articles may not be republished, in whole or in part, in Arabic or in translation into other languages, without the Center's explicit written permission.
13. For translated articles, the journals fully comply with the conditions of the original publisher and respect intellectual property rights.
14. The Center's journals are committed to free publication and exempt authors from all publication charges.

Newspaper articles

Author name (if available), "Article Title," *News Outlet*, 00/00/0000.

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

- Ian Black, "Assad urges US to rebuild diplomatic road to Damascus," *The Guardian*, 17/02/2009.

Online Sources

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

Author name (if available), "Article Title," series name (if any), *website name*, publication date, access date, and full URL (or shortened using reputable shortener).

Examples:

- Patrick Wintour "Israeli attempt to annex West Bank would be 'red line' for US, says Macron," *The Guardian*, 24/09/2025, accessed on 25/09/2025, at: <https://acr.ps/1L9BORH>
- Harith Hasan and Hazim Rahahleh, "Post-Liberalism: Trumpism and the Rise of Economic Nationalism," *Economic Papers*, Arab Center for Research and Policy Studies, 24/02/2025, accessed on 25/09/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPFF>

Annex II: Ethical Guidelines for Publication in *Siyasat Arabiya*

1. *Siyasat Arabiya's* editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects two accredited reviewers with proven expertise, who evaluate it according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third reviewer will be selected.
2. *Siyasat Arabiya* relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. *Siyasat Arabiya* follows a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.

Annex I: Footnotes and Bibliography

Books

In footnotes:

Author's name, *Book Title*, Translator or Editor's name, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

For example:

- Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99-100.
- Gabriel Garcia Marquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 55-242.

Subsequent non-consecutive citations:

- Marquez, p. 117.
- If multiple works are cited by the same author: abbreviated title used, e.g. Marquez, *Cholera*, pp. 117.
- If immediately consecutive: Ibid., pp. 118.

The corresponding bibliographical entry:

- Garcia Marquez, Gabriel. *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.). London: Cape, 1988

If more than three authors: cite main author/editor plus "et al."

- Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*, (London: Sage, 1994), pp. 109.
- In later quotes: Gibbons et al., pp.35.

The corresponding bibliographical entry:

- Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Journals

In footnotes:

Author's name, "Article Title," *Journal Title*, vol. and/or issue (Year), page number.

- Mohamed Hassan, "Arab National Security," *Strategies*, vol. 15, no. 1 (2009), p. 129.

Corresponding bibliographical entry:

- Hassan, Mohamed. "Arab National Security." *Strategies*. Vol. 15, no. 1 (2009).

- A statement of the research question, objectives, and significance, a critical review of relevant literature (including the most recent work), a clear research hypothesis, a conceptual framework with key indicators, description of methodology, analysis and findings, and conclusions. Each article must end with a bibliography listing the main sources and references, cited in their original language(s).
 - Citations and references must follow the Arab Center's referencing style (Appendix 1: Footnote and Reference Style Guide).
 - The journal does not normally publish excerpts or chapters from approved theses, except in exceptional cases and only once they have been revised by the author for publication in the journal. In such cases, the author must indicate this and provide full details of the thesis title, date of defence, and institution.
 - The article must fall within the research scope of the journal.
 - Articles should be between 8,000–10,000 words (including references, footnotes, tables, figures, and appendices). In exceptional cases, the journal may accept longer studies.
 - Figures, charts, equations, or tables must be submitted in their original formats (Excel or Word). Images are not acceptable.
 - The journal publishes in-depth critical reviews of significant recently published books in its fields of interest (in any language), provided they were published within the last five years. Exceptionally, the editorial board may accept reviews of older works if deemed valuable. Reviews should be 4,500–5,000 words and are subject to peer review.
- **Peer review:** All submissions are subject to a double-blind peer review by two anonymous reviewers who are recognized experts in the subject area, selected from the Arab Center's reviewer database. In case of conflicting reports, the article is referred to a third reviewer. The editorial board undertakes to notify authors of its decision (acceptance, acceptance conditional on revisions, or rejection) within four months of submission.
- **Ethical charter:** The journal upholds an ethical code of confidentiality, objectivity, and non-disclosure of research information by editors, reviewers, or board members to anyone other than the author, reviewers, and editorial team (Appendix 2).
- The journal provides expert language and academic editing.
 - The order of publication is based on technical considerations and not on the author's academic standing.
 - The journal does not provide financial compensation for published studies or book reviews, in line with international scholarly practice. Nor does it charge publication fees.

Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies and Doha Institute for Graduate Studies (ISSN: 2307-1583). First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers. It adheres to an ethical charter that governs its publishing standards and the relationship between the journal and researchers. It also relies on internal regulations to organize the peer-review process, as well as an approved list of reviewers specializing in all fields of political science and international relations.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science and international relations, including political thought, political theory, comparative politics, studies of state, political systems and institutions, public opinion studies, political economy, international politics, regional and international systems, strategic and security studies, conflict studies, international political economy, diplomacy and foreign policy, international law, and global governance. The journal welcomes both theoretical and empirical studies, as well as research employing qualitative or quantitative methods, or a combination of both. Particular attention is paid to the contemporary political transformations in the Arab world, specifically in relation to political systems, political stability and regional relations.

Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must adhere to the following guidelines, in line with peer-reviewed international journals:

- **Originality:** The article must be original and prepared specifically for the journal. It must not have been published, in whole or in part, or in a similar form, in any print or digital medium; nor should it have been presented at any conference other than those organized by the Center or submitted elsewhere.
- **Author details:** The submission must be accompanied by a short biography of the author.
- **Article requirements:** Each article should include:
 - The title in both Arabic and English, a brief author bio that lists institutional affiliation, and the author's latest publications.
 - Abstracts in both Arabic and English (250–300 words each) and keywords. The abstract should clearly and concisely state the research question, main argument, methodology, and conclusions.

دعوة للكتابة

” تدعو دورية سياسات عربية الباحثات والباحثين المهتمين بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية والحقول المعرفية ذات الصلة إلى تقديم أبحاثهم لنشرها في الدورية. تقبل سياسات عربية الأبحاث النظرية والإمبريقية الرصينة، المكتوبة باللغة العربية، ومراجعات الكتب النقدية المعمقة. وتخضع جميع المواد التي تصلها لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، وذلك من قبل محكمين مختصين اختصاصًا دقيقًا بموضوع البحث. وتتوقع الدورية من الباحثين الالتزام بمعاييرها، وبملاحظات المحكمين واقتراحاتهم، بهدف تجويد البحث. وتهدف الدورية إلى أن تكون طيبة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحية برصانة ما تنشره.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير

على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

قسمة الاشتراك

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

الاسم

العنوان البريدي

البريد الإلكتروني

عدد النسخ المطلوبة

طريقة الدفع

☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز

Invitation to submit papers



Siyasat Arabiya welcomes submissions from researchers interested in political science, international relations, and related fields. The journal publishes rigorous theoretical and empirical studies written in Arabic as well as in-depth critical book reviews. All submissions are subject to double-blind peer review, carried out by experts on the subject. Authors are therefore expected to adhere to the journal's standards and to adopt reviewers' comments and suggestions. *Siyasat Arabiya* seeks to be accessible to both specialists and non-specialist readers, without compromising the academic integrity of its publications.



All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

Address all correspondence to the Editor-in-Chief



سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون
ص.ب: 4965-11 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
Qatar National Bank
Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)
IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)
SWIFT code: QNBA LB BE

الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

- | | |
|-----|--|
| 35 | دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان. |
| 55 | دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان. |
| 55 | دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا. |
| 75 | دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا. |
| 95 | دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا. |
| 120 | دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا. |
| 120 | دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية. |
| 140 | دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية. |



من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات



- للحصول على منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يرجى الاطلاع على قائمة مؤرّعي الكتب والمجلات على موقعنا الإلكتروني: www.dohainstitute.org
- بالنسبة إلى البلاد التي لا يوجد فيها موزعون إلى الآن، يرجى الاتصال مباشرة بقسم التوزيع في مكتب بيروت؛ هاتف: 009611991837 أو على البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

دراسات

عزمي بشاره

من لا-أخلاقية السياسة إلى السياسة غير الأخلاقية
في ظل إدارة ترمب وأثرها

عدد خاص:

قضايا الانتقال والهوية وبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد

المحرر: أحمد قاسم حسين

أحمد قاسم حسين

مقدمة: قضايا الانتقال والهوية
وبناء الدولة في سورية ما بعد الأسد

إبراهيم دراجي

الإرث الدستوري في سورية (1973-2024):
فرص ضائعة على الطريق نحو انهيار نظام الأسد

عماد العلي

بناء الدولة والعقد الاجتماعي
في سورية ما بعد الأسد: مقارنة تأسيسية

أحمد قاسم حسين

نبيل حسين

"هويات متصدعة":
قراءة في تحولات الهوية الوطنية السورية اعتمادًا
على نتائج المؤشر العربي في سورية 2025

حيان دخان

رهف الدغلي

سوسيولوجيا انهيار نظام الأسد:
الطائفة العلوية وتفكك العقد الاجتماعي
(2024-2011)

عزام القصير

إعادة تشكيل السلطة
في سورية ما بعد الأسد: مقارنة نيوباتريمونية

مراجعات الكتب

سمير العبد الله

مراجعة كتاب "العقد الأخير في تاريخ سورية:
جدلية الجمود والإصلاح"

دراسة مترجمة

جوان شارب

ترجمة سجي طرمان

الجيوبوليتيكا في الهوامش؟
إعادة النظر في جينولوجيات الجيوبوليتيكا
النقدية

التوثيق

الوقائع الفلسطينية في المدة 2026/8/31-7/1

عروض الكتب

القرن الأوراسي: الحروب الساخنة، والحروب الباردة،
وصناعة العالم الحديث

ما الذي أخفق حقًا؟ الغرب وإخفاق الديمقراطية
في الشرق الأوسط

محمّات: تاريخ الفكر الدولي من دون رجال

حقوق الإنسان وأخطاء الروبوت: أن تكون إنسانًا
في عصر الذكاء الاصطناعي



سعر النسخة



قطر	18 ريالاً	العراق	3500 دينار	الجزائر	150 ديناراً
السعودية	18 ريالاً	تونس	3 دنانير	المغرب	18 درهماً
الإمارات	18 درهماً	سوريا	150 ليرة	موريتانيا	500 أوقية
البحرين	ديناران	لبنان	100000 ليرة	ليبيا	3 دنانير
الكويت	1,5 دينار	الأردن	1,5 دينار	فلسطين	3 دولارات
عمان	ريالان	اليمن	300 ريال	الصومال	2500 شلن
مصر	20 جنيهاً	السودان	10 جنيهاً		